



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

الاستغناء في علوم القرآن

لأبي بكر محمد بن علي الأذفوي (ت: ٣٨٨هـ)

من أول قوله تعالى من سورة النجم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً
الْأُنثَى﴾، إلى آخر الآية من سورة الحديد: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ
بَيْنَهُمْ...﴾

دراسة وتحقيق

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة:

ثرى بنت محمد عثمان بن عبد الغني محي الدين

الرقم الجامعي: ٤٣٣٨٠٠٠٥

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور:

عبد الودود بن مقبول حنيف

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م



الإهداء

إلى معلمي الأول.. ومُلهمي الأُغلى..
 مَنْ فتحتُ عيني على مكتبته وكتبه.. وكنتُ دومًا أراه أبًا حانيًا ومعلمًا فذاً..
 طالبَ علمٍ مُجدًّا وعابدًا متعبِّدًا..

والدي الحبيب.. أعزَّ من فقدت.. رحمة الله عليه بكره وعشيتا

إلى والدي الحبيبة/ سليمة بنت نظام الدين غلام

مَنْ قادت مركب العائلة - مع والدي وبعد رحيله - باقتدار
 مهَّدت الطريق بصبرٍ وحب.. وظللتُ حياتنا باهتمامٍ ودعاء
 إلى زوجي الحبيب.. رفيقي في هذه الحياة

مَنْ كان لي داعمًا في دراستي لمرحلي البكالوريوس والماجستير

ولم ييخل عليَّ بمعونة وتشجيع.. وسدَّ خلل ومغاضاة

إلى أبنائي الأحباء.. ريجانتي فؤادي: محمد وعبد الرحمن

ومُهَجَّتِي رُوحِي: فاطمة ورتيل

منذ مولدهم وخلال نشأتهم وهم يرسمون أحلى صور التضحية بما يأنسُ به معظمُ

الأبناء مِمَّن هم في سنِّهم

إلى إخوتي الأعزاء الذين لم ييخلوا عليَّ بدعمٍ أو دعاء

إليكم جميعًا أهدي هذه الرسالة

شكر وتقدير

الحمد لله والشكر له كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أحمد الله تعالى وأثني عليه أن أكرمني بإتمام هذه الرسالة، وأن شرفني بخدمة التراث الإسلامي، وأسأله ﷺ أن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، وأن يثقل بها ميزاني، ويجعلها حجةً لي لا علي.

ولجامعتي الأثيرة: جامعة أم القرى، ممثلةً في كلية الدعوة وأصول الدين/ قسم الكتاب والسنة، شكري وامتناني، فما فتأت تدعم العلمَ وطلبتَه منذ نشأتها وحتى يومنا الحاضر. أبقاها الله ﷻ صرحًا شامخًا وأعان أهل الفضل فيها وأثابهم أحسن الثواب وأجزله.

ثم إن كلمات الشكر والثناء تقف عاجزةً أمام فضلٍ مشرفني على الرسالة: فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد الودود بن مقبول حنيف، الذي أحاطني بالتعهد والاهتمام، وما بجُل عليّ بنصائحه القيّمة، وكلماته المحفّزة، ودعوته الصادقة، وتوجيهاته السديدة، وسؤاله الدائم عن بحثي وأحوالي وأحوال عائلتي، وكان لسؤاله الدائم أكبر الأثر في شدّ أزرّي والتغلب على الصعاب التي واجهتني. جزاه الله خيرَ ما جرى معلّمًا عن طالبه، وبارك فيه وله، وصبّ عليه من أفضاله ما تقرُّ به عينه.

والشكر موصول للأستاذة الفضلاء؛ أعضاء لجنة المناقشة: فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد ابن عبد السلام خزيم، وسعادة الأستاذة الدكتورة/ روضة بنت محمد بن ياسين؛ على تفضّلهم بقراءة الرسالة، ومناقشتي في محتواها، وتقويم ما اعوجَّ منها. فجزاهم الله خيرًا وبارك فيهم وفي علمهم وأحسن إليهم.

ثم شكري ودعائي لوالدتي الحبيبة، التي أحاطتني بحبها ودعمها وغرست -مع والدي رَحْمَةً- في نفسي حب العلم وأهله، وصبرت على انشغالي، وكانت تمدني بالقوة والعزيمة كلما ثقلت عليّ نفسي. حفظها الله تعالى وأطال بقاءها معنا في عفوٍ وعافيةٍ وجزاها عني خيرَ ما جرى والدة عن ابنتها.

وأشكر كذلك زوجي أبا محمد، الذي ما بجُل عليّ بالدعم والمساندة ومراعاة انشغالي بالبحث، وتلطيف شعوري بالتقصير تجاه المنزل والأبناء بدعوته الصادقة. حفظه الله وأسبغ



عليه ثياب الصحة والعافية وأبقاه لي ولأبنائنا سندًا وذخرًا.
وأختم بشكري ودعائي لكلِّ مَنْ أعانني على إتمام رسالتي، ولكلِّ مَنْ علَّمني منذ مراحلتي
التعليمية الأولى وحتى مرحلة الدراسات العليا، ولأبنائي وإخواني وأخواتي وأبنائهم وزوجات
إخواني وأخوات زوجي وصديقاتي وكل أحبتي، الذين تعاهدوني على الدوام بالسؤال والتحفيز
والدعاء. لا حرمهم الله أجرَ إدخال السرور على نفسي، وأجرَ دعمي وإعانتني على إكمال
المسير وإتمام العمل. حفظهم الله تعالى وبلغهم في أنفسهم وأحببتهم كل ما يرجونه من خيري
الدنيا والآخرة.



ملخص البحث

عنوان الرسالة: الاستغناء في علوم القرآن لأبي بكر محمد بن علي الأذفوي (ت ٣٨٨هـ)، من أول قوله تعالى من سورة النجم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى﴾ إلى آخر الآية من سورة الحديد: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ...﴾ دراسة وتحقيق.

وهي رسالة مقدمة لنيل درجة (الماجستير) في التفسير وعلوم القرآن.

وقد اشتملت على مقدمة، وقسمين، وخاتمة، وفهارس.

حيث اشتملت المقدمة على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وحدوده، والدراسات السابقة، بالإضافة إلى خطة البحث، ومنهج التحقيق.

أما **القسم الأول:** وهو قسم الدراسة، فقد اشتمل على (التعريف بالمؤلف، والكتاب)، وفيه ثلاثة

فصول:

الفصل الأول: عصر المؤلف وأثره فيه وتأثره به، وفيه خمسة مباحث.

الفصل الثاني: التعريف بالمؤلف، وفيه ثمانية مباحث.

الفصل الثالث: التعريف بالكتاب، وفيه سبعة مباحث.

وأما **القسم الثاني:** فقد اشتمل على النص المحقق من أول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى﴾ من سورة النجم، إلى آخر قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ...﴾ من سورة الحديد.

ثم ختمت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج والتوصيات، ثم قمتُ بعمل فهرس لخدمة البحث. ومن التوصيات:

١. خدمة الكتاب بدراسة ما فيه من علوم تتعلق باللغة والقراءات والوقف والابتداء.
٢. نشر هذا الكتاب بجمع الرسائل العلمية التي اعتنت بتحقيقه، وإفادة المكتبة الإسلامية به.
٣. البحث عن مؤلفات أخرى للإمام رَحِمَهُ اللهُ، وخدمتها.

والحمد لله رب العالمين،،

الباحثة:

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور:

ثريا بنت محمد عثمان بن عبد الغني محي الدين

عبد الودود بن مقبول حنيف

Abstract

Title of The Thesis: "Dispensing in the Qur'anic Sciences by Abu Bakr Muhammad Bin Ali Al-Adfawi (died in 388H), from the verses of Surat Al-Najm ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ﴾ to the end of the verse in Surat Al-Hadid ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ...﴾ Study and investigation.

It is a thesis submitted for the (Master) degree in the interpretation and the Koranic sciences.

It included an introduction, two sections, a conclusion, and indexes.

The introduction included the importance of the subject and the reasons for its selection, research objectives, limits, previous studies, in addition to the research plan, and the approach of investigation.

The First Section: The study section, contains (definition of the author and the book), it has three chapters:

Chapter One: The era of the author and its impact on him and influenced by it, it includes five topics.

Chapter Two: Definition of the author, it includes eight topics.

Chapter Three: Definition of the book, it includes seven topics.

The Second Section: Contains the investigated text from the verse:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ نَسِيمَةَ الْأُنثَى﴾ } from Surat Al-Najm, to verse ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ...﴾ in Surat Al-Hadid.

I concluded the thesis with a conclusion that contained the most important findings and recommendations, then I arranged indexes to serve the research.

Recommendations:

- 1- Servicing the Book by studying the sciences related to language and readings, stop and starting.
- 2- Publishing this book by collecting the scientific thesis that cared about its investigation, and benefit the Islamic library.
- 3- Find other compositions of Imam and serve them.

Thank God the lord of all,

Researcher

Supervisor

THORAYA MOHAMMED OTHMAN ABDUL GHANI MOHIUDDIN

Dr. ABDULWADOOD MAQBOOL HANIF



المقدمة



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه العُرِّ الميامين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن علم التفسير من أشرف العلوم وأجلّها؛ لتعلّقه بكتاب الله الكريم، وقد أورثه الله عزَّ وجلَّ - من هذه الأمة - من كل خلفٍ عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وبرع فيه من السلف علماء أفذاذ، فخلّفوا لنا كنوزًا ثمينةً، عفا الزمنُ على أكثرها، وبقيت منها بقية - وهي ليست بالقليلة والله الحمد - تستحثُّ الهمم لإخراجها إلى النور قبل دروسها، وتحتاج إلى دراسةٍ متأنيةٍ لتمييز الغثِّ من الثمين، الذي يجب أن نطلع عليه؛ لنقف على صورةٍ أكثر وضوحًا لفهم النصِّ القرآنيِّ عند السلف، صورةٍ تضعنا على الجادة السليمة في فهم كتاب الله ﷻ.

وطريق التفسير أولُّ عتبةٍ يلج فيها طالب الفهم لكتاب الله؛ لاستنطاق معانيه وألفاظه، واستبصار حكمه وأحكامه.

وقد انصرفت هم العلماء وجهودهم إلى العناية به، والسَّعي في تدبُّره، واستفراغ الوُسع في استخراج مكنونه؛ حتى برز في كل قطرٍ علماءٌ أجلاء، تنافسوا في الإسهام بكل ما لديهم في هذا الميدان الشريف، وكان ممن برز في مصر: الإمام أبو بكر محمد بن علي الأذفويّ رَحِمَهُ اللهُ.

فألَّفَ السِّفْرَ العظيم المسمى بـ (الاستغناء في علوم القرآن)، أراد أن يكون سِفْرًا كبيرًا شاملًا مُغْنِيًا، فأكبَّ على القرآن متأملًا متدبرًا، ولأقوال العلماء فيه متخيِّرًا، حتى قضى في تأليفه اثنتي عشرة سنةً، بذل فيه الوُسع، وأنفَدَ الطاقة.

وقد يسرَّ الله ﷻ لي أن أكون أحد العاملين لخدمة هذا الكتاب، وذلك بتحقيق جزءٍ منه - من أول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ من سورة النجم، إلى آخر قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ...﴾ من سورة الحديد - فله الحمد والمنة، وعليه توكلي واعتمادي.

أهمية الموضوع:

- تتجلى أهمية تحقيق كتاب (الاستغناء في علوم القرآن) فيما يلي:
- ١- تحقيق الفائدة العلمية الخاصة من خلال الاشتغال بالتحقيق والتوثيق، والوقوف على مصادر كثيرة من فروع العلم المختلفة، والإفادة منها.
 - ٢- الإسهام في إثراء المكتبة الإسلامية بسفرٍ نفيسٍ ظلَّ محبوباً سنين طويلةً، ومشاركة أهل الفضل في إخراجها.
 - ٣- خصوصية الأДФوي لمكانته العلمية، ولما في كتابه من ثراءٍ وغزارةٍ علميةٍ، وبراعةٍ وتفنُّنٍ في تناول مختلف العلوم والفنون المتعلقة بتفسير الآيات الكريمة، بما زخرَ من تفصيلٍ ومناقشةٍ وتحريٍ لكثيرٍ من ظواهرها ومسائلها.
 - ٤- ما له من قيمةٍ علميةٍ كبيرةٍ تجعل إخراجها بتحقيقٍ علميٍّ أمراً واجباً على المهتمين بالدراسات القرآنية؛ لما احتواه من فوائدٍ وفرائدٍ، ونقولاتٍ من كتبٍ مفقودةٍ في مختلف العلوم، أكسبته أهميةً تجعله مصدراً من المصادر التي يُرجع إليها في النحو والقراءات والتفسير، وغيرها عند جمعٍ من المفسرين.
 - ٥- إحياء تراث الأمة الإسلامية وحفظه للأجيال القادمة؛ خوفاً من ذُروسه وإمكانية ضياعه؛ لنُدرةِ نُسخه.

أهداف البحث:

- ١- إخراج الكتاب على أقرب صورةٍ صحيحةٍ وضعها عليها مؤلفه، مع مراعاة الضبط والإتقان قدر الإمكان.
- ٢- إظهار تميُّز وجهه الإمام الأДФوي رَحِمَهُ اللهُ، واختياراته ومنهجه في تفسير القرآن الكريم وإعرابه، ومكانته وشخصيته العلمية، التي برزت واضحةً جليَّةً في كتابه.
- ٣- خدمة الكتاب كما تقتضيه ضوابط البحث والتحقيق العلمية.

حدود البحث:

دراسة وتحقيق كتاب (الاستغناء في علوم القرآن)، من أول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنْسِ﴾ [النجم: ٢٧] إلى آخر قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ

حُطَّمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿الحديد: ٢٠﴾.

في قرابة خمسٍ وخمسين لوحة - حسب نسخة مكتبة سليم آغا بتركيا - وخمسةٍ وثلاثين سطرًا في الصفحة الواحدة.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والمتابعة لعدد من مراكز البحوث والدراسات المهمة بالرسائل العلمية، والبحث عن طريق الشبكة العالمية (الإنترنت)، لم أجد من حقق هذا المخطوط القيم سوى الباحث: عبد الله بن عبد الغني كحيلان بعنوان: (الأدقوي مفسرًا وتحقيق سورة الفاتحة من تفسيره)، وهي رسالة علمية نال بها درجة الماجستير عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، وقد اشتملت الرسالة على قسمين:

القسم الأول الدراسة: واحتوى التمهيد وأربعة أبواب.

القسم الثاني التحقيق: ركز الباحث في بحثه على دراسة منهج الإمام الأدقوي في تفسيره لكامل القرآن الكريم، ثم قام بتحقيق سورة الفاتحة.

الخاتمة وتشمل: أهم النتائج والتوصيات التي توصل لها الباحث، ومن أبرزها التوصية بإكمال تحقيق الكتاب.

ثم إن جامعة أم القرى ممثلةً في كلية الدعوة وأصول الدين / قسم الكتاب والسنة قد قدمت للأمة الإسلامية هديةً قيّمةً، وخدمةً جليلاً للتراث الإسلامي العظيم، فاعتمدت مشروعًا ضخماً، ويسرت كل ما يعين على إتمامه وإخراجه للنور، فقسمت الباقي - مما لم يُحقق - من مخطوط الاستغناء على العديد من طلاب وطالبات الدراسات العليا للعمل على تحقيق كامل المتبقي منه، وإخراجه بعد ذلك، وعيّنت مشرفين أجلاء من أعضاء هيئة التدريس الأفاضل، وقد شرفني الله تعالى لأن أكون ممن خدم هذا السفر المبارك، بما استطعته من جهد، وبذلت له حبي وشغفي واهتمامي وجلّ وقتي.

وفيما يلي بعض الرسائل العلمية التي تمت مناقشتها من هذا المشروع المبارك:

١. الاستغناء في علوم القرآن لأبي بكر محمد بن علي الأدقوي (المتوفى ٣٨٨هـ) من أول قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ الآية (٦٥) من سورة الأعراف، إلى آخر قوله تعالى: ﴿وَإِخْتَارَ

مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ﴿١٥٥﴾ الآية (١٥٥) من السورة نفسها، دراسة وتحقيق. للباحثة: إسرائ بنت عبد الغني سندي، وقد نوقشت عام ١٤٣٦هـ.

٢. الاستغناء في علوم القرآن لأبي بكر محمد بن علي الأدفوي (المتوفى ٣٨٨هـ) من أول قوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ من سورة التوبة، إلى آخر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من سورة يونس، دراسة وتحقيق. للباحثة: لبنى بنت خالد العرفج، وقد نوقشت عام ١٤٣٧هـ.

٣. الاستغناء في علوم القرآن لأبي بكر محمد بن علي الأدفوي (المتوفى ٣٨٨هـ) من أول قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الآية (٢٥) إلى آية (٨٣) من سورة هود: ﴿مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ، دراسة وتحقيق. للباحثة: أروى بنت عدنان الهندي، وقد نوقشت عام ١٤٣٨هـ.

٤. الاستغناء في علوم القرآن لأبي بكر محمد بن علي الأدفوي (المتوفى ٣٨٨هـ) من أول سورة التغابن، إلى نهاية سورة الجن، دراسة وتحقيق. للباحثة: أحلام بنت مرشد الحربي، وقد نوقشت عام ١٤٣٨هـ.

٥. الاستغناء في علوم القرآن لأبي بكر محمد بن علي الأدفوي (المتوفى ٣٨٨هـ) من أول قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ الآية (٦٠) من سورة الحج، إلى نهاية قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ﴾ الآية (٣٤) من سورة النور، دراسة وتحقيق. للباحثة: جيهان بنت أحمد الأندجاني، وقد نوقشت عام ١٤٣٩هـ.

وقد اطلعت على بعضها واستفدت من البعض الآخر في مشوار إعدادي لهذه الرسالة. أسأل الله تعالى أن يتقبل منّا هذا العمل وأن يجعله مباركاً نافعاً.

خطة البحث: وتحتوي على:

مقدمة، وقسمين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وفيها أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وحدوده، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج التحقيق.

القسم الأول: الدراسة وفيه: (التعريف بالمؤلف والكتاب) وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عصر المؤلف وأثره فيه، وتأثره به، وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية.

المبحث الثالث: الحالة الدينية.

المبحث الرابع: الحالة العلمية.

المبحث الخامس: أثر العصر الذي عاش فيه وتأثره به.

الفصل الثاني: التعريف بالمؤلف: الإمام محمد بن علي الأدفوي رَحِمَهُ اللهُ، وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، ومولده.

المبحث الثاني: أسرته، ونشأته.

المبحث الثالث: شيوخه.

المبحث الرابع: تلاميذه.

المبحث الخامس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث السادس: عقيدته ومذهبه.

المبحث السابع: مصنفاته.

المبحث الثامن: وفاته.

الفصل الثالث: التعريف بالكتاب، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: تحقيق عنوان الكتاب.

المبحث الثاني: توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف.

المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب.

المبحث الرابع: المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في كتابه.

المبحث الخامس: القيمة العلمية للكتاب، وأهم مميزاته.

المبحث السادس: المآخذ على الكتاب.

المبحث السابع: وصف النسخة الخطية للكتاب، مع إرفاق نماذج منها.

القسم الثاني: النص المحقق: من أول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ

تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ من سورة النجم، إلى آخر قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ

بَيْنَكُمُ...﴾ من سورة الحديد.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.

الفهارس: وضعت فهارس فنية للرسالة، ليسهل على القارئ الإفادة منها، وذلك على النحو

التالي:

١. فهرس الآيات القرآنية.
٢. فهرس الأحاديث النبوية.
٣. فهرس الآثار.
٤. فهرس الشواهد الشعرية.
٥. فهرس الأعلام المترجم لهم.
٦. فهرس الأماكن والبلدان.
٧. فهرس القبائل.
٨. فهرس الكلمات الغريبة.
٩. فهرس المصادر والمراجع.
١٠. فهرس الموضوعات.

منهج التحقيق:

أولاً: في النسخ:

١. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني - مصحف المدينة، برواية حفص عن عاصم - ما عدا القراءات الأخرى فأكتبها بحسب القراءة.
٢. تصويب ما وقع من خطأ في الآيات القرآنية، وإثبات ما سقط منها، دون الإشارة لذلك.
٣. كتابة نص المؤلف من أصل المخطوط بقواعد الكتابة الحديثة، وترتيب فقراته ووضع علامات الترقيم.
٤. تصويب الأخطاء الإملائية دون الإشارة إليها.
٥. تصويب الأخطاء النحوية، مع الإشارة إليها في الحاشية بعد وضع الكلمة مصوّبةً بين

معكوفتين [...] في المتن.

٦. تصويب الكلمات التي وقع فيها تحريف أو تصحيف^(١)، بما يتوافق مع المصادر المنقول منها ودلالة السياق كذلك، ووضع الكلمات المصوّبة بين معكوفتين في المتن، والإشارة لذلك في الحاشية.

٧. تصويب الكلمات التي اتفق رسمها، واختلف نقطها، ولم يتغير المعنى، دون الإشارة لذلك في الحاشية.

٨. حذف ما وقع في النص من تكرار، والإشارة إلى ذلك في الحاشية.

٩. حذف ما أُلغاه الناسخ من النص لخطئه أو تكراره، وعلامته في ذلك وضع خط رقيق على أول الكلمة، ودلالة السياق تدل على خطأ ورودها في هذا الموضع، دون أن أشير إلى ذلك في الحاشية.

١٠. إثبات الكلمات الزائدة على النص أو الساقطة منه، في المتن بوضعها بين معكوفتين، والإشارة إلى ذلك في الحاشية.

١١. إثبات المكتوب في هامش الصفحات (اللَّحَق) - بوضعه بين معكوفتين - في الموضع المناسب، والإشارة لذلك في الحاشية.

١٢. إضافة السلام والترضي عند ذكر الأنبياء ﷺ والصحابة رضي الله عنهم؛ تأدّباً مع مقام النبوة والصحابة.

١٣. ضبط الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والأشعار ضبطاً تاماً.

١٤. ضبط ما يُشكّل؛ لدفع الإشكال فيه.

(١) التحريف: يكون بالزيادة في الحروف أو النقص منها أو تبديلها. والتصحيف: تغيير في نقط الحروف أو حركاتها، مع بقاء صورة الخط، وقد يتغير المعنى وقد لا يتغير. ينظر: تحقيق المخطوطات، ٢٥٨-٢٥٩.

١٥. الإشارة إلى موضع بداية كل وجه من ألواح المخطوط بوضع خط مائل / عنده، ثم كتابة رقم اللوح يسار الصفحة. وقد اعتمدت الترقيم الرقمي المصاحب لصور المخطوط، وأضفت الحرف (أ) بعد الرقم للصفحة اليمنى من اللوح، والحرف (ب) للصفحة اليسرى.

١٦. استخدمت بعض الرموز للدلالة على مدلولاتٍ سأذكرها فيما يلي:

﴿...﴾ للآيات القرآنية.

((...)) للأحاديث النبوية الشريفة.

"..." للآثار.

[...] لعزو الآيات القرآنية الواردة في غير سورها، ولتمييز الزائد على المتن والساقط منه وما تم تصويبه بما بينته في الحواشي.

(...) للبيان والتوضيح، ولتمييز الكتب المذكورة في التراجم.

«...» لتحديد بداية ونهاية مقطع مطوّل يحتوي على عدة نصوص مرجعها واحد.

ثانياً: في عزو الآيات، وتخريج الأحاديث والآثار، وتوثيق باقي النصوص:

أ/ لعزو الآيات القرآنية:

عزوها إلى مواضعها، بين معكوفتين، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية، بينهما نقطتان رأسيّتان، وسأعزوها بخط صغير في المتن؛ لعدم إثقال الحاشية.

ب/ الأحاديث النبوية الشريفة:

تخريج الحديث النبوي الشريف من الصحيحين أو أحدهما، فإن لم أجده فيهما خرّجته من السنن الأربعة، فإن لم أجده فيها خرّجته من مظانّ وجوده، بالإضافة إلى تخريجه من مصدره الذي أخرجته المؤلف منه بلفظه. مع الحكم على الحديث من غير الصحيحين، وذلك بذكر ما تيسّر من أقوال العلماء فيه -إن وجدت-.

وسأثبت المصدر إن كان من الصحيحين بذكر اسمه، ثم اسم الكتاب، الباب، رقم الحديث، الجزء، الصفحة. وإن كان من غيرهما ذكرت اسم المصدر، ثم اسم الكتاب -إن وُجد- ثم الباب -إن وُجد- ثم الجزء -إن وُجد- والصفحة.

ج/ الآثار:

تخريج الأثر من مظانّ وجوده، مع وضعه بين علامتي تنصيص "..."، سواء كان الأثر المنقول موافقاً في اللفظ لما في مصدره، أو غير موافق، مع ذكر الحكم على بعضها. فإذا كان الأثر منقولاً بلفظه: أثبت مصدره بذكر من أخرجته والمصدر، فأقول: أخرجته فلان في كتابه كذا، وأذكر الجزء إن وُجد والصفحة.

وإن لم يكن منقولاً بلفظه: أثبت مصدره بذكر من أخرجته والمصدر، متبوعاً ببيان مختصر مثل: (بلفظٍ مختلف، مختصراً، مطولاً،...) وغيره مما يلزم بيانه أو أرى أهمية ذلك.

د/ الأشعار:

توثيقها من الدواوين الشعرية إن وُجدت، أو من مظانّ وجودها، بذكر المصدر، والجزء -إن وُجد- والصفحة. مع توضيح ما أرى فيه الحاجة لبيان معانيها.

هـ/ الأعلام:

أترجم للأعلام الواردة أسماءهم عند أول ذكرٍ لهم -باستثناء الملائكة الكرام

والأنبياء ﷺ والخلفاء الراشدين ؓ - وأجعل الترجمة موجزة، وعند وروده مرة أخرى فإني لا أترجم له، ولا أشير إلى ترجمته السابقة.

و/ الغريب من الألفاظ:

بيان ما أرى الحاجة إلى بيانه من غريب الألفاظ باختصار، متبوعاً بمادته.

ز/ المصطلحات العلمية والأماكن والبلدان والقبائل الواردة في النص المحقق:

التعريف بها من مصادرها باختصار، باستثناء ما أرى فيه عدم الحاجة لذلك

لشهرته.

ح/ توثيق النصوص:

١. إعراب الكلمات القرآنية الذي يذكره المؤلف أول تفسيره للآيات:

أكتفي بتوثيق ما أرى فيه الحاجة إلى توثيقه.

٢. معاني الآيات القرآنية، والمسائل النحوية، والقراءات، وأسباب النزول، وعدّ

الآي في نهايات السور، والمكي والمدني في أوائلها، والوقف والابتداء في نهايات المقاطع

المفسرة... وغيرها:

توثيقها من مظان وجودها بحسب اختصاص موضوعاتها. وقد أكتفي بمصدر واحد

-خاصة لو كان النص مطابقاً لما في المصدر بلفظه- أو أزيد عليه بما أراه مناسباً، وفيه إضافة

للقارئ.

وفي جميع ما سبق ابتداءً من الفقرة (ه) - باستثناء الغريب من الألفاظ فقد سبق بيان كيفية

توثيقه- فإني أثبت المصادر في الحاشية بذكر المرجع والجزء - إن وُجد- والصفحة، إذا كان

النقل نصًّا.

وإن لم يكن بنصه: ذكرت المرجع والجزء - إن وُجد - والصفحة، بعد كلمة (يُنظر).

مع ترتيب المصادر المتعددة في الحاشية الواحدة بحسب تاريخ وفيات مؤلفيها، وتقديم ما كان النقل منه موافقا للفظ.

هذا وأسأل الله تعالى أن يكون عملي في هذه الرسالة خالصًا لوجهه الكريم، وأن يغفر لي ما حصل فيها من زلل، فقد أבי الله ﷻ أن يكون الكمال لغير كتابه الكريم، والحمد لله رب العالمين.



القسم الأول: الدراسة

(التعريف بالمؤلف والكتاب)

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عصر المؤلف وأثره فيه، وتأثره به.

الفصل الثاني: التعريف بالمؤلف، الإمام محمد بن علي الأُدفوي رَحِمَهُ اللهُ.

الفصل الثالث: التعريف بالكتاب.



الفصل الأول

عصر المؤلف رحمته الله وأثره فيه، وتأثره به:

وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية.

المبحث الثالث: الحالة الدينية.

المبحث الرابع: الحالة العلمية.

المبحث الخامس: أثر العصر الذي عاش فيه، وتأثره به.

تمهيد^(١)

في مطلع القرن الرابع الهجري عاش الإمام أبي بكر محمد بن علي الأديفي - رحمه الله - بين سنة ٣٠٤ هـ و ٣٨٨ هـ، فولد ونشأ وترعرع بمصر، في حقبة مليئة بالأحداث والصراعات، التي عصفت بالعالم الإسلامي، وأدخلته في دهاليز الانقسامات والتفرق. وذلك لعدة أسباب أهمها، ما شهدته الخلافة العباسية في ذلك القرن من الصراعات والفوضى التي بلغت ذروتها، حيث قامت دول انفصالية مستقلة استقلالاً تاماً، ودخلت شعوب جديدة في المجتمع الإسلامي تمكنت من الوصول للحكم، الأمر الذي أدى إلى تحجيم دور الخلفاء السياسي الفاعل، ففقدوا الاحترام الذي كان يتمتع به أسلافهم، وضاعت فيه هيبة الخلافة، وتهاوت فيه الروابط بين الخلافة ومصادر قوتها في الأقاليم مما زاد من ضعفها. وهكذا ازداد مؤشر الضعف في الصعود، بفعل تفاقم خطر الدول المستقلة التي انفصلت عن جسم الخلافة، ففي الشرق قامت الدولة السامانية^(٢) والظاهرية^(٣) والغزنوية^(٤).

(١) مما تجدر الإشارة إليه في بداية قسم الدراسة؛ أنني اطلعت على رسالة (الأديفي مفسراً) للباحث/عبد الله كحيلان، وعدة رسائل في أجزاء من هذا الكتاب - الاستغناء في علوم القرآن - للباحث/ محمد آل منشط، والباحثة/ إسماء سندي، والباحثة/ لبنى العرفج، والباحثة/ سلوى هارون، والباحثة مارية ظفر؛ فكانت جميعها كأدلة ومراجع، بالإضافة للمراجع الأصلية لمحتوى هذا القسم.

(٢) الدولة السامانية: في بلاد ما وراء النهر وغيرها ٢٦١ - ٣٩٠ هـ، وهم شيعة رافضة. وتنسب هذه الأسرة إلى رجل فارسي اسمه سامان، كان مجوسي، ثم اعتنق الإسلام، وهو من أسرة عريقة الجد في فارس، وخلفه ابنه أسد، وظهر أبناء أسد كزعماء في عهد المأمون. ينظر: موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر، ٢٢٢.

(٣) الدولة الظاهرية: بخراسان ٢٠٥ - ٢٥٩ هـ، عين المأمون قائده العسكري المظفر طاهر بن الحسين أميراً لخراسان سنة ٢٠٥ هـ مكافأة له على جهوده العسكرية الجبارة. فاستمرت الإمارة في ذريته إلى سنة ٢٥٩ هـ. حيث استقلوا بإماراتهم دون أن يعلنوا انخلاعهم وخروجهم على الخليفة، حتى أزاحهم يعقوب الصفار. وقامت على أنقاضهم الدولة الصفارية. ينظر: المرجع السابق، ٢١٩.

(٤) الدولة الغزنوية: في غزنة ومعظم إيران وما وراء النهر وبعض الهند ٣٤٩ - ٥٧٩ هـ: كان البتكين من موالي الأتراك. وكانت له منزلة عظيمة عند السامانيين. فعينوه عاملاً على مدينة هراة وغزنة، فبدأت أمجادهم من هنا. وفي الفترة ٣٦٦ - ٣٨٧ هـ، تولى الحكم مملوك تركي يدعى سبكتكين. ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة. مد نفوذه إلى الشرق. وجعل عاصمته بشاور. واستولى على خراسان وأجزاء واسعة من الهند. فاتسع ملكه وثبتت أركانه، ومن أبرز سلاطين هذه الدولة: السلطان محمود الغزنوي: وخلفه أبناؤه إسماعيل ثم محمود الذي يعتبر أعظم سلاطين الدولة. هاجم السامانيين وقضى عليهم، فاستولى على خراسان. وأصبح بذلك أكبر قوة في شرق العالم الإسلامي. ثم زحف إلى

وفي الغرب قامت الدولة الطولونية^(١) والإخشيدية والعبيدية الفاطمية^(٢)، وفي بغداد قامت الدولة البويهية^(٣).

الهند، وأخضع عدة مدن أدخل فيها الإسلام ودمر الأصنام، وهو أول حاكم مسلم يحكم معظم بلاد الهند، ثم سيطر على كشمير ومعظم بلاد ما وراء النهر وأصفهان ومعظم إيران. فأصبحت له مملكة شاسعة جداً. وعُرف محمود بالعدالة. واشتهر بحب وتقدير العلم والعلماء. وكان للسلطان محمود ابنان مسعود وهو الأكبر ومحمد، وقد عهد بالولاية للأصغر. وكان ذلك سبباً لنشوب الحروب والصراعات بين الأخوين مما أضعف الدولة وهُدِّ كيانها. حتى قضى عليهم السلاجقة والغوريون. وقد كانت دولة عظيمة أضفت الكثير للفتوحات والحضارة الإسلامية. ينظر: موجز التاريخ الإسلامي، ٢٣٣.

(١) الدولة الطولونية: بمصر والشام ٢٥٤ - ٢٩٢هـ، وهي أول دولة إسلامية تستقل بمصر. عيّن الخليفة العباسي في عام ٢٥٤هـ، أميراً تركياً على مصر هو (بايكباك) وهو بدوره أناب عنه أحمد بن طولون (الذي كان أبوه مملوك تركي من تركستان وكان رئيس حرس الخليفة المأمون)، استقل أحمد بمصر وكوّن جيشاً عظيماً فاستولى على بلاد الشام، ثم زحف شمالاً إلى الروم. وانتصر في طرسوس، وتولى حماية الثغور من الروم. واستمر حكمه (٢٥٤ - ٢٧٠هـ). تولى بعده ابنه خمارويه ٢٧٠ - ٢٨٢/٨٨٣ - ٨٩٥م الذي جرت بينه وبين الخليفة العباسي المعتمد عدة حروب، ثم تصالحا وتزوج الخليفة المعتمد (ابن المعتمد) بنت خمارويه، وبعد خمارويه عمّت الفوضى في البلاد، إلى أن انهارت الدولة عام ٢٩٢/٩٠٥م. ينظر: المرجع السابق، ٢٢٠.

(٢) سيأتي الحديث عنهما في المبحث الأول من هذا الفصل.

(٣) الدولة البويهية: ٣٢٠ - ٤٤٧هـ، يعودون إلى بلاد الديلم (جنوب بحر قزوين)، وهم شيعة، حاقدين على الإسلام، متعصبين، أتوا بأفعال منكرة، وكانوا في البداية من الرعايا العاديين، على أن الأجداد العظيمة التي حصل عليها بنو بويه دفعت بعض المؤرخين إلى أن يتوهموا لهم نسباً ربيعاً. فنسبهم أحياناً إلى ملوك آل ساسان. وأول من برز منهم بويه بن شجاع، وكان فقيراً، صياد سمك، وكان أبناؤه أحمد وحسن وعلي جنوداً في جيش (ما كان بن كالي) أحد زعماء الديلم، وتدرجوا حتى صاروا أمراء في الجيش، ثم تركوه وانحازوا إلى الأمير مرداويج الذي رجحت كفته في السيطرة على الديلم، فحشي خطرهم وصرفهم، فجهز علي بن بويه الجيوش وقاتل مرداويج حتى غلبه واستولى على الأهواز والكرج وعلى ممالك كثيرة. وبدأ نفوذهم عام ٣٢٠هـ. وطلبوا من الخليفة العباسي الاعتراف بهم، فتم لهم ذلك، وكانوا يتحكمون في الخلفاء العباسيين ويهيئونهم، ويعينونهم ويخلعونهم كيفما شاءوا!!، ولم يبق للخلفاء معهم نفوذ ولا

وكما استقل الحمدانيون^(١) بالموصل^(٢) وديار بكر بن وائل^(٣)، وفي هذا كله لم تكن مصر موطن الإمام الأدفوي - بمنأى عن لهيب تلك الصراعات، بل كانت تعيش الجزء الأكبر من هذه الأحداث، فلحق بها وأهلها الكثير من المتاعب والويلات، وسأبين - إن شاء الله - في هذا الفصل بعض الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية والعلمية في مصر خلال القرن الرابع الهجري، حتى يتجلى لنا أثر ذلك العصر في حياة الإمام الأدفوي ومدى تأثيره به.

سلطان، وكان آخرهم (الملك الرحيم) واقتحم السلاجقة بغداد في عهده وسجنوه. وانتهى بذلك عهد البويهيين. ينظر: موجز التاريخ الإسلامي، ٢٢٩.

(١) الدولة الحمدانية: في الموصل وحلب ٣١٧ - ٣٩٤هـ، وهم شيعة رافضة. ينتسبون إلى حمدان بن حمدون. من قبيلة تغلب العربية. قام حمدان بدور هام في الحوادث السياسية في الموصل منذ عام ٢٦٠هـ، ثم اشتهر ابنه الحسين بن حمدان بحروبه ضد القرامطة. وعيّن الخليفة المقتدر أخاه عبد الله بن حمدان على الموصل وما حولها عام ٢٩٢هـ، وبعد سيطرة بني بويه على مركز الخلافة طرد معز الدولة البويهي الحمدانيين من الموصل. فذهبوا إلى حلب. وكان سيف الدولة الحمداني قد استقل بها عام ٣٣٣هـ. ثم استعادوا الموصل. ولكن دبّ فيهم الضعف والتناحر إلى أن أزال الأكراد دولتهم في الموصل عام ٣٨٠هـ، أما حلب فقد استقل بها سيف الدولة ٣٣٣ - ٣٥٦هـ، وامتاز عهده بكثرة حروبه مع البيزنطيين. وكان يوغل في بلاد الروم. وتولى بعده ابنه سعد الدولة. ثم ضعفت الدولة، واستمرت في الضعف حتى قضى عليها الفاطميون في حلب عام ٣٩٤هـ. ينظر: المرجع السابق، ٢٢٨.

(٢) الموصِل: مدينة عراقية سمّيت بذلك لأنّها وصلت بين الفرات ودجلة. ينظر: معجم ما استعجم، ١٢٧٨/٤، المعالم الأثرية في السنة والسيرة، ٢٨١.

(٣) ديار بكر: ناحية ذات قرى ومدن كثيرة بين الشام والعراق، وقصبتها الموصل وحران وبها دجلة والفرات. ينظر: تاريخ الرسل والملوك، ٣٠٧/١١، تجارب الأمم وتعاقب الأمم، ٣٦٨.

المبحث الأول

الحالة السياسية

كانت مصر في مطلع القرن الرابع الهجري، تعيش وسط نزاعات وحروب مستمرة، فلم تسلم من الثورات من جهة، ومن عبث أيدي الفاطميين من جهة أخرى. فبعد القضاء على ثورة محمد الخلنجي^(١) وقعت مصر في هوة من الفوضى وعدم الاستقرار، كما ظهر خطر جديد تمثل في قيام الدولة الفاطمية في المغرب سنة (٢٩٧هـ)، فانحصرت بين خطرين محدقين، الفاطميين من جهة، والقرامطة^(٢) في المشرق من جهة أخرى. وبدأت آثار هذا الصراع بحملات الفاطميين التي بدأت تنخر في جسم البلاد، فتوالت الحملات مرة بعد مرة، ففي عام ٣٠١هـ، أرسل عبید الله المهدي^(٣) جيشًا بقيادة ابنه، استطاع

(١) محمد الخلنجي: أحد القادة في الدولة الطولونية حاول استعادتها في مصر بعد سقوطها سنة ٢٩٢هـ فقام بثورة ضد عيسى النوشري والي مصر من قبل الخليفة المكتفي العباسي، انتهت بحبسه سنة ٢٩٣هـ. ينظر: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٤/٤٠٣، النجوم الزاهرة، ٥١٣/٣.

(٢) حركة القرامطة ٢٨٧ - ٤٧٠هـ: وهم فرقة دينية باطنية، تستند في مبادئها الأساسية إلى أن لكل ظاهر باطن، وآيات القرآن لها ظاهر ولها باطن ولا يعرف هذا الباطن إلا الإمام العلوي، وهم فرقة ضالة منحرفة، ادّعوا التشيع، وينسبون إلى مؤسس دولتهم حمدان بن الأشعث الملقب بـ (قرمط)، وامتد نشاطهم إلى الشام والخليج العربي وكان أول دعواتهم في البحرين أبو سعيد حسين الجنابي (٢٨٧ - ٣٠١هـ) وبنيّ ابنه سليمان (٣٠١ - ٣٣٢هـ) مدينة الأحساء على أنقاض هجر عام ٣١٧هـ، وجعلها عاصمتها وارتكب مذابح عظيمة في البصرة والكوفة. وفي عام ٣١٧هـ، دخل مكة أيام الحج وارتكب مذبحه عظيمة فقتل الحجاج ورمى بجثثهم في بئر زمزم، ثم اقتلع الحجر الأسود، وجرد الكعبة من كسوتها وحمل ذلك كله إلى القطيف. وفي عام ٤٦٢هـ انتصر عليهم عبد الله العيوني بمساعدة العباسيين والسلاجقة فأخرجهم من البحرين، ثم حدثت في الأحساء معركة الخندق ففضت على دولة القرامطة نهائيًا عام ٤٧٠هـ. ينظر: موجز التاريخ الإسلامي، ٢١٠.

(٣) عُبيد الله المهدي، يكنى: بأبي محمد، أول خلفاء الباطنية من بني عُبيد أصحاب مصر والمغرب، وهو دعيّ كذاب؛ ادعى أنه من ولد الحسين بن علي. والمحققون متفقون على أنه ليس بُحسني، توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة. ينظر: وفيات الأعيان، ٣/١١٧، وتاريخ الإسلام، ٧/٤٦٠.

من خلاله الاستيلاء على برقة^(١) ثم الإسكندرية والفيوم^(٢)، مما أدى إلى استنجد أبي منصور تَكِين^(٣) - والي مصر آنذاك - بالخليفة العباسي لإلحاق الهزيمة بجيش الفاطميين. وإجلالهم من مصر^(٤)، وفي عام ٣٠٢ هـ أعاد الفاطميون الكرّة مرة أخرى، ولكنهم لم يفلحوا، نتيجة ما أحقه القائد مؤنس الخادم^(٥) بهم من هزيمة^(٦)، ولم يكن ذلك ليمنعهم من مواصلة الهجمات مرة أخرى، كما حصل في عام ٣٠٧ هـ^(٧)، إلا أن تَكِين استطاع إجلالهم عن مصر بمساعدة من القائد مؤنس الخادم وذلك عام ٣٠٩ هـ^(٨).

ومع هذا كله لم ييأسوا، فقد استمر مسلسل الحملات الفاطمية على مصر، حتى ألحقوا الضرر بمصر والمصريين، ودخلت مصر في حالة سياسية غير مستقرة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد توالى أحداث كثيرة جعلت الأوضاع السياسية في قلق دائم.

(١) بَرْقَة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وإفريقية من بلاد المغرب. ينظر: معجم البلدان، ٣٨٨/١.

(٢) الْفَيْوْم: ناحية في غربي مصر، جنوب القاهرة، في منخفض من الأرض، والنيل مشرف عليها. ذُكر أن يوسف الصديق عليه السلام، لما ولي مصر ورأى ما لقي أهلها من القحط، وكان الفيوم يومئذ بطيحة تجتمع فيها فضول ماء الصعيد، أوحى الله تعالى إليه أن احفر ثلاثة خلج: خليجاً من أعلى الصعيد، وخليجاً شرقياً، وخليجاً غربياً، كل واحد من موضع كذا إلى موضع كذا. ينظر: معجم البلدان، ٢٨٦/٤، آثار البلاد وأخبار العباد، ٢٣٨.

(٣) تَكِين بن عبد الله، يكنى بأبي منصور الخزري، مولى المعتضد الخليفة، يعرف بتكِين الخاصة، ولأه الإمام المقتدر مصر سنة ٢٩٧ هـ فأقام بها، ثم عُزل عنها وولي الإمارة بدمشق، ثم ولي مصر ولم يزل عليها إلى أن قُتل المقتدر سنة ٣٢٠ هـ، فأقره القاهر عليها إلى أن توفي تَكِين بمصر سنة ٣٢١ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ١٣٧/١١، الوافي بالوفيات للصفدي، ٢٣٩/١٠.

(٤) ينظر: الكامل لابن الأثير، ٦٣١/٦، المواعظ والاعتبار، ٣٢٢/١.

(٥) الملقب بالمظفر المعتضدي: أحد الخدام الذين بلغوا رتبة الملوك. كان من خدم المعتضد العباسي. وكان فارساً شجاعاً من الدهاة. بقي ستين سنة أميراً. وُتدب لحرب العبيديين، قتله الخليفة القاهر سنة ٣٢١ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، ٣٧٥/١١، الأعلام، ٣٣٥/٧.

(٦) ينظر: الكامل، ٦٣٥/٦، العبر في خير من غير، ٤٤٢/١، تاريخ الإسلام، ١٤/٢٣.

(٧) ينظر: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٤٠٤/٤، المواعظ والاعتبار، ٣٢٢/١.

(٨) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، ٧٣/١١، الكامل، ٦٥٩/٦.

منها التغيير المستمر للولاية، فقد كان سبباً في عدم الاستقرار السياسي، فما أن يُوضع وإل إلا ويأتي الأمر بعزله ووضع آخر بدله، الأمر الذي أدى إلى فراغ سياسي لاسيما في هذه الفترة، ودخول البلاد في كهف من الاضطراب السياسي.

ولا عجب! فلو نظرنا في تاريخ هذه الحقبة الزمنية، لوجدنا هذا الأمر مشاهدًا، فقد مرَّ عليها عدد من الولاة منهم: (ذكاء^(١))، وأبو قابوس محمود^(٢))، وهلال بن بدر^(٣))، وأحمد بن كيغلع^(٤))، ومحمد بن تكين^(٥))، ومحمد بن طعج بن جف^(٦).

ومما ينبغي الإشارة إليه أن كل هؤلاء الولاة كانوا تحت ظل الدولة العباسية، وعلى وجه الخصوص في عهد الخليفة العباسي المقتدر^(٧) (٢٩٥-٣٢٠هـ)، والقاهر^(٨): (٣٢٠-٣٢٢هـ)، والراضي^(٩): (٣٢٢-٣٢٩هـ).

(١) يكنى: بأبي الحسن، ولّاه الخليفة المقتدر مصر مكان تكين، فلم يزل واليًا عليها إلى أن توفي سنة ٣٠٧هـ. ينظر: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٤/٤٠٤.

(٢) محمود بن جمل، يكنى: بأبي قابوس، ولّاه مؤنس الخادم إمرة مصر بعد عزل تكين عنها سنة ٣٠٩هـ، وبعد ثلاثة أيام عزله. ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣/١٩٩، كنز الدرر وجامع الغرر، ٥/٣٦٥.

(٣) يكنى: بأبي الحسن: من القواد في عصر المقتدر العباسي. كان في بغداد، وولاه المقتدر إمرة مصر فقدم إليها ولم يسلس له قيادتها، فكانت أيامه فيها سلسلة فتن وشورور. وعزله المقتدر. وولاه إمرة دمشق توفي سنة ٣١٦هـ. ينظر: الولاة للكندي، ١/٢٠١، الأعلام، ٨/٩٠.

(٤) يكنى: بأبي العباس، كان أديبًا وشاعرًا، ولّاه المقتدر مصر عام ٣١١هـ، ثم ولّاه القاهر سنة ٣٢١هـ، ثم سلمها لمحمد بن طغج ٣٢٣هـ بأمر من الخليفة الراضي، توفي سنة ٣٣٠هـ. ينظر: مختصر تاريخ دمشق، ٣/٢١٩، تاريخ الإسلام، ٧/٦٠٠.

(٥) تولى إمارة مصر خلفاً لوالده بأمر من الخليفة القاهر سنة ٣٢١هـ، وجزت بينه وبين أحمد بن كيغلع حروب إلى أن سلم له الأمر. ينظر: كتاب القضاة للكندي، ٣/٢٠٣.

(٦) بضم الجيم وقيل بفتحها، المعروف بالإحشيد، وولي مصر من قبل الخليفة العباسي القاهر سنة ٣٢١هـ، كان بطلاً شجاعًا حازمًا يقظًا مهيبًا مكرّمًا لأجناده، توفي سنة ٣٣٤هـ. ينظر: مختصر تاريخ دمشق، ٢٢/٢٤٨، سير أعلام النبلاء، ١٥/٣٦٥.

(٧) الخليفة المقتدر بالله، يكنى: بأبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله الهاشمي العباسي. بويغ بعد أخيه المكتفي في سنة خمس وتسعين ومائتين، وهو ابن ثلاث عشرة سنة. وما ولي أحد قبله

ومما لا شك فيه أنّ تعدد الولاة وتغيرهم المستمر كان له الأثر البالغ في سوء حياة المصريين، حيث لحق بأهلها كثير من الضرر، وتعرضوا للمتاعب القاسية، وساءت أحوال البلاد وتعرضت مرافقها للإهمال.

والذي يمكن قوله: أنّ الأوضاع السياسية في مصر لم تكن مستقرة خاصة في هذه الفترة، بسبب ما حلّ بالبلاد من الحروب المتلاحقة المتمثلة في حملات الفاطميين من جهة، والصراعات المحترمة، وتغيير الولاة المستمر من جهة أخرى.

فتبين مما سبق عن الوضع السياسي الذي مرت به مصر، أنّها عاشت في بداية القرن الرابع الهجري جواً معتماً مليئاً بالنزاعات والحروب الطاحنة، وهذا ثمرة الوهن الذي أصاب الدولة العباسية في ذلك الوقت، حيث كانت الخلافة تعيش تدهوراً في الوضع الداخلي، وانقساماً في الوضع الخارجي، بالإضافة إلى وجود قطبين هما من الخطر بمكان، الفاطميين والقرامطة كما مر. فاستدعى الأمر وجود قائد قوي يقود مصر إلى برّ الأمان، ويكون سدّاً منيعاً أمام الأخطار التي تحدّق بها، فما كان من الخليفة الراضي إلا أن قام بتولية محمد بن طُغج بن جُف، وكلفه بمهمة الدفاع عن مصر والتصدي لحملات الفاطميين القادمين من المغرب^(٢)، فظهر محمد بن طغج -مؤسس الدولة الإخشيدية- ليُخلّص مصر من الفتن الداخلية العنيفة التي

أصغر منه، وانخرم نظام الإمامة في أيامه، وُخلع ثم رجع، توفي سنة ٣٢٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، ٤٣/١٥، الأعلام، ١٢١/٢.

(١) القاهر بالله: محمد بن أحمد بن طلحة العباسي، يكنى: بأبي منصور، من الخلفاء العباسيين، بويع في أيام المقتدر (أخيه لأبيه)، سنة ٣١٧هـ، ثم خلع وشُجن، ولما قُتل المقتدر سنة ٣٢٠هـ أُخرج من السجن وبُوع، فأقام إلى سنة ٣٢٢هـ ولم تحسن سيرته، توفي سنة ٣٣٩هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، ٩٨/١٥، الأعلام، ٣٠٩/٥.

(٢) الراضي بالله، يكنى: بأبي إسحاق محمد -وقيل: أحمد- ابن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق بن المتوكل الهاشمي العباسي. له فضائل منها: أنه آخر خليفة خطب يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الندماء، وآخر خليفة له شعر مدوّن، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش، توفي سنة ٣٢٩هـ. ينظر: تاريخ بغداد، ٥٢٠/٢، سير أعلام النبلاء، ١٠٣/١٥.

(٣) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، ٢٩٨/١١، الولاة والقضاة، ٢٠٧، تجارب الأمم، ٤٢٤/٥، النجوم الزاهرة، ٢٥١/٣.

انتشرت فيها، وليصلح أحوالها التي أفسدها عمال الخراج، الذين عادوا إلى عبثهم وإفسادهم بعد الحكم الطولوني.

فبدأ بإصلاح الأوضاع الداخلية للدولة، وتقوية مركزها، فأنشأ جيشاً عظيماً على غرار ما فعله ابن طولون من قبل، كما عمل على كسب قلوب المصريين والفوز بولائهم. وأظهر نجاحات عظيمة في التصدي لحملات الفاطميين التي كانت ما بين عام (٣٢١هـ) وعام (٣٢٤هـ)، فحاز بذلك إعجاب الناس، ونال رضى الخليفة الراضي فأمر أن يلقب بـ (الإخشيد)^(١).

وهكذا ارتفع شأن مصر وصلح حالها السياسي في عهد الإخشيد، واستمرت في عطائها ومنعتها في ظل حكم محمد الإخشيد إلى أن وافته المنية رَحِمَهُ اللهُ سنة ٣٣٤هـ^(٢). وحين مات الإخشيد تولى الملك بعده -بوصية منه- ابنه أبو القاسم أنوجور^(٣) أي محمود، وقد أقرّه الخليفة المطيع، إلا أنه لصغر سنه قد تولى الوصاية عليه خادم والده، كافور الإخشيد^(٤).

إلى أن وافته المنية سنة ٣٤٩هـ^(٥)، وقد زعم بعض المؤرخين أن كافور دسَّ له السم فمات^(٦).

(١) ومعناه بلسان الترك ملك الملوك، ينظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٢٤٢/١١، وأخبار الراضي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية، ٤٤.

(٢) ينظر: الولاة للكندي، ٢١١، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم للرعي، ٦٦٨/٢، والنجوم الزاهرة، ٢٥٦/٣.

(٣) محمود وهو أنوجور بن الإخشيد، صاحب مصر وابن صاحبها، ولي دمشق ومصر بعد موت أبيه، وكان القيم بأمره خادم أبيه كافور. توفي شاباً سنة ٣٤٩هـ. ينظر: تاريخ دمشق، ٣٨٩/٩، تاريخ الإسلام، ٨٨٢/٧، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٤٠٨/٤.

(٤) كافور بن عبد الله الإخشيد يكتن: بأبي المسك. الأمير المشهور، صاحب المتنبي الشاعر، كان عبداً حبشياً اشتراه الإخشيد ملك مصر فنسب إليه، وأعتقه فترقى عنده. وما زالت همته تصعد به حتى ملك مصر، وكان فطناً ذكياً حسن السياسة، وكانت مدة إمارته على مصر اثنتان وعشرون سنة، قام في أكثرها بتدبير المملكة في ولاية أبي القاسم ثم أبي الحسين ابني الإخشيد. بينما استقلَّ بالحكم سنتين وأربعة أشهر، توفي بالقاهرة سنة ٣٧٥هـ. وقيل نُقل تابوته فدفن ببيت المقدس. ينظر: تاريخ دمشق، ٤/٥٠، الأعلام، ٢١٦/٥.

(٥) ينظر: تاريخ الإسلام، ٢١٨/٢٥، النجوم الزاهرة، ٢٩٢/٣.

(٦) ينظر: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير، ٤٠٨/٤.

وبعد وفاة أنوجور تولى أخوه أبو الحسن علي بن الإخشيد^(١) ولاية مصر وذلك سنة ٣٥١هـ^(٢). إلا أنه ساءت الأحوال بينه وبين كافور، وفسد ما بينهما إلى أن وافته المنية سنة ٣٥٥هـ^(٣)، ثم حكم كافور مصر، بإقرار من الخليفة المطيع^(٤)، واستمرت ولايته سنتين وأربعة أشهر^(٥) إلى أن وافته المنية سنة (٣٥٧هـ)^(٦)، وبعد وفاة كافور اجتمعت الدولة وانتخبوا أبا الفوارس أحمد بن علي الإخشيد^(٧)، فحسنت سيرة أبي الفوارس، وأمر برفع الكلف والمؤن وتعطيل المواخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٨)، لكن الأمر لم يدم طويلاً، فقد نقص النيل، وكثر الغلاء في أيامه واشتد البلاء، حتى أكل الناس الجيف والكلاب، فاضطربت الأوضاع في مصر وكثر شغب الجند، واستشرف الأعداء لدخول مصر؛ وذلك لعدم وجود شخصية قوية تقود البلاد بنفس النهج الذي قاد به كافور، وعندئذ بدأت شمس الدولة الإخشيدية بالأفول، واستطاع جوهر الصقلي^(٩) أن يدخل مصر ويستولي عليها سنة ٣٥٨هـ^(١٠)، وهذا معناه سقوط الدولة الإخشيدية وقيام الدولة الفاطمية بمصر.

- (١) علي بن الإخشيد، يكنى: بأبي الحسن، صاحب مصر. تولى الحكم بعد وفاة أخيه. مات شاباً وعمره ثمان وعشرون، سنة ٣٥٥هـ، ينظر: الولاة وكتاب القضاة، ٢١٤، تاريخ الإسلام، ٨٢/٨.
- (٢) ينظر: الولاة وكتاب القضاة، ٢١٤، النجوم الزاهرة، ٣٢٥/٣، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ٢٩٢/٢.
- (٣) ينظر: المواعظ والاعتبار، ٥١/٣.
- (٤) المُطيع لله، الفضل بن جعفر المقتدر بالله بن المعتضد العباسي، يكنى: بأبي القاسم من الخلفاء العباسيين، بويج بالخلافة بعد خلع المستكفي بالله، وكانت أيامه أيام ضعف وفتور، ولم يكن له من الملك إلا الخطبة، وفُلج وتقل لسانه فخلع نفسه وعهد إلى ابنه الطائع لله، وفي أيامه أعيد الحجر الأسود إلى البيت الحرام من القرامطة، توفي سنة ٣٦٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، ١١٣/١٥، الأعلام، ١٤٧/٥.
- (٥) ينظر: تاريخ الإسلام، ١٥٢/٢٦، النجوم الزاهرة، ٩/٤.
- (٦) ينظر: الواقي بالوفيات، ٢٦٨/٧، كتاب العبر ودويان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٤٠٩/٤.
- (٧) ينظر: الولاة وكتاب القضاة، ٢١٥.
- (٨) ينظر: المرجع السابق، ٢١٤.
- (٩) جوهر بن عبد الله الرومي، يكنى: بأبي الحسن: القائد، باني مدينة (القاهرة) والجامع (الأزهر) كان من موالي المعز العبيدي (صاحب إفريقية) ومن عظماء القواد في دولته، توفي بالقاهرة سنة ٣٨١هـ. ينظر: وفيات الأعيان، ٢٢٦/٥، الأعلام، ١٤٨/٢.
- (١٠) ينظر: تجارب الأمم، ٢٥٩/٦، الكامل، ٢٨٠/٧.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الخلاف بين أبناء الإخشيد وكافور، كان له الأثر في ظهور بعض الفتن في البلاد، وحصول الانقسامات في صفوف الجيش، وضعف هيبة البلاد، واستشراف الأعداء لها.

ومجمل القول: إن البلاد في عهد الدولة الإخشيدية لم تسلم من التوترات السياسية التي كانت تحدث في مركز الخلافة أحياناً، وتأتي من خارجها أحياناً أخرى، الأمر الذي أدى إلى التأثير على حياة الناس، إلا أن الوضع السياسي أفضل من سابقه، فقد استقرت أوضاع البلاد في الجملة، ونعم أهلها بأجواء صافية بعيدة عن الصراعات إلى حد ما.

الحالة السياسية في مصر في ظل الدولة الفاطمية:

سبق أن تبين حرص واهتمام الفاطميين على امتلاك مصر منذ قيام دولتهم في المغرب، فمكثوا يتحينون الفرصة تلو الأخرى، حتى واتتهم أخيراً في عهد المعز^(١) الذي انتهز فرصة موت كافور، حيث دخلت مصر في جو من الفوضى، فانقض بجيش يقوده جوهر الصقلي مستغلين بذلك ضعف الدولة العباسية صاحبة السيادة على مصر آنذاك، فسار الجيش الفاطمي من القيروان سنة ٣٥٨ هـ^(٢)، ودخل الإسكندرية وواصل زحفه حتى وصل إلى الجيزة واستولى عليها، وقضى على الجيوش الإخشيدية، حتى دخل الفسطاط منتصراً معلناً بذلك قيام الدولة الفاطمية العبيدية، وبدأ الفاطميون -منذ وصولهم إلى مصر- في محاولة تدعيم أركان دولتهم، وبنائها بناءً متيناً في جميع جوانبها، حتى تكون حصناً منيعاً ومركزاً لنشر دعوتهم.

(١) المعز العبيدي: يكنى بأبي تميم -الملقب بالمعز لدين الله- بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله. صاحب مصر وإفريقية، وأحد خلفاء الدولة الفاطمية العبيدية. وُلد بالمهدية (في المغرب) وبُوع له بالخلافة في (المنصورية) بعد وفاة أبيه سنة ٣٤١ هـ، واحتط قائده جوهر الصقلي مدينة (القاهرة) سنة ٣٥٩ - ٣٦١ هـ وسماها (القاهرة المعزية) وأقام الدعوة للمعز، بمصر والشام والحجاز. ودخل القاهرة يوم ٥ رمضان، فكانت مقر ملكه وملك الفاطميين إلى آخر أيامهم، وكان عاقلاً حازماً شجاعاً أديباً، ينسب إليه شعر رقيق. توفي سنة ٣٦٥ هـ. ينظر: وفيات الأعيان، ٢٢٤/٥، الأعلام، ٢٦٥/٧.

(٢) ينظر: وفيات الأعيان، ٢٢٤/٥، النجوم الزاهرة، ٤١/٤، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٤١٠/٤، اتعاظ الحنفاء، ١٠٢/١.

فأنشأوا مدينة عظيمة بأسوار باهرة منيعة، عاصمة لدولتهم، أطلقوا عليها القاهرة^(١)، لتكون القاهرة للعالم، وبنوا جامع الأزهر^(٢)، ليصبح مركزًا لنشر المذهب الفاطمي. وكذلك حاولوا الإصلاح والاهتمام بشؤون مصر المالية، إذ أمروا بإصلاح السكة، فضرب الدينار المعزي الذي صار له المكانة الأولى في المعاملات التجارية^(٣)، كما عملوا على تقوية الأسطول البحري فعملوا دارًا جديدةً لصناعة السفن^(٤)، إلى غير ذلك. وهكذا استمر المعز - أول الخلفاء الفاطميين - في محاولة بناء دولته الفاطمية في مصر، وتوطيد مكانتها، حتى وافته منيته سنة ٣٦٥هـ، فخلفه ابنه العزيز بالله^(٥) الذي حاول السير على نهج والده في قيادة الدولة الفاطمية وتدعيم أركانها إلا أن الدولة في عهده قد مرت بمحن وأحداث كبيرة^(٦) كالحرب التي كانت بينه وبين القائد التركي أفتكين^(٧). كما أدى حرصه على تقوية الجيش إدخاله عناصر من الترك والديلم^(٨)، مما أدى إلى ظهور بذرة الخلاف التي استطال شرها في عهد ابنه^(٩)، فبعد وفاة الخليفة العزيز بالله تولى

(١) ينظر: النجوم الزاهرة، ٤/٤١، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٤/٤١٠، اتعاظ الحنفاء، ١/١٠٢.

(٢) ينظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي، ٢/٢٣٧.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء، ١١/٢٢٨.

(٤) ينظر: المواعظ والاعتبار، ٣/٣٤٢.

(٥) العزيز بالله الفاطمي نزار بن معد بن إسماعيل العبيدي، يكنى: بأبي منصور: صاحب مصر والمغرب وبويع بعد وفاة أبيه، وكانت في أيامه فتن وقلاقل، وكان كريم الأخلاق، حليماً، يكره سفك الدماء، مغرم بصيد السباع، أديباً فاضلاً، توفي سنة ٣٨٦هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، ١٥/١٦٧، الأعلام، ٨/١٦.

(٦) ينظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ١/٢٢٩، النجوم، ٤/٧٧، مورد اللطافة، ١/٢٧٢.

(٧) أفتكين التركي ويقال: هفتكين، أحد الشجعان والأبطال، من أمراء سبكتكين بالعراق حارب الفاطميين في عدد من المواطن وانتصر عليهم، حتى وضع العزيز الفاطمي مائة ألف دينار لمن يأسره. توفي سنة ٣٧١هـ. ينظر: البيان المغرب، ١/٢٣١، اتعاظ الحنفاء، ١/٢٤٣، سير أعلام النبلاء، ١٦/٣٠٧.

(٨) الدَّيْلَم: بلاد واسعة ذات ألسن وصور مختلفة، وهي ذات مياه جارية وأنهار كثيرة، تقع في محافظة جيلان، وتتبع إيران حالياً. ينظر: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ١٥٣، المعالم الأثرية في السنة والسيرة، ١١٧.

(٩) ينظر: المواعظ والاعتبار، ١/١٧٧.

الخلافة الفاطمية ابنه الحاكم بأمر الله^(١)، فباشر بنفسه أمور الدولة، وأصبح يتصرف في كافة الأمور بالرغم من حداثة سنه، وقد كان صاحب شخصية سيئة^(٢)، فمرة يظهر بلباس المتدين، فيقوم بالحسبة بنفسه^(٣)، ويمنع شرب الخمر؛ ويأمر بتتبع السكارى^(٤)، وتارة يظهر في صورة منتكس الفطرة والديانة، فيأمر بسب الصحابة رضي الله عنهم وكتابة سبهم على أبواب المساجد وفي الطرقات^(٥).

وفي الحقيقة أنها ساءت أحوال البلاد في عهده، ولقي أهلها من المتاعب الشيء الكثير، حيث لم يرع لهم حرمة، فاستشرى فيهم قتله وتعذيبه، وعمل على التضيق عليهم في أمور حياتهم، قال عنه الإمام السيوطي: (شر الخليفة، لم تبل مصر بعد فرعون شر منه)^(٦)، وقال عنه الذهبي: (خبثاً ماكرًا، رديء الاعتقاد، سفاكًا للدماء)^(٧).

ومجمل القول: إن خلفاء الدولة الفاطمية في مراحلها الثلاث، سعوا جاهدين في خلق أجواء هادئة لدولتهم الفاطمية، إلا أنه وافقهم الحظ مرات، وتجاوزهم مرات أخرى. فما إن ظهر شيء من الاستقرار السياسي في عهد المعز، حتى نشأت الخلافات الداخلية والقلاقل الخارجية، تمثلت في انقسامات الجند في عهد العزيز من جهة، والحروب مع الترك والقرامطة من جهة أخرى، بالإضافة إلى سوء الأوضاع في عهد الخليفة الحاكم.

(١) منصور الحاكم بأمر الله، يكنى: بأبي علي، صاحب مصر، ابن نزار بن معد العبيدي، كان خبيثًا ماكرًا، رديء الاعتقاد سفاكًا للدماء، قتل عددًا من كبراء دولته، وكان يجترع كل وقت أمورًا وأحكامًا يحمل الرعية عليها؛ فمنع الملوخيا، والسّمك الذي لا قشر له، وظفر بمن باع ذلك فقتلهم، وأمر بهدم جميع كنائس مصر ثم أمر ببنائها، ويقال: أنه اختفى ذات ليلة فلم يُعرف له أثر، ويقال: أن أخته دست عليه من قتله، توفي سنة ٤١١هـ. ينظر: تجارب الأمم، ٢٦٣/٧، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٧١/٤، تاريخ الإسلام، ١٩٨/٩.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ١٢/١٢، حسن المحاضرة، ٦٠٢/١.

(٣) ينظر: النجوم الزاهرة، ١٨٤/٤.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، ١٢/١٢.

(٥) ينظر: تاريخ الإسلام ١٩٨/٩، النجوم الزاهرة، ١٧٦/٤.

(٦) ينظر: حسن المحاضرة، ٦٠١/١.

(٧) ينظر: تاريخ الإسلام، ١٩٨/٩.

وخلص ما تقدم:

بعد هذا العرض التاريخي لما تعرضت له مصر من وضع سياسي في القرن الرابع، تبين أنَّ الدَّيار المصرية في فترة هذه الدول الثلاث، قد مرت بالعديد من أنواع الصراع السياسي، تمخَّضت عنه أحداث كثيرة ووقائع شتى، تقلبت فيها البلاد بين الاستقرار السياسي فترة، والبلايا وصنوف العذاب تارة أخرى، فرأينا كيف مرت الفترة الأولى بتقلبات سياسية وتحولات مستمرة، نتج عنها فوضى وعدم استقرار، إلى أن قامت الدولة الإخشيدية، فأصبح الوضع أحسن حالاً من سابقه، وشعر الناس بشيء من الاستقرار السياسي، ونعموا بفترة خالية من الصراعات نوعاً ما، ثم جاءت الدولة الفاطمية التي كانت الحالة السياسية فيها متقلبة ومتلونة، فما إن تستقر الأمور في فترة زمنية معينة، حتى تثور وتتأجج في فترة زمنية أخرى.

المبحث الثاني

الحالة الاجتماعية

العصر العباسي الأول تميز بانطلاقة اجتماعية باهرة في جميع النواحي الاقتصادية والعمرائية والثقافية^(١)، والتي لم تكن محدودة في بغداد - مركز الخلافة - فحسب، بل كانت ترمي بظلالها على جميع الولايات التابعة لها، أما في العصر العباسي الثاني - لاسيما في مطلع القرن الرابع الهجري قبل دولة الإخشيد - فقد اختلف الأمر كثيراً، فلم تستطع دولة الخلافة العباسية أن تسطر مجدداً جديداً في ميادين التطور الاجتماعي في مصر، وظلت تراوح مكانها من دون تقدم يُذكر، وذلك بسبب الأحداث والصراعات التي عصفت بها.

ولبيان الحالة الاجتماعية في مصر، لابد من التأكيد على أمر مهم، وهو أن أي بلد من البلدان لم تكن لتتضح معالمه الاجتماعية بعيداً عن آثار الوضع السياسي الذي غالباً ما كان يُدير وضع البلاد، فما الوضع الاجتماعي - كما هو معلوم - إلا نتيجة حتمية وثمره لما تُؤلده الصراعات السياسية، وما تحدثه من صراعات.

ولإلقاء الضوء على ما كانت تعيشه مصر - من حالة اجتماعية في القرن الرابع الهجري -، لابد من تسلسل الأحداث حسب وقائعها، فدراسة الحالة الاجتماعية في هذا القرن لن تكون بالدراسة الشافية إذا أجملنا الحديث دون التفريق بين الأزمنة، فلكل فترة ما يميزها عن غيرها من الفترات، وفيما يلي بيّناها:

أولاً: الحالة الاجتماعية في مصر من بداية القرن الرابع الهجري إلى ما قبل قيام الدولة

الإخشيدية:

لا شك أن وقوع الصدام بين العباسيين والفاطميين أكثر من مرة على أرض مصر ما بين عامي (٣٠١ هـ - ٣٠٩ هـ)^(٢) قد أوقع الكثير من الإضرار بأهلها. وعرضهم لمتاعب قاسية، فساءت أحوال البلاد، وتعرضت جوانبها للضياع والإهمال.

(١) ينظر: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ١٧٦.

(٢) ينظر: النجوم الزاهرة، ٣/١٨٤.

كما أن تعاقب الولاة على مصر بشكل سريع كان له الأثر البالغ من الحد من أي تقدم يُذكر، فما إن يتقلد أحدهم منصبه حتى يأتي الأمر بعزله، وهذه الحقيقة كان لها أثرها البالغ في تراخي الحياة الاجتماعية للبلاد، ودخول أهلها في دهاليز من الضياع الاجتماعي، وانتشار النهب والسلب والقتل خاصة في عهد هلال بن بدر.

وفي الحقيقة إن المصادر التاريخية التي تحدثت عن هذه الحقبة الزمنية، لم تطلعنا على أي تقدم يمكن ذكره فيما يخص الحياة الاجتماعية في مصر، فلم أجد سوى ما وصلت إليه البلاد من تدهور في وضعها الاجتماعي الذي ازداد سوءًا وضياعًا.

والذي يمكن قوله: إنه منذ سقوط الدولة الطولونية إلى قيام الدولة الإخشيدية لم يكن هنالك تطور في مستوى الحالة الاجتماعية بمصر.

ثانيًا: الحالة الاجتماعية في مصر زمن الدولة الإخشيدية:

كان قيام الدولة الإخشيدية إنعاشًا للوضع الاجتماعي في مصر، حيث ارتفع شأنها في عهد محمد بن طغج الإخشيد، وتوطد فيها الأمن وسادها الرخاء نتيجة لسياسة الإصلاح التي انتهجها، لاسيما أنه كان حازمًا، كثير التيقظ في حروبه ومصالح دولته^(١).

ومن مظاهر إصلاحاته: عمله على تقوية وبناء الجيش، فوصل عدد عسكره بمصر والشام إلى أربعمئة ألف^(٢)، مما كان له الأثر في زرع هيبة الدولة واستقرار الأمن فيها، وتواصلت جهوده في البناء الاجتماعي، فكان من أبرز مآثره جلوسه للمظالم بنفسه^(٣)، ومخالطته العلماء والأدباء، وما زالت الجهود الإخشيدية نشيطة في حركة بنائها حتى جاءت السنة الثالثة عشرة من ولاية أنوجور - محمود - ٣٤٧ هـ.

(١) ينظر: وفيات الأعيان، ٥٩/٥.

(٢) ينظر: المواعظ والاعتبار، ١/١٧٧.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام، ٣٠٤/٢٥، المواعظ والاعتبار، ٣/٣٦٢.

حيث وقعت الزلازل بجلوان^(١)، فقتلت خلقًا عظيمًا وهدمت حصونًا كثيرة، ثم جاء بعد ذلك جراد طبق الدنيا، فأتى على جميع الأشجار والغلات^(٢)، وكذلك الحال في عهد الأمير علي الإخشيد لم يكن بأكمل منه، فقد وقع بمصر الغلاء واضطربت أمور مصر والإسكندرية، وتزايد الغلاء حتى عَزَّ وجود القمح^(٣).

ومهما يكن من حال؛ فإن الحياة الاجتماعية في ظل الدولة الإخشيدية أصبحت أفضل حالًا وأكمل مما كان قبلها، كما سيظهر لنا جليًا.

فكافور الإخشيد عمل على تحريك عجلة النهضة الاجتماعية بمصر، فكان يديني الشعراء ويجيزهم، وكان يُقرأ عنده كل ليلة السَّير، وأخبار الدولة الأموية والعباسية، وكان له ندماء، وكان عظيم الحمية يمتنع من الأسواق، حتى أنه زاد ملكه على ملك مولاه الإخشيد^(٤)، وكان أيضًا يداوم الجلوس للناس غدوة وعشية^(٥)، وعمل أعمالًا باهرة تسطر في سجلات التقدم الاجتماعي بمصر. وهكذا استمرت النهضة الاجتماعية بمصر حتى كانت مظاهرها واضحة جلية في كل جوانب الحياة، فبُنيت المساجد؛ كمسجد الفقاعي وهو مسجد كبير بناه كافور الإخشيدي^(٦)، وجامع الجيزة الذي بناه محمد بن عبد الله الخازن في المحرم سنة (٣٥٠هـ)، بأمر من الأمير علي الإخشيد^(٧)، ومسجد الأقدام^(٨)، ومسجد موسى^(٩)، وغيرها.

(١) حُلوان: بمعنى الهبة والعطية، وهي قرية من أعمال مصر، بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد، مشرفة على النيل قرب القاهرة، وأول من اختطها عبد العزيز بن مروان لما ولي مصر. ينظر: معجم البلدان، ٢/٢٩٢، المعالم

الأثرية في السنة والسير، ١٠٣.

(٢) ينظر: النجوم الزاهرة، ٣/٣١٩.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ٣/٣٢٦.

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام، ٢٦/١٥١.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ٢٦/١٥١.

(٦) ينظر: المواعظ والاعتبار، ٤/٤٤٩.

(٧) ينظر: المرجع السابق، ٤/١٢٨.

(٨) ينظر: المرجع السابق، ٤/٣٣٢.

(٩) ينظر: المرجع السابق، ١/٣٨٢.

كما بنيت القصور، وزادت الدُور، وتفنن الإخشيدون في بناء قصورهم، كما هو الحال في قصر الإخشيد^(١)، وأنشأوا الحدائق الغناء، والبساتين الفيحاء، فأصبح البستان الكافوري الذي أنشأه الأمير محمد الإخشيد بمثابة الجنة التي بھر بها أهل زمانه، بتصميمه المطل على الخليج وأبوابه العظيمة^(٢).

ومن الدور -أيضاً- دار الفيل، قال القاضي: هي الدار التي على بركة هارون، ذكر بنو مسكين^(٣) أنها من حبس جدّهم، وكان كافور أمير مصر اشتراها وأنفق عليها أكثر من مائة ألف دينار^(٤)، وهكذا استمرت دواليب البناء والنهضة العمرانية^(٥).

ولم يقف الأمر عند هذا، بل قاموا بإنشاء الميادين كميدان الإخشيد، وهو ميدان أنشأه الأمير محمد الإخشيد بجوار بستانه الكافوري، وكان من أعظم أماكن مصر وميادينها، تجتمع فيه الخيول السلطانية في الدولة الإخشيدية^(٦)، وعمل الإخشيدون على تطوير الصناعة، فأنشأ محمد الإخشيد صناعة بساحل فسطاط مصر، وجعل موضع الصناعة التي بالروضة بستاناً سماه المختار^(٧)، فتحسنت أحوال البلاد الاقتصادية، ونهضت نهضةً قويةً أدهش منها المؤرخ المسعودي^(٨) الذي زار مصر وأعجب بما أقامه الإخشيد في نظام ري السدود.

(١) ينظر: حسن المحاضرة، ٢/٢٨٤.

(٢) ينظر: نزهة الأنام في تاريخ الإسلام لابن دُقماق، ١٧٤، والمواعظ والاعتبار، ٢/٣٧٧.

(٣) بنو مسكين: قبائل من البربر، سكنوا مدينة وهران على ساحل البحر المتوسط من جهة المغرب. ينظر: الاستبصار في عجائب الأمصار، ١/١٣٣.

(٤) ينظر: المواعظ والاعتبار، ٣/٢٨٥.

(٥) ينظر: النجوم الزاهرة، ١/٣٢٧.

(٦) ينظر: المواعظ والاعتبار، ٣/٣٤٥.

(٧) ينظر: حسن المحاضرة، ٢/٣٧٨.

(٨) علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، من ذرية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، مؤرخ، رحالة، بحاث، من أهل بغداد. أقام بمصر وتوفي فيها. قال الذهبي: (عداده في أهل بغداد، نزل مصر مدة، وكان معتزلاً). من تصانيفه (مروج الذهب) و(أخبار الزمان) ومن أباده الحدثان) تاريخ في نحو ثلاثين مجلداً، و(أخبار الخوارج) و(الرسائل). توفي سنة ٣٤٦هـ. ينظر: تاريخ الإسلام، ٧/٨٢٩، الأعلام، ٤/٢٧٧.

ويضاف إلى ذلك ما قام به وزير الدولة الإخشيدية أبو الفضل جعفر بن الفرات^(١)، حيث قام بجفر بئر الوطاويط^(٢) لينقل ماءها إلى السبع سقايات التي أنشأها وحبسها لجميع المسلمين^(٣)، إلى غير ذلك من مظاهر التقدم الإخشيدي. ولم يقف الحال بهم عند ذلك، بل وصل بهم الترف أن أحدثوا ما يُسمى بليلة الغطّاس^(٤)، قال المسعودي: (لقد حضرت سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلة الغطاس بمصر، والإخشيد محمد بن طنج في داره المعروفة بالمختارة في الجزيرة الراكبة على النيل)^(٥). ومما سبق يتضح لنا أن الدولة الإخشيدية رغم تقلب أحوالها بين غلاء وخوف وشدة ورخاء، إلا أنها كانت أحسن حالاً، وأهنأ عيشاً من العهد الذي سبقها، وهذا بالطبع قد انعكس أثره على حياة الناس الاجتماعية في ذلك الوقت.

ثالثاً: الحالة الاجتماعية في مصر خلال العهد الفاطمي:

بعد أن استطاع الفاطميون دخول مصر، حاولوا أن يقيموا لهم هناك دولةً يسطّرون لها مجداً عظيماً، وتكون لهم حصناً منيعاً، فمنذ أن وصل جوهر الصقلي إلى مصر بدأ في محاولة رفع الوضع الاجتماعي، وتكوين أجواء هادئةٍ لقيام دولته، فعمل على كسب قلوب المصريين، واستمالتهم إليه، فقطع على نفسه عهداً سرعان ما نكثها، فأعطاهم الأمان على أنفسهم

(١) جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات، يكنى: بأبي الفضل، المعروف بابن حنزابة الوزير. نزل مصر وتقلد الوزارة لأميها كافور، قال السلفي: (كان ابن حنزابة من الحفاظ الثقات مفتخرًا بصحبة أصحاب الحديث مع جلالٍ ورياسة، يروي ويملي بمصر في حال وزارته ولا يختار على العلم وصحبة أهله شيئاً)، مات بمصر سنة ٣٩٠هـ. ينظر: تاريخ دمشق، ١٤١/٧٢، سير أعلام النبلاء، ٤٨٧/١٦.

(٢) بئر الوطاويط: بئر حُفرت بأمر الوزير ابن الفرات قريباً من الجامع الطولوني. ينظر: نيل الأمل في ذيل الدول، ٢٢٨/١.

(٣) ينظر: المواعظ والاعتبار، ٢٤٢/٣.

(٤) ليلة يجتمع فيها النصارى على شاطئ النيل فيظهرون الملاحى ويغطسون في الماء. ينظر: تعاط الحنفاء، ٢٤٢/١.

(٥) ينظر: مروج الذهب، ٣٧٩/١.

وأموالهم وأعراضهم، وقطع على نفسه احترام مذهبهم وإقامتهم عليه، وتعهد لهم كذلك بإصلاح وضع البلاد والرفع من شأنها والدفاع عنها^(١).

لكن من الصعب القول إن الفاطميين عملوا على تدليل المصريين، والوفاء لهم بكل ما قطعوه من عهود، بل كانوا يحكمونه وفق ما يرون من مصالحهم، ويشهد على ذلك ما كان يحدث من قتل للعلماء، والتضييق عليهم، كما ذكر ابن الجزري^(٢): (وسبب قلة العلم والروايات بديار مصر، ما كان غلب على أهلها من تغلب الإسماعيلية وقتل ملوكهم لعلمائهم)^(٣).

ودليل ذلك ما فعله جوهر الصقلي بالشيخ الإمام أبي بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملي حينما سلخه بأمر من المعز الفاطمي^(٤)، في قصة سيأتي ذكرها^(٥)، وتوالت أحداث النقض لعهود هذا الأمان الذي أعطاه جوهر لأهل مصر، فضربت أعناق عدة من أصحاب الإخشيد، وشلبوا حتى دخل المعز من المغرب^(٦).

وكذلك من الناحية الدينية أصبح ينادى في الأذان بـ (حي على خير العمل). وزاد الغلاء وارتفعت الأسعار^(٧)، ومُنِع الناس من الدينار الأبيض، وكان بعشرة دراهم، فأمر أن يكون الرّاضي بخمسة عشر درهماً، والمعزي بخمسة وعشرين درهماً ونصف، فتلف وافتقر خلق كثير^(٨)

(١) ينظر: اتعاظ الحنفاء، ١/١٠٦.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، يكنى: بأبي الخير، شمس الدين، العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي، الشهير بابن الجزري: شيخ الإقراء في زمانه. من حفاظ الحديث. وُلِد ونشأ في دمشق، وابتنى فيها مدرسة سماها (دار القرآن) ورحل إلى مصر مراراً، ودخل بلاد الروم، وسافر مع تيمورلنك إلى ما وراء النهر. ثم رحل إلى شيراز فولي قضاءها ومات فيها. من كتبه: (النشر في القراءات العشر) و(غاية النهاية في طبقات القراء) و(التمهيد في علم التجويد) و(ملخص تاريخ الإسلام) و(ذات الشفاء في سيرة النبي والخلفاء) منظومة، و(منجد المقرئين) وغيرها، توفي سنة ٨٣٣ هـ. ينظر: الأعلام، ٧/٤٥.

(٣) ينظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ٢٦.

(٤) ينظر: العبر في خبر من غبر، ١١/٢، تاريخ الإسلام، ٢/٣١١.

(٥) ستذكر لاحقاً في المبحث الرابع.

(٦) ينظر: اتعاظ الحنفاء، ١/١٢٢.

(٧) ينظر: اتعاظ الحنفاء، ١/١٢٠، المواعظ والاعتبار، ٣/١١.

(٨) ينظر: اتعاظ الحنفاء، ١/١٢٢.

وقد جاء في بعض المصادر التاريخية الحديث عن شيء من مظاهر الحياة الاجتماعية في عهد الفاطميين، مثل بناء مدينة القاهرة التي أصبحت بعد ذلك واحة الدنيا وحاضرة العالم. وإنشاء الجامع الأزهر^(١)، الذي أصبح مركزاً للدعوة الفاطمية فيما بعد، وإصلاح السكة، وضرب الدينار^(٢)، وكذلك العمل على تقوية الجيش وأسطوله البحري، فأُنشئت دار جديدة لصناعة السفن بالمَمْسُ (٣) تمد الأسطول بعدد كبير من السفن^(٤).

وأما في عهد العزيز الفاطمي فقد كانت بعض مظاهر الحياة الاجتماعية^(٥)، قال الذهبي نقلاً عن المسيحي^(٦): (وفي أيامه بنى قصر البحر بالقاهرة الذي لم يكن مثله لا في شرق ولا في غرب، وقصر الذهب، وجامع القرافة)^(٧)، ومنع العزيز في سنة سبع وستين وثلاثمائة النصارى من إظهار ما كانوا يفعلونه في الغطاس من الاجتماع، ونزول الماء، وإظهار الملاهي، وحَدَّر من ذلك^(٨).

ومما ينبغي الإشارة إليه، أن عصر العزيز الفاطمي لم يكن سالمًا من شائبة التضييق على أهل السنة وسفك دماء بعضهم، فقد أمر بمنع صلاة التراويح في جميع الديار المصرية، وأمر

(١) ينظر: اتعاظ الخنفاء، ١٠٦/١، المواعظ والاعتبار، ٥١/٤.

(٢) ينظر: اتعاظ الخنفاء، ١١٥/١.

(٣) المَمْسُ: قرية بمصر بين يدي القاهرة على النيل. ينظر: مراصد الاطلاع، ١٢٩٩/٣.

(٤) ينظر: المواعظ والاعتبار، ٣٤٢/٣.

(٥) ينظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ١٠٤/٢٤-١٠٥.

(٦) محمد بن عبيد الله بن أحمد المسيحي، عز الملك، أمير، مؤرخ، عالم بالأدب، منجمًا رافضيًا، اتصل بخدمة الحاكم بن العزيز العبيدي صاحب مصر، وحظي عنده. وكانت له معه مجالس. له كتاب كبير في تاريخ المغاربة ومصر، و(التلويح والتصريح في الأدب ومعاني الشعر)، و(درك البغية في وصف الأديان والعبادات)، توفي ٤٢٠ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، ٣٦١/١٧، الأعلام، ٢٥٩/٦.

(٧) ينظر: تاريخ الإسلام، ٦٠٢/٨.

(٨) ينظر: اتعاظ الخنفاء، ٢٤٢/١.

بقتل رجل والطواف به في المدينة، لأنه وجد معه موطأ الإمام مالك بن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(١)، كما ظهر في عهده لأول مرة في ديار مصر، المأتم على قتل الحسين بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٢).

وأما الوضع في عهد الخليفة الفاطمي الثالث، الحاكم بأمر الله فقد ازداد سوءاً، فقد طغى وتجبر، وساءت سيرته في الرعية، وفسدت عقيدته في الدين^(٣)، وجرى في زمنه من الفتن ما ذهبت به نفائس ونفوس، وانتهبت به أموال، مما هو ملء التواريخ كما نَقَلَ بعض ذلك صاحبُ المسالك^(٤)، فقد كان الحاكم الفاطمي خبيث النفس سفاكاً للدماء متقلب الفكر، لا يرمى في مؤمن إلا ولا ذمة، قال عنه الذهبي: (كان شيطاناً مريداً جباراً عنيداً، كثير التلون، سفاكاً للدماء، خبيث النحلة، عظيم المكر، كان فرعون زمانه، يخترع كل وقت أحكاماً يلزم الرعية بها)^(٥) وقد تناول شره وازداد، فأمر بسب الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وبكتابة ذلك على أبواب المساجد وفي الطرقات، ومنع الملوخيا وبيع العنب، وحرم الرطب -لما فيها من الفوائد، فمنعها عن العامة وحصرها على الملوك- وأمر النصارى بتعليق صليب في رقابهم زنة رطل وربع بالدمشقي، وألزم اليهود أن يعلقوا في أعناقهم قرمية^(٦) في زنة الصليب، إشارة إلى رأس العجل الذي عبده، ثم أمر بإهراق عسل النحل، فبَدَدَ الناس اثني عشر ألف جابية عسل^(٧) واشتد بالناس الغلاء، وعزَّ وجود القمح، ودخلت البلاد في عهده في جو من الخوف والفوضى فكثرت النهب والسرقة، وتزايدت أعداد اللصوص^(٨)، كما أنه منع النساء من الخروج، فمكثن ممنوعات

(١) ينظر: المواعظ والاعتبار، ١٦٣/٤.

(٢) ينظر: النجوم الزاهرة، ١٢٦/٤.

(٣) ينظر: مورد اللطافة، ٢٧٦/١.

(٤) ينظر: مسالك الأبصار، ١٠٧/٢٤.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء، ١٧٤/١٥.

(٦) قرمية: قطعة حطب. ينظر: تكملة المعاجم العربية، ٨ / ٢٤٩.

(٧) ينظر: مورد اللطافة، ٢٧٥/١.

(٨) ينظر: اتعاظ الحنفاء، ٨/٢.

من الخروج سبع سنين وسبعة أشهر^(١)، وأنشأ دارًا كبيرةً مألها قيودًا وأغلالًا، وجعل لها سبعة أبواب، وسمها جهنم، فكان من سخط عليه أسكنه فيها^(٢).

إلى غير ذلك من الصور التي تصف لنا ما وصل إليه المصري من ظروف قاسية، وأحوال سيئة، عصفت به وجعلته يفقد أدنى مستويات الحياة الكريمة، في ظل مملكة هذا الحاكم الفاطمي، الذي سعى في الأرض فسادًا، فأهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد.

ومما سبق يتضح لنا أن الوضع الاجتماعي في العهد الفاطمي لم يكن يسير على وتيرة واحدة، فقد مرّ أهل مصر بمراحل من الاضطهاد والتضييق في حياتهم من جهة^(٣)، والاضطرابات والمجاعات والغلاء، وتسلب بعض الولاة من جهة أخرى، لا سيما في عهد الخليفة الحاكم، على خلاف ما كان عليه الوضع في عهد المعز والعزیز، فما أن شعروا بشيء من صدى الحياة الاجتماعية الكريمة في عهد المعز والعزیز، حتى انقلبت بهم الأحوال وعادت بهم الحياة الاجتماعية إلى أدنى وأسوأ حالاتها في عهد الخليفة الحاكم، فكانت حياة أهل مصر في ظل الدولة الفاطمية مزيجًا بين هذا وذاك.

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء، ١٧٥/١٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ١٧٥/١٥.

(٣) سيأتي الحديث عن هذا في المبحث الثالث من هذا الفصل، إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث

الحالة الدينية

منذ أن دخل الفتح الإسلامي إلى الأراضي المصرية، مازال أهلها يرفلون في ثياب الإسلام، على عقيدة صحيحة سليمة، حملها الخلف عن السلف، منتهجين في ذلك مذهب أهل السنة والجماعة، يرتوون من منبع الإسلام الصافي، ويستنشقون هواءه العليل، فانتشرت الجوامع، وبنيت المساجد، وأكرم العلماء، وأقيم الناس على دينهم، فدخل الناس في دين الله أفواجًا، إلا أنّ الأحداث والأزمات التي مرّت بها البلاد على مرّ السنوات كان لها بالغ الأثر في حياة الناس في شتى جوانبها، فلو نظرنا إلى القرن الرابع الهجري -عصر الإمام الأديفوي- نجد أنّها لم تسلم فيه الحالة الدينية مما يُعكّر صفوها، فما أن ينعم الناس بحياة دينية مستقرة، حتى يأتي ما يكدرّ عليهم صفو حياتهم، ويشغلهم في دينهم، وذلك بسبب الأحداث والصراعات التي تمرّ بها البلاد.

والذي يهم هنا هو الحديث عن الحياة الدينية في مصر -خلال القرن الرابع الهجري-، الذي لم يكن فيه صفو المصريين ليقى، نتيجة ما حلّ بالبلاد من فوضى وما لحق بأهلها من متاعب ومحن، وهذا يتضح عندما ننظر إلى ما أحدثه بعض الأمراء والولاة، وما ألحقوا بالبلاد من ضياع وخراب في وضعها الديني.

فظهرت من بعضهم كفريات كمن يدعي الألوهية^(١)، واحتفالات بأعياد النصراري ومشاركة لهم، وظهرت بذرة البدع والمخالفات العقدية في مطلع هذا القرن كالنياحة عند القبور، وإقامة المآتم، يقول المقرئزي^(٢): (كانت مصر لا تخلو من الفتن في يوم عاشوراء عند قبر

(١) مثل: الخليفة الفاطمي (الحاكم بأمر الله). ينظر: البداية والنهاية، ١١/١٢.

(٢) أحمد بن علي بن عبد القادر، يكتي: بأبي العباس العبيدي، تقي الدين المقرئزي: مؤرخ الديار المصرية، ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، من تأليفه: كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار والبيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب)، توفي سنة ٨٤٥ هـ. ينظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ١/٤١٩، والأعلام، ١/١٧٧.

كلثم^(١) وقبر نفيسة^(٢) بنت الحسن، في الأيام الإخشيدية والكافورية^(٣)، وظهرت وانتشرت الملاهي والأغاني والمعازف وأفعال لم تكن في شريعة الإسلام^(٤)، ما أنزل الله بها من سلطان^(٥)، وعلى أنّ الوضع في النصف الأول من القرن الرابع وإن كان لا يخلو من هبوط في المستوى الديني، إلا أنه كان أحسن حالاً من أيام حكم الفاطميين، الذي دخلت معه مصر منعطفًا خطيرًا، كدّر الحياة، حيث ظهر على خارطة مصر، ودخل في تاريخها خلفاء تلك الدولة الفاطمية، الذين لم يألوا جهدًا منذ دخولهم مصر في إفساد عقائد الناس، وإلحاق الأذى بهم، ودعوتهم إلى المذهب الفاطمي بالترغيب تارة، وبالترهيب تارة أخرى، ولقد قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر^(٦) فمنذ أن استقر لهم الحال بدؤوا في تأسيس وتدعيم قواعد مذهبهم الفاطمي، فقطعت خطبة بني العباس، وأمر أن يزداد في الخطبة: (اللهم صل على محمد النبي المصطفى، وعلى علي المرتضى وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبط الرسول، الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرًا، اللهم صل على الأئمة الراشدين آباء أمير المؤمنين المعز لدين الله)^(٧)، وزيد في الأذان: (حي على خير العمل)، وهي من العبارات التي يتصف بها الأذان عند الشيعة^(٨)، وبنى الجامع الأزهر الذي أصبح في عهد العزيز الفاطمي خارجًا عن

(١) كلثم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق من آل البيت، لها مزار بالقاهرة. ينظر: معجم البلدان، ١٤٣/٥.
 (٢) نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن -سبط النبي ﷺ- بن علي بن أبي طالب عليه السلام، تحولت من المدينة إلى مصر مع زوجها الشريف إسحاق بن جعفر بن محمد -الصادق- فيما قيل، ثم توفيت بمصر سنة ٢٠٨ هـ. ولبعض المصريين فيها اعتقاد يتجاوز الوصف، ولا يجوز مما فيه من الشرك، ويسجدون لها، ويلتمسون منها المغفرة، وكان ذلك من دسائس دعاة العبيدية. ينظر: سير أعلام النبلاء، ١٠٦/١٠، والدر المنثور في طبقات ربات الخدور لزينب العاملي، ٥٢١.

(٣) ينظر: اتعاظ الخنفاء، ١٤٦/١.

(٤) ينظر: المواعظ والاعتبار، ٣٠/٢.

(٥) ينظر: الولاة وكتاب القضاة، ١٩٥، مروج الذهب، ٣٧٩/١، المواعظ والاعتبار، ٤٣٦/٢.

(٦) ينظر: اتعاظ الخنفاء، ١٤٦/١.

(٧) ينظر: النجوم الزاهرة، ٣٢/٤، اتعاظ الخنفاء، ١٤٦/١.

(٨) أصل هذه العبارة حديث -تكلم العلماء في إسناده- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير قال: حدثنا محمد بن علي الصائغ المكي، ثنا يعقوب بن حميد بن كاسب، ثنا عبد الرحمن بن سعد بن عمار بن سعد، عن عبد الله بن محمد،

إطار وظيفته من كونه مكاناً للعبادة والعلم، فصار مركزاً للدعوة إلى المذهب الباطني، فألقيت فيه المحاضرات، وكتب في الكتب التي تُدعّمه^(١)، قال المقرئزي: (وألف - يعقوب بن كلس^(٢) - كتاباً في الفقه، يتضمن ما سمعه من المعز لدين الله ومن ابنه العزيز بالله، وهو مبوبٌ على أبواب الفقه، يكون قدره مثل نصف صحيح البخاري، وهو يحتوي على فقه الطائفة الإسماعيلية، وكان يجلس لقراءة هذا الكتاب على الناس بنفسه، ويحضره خواص الناس وعوامهم وسائر الفقهاء والقضاة والأدباء)^(٣)، ولا ننسى كذلك دار الحكمة التي أنشأها الخليفة الحاكم لتكون مركزاً للدعوة الفاطمية^(٤).

وعمر، وعمار، ابني حفص، عن آبائهم، عن أجدادهم، عن بلال رضي الله عنه، أنه كان يؤذن بالصبح، فيقول: (حي على خير العمل)، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل مكانها: (الصلاة خير من النوم) وترك (حي على خير العمل). قال الهيثمي: (وفيه عبد الرحمن المتقدم، وقد ضعفه ابن معين)، وقال الزيلعي في نصب الراية: (قال في الإمام: ورجاله يحتاج إلى كشف أحوالهم)، وقال الشوكاني في السيل الجرار: (وفي إسناد عبد الرحمن بن عمار بن سعد وهو ضعيف)، وقد قال البيهقي بعد إخراج هذا اللفظ: (لم يثبت فيما علم النبي صلى الله عليه وسلم بلالاً وأبا محذورة ونحن نكره الزيادة فيه)، انتهى. ومع هذا ففي هذا التصريح بأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالاً أن يترك ذلك فلو قدرنا ثبوته لكان منسوخاً. ينظر: المعجم الكبير، ٣٥٢/١، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٣٣٠/١، نصب الراية، ٢٩١/١، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ي، ١٢٦.

(١) ينظر: المواعظ والاعتبار، ١٦٢/٤.

(٢) يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن كلس، يكنى: بأبي الفرج، كان يهودياً ثم أسلم، وكان وزيراً لكافور، ثم انتقل إلى المغرب وخدم المعز الفاطمي، وصنف له كتاباً في الفقه على مذهب الباطنية، يعرف بالرسالة الوزيرية، أخذه عن المعز وابنه العزيز. وكان يعقد المجالس، فيقرر المسائل الفقهية على حسب مذهبهم، توفي سنة ٣٨٠هـ، ينظر: وفيات الأعيان، ٢٧/٧، الأعلام، ٢٠٢/٨.

(٣) ينظر: المواعظ والاعتبار، ١٦٢/٤.

(٤) دار الحكمة الفاطمية: أنشأها الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥هـ، ومن قبل إنشائها كانت تعقد بقصر الحاكم حيناً وبالآزهر حيناً مجالس تسمى: (مجالس الحكمة) ينظمها قاضي القضاة، ويقرأ فيها علوم آل البيت، بمشهد من الناس، ولكن الحاكم أراد أن تكون هذه المجالس أوسع أفقاً، وأبلغ أثراً يجمعها معهد واحد؛ فأنشأ هذه الدار. وخصها بجزء كبير من ريع أملاكه. ينظر: الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، ٢٧/١.

وهكذا استمر الحكام الفاطميون في تدعيم أركان مذهبهم، والتضييق على الناس في حياتهم الدينية، ففي السنة الأولى من ولاية العزيز ظهرت سنة قبيحة في الديار المصرية لم تكن معهودة، حيث عُمل المأتم في يوم عاشوراء على الحسين بن علي عليه السلام فكان العزيز أول من صنع ذلك بديار مصر^(١)، كما أن العزيز لم يألو جهداً في التضييق على أهل السنة في دينهم، حيث بدا ذلك واضحاً جلياً، يقول المقرئزي^(٢): (وفي سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة أمر العزيز بن المعز بقطع صلاة التراويح من جميع البلاد المصرية)، وقد ازداد الأمر سوءاً في عهد الخليفة الحاكم، الذي مارس أشنع أنواع العذاب، فلم يسلم من شره مسلم ولا ذمي، فسعى في الأرض فساداً، وظهر منه صنوفاً من الضلال، وقتل من العلماء والكتاب والأمثال ما لا يُحصى، وأمر بسب الصحابة عليهم السلام وكتابة ذلك على الجدران وفي الطرقات، بل إنه زاد به السوء حتى راح يدعي الألوهية، وحتى أن أهل الذمة لم يسلموا من بطشه، فساء حالهم في عهده، فقد سامهم سوء العذاب، وألحق بهم ألوان العذاب، فاضطر بعضهم أن يتظاهر بالإسلام خوفاً من بطشه^(٣).

والجدير بالذكر أنّ المجتمع المصري في القرن الرابع كان مؤلفاً من طائفتين هما: المسلمون والذميون، فأما المسلمون فقد كانوا على مذهب أهل السنة الصحيح، وإن كان لحق بعضهم شائبة انحراف أيام الحكم الفاطمي، نتيجة للضغوط والمضايقات التي لحقت بهم، وأما الذميون، فقد عاملهم الولاة بالحسنى -ماعدا الحاكم بأمر الله-، وبلغ ذلك ذروته في عهد الدولة الفاطمية، حيث تساهلت معهم كثيراً، وانبسطت إليهم، فتولوا المناصب الكبيرة وتودد الحكام إليهم^(٤).

(١) ينظر: النجوم الزاهرة، ١٢٦/٤.

(٢) ينظر: المواعظ والاعتبار، ١٦٣/٤.

(٣) ينظر: النجوم الزاهرة، ١٧٦/٤.

(٤) ينظر: النجوم الزاهرة، ١١٦/٤، اتعاظ الحنفاء، ٢٩٧/١.

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا، أن المذهب الباطني الفاطمي قد تلاشى واختفى من مصر أيام القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي رَحِمَهُ اللهُ^(١).

يقول المقرئزي: (فتظاهر الناس من تلك السنة بمذهب الإمام مالك والشافعي رضي الله عنهما، واختفى مذهب الشيعة إلى أن نُسي من مصر)^(٢).

ومما سبق تبين لنا أن مصر خلال القرن الرابع الهجري قد مرت بمراحل عصبية، تمثلت في محاولة صرف الناس عن دينهم، والتضييق عليهم، وصددهم عن المنهج الديني الصحيح وإلزامهم بمذاهب باطلة وأفكار منحرفة.

إلا أن هناك أئمةً أفذاذاً، وعلماء أجلاء، بذلوا الغالي والنفيس في التصدي لهذه المحاولات، فما فتوا يحاربون الأفكار والمذاهب الدخيلة على المجتمع المصري، لِيَسَلَّمَ للناس دينهم وعقيدتهم، ولعل الإمام الأديفوي رَحِمَهُ اللهُ كان في طلائع هؤلاء الأئمة المدافعين عن حياض الدين، والمناوئين للأعداء والمارقين، فبلَّغوا الدين والعقيدة الصحيحة للناس، وألَّفوا الكتب، وأقاموا الدروس والمحاضرات، وسعوا إلى دعوة الناس، وحرصوا على إنقاذهم من براثن الانحراف رغم ما لاقوه من محن وبلايا عظيمة، فرحم الله أولئك الأئمة الأطهار، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

(١) يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الإسلام، كردي، نشأ بدمشق وتعلم وروى الحديث بها ومصر، أسقط الدولة الفاطمية العبيدية، وحارب الصليبيين وانتصر عليهم في معركة حطين، وانتزع بيت المقدس منهم، توفي سنة ٥٨٩هـ. ينظر: وفيات الأعيان، ١٣٩/٧، الأعلام، ٢٢٠/٨.

(٢) ينظر: المواعظ والاعتبار، ٢٠٠/٢.

المبحث الرابع

الحالة العلمية

شهدت الحياة العلمية في مصر خلال القرن الرابع ازدهارًا كبيرًا في شتى الميادين على خلاف ما كانت عليه الحالة السياسية، ويعود سبب ذلك إلى ظهور كثير من العلماء في مختلف العلوم، فقد أنجبت مصر عددًا كبيرًا من العلماء الذين ترعرعوا على أرضها، فكان لهم الدور البارز في تحريك عجلة النهضة العلمية في ديار مصر، بالإضافة إلى تشجيع بعض الولاة للعلماء وتقريبهم لهم، فأضحت مصر على مرّ العصور مركزًا علميًا يقصده العلماء وطلاب العلم، فهذا جامع عمرو بن العاص، وجامع أحمد بن طولون؛ مقصد العلماء من شتى البلدان. ولا عجب أن يتحدث التاريخ عن أبرز العلماء الذين رحلوا إليها طلبًا للعلم، أمثال الإمام ابن جرير الطبري، عبد الله بن محمد بن عيسى المروزي^(١)، وكذلك البخاري^(٢)، ومسلم^(٣)، والنسائي^(٤)، وغيرهم الكثير، الذين كانت رحلاتهم إلى الديار المصرية أكبر شاهد على ما وصلت إليه مصر من تقدم علمي عظيم.

(١) عبد الله بن محمد بن عيسى المروزي، يكنى: بأبي محمد، المعروف بعبدان: حافظ للحديث، كان مفتي مَرُو وعالمها وزاهدها. أقام بمصر بضع سنين، وعاد إلى مَرُو، فكان أول من أظهر مذهب الشافعي في خراسان. له كتاب (المعرفة) مائة جزء، و(الموطأ). ووفاته بمرو سنة ٢٩٢هـ. ينظر: الأعلام، ٤/١١٨.

(٢) الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، الإمام العلم أبو عبد الله الجعفي، مولاهم، البخاري حبر الإسلام، حافظ حديث رسول الله ﷺ، صاحب (الصحيح) والتصانيف، وجاء في ترجمته، سمع بمصر من: سعيد بن أبي مريم، وعبد الله بن صالح الكاتب، وسعيد بن تليد، وعمرو بن الربيع بن طارق، وطبقتهم، توفي بسمرقند سنة ٢٥٦هـ. ينظر: تاريخ الإسلام، ٦/١٤١، الأعلام، ٦/٣٤.

(٣) الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم يكنى: بأبي الحسين القشيري النيسابوري أحد الأئمة من حفاظ الحديث، صاحب المسند الصحيح والتصانيف، وجاء في ترجمته: رحل إلى العراق، والحجاز، والشام، ومصر، توفي بظاهر نيسابور سنة ٢٦١هـ. ينظر: تاريخ بغداد، ١٥/١٢١، الأعلام، ٧/٢٢١.

(٤) الإمام أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، يكنى: بأبي عبد الرحمن النسائي صاحب السنن، القاضي الحافظ، شيخ الإسلام. أصله من نسا بخراسان، وجاء في ترجمته: وجمال في البلاد واستوطن مصر ورحل الحفظ إليه، فحسده مشايخها، فخرج إلى الرملة بفلسطين، توفي سنة ٣٠٣هـ ودفن ببيت المقدس. ينظر: سير أعلام النبلاء، ١٤/١٢٧، الأعلام، ١/١٧١.

وللحديث عن الحالة العلمية في القرن الرابع، لا بد من التدرج في الحديث وفق المراحل الثلاث التي مرت بها مصر في هذا القرن، فلكل فترة ما يميزها عن غيرها.

فمنذ سقوط الدولة الطولونية إلى قيام الدولة الإخشيدية، كانت الحالة العلمية في وضع أقرب ما يكون إلى الركود، وذلك بسبب ما كانت تمر به البلاد من عواصف وبلايا، وضعف الاهتمام بهذا الشأن من قبل الولاة، فلم يكن هناك استقرار سياسي يساعد على الحياة العلمية.

على أنه برز في تلك الفترة العديد من العلماء الأجلاء كأمثال: خلف الطولوني (ت: ٣٠١هـ)^(١)، والحافظ أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، وشيخ المالكية في زمانه أحمد بن محمد بن خالد بن ميسر (ت: ٣٠٩هـ)^(٢)، والإمام أبي جعفر الطحاوي (ت: ٣٢١هـ)^(٣). وغيرهم الكثير.

وما إن بدأت الدولة الإخشيدية واستقر أمرها حتى أخذ نشاط الحركة العلمية في ازدياد، فكان البلاط الإخشيدي مكتظاً بطائفة من العلماء والأدباء الذين اهتم بهم الخلفاء وقربوهم وأولوهم رعاية خاصة، قال الذهبي: وكان كافور يديني الشعراء ويجيزهم، وكان يُقرأ عنده في كل ليلة السّير وأخبار الدولة الأموية والعباسية، وله ندماء^(٤)، وكان جامع عمرو بن العاص،

(١) خلف الطُّولُوني، يكنى: بأبي علي: طبيب امتاز بعلم أمراض العين ومداواتها. له كتاب (النهاية والكفاية في تركيب العينين وحلقتيها وعلاجيهما وأدويتيهما) صنّفه في ثمان وثلاثين عامًا، توفي سنة ٣١٠ هـ. ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ٥٤٤، الأعلام، ٣١٠/٢.

(٢) الإمام أحمد بن محمد بن خالد بن ميسر، يكنى: بأبي بكر الإسكندراني. تفقه على ابن المؤاز وراوي كتابه الموازية في الفقه المالكي، وانتهت إليه رئاسة المالكية بمصر بعده، وله تصانيف، توفي بالفسطاط سنة ٣٠٩ هـ. ينظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ٤٤٩/١، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ١٠/٢.

(٣) الإمام أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، يكنى: بأبي جعفر، العلامة، الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقهها، انتهت إليه رئاسة الحنفية، صاحب التصانيف، منها: (شرح معاني الآثار في الحديث)، و(بيان السنّة) رسالة، وكتاب (الشفعة) و(مشكل الآثار)، توفي سنة ٣٢١ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، ٢٧/١٥، الأعلام، ٢٠٦/١.

(٤) ينظر: النجوم الزاهرة، ٦/٤.

والجامع الطولوني، من أهم مراكز العلم في العهد الإخشيدى، فكثرت العلماء وانتشر العلم في الناس ونشطت الحركة العلمية والثقافية في ذلك الوقت، وتنوعت النهضة العلمية في مختلف العلوم كالقراءات، والحديث، والفقه، والفلسفة، والشعر، والتاريخ، والطب، وغيرها، وبرز علماء أفذاذ في هذه العلوم، ففي القراءات نجد أمثال: الإمام المقرئ أبا غانم المظفر بن حمدان (ت: ٣٣٣هـ)^(١)، وفي الحديث: الإمام الحافظ أبا سعيد عبد الرحمن الصديقي (ت: ٣٤٧هـ)^(٢)، والإمام الحافظ سعيد بن السكن (ت: ٣٥٣هـ)^(٣)، وفي الفقه أمثال: الإمام محمد بن أحمد بن الحداد (ت: ٣٤٥هـ)^(٤)، وفي النحو: برز النحوي أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٧هـ)^(٥)، وفي الفلسفة والتصوف الحسن بن أحمد الكاتب (ت: ٣٤٣هـ)^(٦)، وفي الشعر: أحمد بن محمد بن إسماعيل طباطبا (ت: ٣٤٥هـ)^(٧)، وفي التاريخ: الحسن بن القاسم بن دحيم (ت: ٣٢٧هـ)^(٨)

(١) أحد شيوخ الإمام الأدفوي، وستأتي ترجمته في الفصل الثاني.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصديقي، أبو سعيد: مؤرخ، محدث. نسبته إلى الصدف (قبيلة حميرية نزلت مصر) حدّث عن أبيه عن جده وعن الطحاوي وعاصم بن رازح وأحمد بن شعيب، وحدّث عنه ابنه أبو الحسن علي وابن منده. وله تاريخان، أحدهما كبير في (أخبار مصر ورحالها) والثاني صغير في (ذكر الغرباء الواردين على مصر). توفي في القاهرة سنة ٣٤٧هـ. ينظر: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، ٣٣٣، الأعلام، ٣/٢٩٤.

(٣) أحد شيوخ الإمام الأدفوي، وستأتي ترجمته في الفصل الثاني.

(٤) أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الكناني، المعروف بابن الحداد، الفقيه الشافعي المصري، صاحب كتاب الفروع في المذهب، وهو كتاب صغير الحجم كثير الفائدة، دقّق في مسأله غاية التدقيق، واعتنى بشرحه جماعة من الأئمة الكبار، تولى القضاء والتدريس بمصر، وكانت الملوك والرعايا تكرمه وتعظمه، وتقصد في الفتاوى والحوادث. ينظر: وفيات الأعيان، ٤/١٩٨.

(٥) أحد شيوخ الإمام الأدفوي، وستأتي ترجمته في الفصل الثاني.

(٦) الحسن بن أحمد الكاتب المصري، يكنى: بأبي علي. من كبار المشايخ المصريين وكان أواحد مشايخ وقته وله كلمات وأشعار جياذ، توفي سنة ٣٤٣هـ. ينظر: حسن المحاضرة، ١/٥١٤، الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة، ٤.

(٧) أحمد بن محمد بن إسماعيل الحسيني الطالبي، يكنى: بأبي القاسم، ابن طباطبا، نقيب الطالبين بمصر، وأحد الشعراء المترقبين في الزهد والغزل، مولده ووفاته في مصر، توفي سنة ٣٤٥هـ. ينظر: تاريخ الإسلام، ٧/٨١٧، الأعلام، ١/٢٠٨.

(٨) الحسن بن القاسم بن دحيم عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي، القاضي. يكنى: بأبي علي. حدّث عن: أبي أمية الطرسوسي، والعباس بن الوليد البيروني، وجماعة. وعنه: ابن المظفر، وأبو بكر ابن المقرئ، وآخرون. وكان أخبارياً علامة. توفي بمصر في المحرم سنة ٣٢٧هـ. ينظر: تاريخ الإسلام، ٧/٥٣١.

وفي الطب: سعيد بن البطريق (ت: ٣٢٨ هـ)^(١) وغيرهم الكثير ممن يصعب إيرادهم هاهنا. فكان لهؤلاء العلماء أثر كبير في الحياة العلمية في مصر، حيث عملوا على شرح علومهم للناس، فزاد عدد المتعلمين، وارتفع مستوى العلم والفهم في أوساط الناس. كما أنّ خلفاء الدولة الإخشيدية لم يغب عنهم ما للقضاء والقضاة من مكانة مهمة في رفع المستوى العلمي في المجتمع، فأولوهم رعاية فائقة، وعملوا على الرفع من شأنهم وتقوية أركان الدولة بهم، أمثال ابن الحداد الذي عينه محمد الإخشيد على القضاء، فكان يجلس في الجامع وفي داره وفي دار أبي زرعة، فاستفاد الناس منه أيما استفادة^(٢).

ومما سبق يتبيّن لنا أن الحالة العلمية في عهد الدولة الإخشيدية أضحت أحسن حالاً، وأكثر تقدماً من العهد الذي سبقها، وأما في الفترة الثالثة وهي عهد الدولة الفاطمية، فقد حاول خلفاء الدولة المسارعة في رفع المستوى العلمي في الدولة، وتحريك عجلة الحركة العلمية، فراحوا يُشيدون المكتبات، وعملوا على زيادة عدد النُسخ وخزائن الكتب^(٣)، سعيًا منهم في فرض المذهب الفاطمي الشيعي، وقد نشط علماء الدعوة الفاطمية، فصنّفوا المصنفات في المذهب، ونشروها بين الناس، فهذا يعقوب بن كلس الذي بدأ يقرأ رسالة ألفها في الفقه الشيعي الفاطمي تسمى (الرسالة الوزيرية)^(٤)، وحوّل الجامع الأزهر إلى معهد لنشر العلوم الشيعية في عهد العزيز الفاطمي^(٥)، فأصبح الأزهر مركزًا للفقه الشيعي حتى بُنيت دار

(١) سعيد بن البطريق، من أهل فسطاط مصر وكان طبيبًا نصرانيًا مشهورًا عارفًا بعلم صناعة الطب وعلمها، متقدمًا في زمانه وكانت له دراية بعلوم النصارى ومذاهبهم، له مؤلفات منها: (الطب علم وعمل) وكتاب (الجدل بين المخالف والنصراني) وكتاب (نظم الجواهر)، توفي ٣٢٨ هـ. ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ٥٤٥.

(٢) ينظر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ٣٣٢.

(٣) ينظر: النجوم الزاهرة، ١٠١/٤، والمواعظ والاعتبار، ٢٩٠/٢.

(٤) ينظر: النجوم الزاهرة، ٥١/٤.

(٥) ينظر: اتعاظ الحنفاء، ١٦٢/٤، المواعظ والاعتبار، ٢٠٠/٤.

الحكمة^(١)، فأصبحت تقوم بمثل الدور الذي يقوم به الأزهر، يقول المقرئزي: (ولما تولى يعقوب بن كلس الوزارة للعزير بالله رتب في داره العلماء من الأدباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين...)، إلى أن قال: (وألف كتاباً في الفقه يتضمن ما سمعه من المعز لدين الله ومن ابنه العزير بالله، وهو على أبواب الفقه، يكون قدره مثل نصف صحيح البخاري، ملكته ووقفت عليه، وهو يحتوي على فقه الطائفة الإسماعيلية، وكان يجلس لقراءة هذا الكتاب على الناس بنفسه وبين يديه خواص الناس وعوامهم وسائر الفقهاء والقضاة والأدباء. وأفتى الناس به ودرّسوا فيه بالجامع العتيق، وأجرى العزير بالله لجماعة من الفقهاء يحضرون مجلس الوزير ويلازمونه أرزاقاً تكفيهم في كل شهر)^(٢).

ونستنتج من هذا أن البلاط الفاطمي وإن كان مكتظاً بالعلماء والأدباء إلا أنهم كانوا من العلماء الفاطميين الذين يقومون على خدمة ونشر المذهب العبيدي الفاطمي. ومما ينبغي الإشارة إليه أن التعصب للمذهب الشيعي والتضييق على علماء السنة لم يكن غائباً عن أذهان الخلفاء الفاطميين، الذين ساموا كثيراً من علماء أهل السنة سوء العذاب، وألحقوا بهم صنوف البلاء، يقول المقرئزي: (وفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ضرب رجل بمصر وطيف به من أجل أن وجد عنده موطأ الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ^(٣)، ويضاف إلى هذا ما ذكره ابن الجزري رَحِمَهُ اللهُ من أنّ الخلفاء الفاطميين قد ضيقوا على علماء أهل السنة، الأمر الذي كان له الأثر في قلة العلم وضعف الروايات)^(٤).

وهذا الإمام أبو بكر محمد بن أحمد الرّملي^(٥)، العابد الصالح الزاهد الذي سلخه المعز لدين الله بسبب قوله: (لو كان معي عشرة أسهم، لرميت الروم سهماً، ورميت بني عبيد

(١) ينظر: تعاض الحنفاء، ٥٦/٢، المواعظ والاعتبار، ٧٣/٤.

(٢) المواعظ والاعتبار، ١٦٢/٤.

(٣) المرجع السابق، ١٦٣/٤.

(٤) ينظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ٢٦.

(٥) الشهيد محمد بن أحمد بن سهل الرّملي: الإمام، القدوة، الشهيد، يكنى: بأبي بكر، ويعرف بابن النابلسي، حدّث عن: سعيد بن هاشم الطبراني، ومحمد بن الحسن بن قتيبة، ومحمد بن أحمد بن شيبان الرّملي. روى عنه: تمام الرازي، وعبد الوهاب الميداني، وعلي بن عمر الحلبي، هرب إلى الرملة لما بلغه أن المعز الفاطمي يريد قتله، فقبض عليه والي

تسعة)، إلى أن قال للفاطميين: (إنكم قد غيرتم الملة، وقتلتم الصّالحين، وادّعيتهم أمور الإلهية)، ومهما يكن من أمر فلم يكن ذلك ليقف في وجه العلماء الأفاضل، الذين نذروا أنفسهم لخدمة هذا الدين ونقله للعالمين صافيًا كما جاء، فساروا بخطى واثقة، متجاوزين بذلك كل العقبات والمحن التي كانت تعرض لهم في طريقهم، فواصلوا مشوارهم العلمي الذي كانوا قد بدؤوه في عصر الدولة الإخشيدية، فآتت خطاهم ثمارها، فلم تزل الديار المصرية تتصدر في ميادين العلم إلى وقتنا هذا.

ومن العلماء الذين برزوا في هذه الفترة:

الإمام الشهيد أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملي (ت: ٣٦٣ هـ)، والإمام المحدث مسند مصر الحسن بن رشيق المصري (ت: ٣٧٠ هـ)^(١)، والإمام الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن الغافقي (ت: ٣٨٢ هـ)^(٢)، والإمام المؤرخ أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق الليثي (٣٨٧ هـ)^(٣)، والإمام أبو حفص المصري (٣٨٨ هـ)، والإمام النحوي المقرئ أبو بكر محمد بن علي الأدفوي (ت: ٣٨٨ هـ)، وغيرهم الكثير من العلماء الأجلاء، رحمهم الله رحمة واسعة.

الرملة فأرسله في قفص من خشب إلى مصر، فوكل به المعز يهوديًا يسلمه. ينظر: سير أعلام النبلاء، ١٤٨/١٦، العبر في خبر من غير، ١١٤/٢، تاريخ الإسلام، ٣١١/٢٤.

(١) الحسن بن رشيق، يكنى: بأبي محمد العسكري المصري، الإمام، المحدث، الصادق، مسند مصر. سمع من: أحمد بن حماد ومحمد بن عثمان بن سعيد السراج، ومحمد بن رزيق بن جامع المدني، وكان ذا فهم ومعرفة وكان محدث مصر في زمانه، حدّث عنه: الدارقطني، وعبد الغني بن سعيد، وعبد الرحمن بن النحاس، وغيرهم. توفي سنة ٣٧٠ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، ٢٨٠/١٦.

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقي المصري، يكنى: بأبي القاسم. الفقيه المالكي الذي صنف (الموطأ). كان فقيهاً ورعاً مستفيضاً خيراً، من جلة الفقهاء. توفي سنة ٣٨٢ هـ. ينظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ٤٥١/١.

(٣) الحسن بن إبراهيم بن زولاق المصري الليثي، يكنى: بأبي محمد، من أعيان علماء أهل مصر ووجوه أهل العلم فيهم، وله عدة تصانيف في التواريخ المصرية. توفي سنة: ٣٨٧ هـ. ينظر: معجم الأدباء، ٨٠٧/٢، ووفيات الأعيان، ٩١/٢.

المبحث الخامس

أثر العصر الذي عاش فيه الأُدْفوي رحمته الله وتأثره به

كان العصر العباسي من أهم الحقب التي تسابق فيها المسلمون على العلم، وتنافسوا في جمعه وادخاره، فبدأ عصرًا من العصور المهمة التي شهدت تطورًا ونشاطًا علميًا في شتى المجالات، ليس في مركز الخلافة فحسب، بل على مستوى العالم الإسلامي ذلك الوقت، وإن اعتراه بعض الضعف في فترة من فتراته، لكنه عصر صقله العلم، وشمله التمدُّن، عصر حفل بالأذهان الخصبية، التي فجرت ينبوع الإبداع، فهو بحق عصر العلم والعلماء.

وقد كان من العلماء المبرزين الذين ظهوروا في هذا العصر: الإمام أبو بكر محمد بن علي الأُدْفوي الذي بدأ حياته بتجارة الأحشاب، ثم كان لهذا العصر الذي تفجرت فيه ينابيع العلم والحكمة أثره البالغ في حياة هذا الإمام، فالإنسان ابن بيئته، فبدأ بالاشتغال بالعلم، فجلس إلى العلماء، والتحق بمجالس العلم والمعرفة، وحرص على كتابة العلم وتدوينه، وصاحب أبا جعفر النحاس المصري، وأخذ عنه وأكثر، وروى كل تصانيفه، وأخذ عن غيره من أهل العلم والقرآن والحديث والعربية، حتى أصبح سيد أهل عصره في مصره وغير مصره، وقرأ عليه الأجلاء، واعتاد على مجلسه الرؤساء والفضلاء، وصنّف في التفسير كتبًا مفيدة، منها كتابه الاستغناء، أكبر كتاب صنّف في التفسير، وجمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره^(١).

وعلى الرغم من أن المصادر والمراجع التي ترجمت للإمام الأُدْفوي -مما وقفت عليه- لم تطلعنا على تفاصيل الحياة الاجتماعية التي عاشها الإمام، ولم تزودنا بشيء عن نشأته ومراحل تعلمه ورحلاته، إلا أنّ الأثر بدأ واضح المعالم، فالناظر فيما نقله العلماء عن هذا الإمام، من تمكنه في العلم، والبراعة فيه، والضبط والإتقان، وتصنيف الكتب، بالإضافة إلى الأثر الذي تركه في نفوس تلاميذه الذين كثر عددهم وبرع أكثرهم، كل هذا دليل واضح على أن الإمام الأُدْفوي رحمته الله قد استفاد من حركة النشاط العلمي في عصره، فعاش حياته طلبًا للعلم، ما بين تعلم وتعليم وتصنيف، وقد أذى بُعدُه عن دهاليز السياسة وبلاط السلاطين إلى تفرّغه للعلم، فعاش إمامًا، ومات إمامًا رحمته الله.

(١) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ١٨٦/٣، معرفة القراء الكبار، ١٩٩.



الفصل الثاني

التعريف بالمؤلف: الإمام محمد بن علي الأُدفوي رحمته الله.

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، ومولده.

المبحث الثاني: أسرته ونشأته.

المبحث الثالث: شيوخه.

المبحث الرابع: تلاميذه.

المبحث الخامس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث السادس: عقيدته ومذهبه.

المبحث السابع: مصنفاته.

المبحث الثامن: وفاته.

المبحث الأول

اسمه ونسبه ومولده

اسمه: هو العالم المقرئ المفسر النحوي الإمام أبو بكر محمد بن علي بن أحمد^(١) بن محمد الأذفوي المصري^(٢)، عالم الديار المصرية ومقرئها.

نسبه: الأذفوي^(٣): نسبة إلى (أذْفُو) بضم الهمزة، وسكون الدال المهملة، وضمّ الفاء، وسكون الواو^(٤).

(١) جاء في كتاب البلغة: (محمد بن علي بن محمد) ولم يذكر اسم جده (أحمد) الذي جاء ذكره صريحًا في غالب من ترجم له، وقد يكون ذلك سهوًا أو اختصارًا، لكنه خلاف الصحيح عند التحقيق، ففي غاية النهاية، ٢/٢١٠: (محمد بن علي بن محمد الأذفوي هو محمد بن علي بن أحمد بن محمد). ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ١٨٩/١.

(٢) ذكر الدكتور محمد فتحي محمد فوزي: أن اسم ونسب الإمام الأذفوي هو: (محمد بن علي بن أحمد بن إدريس بن علي بن يوسف بن عبد الرحيم العلوي بن إدريس الميمون بن مصطفى بن عبد الستار بن عبد الصمد بن عبد المعطي الشاش بن هشام بن حسين بن عثمان بن منصور بن محمد بن أحمد بن محمد ويكنى بأبي بكر بن نور الدين بن عبد الوهاب بن عز الدين بن عمر النجاشي بن سعيد البكري بن إبراهيم الحارثي بن المنير بن محمود بن محمد بن القاسم بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام) حيث أرجع نسبه إلى النسب الشريف، لكنه لم يجزم بذلك فقال: (ويبدو أنه أحد أحفاد القاسم بن إدريس)، وهذا يحتاج إلى البحث والتدقيق من كتب الأنساب والنسابة وليس هذا مكان بسطه. ينظر: النحوي المفسر الإمام الشيخ الأذفوي، ٤٨/٢.

(٣) قال كمال الدين الأذفوي: (والموجود في الكتب في النسبة إليها أذفوي). ينظر: الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، ٥٥٥.

(٤) قال ابن بطوطة: (ثم سافرت منها إلى مدينة أذفو). وضبط اسمها: (بفتح الهمزة وإسكان الدال المهملة وضم الفاء) ينظر: تحفة النظار، ١/٢٢٩، وقال ياقوت الحموي: (وأذفو أيضًا قرية بمصر، من كورة البحيرة، ويقال: أذفو، بالتاء المثناة فيهما). ينظر: معجم البلدان، ١/١٢٦، وجاء في المواعظ والاعتبار، ١/٤٣٨: (ومدينة أذفو يقال بالدال المهملة، ويقال أيضًا بالتاء المثناة من فوق)، وقيل: أذفو بالذال المعجمة، كما في مسالك الإبرار، ٥/٣٦٥، وغاية النهاية، ٢/١٩٨، وطبقات المفسرين للداوودي، ٢/١٩٧، وقال كمال الدين الأذفوي: (وأذفو: بدل مهملة، لا

وقيل: (أتفو) بالتاء المثناة^(١)، وقال الذهبي: (ومن قال فيه: (الأتفوي) فعلى لغة عوام المصريين)^(٢) نسبة إلى قرية بصعيد مصر في آخره بين أسوان^(٣) وقوص^(٤)، وهي كثيرة النخل^(٥)، وهي إحدى مدن محافظة أسوان حالياً.

مولده: قال كمال الدين الأدفوي^(٦): (واختُلف في مولده، فقيل: سنة ثلاث وثلاثمائة – وقيل: سنة خمس، وقيل: سنة أربع – في صفر، قال أبو مُجَدَّ عبد الله بن علي الرشايطي^(٧): وهذا أصح^(٨))، وكان مولده بمدينة أدفو.

-
- يُعرف غير هذا، تلقيته من أهلها قاطبة، ورأيتُه كذا في مكاتيبهم الحديثة والقديمة جداً والمتوسطة، لا يختلفون في ذلك. وهو الصواب فأهل البلاد أعرف ببلادهم من بعيد الدار). ينظر: الطالع السعيد، ٥٥٦.
- (١) ينظر: البلدان للبيهقي، ١٧٢.
- (٢) ينظر: تاريخ الإسلام، ٦٤٤/٨.
- (٣) أسوان: آخر مدينة في مصر، وهي ثغر في مقابل النوبيين على غرب النيل. ينظر: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ١٧٩، معجم البلدان، ١/١٩١.
- (٤) قُوص: مدينة كبيرة عظيمة واسعة تعد قسبة صعيد مصر وأعظم مدائنه تقع شرقي النيل. ينظر: معجم البلدان، ٤١٣/٤، المواعظ والاعتبار، ٤٣٦/١.
- (٥) ينظر: معجم البلدان، ١/١٢٦، مرصد الاطلاع، ٤٥/١.
- (٦) جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي، يكنى: بأبي الفضل، كمال الدين رَحَلَهُ، مؤرخ، له علم بالأدب والفقه والفرائض، ولد في أدفو وتعلم بقوص والقاهرة، ولازم العلامة أنير الدين كثيراً، من مؤلفاته (الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد) ترجم به رجال عصره، و(البدر السافر وتحفة المسافر) ترجم به بعض رجال القرن السابع للهجرة، و(الإمتاع بأحكام السماع)، توفي سنة ٧٤٨هـ. ينظر: الوافي بالوفيات، ٧٨/١١، الأعلام، ١٢٢/٢.
- (٧) عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي، أبو محمد اللحيمي المرِّي -نسبة إلى مدينة المرِّيّة- الأندلسي، الحافظ النسابة المعروف بالرشايطي، له كتاب (اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار) وغيره، توفي شهيداً بالمرِّيّة سنة اثنتين وأربعين وخمسائة. ينظر: تذكرة الحفاظ، ١٣٠٧/٤، وفيات الأعيان، ١٠٦/٣.
- (٨) ينظر: الطالع السعيد، ٥٥٥.



المبحث الثاني

أسرته ونشأته

نشأ الإمام الأُدْفوي رَحِمَهُ اللهُ فِي مَدِينَتِهِ أَدْفُو، حَيْثُ بَدَأَ حَيَاتِهِ بِالِاشْتِغَالِ فِي تِجَارَةِ الْأَخْشَابِ، وَقَدْ كَانَ رَجُلًا مُوسِمًا بِالصَّلَاحِ مِنْذُ نَشَأَتِهِ^(١).

حَفِظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مِنْذُ نِعْمَةِ أَظْفَارِهِ كَعَادَةِ أَهْلِ ذَلِكَ الْعَصْرِ، وَقَدْ رَحَلَ إِلَى الْفِسْطَاطِ، حَيْثُ تَلَقَى الْعِلْمَ فِي جَامِعِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَجَامِعِ أَحْمَدَ بْنِ طَوْلُونَ، فَنَشَأَ نَشْأَةً عِلْمِيَّةً مُتَنَقِّلًا فِيهَا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَمَرَاكِزِ الْعِلْمِ آنَذَاكَ، فَسَمِعَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ، وَقَرَأَ عَلَى الْأَجْلَاءِ، وَبَرَعَ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ^(٢) بِمِلَازِمَةِ أَبِي جَعْفَرِ النَّحَّاسِ، حَيْثُ رَوَى عَنْهُ كِتَابَهُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى أَبِي غَانِمِ الْمُظْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ.

وَسَمِعَ الْحُرُوفَ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَامِعٍ، وَمِنْ سَعِيدِ بْنِ السَّكَنِ، قَالَ الذَّهَبِيُّ: (وَقَرَأَ الْقُرْآنَ بِرَوَايَةِ وَرَشٍ فَأَتَقْنَهَا، وَكَانَ سَيِّدَ أَهْلِ عَصْرِهِ بِمِصْرَ، وَكَانَتْ لَهُ حَلْقَةٌ كَبِيرَةٌ، أَخَذَ عَنْهُ طَائِفَةٌ)^(٣).

وَأَمَّا أَسْرَتُهُ فَكَانَتْ أَسْرَةً كَرِيمَةً، وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ الْمَعَاصِرِينَ^(٤) أَنَّ نَسَبَ الْإِمَامِ الْأُدْفَوِيِّ يَرْجِعُ إِلَى الْإِمَامِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ التَّمْحِيصِ وَالتَّدْقِيقِ -لَيْسَ هَذَا مَكَانَهُ-، فَالْمَصَادِرُ الْأَصِيلَةُ الَّتِي تَرَجَمَتْ لَهُ لَمْ تَطْلُعْنَا عَلَى شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِهَذَا سِوَى مَا جَاءَ مِنْ ذِكْرِ لَاسْمِ الْأُدْفَوِيِّ.

(١) ينظر: معجم الأدباء، ٢٥٧٠/٦، تاريخ الإسلام، ١٧٧/٢٧.

(٢) ينظر: معجم الأدباء، ٢٥٧١/٦، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ١٨٦/٣، معرفة القراء الكبار، ١٩٩.

(٣) تاريخ الإسلام، ٦٤٢/٨.

(٤) الدكتور محمد فتحي محمد في كتابه: النحوي المفسر الشيخ الأُدْفوي، ٩٠.

المبحث الثالث

شيوخه

كان أبو بكر الأُدْفوي رَحِمَهُ اللهُ إمامًا عالمًا من العلماء الأجلاء الذين اشتغلوا بالعلم، وبرعوا في علومه المختلفة، فقد كان إمامًا في التفسير والقراءات والنحو وغيرها، أخذ عن كبار العلماء، وأخذ عنه الكثير من أهل العلم، واستفاد منه خلق كثير، ولذلك فهو بحق سيد أهل عصره في مصره، وقد نُقل عن الإمام الدّاني قوله: (انفرد بالإمامة في دهره في قراءة نافع، ورواية ورش؛ مع سعة علمه، وبراعة فهمه، وصدق لهجته، وتمكنه من علم العربية، وبصره بالمعاني)^(١).

فهذا من الأدلة الواضحة البينة التي تدل على نشأته العلمية، وتعدد شيوخه الذين أخذ عنهم، مما كان له الأثر في نبوغه، وتعدد مواهبه، وقد لزم الإمام الأُدْفوي رَحِمَهُ اللهُ أبا جعفر النحاس وروى عنه كتبه، وأخذ القراءة عرضًا عن المظفر بن أحمد بن حمدان، وسمع الحروف من: أحمد بن إبراهيم بن جامع، وسعيد بن السكن وأخذ عنه الحديث وغيرهم^(٢).

ومن أهم شيوخه الذين أخذ عنهم:

١- أبو غانم المظفر بن أحمد بن حمدان المصري، مقرئ جليل، نحوي ضابط، من آثاره: كتاب في اختلاف السبعة^(٣)، أخذ القراءة عرضًا عن أحمد بن هلال، وسمع الحروف من موسى بن أحمد عن ابن مجاهد، روى القراءة عنه عرضًا أبو بكر مُحَمَّد بن علي الأُدْفوي، وأخذ عنه خلق كثير، توفي يوم الأحد بعد العصر لأربع بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة للهجرة^(٤).

(١) ينظر: معرفة القراء الكبار، ١٩٩، بغية الوعاة، ١٨٩/١.

(٢) ينظر: معرفة القراء الكبار، ١٩٨، الطالع السعيد، ٥٥٣، مسالك الأبصار، ٣٦٥/٥، إنباه الرواة، ١٨٦/٣، غاية النهاية، ١٩٨/٢، حسن المحاضرة، ٤٩٠/١، بغية الوعاة، ١٨٩/١، طبقات المفسرين للداوودي، ١٩٧/٢.

(٣) ينظر: غاية النهاية، ٢٠٨/١، معجم المؤلفين، ٢٩٧/١٢.

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام، ٩٦/٢٥، معرفة القراء الكبار، ١٦٢، غاية النهاية، ٣٠١/٢، بغية الوعاة، ٢٩٠/٢.

٢- أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحّاس، الإمام العلامة النحوي المصري، واسع العلم، غزير الرواية، كثير التأليف، رحل إلى الرّملة، وعاد منها إلى مصر. حدّث عن: محمد بن جعفر بن أعين، وأخذ عن أبي العباس المبرد، وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش، ونفطويه، وعن أبي إسحاق الزّجاج، اشتغل بالتصنيف في علوم القرآن والأدب، فزادت تصانيفه على خمسين مصنفاً منها: (إعراب القرآن)، و(معاني القرآن)، و(الناسخ والمنسوخ)، و(عمدة الكتاب)، و(القطع والائتناف)، و(شرح أبيات سيبويه)، و(شرح المعلقات التسع)، لزمه الأُدْفوي وروى عنه تصانيفه، توفي في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة للهجرة^(١).

٣- أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن جامع السكري، إمام حجة، سمع من مقدم بن داود الرعيني وأحمد بن محمد بن رشدين، وطائفة أخرى، وروى عنه: ابن منده، وعبد الرحمن بن النحاس، ومُحَمَّد بن علي الأُدْفوي، وآخرون، وحدّث بحرف نافع عن بكر بن سهل الدميّاطي، عن أبي الأزهر، عن ورش، عن نافع، توفي بمصر سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة للهجرة^(٢).

٤- أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السّكن، وُلد سنة أربع وتسعين ومائتين، أحد الحفاظ المشهورين وعلماء الرواية المصنفين، كثير الحديث، ذو رحلة واسعة جمع فيها بين الشام، والعراق، وقزوين، والرّي، وخراسان، وغير ذلك من البلاد، وفي شيوخه كثرة، وهو صاحب كتاب (الحروف في معرفة الصحابة ﷺ) وكتاب (السنن) وغيرهما من التصانيف، روى عنه جماعة من الحفاظ وغيرهم، منهم: أبو محمد ابن النحاس المصري

(١) ينظر: تاريخ ابن يونس المصري، ١٩/١، تاريخ بغداد، ٦٨/٢١، الإكمال في رفع الارتفاع عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ٢٨٦/٧، وفيات قوم من المصريين ونفر سواهم من سنة ٣٧٥هـ، ٣٧، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ٢١٧/١، معجم الأدباء، ٤٦٨/١، إنباه الرواة، ٣٤/١، تاريخ الإسلام، ٧١٣/٧، سير أعلام النبلاء، ٤٠١/١٥، وفيات الأعيان، ١٠٠/١، البلغة، ٨٢/١، طبقات المفسرين للدواودي، ٧٠/١.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام، ٥٢٩/٢٦، حسن المحاضرة، ٣٧٠/١، غاية النهاية، ٣٥/١، شذرات الذهب، ٢٦٩/٤.

و**مُحَمَّدُ بن علي الأُدْفوي** وغيرهم، توفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة للهجرة^(١).
 ٥- أبو عيسى العباس بن أحمد بن مطروح الأحمدي، إمام علامة أديب، من أهل مصر، روى
 وسمع أحمد بن محمد بن عثمان الرازي صاحب الفضل بن شاذان، روى عنه القراءة أبو
بكر مُحَمَّدُ بن علي الأُدْفوي، وعمر بن محمد بن عراك، توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث
 وخمسين وثلاثمائة للهجرة^(٢).

(١) ينظر: نزهة الناظر، ٧٣/١، تاريخ الإسلام، ٥٥/٨، تذكرة الحفاظ، ١٠٠/٣، العبر في تاريخ من غير، ٩٢/٢، سير
 أعلام النبلاء، ١٩٩/١٢، طبقات الحفاظ، ٣٧٩، طبقات المفسرين للداوودي، ١٩٧/٢.
 (٢) ينظر: معجم الأدباء، ١٤١٨/٤، الواقي بالوفيات، ٣٧٢/١٦.

المبحث الرابع

تلاميذه

لقد أدت المكانة العلمية التي تبوأها الإمام الأذفوي إلى تعدد تلاميذه وكثرتهم، قال القفطي: (وكان سيد أهل عصره في مصره وغير مصره، وقرأ عليه الأجلء، واعتماد على مجلسه الرؤساء والفضلاء)^(١)، وفيما يلي ذكر لأهم تلاميذه الذين أخذوا عنه:

١- أبو محمد عبد الكبير بن محمد بن غفير الجزري، مقررئ الأندلس، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن محمد بن أشته، وقرأ على أبي سعيد الأعرابي بمكة، وسمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ وأبي بكر الدينوري، وسمع بمصر من محمد بن علي الأذفوي، وأبي غانم المظفر بن أحمد، وأبي جعفر النحاس، قال الحافظ أبو عمرو: (تصدر للإقراء بقرطبة، وأقرأ بها في جامع الزهراء إلى أن توفي بها ليلة الاثنين في صفر سنة ستين وثلاثمائة للهجرة)^(٢).

٢- أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد النعمان، المقرئ، عني بالقرآن، قرأ على ابن بدهن، وعلى أبي أحمد السامري بمصر وجووده، وكان حسن الصوت، طيب النغمة، جميل الوجه، حسن الشارة. قدم الأندلس بعد الستين والثلاثمائة، وبرع في القراءات وأخذها عن الأذفوي، وكان الناس يقرؤون عليه، ولم يكن عنده شيء من الحديث، ولا كان له كتاب غير كتاب ابن مجاهد. توفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة^(٣).

٣- أبو بكر محمد بن يحيى بن وهب القرطبي، عني بالعربية واللغة وفنون الأدب، وكان علم النحو أغلب عليه، مع تجويد القرآن، سمع محمد بن معاوية القرشي وغيره، وبمكة من أبي عبد الله البلخي، وبمصر من أبي بكر الأذفوي، وانصرف إلى الأندلس فلزم الانقباض وحدث

(١) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ١٨٦/٣.

(٢) ينظر: تاريخ علماء الأندلس، ٣٣٩/١، تاريخ الإسلام، ٥٩٥/٨، غاية النهاية، ٤٠٠/١.

(٣) ينظر: تاريخ علماء الأندلس، ١١٥/٢، تاريخ الإسلام، ٤٥٨/٨، غاية النهاية، ١٣٢/٢.

بيسير، وكان ثقة حسن الخط والضبط. توفي في صفر سنة أربع وثمانين وثلاثمائة للهجرة^(١).
 ٤- أبو جعفر أحمد بن سهل بن محسن الأنصاري، يعرف بابن الحدّاد، ولد سنة ست
 وثلاثين وثلاثمائة، كان من أهل طليطلة بالأندلس، فرحل إلى المشرق فكان خير ضابط لقراءة
 نافع وله مصنف فيها. قال أبو عمرو الداني: (كان خيراً فاضلاً ضابطاً لحرف نافع، وله فيه
 تصنيف)^(٢)، وأخذ عن الأُدفوي^(٣)، وأبي الطيب بن غلبون وعبدالباقي بن الحسن. توفي سنة
 تسع وثمانين وثلاثمائة للهجرة في شهر رمضان^(٤).

٥- أبو حفص عمر بن مهران القروي، ضابط حاذق، روى القراءة عرضاً عن أبي أحمد
 السامري بن غزوان بن القاسم، وعن أبي بكر الأُدفوي، وأقرأ الناس زماناً، توفي بعد سنة
 تسعين وثلاثمائة للهجرة^(٥).

٦- أبو بكر محمد بن الحسن الطحان المصري، محقق حاذق ضابط مقرئ مجود، أخذ
 القراءة عرضاً عن غزوان بن القاسم، وأبي أحمد السّامري، وأبي بكر الأُدفوي، قرأ عليه محمد
 بن عبد الله بن الحسن الشيرازي، قال الداني: (كان حافظاً ضابطاً حسن الأخذ، جالسته في
 المسجد الجامع بمصر وغيره، وسمعت منه أحاديث، توفي بمصر بعد ثمان وتسعين وثلاثمائة
 للهجرة)^(٦).

٧- أبو علي الحسن بن سليمان بن المخير الأنطاكي، سكن مصر وتصدّر بها لإقراء
 القرآن، كان من أحفظ أهل عصره للقراءات والشواذ، ومع ذلك يحفظ تفسيراً كثيراً، ومعاني
 جمّة، وإعراباً، وعللاً، قرأ: علي أبي الفرج الشنبوذي، وأبي بكر مُجّد بن علي الأُدفوي، وقرأ
 عليه أبو العباس أحمد بن علي المقرئ، وأبو بكر محمد السّوسي، قال ابن حجر: (وكان من

(١) ينظر: تاريخ علماء الأندلس، ١٠٠/٢، تاريخ الإسلام، ٥٦٥/٨، بغية الوعاة، ٢٦٨/١.

(٢) ينظر: الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ٣٥٤/١.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام، ٦٤٤/٨.

(٤) ينظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ١٤، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ١٨٣، تاريخ الإسلام،

٦٤٤/٨، غاية النهاية، ٦٠/١، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ٣٥٤/١.

(٥) ينظر: غاية النهاية، ٥٩٨/١.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ١٢٧/٢.

بحور العلم إلا أنه كان يظهر الرّفص^(١)، قتله الحاكم العبيدي في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة للهجرة^(٢).

٨- أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبيدة الطليطلي^(٣)، ويُعرف بابن ميمون، كان من أهل العلم والفهم، راوية للحديث، حافظاً لرأي مالك، دقيق الذهن في جميع العلوم، محبوباً محموداً، مع الفضل والزهد والورع، وكان قد جمع من الكتب شيئاً كثيراً، وجلها بخطه، روى عن عبدالله بن محمد بن أمية، وعبدالله بن فتح بن معروف، وخلف بن القاسم، وأبي بكر الأُدفوي، وجماعة، روى عنه: الخولاني، وقاسم بن هلال، وأبو عمر الطلمنكي، والمنذر بن المنذر. توفي لثمان بقين من شعبان سنة أربعمائة للهجرة، وله سبع وأربعون سنة^(٤).

٩- أبو الربيع سليمان بن هشام بن كليب القرطي، المعروف بابن الغاز، مقرئ مجوّد، كان ذا ضبط وحفظ للحروف، حسن اللفظ بالقرآن، أخذ القراءات عن أبي الحسن الأنطاكي، ورحل فأخذ بمصر عن أبي بكر الأُدفوي، وأبي الطيب بن غلبون. قال أبو عمر بن الحذاء: (كان أحفظ من لقيت للقراءات، وأكثرهم ملازمة للإقراء، وكان أطيّب من لقيت صوتاً بالقرآن، قُتل مع سليمان بن الحكم الأموي في شوال سنة أربعمائة للهجرة)^(٥).

١٠- أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الباغاني، ولد سنة خمس وأربعين وثلاث مائة للهجرة، كان من أهل الحفظ والعلم والذكاء والفهم، وكان في حفظه آية من آيات الله تعالى، وكان بحرّاً من بحور العلم، لا نظير له في علم القرآن: قراءاته وإعرابه، وأحكامه، وناسخه

(١) ينظر: لسان الميزان، ٥٤/٣.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام، ٧٩٧/٨، ميزان الاعتدال، ٤٩٣/١، الوافي بالوفيات، ٢٣/١٢، غاية النهاية، ٢١٥/١، لسان الميزان، ٥٤/٣، طبقات المفسرين للداوودي، ١٣٧/١.

(٣) نسبة إلى مدينة طليطلة بالأندلس. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، ٣٩٣.

(٤) ينظر: الصلة، ٦، سير أعلام النبلاء، ٥٢٠/١٢، الوافي بالوفيات، ٨٢/٨، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ٧٣/٢، طبقات الحفاظ للسيوطي، ٤٢٢/١، شذرات الذهب، ١٥٩/٣.

(٥) ينظر: الصلة، ١٩٢، تاريخ الإسلام، ٨١٥/٨، غاية النهاية، ٣١٧/١.

ومنسوخه، وله كتاب حسن في أحكام القرآن، وهو على مذهب مالك^(١)، روى بمصر عن ابن غلبون، وأبي بكر الأُدْفوي وغيرهما توفي سنة إحدى وأربعمائة للهجرة^(٢).

١١- أبو الفضل محمد بن جعفر بن بديل الخزاعي، أخذ القراءة القرآنية عن الحسن بن سعيد المطوعي، وأبي علي بن حبش، وأبي بكر الأُدْفوي^(٣)، وغيرهم، وبعد أن اكتملت مواهبه تصدر لتعليم القرآن، وحروف القراءات، والتصنيف، واشتهر بالثقة، وحسن الأداء، وأقبل عليه الطلاب يأخذون عنه، له كتاب (المنتهى في الخمسة عشر)، وكتاب (تهذيب الأداء في السبع). توفي سنة ثمان وأربعمائة للهجرة^(٤).

١٢- أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي يزيد العتكي، الصّوّاف النسّابة، كان منقطع القرين في مروءته وعلمه، وكان فقيهاً مالكيّاً متكلماً نسّابة أديباً، ذا قوة في علم الاعتقاد، ويحقق في علم النسب. دخل الأندلس تاجرًا آخر الدولة العامرية وفارًا من مصر لشيء وقع له فيها مع أميرها، سمع القاضي أبا طاهر الذهلي، وأبا سعيد بن يونس الصديقي، والأُدْفوي وغيرهم، حدّث عنه أبو عمر الحذاء، وابن الحصار، توفي سنة عشرة وأربعمائة للهجرة^(٥).

١٣- أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أحمد الحذاء، العلامة المحدث القرطبي، قال ولده أبو عمر أحمد بن الحذاء: (كان لأبي علم بالحديث والفقّه والتعبير)^(٦)، روى عن أحمد بن ثابت التغلبي، وسمع من مُحمَّد بن علي الأُدْفوي، وعبد الرحمن بن عبد الله الجوهرري، صنف كتاب

(١) ينظر: طبقات المفسرين للداوودي، ١/٥٤.

(٢) ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ١٩٨/٧، الصلة، ٢٨، تاريخ الإسلام، ٢٥/٩، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ٧٤/١، طبقات المفسرين للداوودي، ١/٥٣.

(٣) ينظر: غاية النهاية، ١٩٨/٢.

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام، ١٣٤/٩، معرفة القراء الكبار، ٣٨٠، غاية النهاية، ١٠٩/٢، شذرات الذهب، ٥١/٥.

(٥) ينظر: ترتيب المدارك، ٩١/٧، الصلة، ٣٣٧، تاريخ الإسلام، ١٥١/٩.

(٦) ينظر: تاريخ الإسلام، ٢٧٥/٩.

(الإنباه عن أسماء الله)، وكتاب (الرؤيا) وكتاب (سير الخطباء)^(١). توفي في رمضان سنة ست عشرة وأربعمائة للهجرة^(٢).

١٤- أبو القاسم عبد الجبار بن أحمد بن عمر الطرسوسي، يُعرف بالطويل، نزل مصر وكان شيخها، تصدر الإقراء في وقته بمصر، قرأ على أبي عدي عبد العزيز بن الفرّج، وأبي بكر الأُدْفوي، وقرأ عليه أبو الطاهر إسماعيل بن خلف مصنف، وله كتاب (المجتبى في القراءات)^(٣)، توفي في غرة ربيع الآخر، سنة عشرين وأربعمائة للهجرة^(٤).

١٥- أبو سعيد خلف مولى جعفر الفتي، مولى بني أمية الأندلسي، كان من أهل القرآن والعلم، نبيلاً من أهل الفهم، مائلاً إلى الزهد، حجّ وسمع من أبي بكر الأُدْفوي، وأبي القاسم الجوهري، وآخرين، روى عنه أبو عبد الله بن عتاب وقال: كان خيرًا فاضلاً منقبضاً عن الناس، توفي سنة خمس وعشرين وأربعمائة للهجرة^(٥).

١٦- أبو الحسن علي بن إبراهيم بن أحمد بن حمويه، كان من أهل الثقة والفضل والسُّنة، وُلد بمصر سنة سبع وأربعين وثلاث مائة، وأجاز له الفقيه أبو إسحاق بن شعبان وهو ابن خمسة أعوام، وحج مع والده، ودخل إلى بغداد فلقي علماءها، ودخل إلى البصرة، سمع الحسن بن رشيق، وأبا الطاهر الذهلي، وأبا يعقوب النجيري، وأبا بكر مُحَمَّد بن علي الأُدْفوي، توفي بعد سنة ستة وعشرين وأربعمائة للهجرة^(٦).

١٧- أبو عبد الله عبد العزيز بن علي الشهرزُوري المالكي، قدم الأندلس في آخر عمره، وكان شيخًا جليلاً، أخذًا من كل علم بأوفر نصيب، وكانت علوم القرآن، وتعبير الرؤيا أغلب عليه، روى عن أبي زيد المروزي، وأبي بكر الأُبْهري، والحسن بن رشيق، وابن الورد، وأبي بكر

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء، ١٧/٤٤٤.

(٢) ينظر: الصلة، ١٦٢، بغية الملتمس، ١٤٦/١، تاريخ الإسلام، ٢٧٥/٩، الوافي بالوفيات، ١٢٩/٥.

(٣) ينظر: معجم المؤلفين، ٧٩/٥.

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام، ٩/٣١٩، معرفة القراء الكبار، ٢١٣، غاية النهاية، ٣٥٧/١.

(٥) ينظر: الصلة، ١٦٤، بغية الملتمس، ٢٨٤، تاريخ الإسلام، ٤٦١/٩.

(٦) ينظر: الصلة، ٤٠٨، تاريخ الإسلام، ٤٨٧/٩، الوافي بالوفيات، ٢٠/٩.

الأدفوي، وأبي أحمد السّامري، وركب البحر منصرفاً إلى المشرق، فقتلته الروم في البحر في سنة سبع وعشرين وأربعمائة للهجرة، وقد قارب المائة سنة^(١).

١٨- أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن علي الأدفوي، كان من كبار العلماء الصالحين المحدثين، حدّث عن أبيه وعن غيره، وروى عنه أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي وأبو الحسن الخلعي وغيرهما، كان كثير العلم، له حلقة بجامع مصر. يحضرها سادات العلماء، وكان أكثر لباسه الصوف، تُوفي في ذي القعدة سنة سبع وعشرين وأربعمائة^(٢).

١٩- أبو عثمان سعيد بن إدريس الشلمي الإشبيلي، كان حسن الحفظ، مجوّداً، فصيحاً، طيب الصوت، رحل وحجّ، ولقي بمصر أبا الطيب بن غلبون، وكانت عنده حظوة ومنزلة، وسمع تصانيفه، ولقي أبا بكر الأدفوي، وأخذ عنه، وسمع من عبد العزيز بن عبد الله الشعيري كتاب (الوقف والابتداء) بسماعه من ابن الأنباري، ورجع إلى الأندلس، وقد برع في علم القراءات، توفي في ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة للهجرة^(٣).

٢٠- أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي، أصله من طلمنكة^(٤)، ولد سنة أربعين وثلاثمائة^(٥)، وكان خبيراً فاضلاً، ضابطاً لما روى، سمع من ابن مفرج، وابن عون الله، وأبي محمد القلعي، وأبي الطيب بن غلبون والأدفوي، وغيرهم. ألّف توالييف نافعة كثيرة، كباراً، ومختصرة، ككتاب (الدليل إلى معرفة الجليل)، وكتاب (البيان في إعراب القرآن)، وكتاب (الوصول إلى معرفة الأصول) وغيرها، تُوفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة للهجرة وقد قارب التسعين^(٦).

(١) ينظر: ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، ١٧٩، الصلة، ٣٥٧، تاريخ الإسلام، ٤٢٥/٩، طبقات المفسرين للداوودي، ٣٢٩/١.

(٢) ينظر: مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، ٢٧٥/١، الطالع السعيد، ٢٩٣.

(٣) ينظر: الصلة، ٢١٥، بغية الملتمس، ١/٣٠٧، غاية النهاية، ٣٠٤/١، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ٤/٩٩١.

(٤) طلمنكة: مدينة بئغر الأندلس. ينظر: معجم البلدان، ٣٩/٤.

(٥) ينظر: تاريخ الإسلام، ٩٥٩/٩، غاية النهاية، ٢٠١/١، طبقات المفسرين للسيوطي، ٣٠/١.

(٦) ينظر: إنباه الرواة، ٩٠٧/٢، تاريخ الإسلام، ٩٥٩/٩، معرفة القراء الكبار، ٢١٥، غاية النهاية، ١/١٢٠.

٢١- أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الهروي القَرَاب، الإمام الجليل محدث هراة، له مصنفات كثيرة، طلب الحديث وأكثر، وشيوخه تزيد على ألف ومائتي شيخ، منهم أبو بكر الأُدفوي^(١)، وله (تاريخ السنين) الذي صنفه في وفيات أهل العلم و(نسيم المهج) و(الأنس والسلوة)، توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة للهجرة^(٢).

٢٢- أبو الفتح نضر بن شعيب الدِّمياطي، قدم الأندلس تاجرًا سنة تسع وعشرين وأربع مائة، وكانت له رواية واسعة عن جلة الشيوخ من المصريين، والحجازيين، والشاميين، روى عن أبي بكر الأُدفوي كثيرًا من روايته، وكان مجوّدًا للقرآن، قويًا في علم العربية، توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة للهجرة^(٣).

٢٣- أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي، فاضل عالم بالنحو والتفسير، أخذ عن أبي بكر الأُدفوي، وكان نحويًا قارئًا، وأخذ عنه خلق من المصريين، وصنف في النحو مصنفًا كبيرًا عُني به النحويون، وله تفسير سماه (البرهان في تفسير القرآن)، و(الموضح في النحو)^(٤) وكتب أخرى، توفي بذي الحجة سنة ثلاثين وأربعمائة للهجرة^(٥).

٢٤- أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن عبد الرحمن الأجدابي المشهور في فقهاء القيروان، من أصحاب أبي محمد بن أبي زيد، كان واسع الرواية. سمع من أحمد بن أبي يعلى الحمادي، وأبي بكر الأُدفوي، وأبي زرعة الجرجاني، وسمع منه أبو محمد عبد الحق، وآخرون، وألف (مناقب ربيع القطان)، توفي يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة للهجرة^(٦).

٢٥- أبو البركات محمد بن عبد الواحد الزبيري المكي، مولده بمكة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، دخل العراق والشام ومصر والأندلس، روى عن أبي زيد المروزي، وأبي بكر الأُبهرى،

(١) الطالع السعيد، ٥٥٦.

(٢) ينظر: شذرات الذهب، ١٩٧/٥، الوابي بالوفيات، ٢٥٩/٨، معجم المؤلفين، ٢٢٨.

(٣) ينظر: الصلة، ٦٠٤، تاريخ الإسلام، ٩٩٩.

(٤) ينظر: إنباه الرواة، ٢٢٠/٢.

(٥) ينظر: إنباه الرواة، ١٩/٢، طبقات المفسرين للسيوطي، ٨٣/١، طبقات المفسرين للدودوي، ٢٨٨/١.

(٦) ينظر: ترتيب المدارك، ٩٢١/٩، تذكرة الحفاظ، ٢٩/١، سير أعلام النبلاء، ٥٤٩/٧.

والدارقطني، وابن غلبون، وأبي بكر مُحَمَّد الأُدْفُوي^(١)، وحدث عنه ابن خزرج وقال: (كان ثقة متحرِّبًا فيما ينقله) توفي سنة أربع وثلاثين وأربعمائة للهجرة^(٢).

٢٦- أبو محمد مكِّي بن أبي طالب القيسي النحوي اللغوي المقرئ، كان متبحِّرًا في علوم القرآن، والعربية، حسن الفهم، والخلق، قرأ القراءات على ابن غلبون، وابنه طاهر، وسمع من مُحَمَّد بن علي الأُدْفُوي ويعتبر من أهم شيوخه، ونقل عنه، وله كثير من التأليف في علوم القرآن منها: (الهداية إلى بلوغ النهاية) في التفسير، و(البيان عن وجوه القراءات السبع)، و(منتخب الحجة في القراءات)، وكتاب (الاختلاف)، وكتاب (التذكرة في اختلاف القراء)، وغيرها كثير^(٣)، توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة للهجرة^(٤).

٢٧- أبو القاسم خلف بن مروان القرطبي الورّاق، كان من أهل الذكاء والحفظ للأخبار مع حظ صالح من الفقه، طلب العلم قديمًا بقربطبة، وأدرك ابن عون الله، والزبيدي، والأصيلي، وخلف بن قاسم واستكثر عنه، وحج قديمًا مع أبي الوليد بن الفرضي جاره فاشتركا في السماع على جلة من الشيوخ بالمشرق منهم: الأُدْفُوي والسّامري، وابن غلبون، توفي سنة أربعين وأربعمائة للهجرة^(٥).

٢٨- أبو القاسم سلمة بن أمية بن وديع التّجّيبّي، ولد سنة خمس وستين وثلاث مائة للهجرة، وكان ثقة فاضلاً، رحل إلى المشرق، وأخذ عن أبي محمد بن أبي زيد، وأبي الطيب بن غلبون، والأُدْفُوي، وأبي أحمد السّامري، وغيرهم، وأسرّته الروم حال رجوعه، ثم أنقذه الله، توفي في صفر سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة للهجرة^(٦).

٢٩- أبو الوليد عُتْبة بن عبد الملك بن عاصم الأندلسي، كان من أعيان القراء المشاهير، سمع من والده، وسافر إلى مصر وقرأ على أبي بكر الأُدْفُوي، وقرأ على أبي أحمد عبد الله بن

(١) ينظر: فهرسة ابن خير الإشبيلي، ٦٦.

(٢) ينظر: جذوة المقتبس، ٧٠، تاريخ دمشق، ١٥٩/٥٩، بغية الملتبس، ١٠٩.

(٣) ينظر: معجم الأدباء، ٢٧١٣/٩.

(٤) ينظر: إنباه الرواة، ٢/٣١٣، بغية الوعاة، ٢/٢٩٨، طبقات المفسرين للداوودي، ٣٣١/٢، غاية النهاية، ٢٠٩/٢.

(٥) ينظر: الصلة، ١٧٦، تاريخ الإسلام، ٥٤٤/١٠، غاية النهاية، ٢٧٢/١.

(٦) ينظر: الصلة، ٢٢٠، تاريخ الإسلام، ٩٣٩/٩، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ٩/٥.

الحسين بن حسنون البغدادي وغيره، وقدم بغداد وأقرأ بها الناس القرآن، وحدث بها عن والده وغيره، واستوطنها إلى أن توفي سنة خمس وأربعين وأربعمائة للهجرة^(١).

٣٠- أبو جعفر أحمد بن سليمان الكناني الأندلسي، يعرف بابن أبي الربيع، من أهل طنجة، سكن الأندلس وله رحلة إلى المشرق، وأخذ القراءة عن أبي أحمد السامري، وأبي بكر الأُدْفوي، وابن غلبون، وأقرأ الناس، وعُمِّرَ عمرًا طويلاً إلى أن قارب التسعين، توفي سنة ست وأربعين وأربعمائة للهجرة^(٢).

٣١- أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن سعيد القرطبي، المقرئ، مسند أهل الأندلس في زمانه، كان من أهل العلم بالقراءات، حافظاً للخلاف، مجوّداً للأداء، بصيراً بالنحو، مع الخير والحال الحسن، من شيوخه أبو أحمد السامري، وأبو بكر الأُدْفوي، وابن غلبون وغيرهم، وأقرأ الناس دهرًا بقرطبة، وقراً عليه أبو الحسين يحيى بن إبراهيم البياز، له كتاب (المقاصد)^(٣)، توفي فجأة في الحرم، سنة ست وأربعين وأربعمائة للهجرة^(٤).

٣٢- أبو القاسم أحمد بن محمد بن علي الأُدْفوي^(٥)، روى رواية ورش عن أبيه أبي بكر، رواها عنه عرضاً أحمد بن علي بن هاشم، وإسماعيل بن عمرو بن راشد الحدّاد. ولم تذكر المصادر سنة وفاته.

وتجدر الإشارة هاهنا إلى أن بعض المؤرخين قد وهم فنسب بعض القراء إلى تلاميذ الأُدْفوي، وهم ليسوا منهم ومن ذلك:

١- عبد الكريم بن الحسن بن المحسن بن الفضل بن المسلم بن المؤمل بن سوار المقرئ النحوي التّككيّ المصري -بِكَافَيْنِ-: مقرئ فاضل من فضلاء القراء، جاء في كتاب مرشد الزوار^(١): أنّ التّككيّ يُعدّ من تلاميذ الإمام الأُدْفوي الذين أخذوا عنه، وهذا وهم

(١) ينظر: جذوة المقتبس، ٣٢٢/١، بغية الملتبس، ٩٣٥/١، الوافي بالوفيات، ٢٩٠/١٩، غاية النهاية، ٤٩٩/١.

(٢) ينظر: الصلة، ٨٨، تاريخ الإسلام، ٥٩٨/٩، معرفة القراء الكبار، ٢٢٢، غاية النهاية، ٥٨/١.

(٣) ينظر: معجم المؤلفين، ١٣٤/٥.

(٤) ينظر: الصلة، ١٠٥، معرفة القراء الكبار، ٢٢٨، غاية النهاية، ٣٩٧/١، معجم المؤلفين، ١٣٩/٥.

(٥) ينظر: غاية النهاية، ١٢٤/١، طبقات المفسرين للداودي، ١٩٨/٢.

(١) ينظر: مرشد الزوار، ٢٧١/١.

لأنّ بينهما علي بن الحسن، وعلي الحوفي، كما أنه -التككي- وُلد بعد وفاة الأُدفوي بسنوات عديدة، وقال جمال الدين القفطي: (سئل عن مولده في سنة سبع عشرة وخمسمائة، فقال: لي ستون سنة)^(١)، توفي سنة ٥٥٢هـ^(٢).

٢- أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبّال: ذكر الإشبيلي أنه قد سمع كتاب النحاس (الوقف والابتداء) من أبي بكر الأُدفوي^(٣)، وهذا غير صحيح؛ لأنّ أبا إسحاق الحبّال وُلد سنة ٣٩١هـ أي بعد وفاة الأُدفوي، فيكون بينهما راوٍ ساقط^(٤).

(١) ينظر: إنباه الرواة، ١٩١/٢.

(٢) ينظر: إنباه الرواة، ١٩١/٢، طبقات المفسرين للداوودي، ٣٣٨/١، معرفة القراء، ٢٩٧.

(٣) ينظر: فهرسة ابن خير، ٤٢.

(٤) وقد قرر هذا الباحث عبد الله كحيلان في رسالته الأُدفوي مفسراً، ٥٨.

المبحث الخامس

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

إنّ مما لا ريب فيه أنه لا توجد في الإسلام منزلة -بعد منزلة الأنبياء- أشرف قدرًا، وأعلى مكانًا، وأعظم أجرًا عند الله، من منزلة العلماء، الذين حملوا على عواتقهم همّ الدعوة إلى الله تعالى، وتوجيه خلقه إليه، وتزكيتهم وتعليمهم وتربيتهم على الحق حتى يفهموه ويقبلوه، فاستحقوا بذلك المكانة العالية في الإسلام.

وقد كان من جملة هؤلاء العلماء الأفاضل الإمام أبو بكر الأُدْفوي رَحِمَهُ اللهُ، حيث شهدت الفترة التي عاش فيها ازدهارًا كبيرًا للعلوم في أرض الكنانة، فقد دبّت فيها روح النشاط العلمي، ووفد إليها العلماء الأجلاء، وأصبحت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وما بعده، معقل أهل العلم، وبستان الحكمة والمعرفة، وأضحت متهيئةً لتعطي ثمارها المباركة بعد أن ظهر فيها العلماء، وكثر فيها أهل الفضل والعرفان، حتى أنها أصبحت تُنافس بغداد، عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك.

وهذا مما شجّع الإمام الأُدْفوي رَحِمَهُ اللهُ على ولوج هذا الباب العظيم، والنهل من معينه الصافي، فانطلق في ميدان العلم، باحثًا عن الشيوخ والعلماء فتعددت سفرياته إلى الفسطاط حيث تلقى علمه في جامع عمرو بن العاص، ثم جامع أحمد بن طولون ملتقى العلماء المغاربة، وبعدها تردد على مشايخ العلم لينهل من مواردهم بالقاهرة^(١)، حتى تقلد رَحِمَهُ اللهُ مكانة رفيعة بين علماء عصره، وكانت له الدرجة الرفيعة حيث جمع كثيرًا من العلوم، وتبحّر فيها كال تفسير والقراءات والنحو وغيرها.

واستمر رَحِمَهُ اللهُ في مشوار العلم حتى صار عالمًا يُشار إليه بالبنان، وعالمًا تُضرب إليه أكباد الإبل، بما اشتهر به من الضبط والثقة وحسن الإتقان ووزارة العلوم، ويتضح ذلك من

(١) ينظر: النحوي المفسر، ٩٢.

معرفة علوم القرآن، واستنباطه لدقائق مسائله، ونقله لأقوال أهل العلم في تفسيره، إلى غير ذلك^(١).

ومما يدل أيضًا على غزارة علمه: ما ذكره الداني، حيث قال: (أخذت عن عثمان بن سعيد بن حسان المقرئ، قال: سألت رجلًا أبا بكر عن مسألة في القرآن، في إعرابها ومعناها، فأجابته بوجه فسره، ثم قال: أتحبُّ وجهًا آخر؟ فقال: نعم، فأجابته بوجه فسرده، ثم قال: أتحبُّ وجهًا آخر؟ فقال: نعم، فأجابته، حتى ذكر له عشرة أوجه، فقام الرجل فقبل رأسه وأنشده شعرًا^(٢)).

وقد تصدَّى رَحْمَتُهُ لتدريس علوم القراءات والنحو والتفسير، وكانت له حِلْقٌ كبيرة، وأخذ عنه طائفة من أهل العلم والفضل^(٣)، وانتفع بعلمه أهل زمانه من مصر وغيرها^(٤)، كما أنه لم يشغله الجلوس للتدريس وتعليم الناس عن الكتابة في شتى العلوم، فقد ترك رَحْمَتُهُ كَمَا غزيرًا وعلمًا عظيمًا.

والبرهان على ما تركه من إرث عظيم في العلم هو ما يتضح من خلال مصنفاته التي سطرها، ولعل من أعظمها كتابه (الاستغناء في علوم القرآن) الذي مكث في تأليفه اثني عشرة سنة^(٥)، وهو يقع في (١٢٠) مجلدًا^(٦).

ثناء العلماء عليه:

أثنى عليه جُلَّة من العلماء منهم جمال الدين القفطي فقال: (كان سيد أهل عصره في مصره وغير مصره، وقرأ عليه الأجلء، واعتاد على مجلسه الرؤساء والفضلاء)^(٧).

(١) كما سيتضح ذلك من خلال الجزء المحقق في هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الطالع السعيد، ٥٥.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام، ٩٩٢/٨.

(٤) وهذا يتضح جليًا من خلال تراجم تلاميذه.

(٥) ينظر: معرفة القراء، ١٩٩.

(٦) ينظر: إنباه الرواة، ١٨٩/٣، معرفة القراء، ١٩٩، طبقات المفسرين للسيوطي، ١١٢/١.

(٧) إنباه الرواة، ١٨٩/١.

وَنُقِلَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الدائِي قَوْلَهُ: (انفرد أبو بكر بالإمامة في وقته، في قراءة نافع مع سعة علمه، وبراعة فهمه، وصدق لهجته، وتمكنه من علم العربية، وبصره بالمعاني)^(١).
 وقال الذهبي: (وقرأ القرآن برواية ورش فأتقنها، وكان سيد أهل عصره بمصر، وكانت له حلقة كبيرة، أخذ عنه طائفة)^(٢).

(١) ينظر: معرفة القراء الكبار، ١٩٩، بغية الوعاة، ١/١٨٩.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام، ٨/٩٩٢.

المبحث السادس

عقيدته ومذهبه

أولاً: عقيدته:

كان الإمام الأُدْفوي رَحِمَهُ اللهُ حريصاً على العقيدة السليمة، والدعوة إلى الكتاب والسنة، ملتزماً بعقيدة أهل السنة والجماعة، يدل على ذلك أنّ كل من ترجم له من العلماء - وإن لم يتطرقوا إلى عقيدته صراحة - لم يذكروه ببدعة أو ضلالة، بل كانوا يصفونه بأوصاف طيبة مباركة، فذكروا أنه كان من أهل الدين والصلاح والأدب والعلم^(١).

فثناء العلماء هذا خير شاهد على أنه لم يكن صاحب بدعة أو مذهب ضال، كما أنّ مشايخ الإمام الأُدْفوي الذين أخذ عنهم لم يؤثر عن أحدهم أنه ضلّ في مسألة من مسائل العقيدة، وهذا له دوره البارز في سلامة منهجه، لأن الإنسان ابن بيئته، وتأثر التلميذ بأستاذه أمر واضح مشهود بين التلاميذ والشيوخ، كما أنه قد أخذ عنه جُلّة من العلماء الذين أثار عنهم سلامة المعتقد، كمكي بن أبي طالب وغيره.

ومن خلال دراستي -للجزء الذي حققته- لم أقف فيه على قول خالف فيه مذهب أهل السنة سواء في العقيدة أو في الأسماء والصفات، بل كان يستدل بكلام السلف ويُقعد قواعدهم في ذلك، دلالة على صفاء عقيدته رَحِمَهُ اللهُ، وأيضاً من خلال اطلاعي على بعض الرسائل التي نوقشت في كتابه لم يذكر المحققون أنهم وجدوا شيئاً من المخالفات لمذهب أهل السنة. وهذه من المميزات الجليلة التي تميز بها هذا الكتاب.

ثانياً: مذهبه :

من خلال الاطلاع على كتب التراجم، والوقوف على من ترجم للإمام الأُدْفوي رَحِمَهُ اللهُ لم أجد من تحدّث عن مذهبه الفقهي، إنما ذكروا عنه أنه مقرئ ومفسر ونحوي، فبحثت في كتب طبقات الفقهاء فلم أجد ذلك، وبالرجوع لتراجم شيوخه لم أقف على من ذكر مذهبهم في

(١) ينظر: معجم الأدباء، ٢٥٧١/٩، إنباه الرواة، ١٨٩/٣، بغية الوعاة، ١٨٩/١.

الفقه أيضاً، وكذا تلامذته إلا اثنين هما: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الباغاني المالكي وعبد الله عبد العزيز بن علي الشهرزوري المالكي، وعند الرجوع إلى كتابه تبين من خلال المطالعة في صفحات الكتاب أنّ الناسخ للمخطوط كتب في آخر تفسير سورة المائدة ما نصّه: (تمّ تفسير سورة المائدة من كتاب الاستغناء في علوم القرآن للأدفيوي المالكي رحمه الله)^(١) وقرره الباحث عبد الله كحيلان في رسالته^(٢).

وورد أنه شافعي، كما قال المؤلف عمر كحالة في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون فقال: (الإقناع في أحكام السماع لأبي بكر: محمد الأدفيوي، الشافعي، المتوفى: سنة ٣٨٨)^(٣)، ومنهج الأدفيوي عند ورود المسائل الفقهية لا يرجح أو يبين مذهبه فيها، بل يذكر القول وقائله مكتفياً بذلك.

والذي يظهر لي - والله أعلم - أنه مالكي المذهب للقارئ التالية:

- ١ - أن اثنين من تلامذته - صرّح المترجمون أنهما - على المذهب المالكي.
- ٢ - نسبته للمذهب المالكي في المخطوط من قبل الناسخ ولا بد له من معلومة اعتمد عليها في ذلك.
- ٣ - نسبة المؤلف عمر كحالة كتاب (الإقناع في أحكام السماع) إلى أبي بكر الأدفيوي الشافعي خطأ - كما سيأتي^(٤) -، وإنما هو لأبي الفضل جعفر بن ثعلب الأدفيوي الشافعي^(٥)، فخلط بينهما في نقل اسم المؤلف ومذهبه.
- ٤ - بمراجعة كتب طبقات الشافعية ذكر في عدد من المواطن: كمال الدين جعفر بن ثعلب بن جعفر بن علي بن المطهر بن نَوْفَل الأدفيوي^(٦)، ولم يذكر الإمام محمد بن علي الأدفيوي حتى تصح نسبته إلى الشافعية.

(١) ينظر: الأصل، المجلد ٣/اللوحة ٣٧٩/أ، سورة المائدة.

(٢) ينظر: الأدفيوي مفسراً، ١/٦٦.

(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ١/٨١.

(٤) الصفحة (٨٢) من هذه الرسالة.

(٥) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، ٩/٤٠٧.

(٦) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، ٩/٤٠٧.

المبحث السابع

مصنفاته

كانت حياة الإمام أبي بكر الأُدْفوي رَحِمَهُ اللهُ حافلةً بالنشاط العلمي، فقد طَوَّفَ في بساتين العلم بين تعلم وتعليم وتصنيف، فصنف - كما ذكر العلماء - مؤلفات عديدة رصينة، زاخرة بالعلم الشرعي، قيِّمةً في بابها، تطرَّقَ فيها إلى جوانب من العلوم الشرعية، ما بين تفسير، وقرآيات، ولغة، ونحو، وغيرها.

ولو نظرنا إلى كتابات من ترجم له من العلماء، لوجدناها لا تكاد تخلو من ذكر كتاب هو أعظم كتب الإمام الأُدْفوي رَحِمَهُ اللهُ ألا وهو (الاستغناء في علوم القرآن).

قال ياقوت الحموي: (وصنَّفَ في التفسير كتبًا مفيدة، منها: كتابه (الاستغناء) وهو أكبر كتاب صنَّفَ في التفسير، جمع فيه من العلوم ما لم يجتمع بغيره)^(١).

وقال الكمال الأُدْفوي: (وله تصانيف في التفسير والقراءة واللغة والنحو وغير ذلك، وقد وقفت أنا على كتابه المسمَّى بالاستغناء في التفسير، في مجلدات كثيرة، رأيت منه عشرين مجلدًا، ويقال إنه في مائة أو ما يقاربها)^(٢).

وله -أيضًا- مصنفات أخرى، وإن كانت لم تحظ -في كتب التراجم- بما حظي به كتاب الاستغناء، فلو طالعنا كلام العلماء لوجدناهم قد أشاروا إلى هذه الكتب في ثنايا حديثهم عن الإمام الأُدْفوي.

قال الفيروزآبادي: (صنَّفَ كتبًا مفيدة)^(٣)، وقال الكمال الأُدْفوي: (وله تصانيف في التفسير والقراءة واللغة والنحو وغير ذلك ووقفْتُ على مجلدة كبيرة في النحو)^(٤).

(١) معجم الأدباء، ٢/٢٥٧١.

(٢) الطالع السعيد، ٥٥٤.

(٣) ينظر: البلغة، ٢٧٧.

(٤) ينظر: الطالع السعيد، ٥٥٤.

وقال الباباني صاحب هدية العارفين: (من تصانيفه الاستغناء في تفسير القرآن في عشرين مجلداً، والإقناع في أحكام السماع)^(١).

وعلى كلٍ فقد ورد ذكر كتب أخرى للإمام الأذفوي، ككتاب (أدب القارئ والمقارئ والعالم والمتعلم)، و(رواية ورش)، و(القراءات)، و(الإقناع)، و(الإمالة) وغيرها، وفيما يلي بيان هذه المؤلفات، وأماكن ورودها، فيما أمكن الحصول عليه في كتب التراجم، وفهارس الكتب والشيوخ:

أولاً/ كتاب (الاستغناء في علوم القرآن):

هذا الكتاب يُعدُّ علياً بين كتب الإمام الأذفوي ومنازة لها، فقد سارت به كتب التراجم، ولوّحت به في الآفاق، وقد وسمه أهل العلم بأنه أكبر كتاب صُنّف في التفسير، فقد جمع فيه من العلوم ما لم يجتمع بغيره كما قال ياقوت الحموي^(٢).

وهذا الكتاب هو موضوع الرسالة، وسيأتي بيانه مفصّلاً في الفصل الثالث.

ثانياً/ كتاب (القراءات):

وهذا الكتاب ذكره ابن حجر في ثانيا حديثه عن الكتب المتعلقة بعلوم القرآن فقال: (كتاب القراءات وغيرها من تصانيف الإمام أبي بكر محمد بن علي الأذفوي المصري، أخبرنا به الشيخ أبو إسحاق التنوخي مشافهةً عن أحمد بن أبي طالب عن جعفر بن علي عن أبي القاسم ابن بشكوال وأبي طاهر السلفي - كلاهما - عن عبد الرحمن بن محمد بن عتاب عن مكّي بن أبي طالب عن الأذفوي بها^(٣))، وقد ذكر الإمام الذهبي هذا الكتاب عند ترجمته لعيسى الشريشي. فقال: (... فذكر أنه قرأ أربعة وثلاثين كتاباً... - وذكر منها - الهداية للمهدوي والقراءات للأذفوي)^(٤).

(١) ينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ٥٦/٢.

(٢) ينظر: معجم الأدباء، ٢٥٧١/٢، وما قاله ياقوت لا يُسَلَّم به.

(٣) ينظر: تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، ٣٨٨.

(٤) ينظر: معرفة القراء، ٣٣٣.

ثالثاً/ أدب القارئ والمقريء والعالم والمتعلم:

قال ابن خير الاشبيلي: (كتاب أدب القارئ والمقريء، تأليف: أبي بكر محمد بن علي بن أحمد الأذفوي المقريء رَحِمَهُ اللهُ، حدثني به شيخنا أبو الحسن شريح بن محمد عن أبيه عن أبي البركات محمد بن عبد الواحد الزبيدي البغدادي عن أبي بكر الأذفوي)^(١).
فذكر عنوان الكتاب هنا مختصراً، بينما ذكره في موضع آخر كاملاً (آداب القارئ والمقريء والعالم والمتعلم)^(٢).

وقد أثنى شمس الدين القيسي الوادي آشي الأندلسي على كتاب الأذفوي هذا فقال:
(وكفى من كتب المقرئين بما للإمام الحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، ولأبي بكر محمد بن علي الأذفوي المصري في تأليفه في أدب القراء والمقرئين)^(٣).

رابعاً/ كتاب رواية ورش:

هذا الكتاب ذكره الإمام ابن الجزري عند ترجمته لأحمد بن هلال فقال: (... والصواب الأذفوي عن المظفر بن أحمد عن ابن هلال كما ذكره الأذفوي في كتابه رواية ورش)^(٤).
ومما ينبغي الإشارة إليه أنّ الإمام الأذفوي رَحِمَهُ اللهُ كان متقناً لرواية ورش، ولعل هذا مما دفعه إلى تأليف كتابه هذا.

خامساً/ كتاب الإمامة:

وهذا الكتاب وإن لم يُصرِّح به أحد من العلماء في كتب التراجم، وفهارس الكتب والمكتبات إلا أنني وجدت أن بعض العلماء عندما ذكروا كُتُبَ مكّي بن أبي طالب -تلميذ الأذفوي- صرح بذكر هذا الكتاب، فقال الحموي: (الانتصاف في الرد على أبي بكر الأذفوي فيما زعم من تغليظه في كتاب الإمامة)^(٥) وقال حاجي خليفة: (الانتصاف،

(١) ينظر: فهرسة ابن خير، ٦٦.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ٢٦٩.

(٣) ينظر: برنامج الوادي آشي، ١٧٧.

(٤) ينظر: غاية النهاية، ٧٥/١.

(٥) ينظر: معجم الأدباء، ٦/٢٧١٤.

فيمن رد على أبي بكر الأدفوي، في كتاب الإمامة^(١)، وقال الباباني: (الانتصاف فيما رد على أبي بكر الأدفوي في كتاب الإمامة)^(٢)، وقد ذكره القفطي عند ذكره لكتب ومصنفات مكّي بن أبي طالب فقال: (كتاب الانتصاف فيما ردّه على أبي بكر الأدفوي وزعم أنه غلط فيه في كتاب الإبانة)، فلم يقل: (الإمالة)، وقال: (الإبانة)^(٣)، فاحتمال وارد أن يكون تصحيف من الناسخ، لأن من قبله صرحوا بنفس العبارة أنه (الإمالة)، فكلام العلماء دليل واضح بما لا يدع مجالاً للشك أن كتاب (الإمالة) من مصنفات الإمام الأدفوي رَحِمَهُ اللهُ.

سادساً/ كتاب في النحو:

هذا الكتاب لم يُذكر اسمه، إنما ذُكر موضوعه فقط، وقد أثبتته الكمال الأدفوي حيث قال: (وله تصانيف في التفسير والقراءة واللغة والنحو وغير ذلك... ووقفت على مجلدة كبيرة في النحو)^(٤)، وقال عمر كحالة: (من تصانيفه: الاستغناء في علوم القرآن في مجلدات كثيرة، والإقناع في أحكام السماع، ومجلدة كبيرة في النحو)^(٥)، وممن ذكره الدكتور/محمد فتحي محمد فوزي^(٦).

سابعاً/ كتاب الإقناع في أحكام السماع:

نسب هذا الكتاب للإمام أبي بكر الأدفوي رَحِمَهُ اللهُ مجموعة من العلماء، منهم حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون فقال: (الإقناع في أحكام السماع لأبي بكر: محمد الأدفوي الشافعي، المتوفى: سنة ٣٨٨)^(٧)، والباباني في (هدية العارفين)^(٨)،

(١) ينظر: كشف الظنون، ١/١٧٩.

(٢) ينظر: هدية العارفين، ٢/٤٧٠.

(٣) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ٣/٣١٦.

(٤) ينظر: الطالع السعيد، ٥٥٤.

(٥) ينظر: معجم المؤلفين، ١٠/٣٠٥.

(٦) ينظر: النحوي المفسر الإمام الشيخ الأدفوي، ١٠٤.

(٧) ينظر: كشف الظنون، ١/٨١.

(٨) ينظر: هداية العارفين، ٢/٥٩.

وعمر كحالة في (معجم المؤلفين)^(١)، ومما ينبغي الإشارة إليه أن هذا خطأ. فحاجي خليفة ذكره في موضع آخر ونسبه للكمال الأدفوي^(٢)، وورد في مجلة الرسالة: (والكمال أبو الفضل جعفر بن ثعلب الأدفوي الشافعي الإقناع في أحكام السماع، والطلالع السعيد في تاريخ الصعيد)^(٣). وكذلك قرر الباحث عبد الله كحيلان أن نسبة الكتاب إلى الإمام الأدفوي وهم، حيث قال: (وهذا وهم، والصواب - والله أعلم - أن الكتاب لكمال الدين الأدفوي)^(٤). وقبل الختام يجب التنبيه على أن كتب الإمام الأدفوي لم يصلنا - فيما علمت - شيء منها إلا كتابه: (الاستغناء في علوم القرآن).

(١) ينظر: معجم المؤلفين، ٣٠٥/١٠.

(٢) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ١٧٦/١.

(٣) ينظر: مجلة الرسالة العدد: ٩٤٠ صفحة ٣٣.

(٤) ينظر: الأدفوي مفسراً، ١٨٨/١.

المبحث الثامن

وفاته

كانت حياة الإمام الأدفوي رَحِمَهُ اللهُ كُلُّهَا عملاً واجتهاداً، وطلباً للعلم، وتأليفاً فيه، وتعليماً للناس، فكان بمثابة من أوقف نفسه ووهبها في خدمة العلم، حتى وافته المنية بمصر^(١) ليلة الخميس لثمان بقين من ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة للهجرة^(٢)، وقيل: في سابع ربيع الأول^(٣)، ودفن بالقرافة^(٤) رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً واسعةً.

(١) ينظر: البلغة، ٢٧٨، معجم المؤلفين، ٣٠٥/١٠.

(٢) ينظر: إنباه الرواة، ١٨٩/٣، طبقات المفسرين للسيوطي، ١١٢/١.

(٣) ينظر: بغية الوعاة، ١٨٩/١، معرفة القراء، ١٩٩.

(٤) ينظر: طبقات المفسرين للداوودي، ١٩٨/٢.

والقرافة: مدينة على نحو ميلين من القاهرة، مدفن مشهور في البلاد المصرية يسكنه الناس البسطاء ويعمرونه. ينظر:

الروض المعطار في خبر الأقطار للجيميري، ٤٦٠، رحلة الشتاء والصيف، ٨٦.



الفصل الثالث

التعريف بالكتاب: الاستغناء في علوم القرآن

وفيه سبعة مباحث:

- المبحث الأول: تحقيق عنوان الكتاب.
- المبحث الثاني: توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف.
- المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب (من خلال الجزء المحقق).
- المبحث الرابع: المصادر التي اعتمدها المؤلف في كتابه.
- المبحث الخامس: القيمة العلمية للكتاب، وأهم مميزاته.
- المبحث السادس: المآخذ على الكتاب.
- المبحث السابع: وصف النسخة الخطية للكتاب، مع إرفاق نماذج منها.

المبحث الأول

تحقيق عنوان الكتاب

لم يُصرِّح الإمام أبو بكر الأَدْفُوِي رَحْمَةُ اللهِ فِيهِ في مقدمة كتابه بالعنوان، وإنما أشار بعبارة يقول فيها: (حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسير شيء هو فيه مستغنياً)، فلعل من جاء بعده من تلاميذه كمكي بن أبي طالب وغيره هم الذين أسموه بـ (الاستغناء) معتمدين في ذلك على عبارة الأَدْفُوِي التي أوردها.

وأستطيع القول إن اسم الكتاب (الاستغناء في علوم القرآن) ويمكن إثباته من خلال النقطتين التاليتين:

أولاً: عنوان الكتاب موجود في أكثر من موضع من المخطوط، وسأذكر المواضع التي وردت في الآيات موضع الدراسة في هذه الرسالة:

١. غلاف المجلد السابع: وفيه: (الاستغناء في علوم القرآن) من الغريب والإعراب والقراءات باختلافها والناسخ والمنسوخ والوقف الكافي والتام والتعريف والتصريف وغير ذلك/ تأليف: سيدنا الشيخ الإمام العلامة: أبي بكر بن علي بن أحمد الأَدْفُوِي النحوي، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وأعاد على المسلمين من بركته).

٢. المجلد السابع/ اللوح ١٥٢، وفيه: (الجزء الثالث والثلاثون والمائة، من كتاب الاستغناء في علوم القرآن)، من الغريب والإعراب والمعاني والقراءات باختلافها، وشرح معانيها والتفاسير والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، والتنزيل والاشتقاق، والتصريف والنحو، والوقف والتمام، وعدد الآي/ تأليف: أبي بكر مُحَمَّد بن علي بن أحمد الأَدْفُوِي رَحْمَةُ اللهِ فِيهِ).

٣. المجلد السابع/ اللوح ١٦٩، ذكر اسم الكتاب مختصراً: (هذا آخر الجزء من كتاب الاستغناء بالتمام والكمال، والحمد لله رب العالمين...).

٤. نهاية المخطوط، المجلد السابع/ اللوح الأخير، وفيه: (وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء من الاستغناء في اليوم المبارك...).

ثانيًا: إثبات هذه التسمية من كتب العلماء الآخرين، حيث إنه لم تصل إلينا -فيما أعلم- كتب أخرى للأدقوي يمكن التحقق من ورود ذكر اسم هذا الكتاب فيها. وقد أشار بعض العلماء إلى عنوان الكتاب بحرفه فقال: (الاستغناء في علوم القرآن). كالإمام الذهبي في كتابه معرفة القراء^(١)، والإمام السيوطي في حسن المحاضرة^(٢) وغيرهما، ومنهم من ذكره بصيغة أقل، فقال: (الاستغناء) دُونَ عبارة (في علوم القرآن)، كالإمام مكّي بن أبي طالب في الهداية^(٣). وياقوت الحموي في معجم الأدباء^(٤)، والقفطي في إنباه الرواة^(٥)، ومنهم من أشار إليه بقوله: (الاستغناء في التفسير)، كما في طبقات المفسرين للأدقوي^(٦)، وكشف الظنون للحاجي خليفة^(٧).

(١) ينظر: معرفة القراء، ١/٣٥٤.

(٢) ينظر: حسن المحاضرة، ١/٤٩٠.

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ١/٧٤.

(٤) ينظر: حسن المحاضرة، ١/٤٩٠.

(٥) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ٣/١٨٦.

(٦) ينظر: طبقات المفسرين للأدقوي، ٢٤٩.

(٧) ينظر: كشف الظنون، ١/١.



المبحث الثاني

توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه

يمكننا من خلال عرضنا السابق أن نتيّن يقينًا أنّ واضع هذا الكتاب الذي بين يدينا هو الإمام أبو بكر الأُدْفوي رَحْمَتُهُ، وسأبين من خلال النقطتين التاليتين توثيق نسبة الكتاب إلى صاحبه :

أولاً: أنه قد جاء التصريح باسم الكتاب واسم مؤلفه على صفحة الغلاف في أجزاء الكتاب، وهذا مما تطمئن إليه النفس حيث رُبط بين اسم الكتاب واسم مؤلفه، مما لا يدع مجالاً للشك أنّ هذا الكتاب هو للإمام أبي بكر الأُدْفوي رَحْمَتُهُ. ثانياً: ورد في العديد من المصادر نسبة هذا الكتاب إلى صاحبه الأُدْفوي، ومن تلك المصادر التي جاء التصريح فيها باسم الكتاب واسم مؤلفه:

أولاً/ الهداية إلى بلوغ النهاية: لمكي بن أبي طالب، وهو من طلاب الأُدْفوي البارزين، حيث قال في مقدمة الكتاب: (جمعتُ أكثر هذا الكتاب من كتاب شيخنا أبي بكر الأُدْفوي رَحْمَتُهُ، وهو الكتاب المسمّى بكتاب الاستغناء المشتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن)^(١).

ثانياً/ المرشد الوجيز: فقد صرّح ابن أبي شامة بأن الكتاب للمؤلف، فقال: (وقال أبو بكر مُحمَّد بن علي بن أحمد الأُدْفوي في كتاب الاستغناء في علوم القرآن، فيما نقله عن أبي غانم المظفر بن أحمد بن حمدان، قال: (القرآن محيط بجميع اللغات الفصيحة...)^(٢).

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٤/١.

(٢) ينظر: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، ١١٨/١.

ثالثاً/ معجم الأدباء: لياقوت الحموي، حيث قال في معرض حديثه عن الأدفي:

(وصنّف في التفسير كُتُبًا مفيدة، منها كتابه الاستغناء، وهو أكبر كتاب صنّف في التفسير، جمع فيه من العلوم ما لم يجتمع بغيره)^(١).

رابعاً/ إنباه الرواة على أنباه النحاة: لجمال الدين القفطي، حيث قال: (وصنّف في

التفسير كُتُبًا مفيدة، منها كتابه الاستغناء وهو أكبر كتاب صنّف في التفسير)^(٢).

خامساً/ البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: للفيروز آبادي، قال عند ترجمته للأدفي:

(صنّف كُتُبًا مفيدة، منها تفسيره للقرآن العزيز سمّاه الاستغناء)^(٣).

سادساً/ بغية الوعاة: لجلال الدين السيوطي قال فيه: (صنّف الاستغناء في تفسير

القرآن)^(٤).

سابعاً/ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: للذهبي، حيث نقل فيه قول سهل

بن عبد الله البزاز: (صنّف شيخنا أبو بكر الأدفي، كتابه الاستغناء في علوم القرآن

في اثني عشرة سنة)^(٥).

ثامناً/ معجم المؤلفين: لعمر كحالة، حيث قال عند ذكره لأبي بكر الأدفي: (من

تصانيفه الاستغناء في علوم القرآن في مجلدات كثيرة)^(٦).

وغيرها من المصادر التي جاء التصريح فيها بنسبة كتاب (الاستغناء) إلى أبي بكر

الأدفي، كطبقات المفسرين للداوودي^(٧)، وطبقات المفسرين للأدنه وي^(٨)، وكشف الظنون

(١) ينظر: معجم الأدباء، ٢٥٧١/٩.

(٢) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ١٨٦/٣.

(٣) ينظر: البلغة، ٢٧٧.

(٤) ينظر: بغية الوعاة، ١٨٩/١.

(٥) ينظر: معرفة القراء، ١٩٩.

(٦) ينظر: معجم المؤلفين، ٣٠٥/١٠.

(٧) ينظر: طبقات المفسرين للداوودي، ١٩٧/٢.

(٨) ينظر: طبقات المفسرين للأدنه وي، ٢٤٩.



لحاجي خليفة^(١)، وغيرها.

ومما سبق: تبين لنا أن كتاب (الاستغناء في علوم القرآن) هو من تصنيف الإمام أبي بكر

محمد بن علي الأُدْفوي رحمته الله.

(١) ينظر: كشف الظنون، ١/١.



المبحث الثالث

منهج المؤلف في كتابه

بدأ الإمام الأُدْفوي كتابه بتمهيدٍ بيّن فيه النقاط التي سيتناولها، فكانت بمثابة توضيح للمنهج الذي سار عليه فقال: (هذا كتاب أَلْفناه يجمع ضروريًا من علوم القرآن: ١. من بين كلام غريب، ٢. ومعنى مستعلق، ٣. وإعراب مُشكل، ٤. وتفسير مروى، ٥. وقراءة مأثورة، ٦. وناسخ ومنسوخ، ٧. ومحكم ومتشابه، ٨. أذكرُ فيه -إن شاء الله- ما بلغني من اختلاف الناس في القراءات، ٩. وعدد الآي، ١٠. والوقف والتمام، ١١. وأبَيّن تصريف الكلمة واشتقاقها إن علمت ذلك، ١٢. وما فيه حذف لاختصار أو إطالة لإفهام، ١٣. وما فيه تقديم وتأخير، ١٤. وإذا مرّ العامل من عوامل النحو ذكرته مع نظائره في بابٍ أفرده له، ١٥. وأذكر أين نزلت السورة بمكة أم بالمدينة على قدر الطاقة ومبلغ الرواية، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيًا، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسير شيء هو فيه مستغنيًا، وبالله التوفيق والحوّل والقوة، وإليه مفرعنا في درك كل طلبّة، والتوفيق في كل أمورنا...).

فهذه المقدمة التي بدأ بها الإمام الأُدْفوي رَحِمَهُ اللهُ تعطينا تصورًا عامًّا عن المنهج الذي سلكه في كتابه، ثم أورد بعد هذه المقدمة بعض الآثار التي تدل على فضل هذا القرآن الكريم، وكيف أنه نزل على سبعة أحرف، ثم شرع في تفسير سور القرآن سورةً سورةً، وطريقته في تفسير كل سورة: يبدأ بذكر اسم السورة، ومكية هي أم مدنية، ثم يبدأ مباشرةً في إيراد أول آية منها، أو عددٍ من الآيات، وغالب مقاطع الآيات سلك فيها الأُدْفوي رَحِمَهُ اللهُ طريقةً واحدةً؛ حيث يبدأ بذكر إعراب كل كلمة، وأوجه الإعراب -إن وُجدت-، ثم يُبين القراءات، ثم معنى الآية، متبوعًا بالآثار بغير إسناد، ثم يذكر استنباطه من الآيات أحيانًا، ثم يذكر الوقف والتمام، ثم يختم السورة بذكر الياءات فيها -إن وُجدت-، وعدد آياتها والاختلاف في ذلك بين العاديين -إن وُجد-.

وفيما يلي نموذجٌ مختصرٌ، يوضح طريقته التي أشرتُ إليها، وذلك من سورة النجم، عند قوله
جل ثناؤه:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَفُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنِ ﴿٣١﴾﴾

﴿مَا﴾ في موضع رفع بالابتداء.

﴿وَلِلَّهِ﴾ في موضع خبره.

﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾ خفض بـ ﴿فِي﴾، في صلة ﴿مَا﴾.

﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ معطوف أيضاً.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ نصب بلام كي.

﴿الَّذِينَ﴾ نصب بـ ﴿يَجْزِي﴾.

﴿أَسَفُوا﴾ في صلة ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿بِمَا﴾ خفض بالباء.

﴿عَمِلُوا﴾ في صلة ﴿مَا﴾.

﴿وَيَجْزِي﴾ معطوف.

﴿الَّذِينَ﴾ مفعول أيضاً بهم.

﴿أَحْسَنُوا﴾ فعل، وضمير فاعلين، في صلة ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿بِالْحُسْنِ﴾ خفض بالباء.

واختلف النحويون في المعنى الذي (لام كي) متعلقة به: فمن ذلك: أنه يجوز أن يكون

اللام متعلقة بقوله: ﴿لَا تُعْنِي سَفَعَتُهُمْ شَيْئًا﴾، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَفُوا بِمَا عَمِلُوا﴾. وجواب ثاني: وهو أن

المعنى ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَفُوا بِمَا عَمِلُوا﴾. وجواب ثالث: أن تكون متعلقة بما

يليه، وأن يكون المعنى: والله ملك كل ما في السماوات وما في الأرض من شيء، فهو يضل

من يشاء ويهدي من يشاء، فهو أعلم بمن اهتدى، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَفُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: ليجزي

الذين عصوا من خلقه - فأساءوا بمعصيتهم إياه - فيشيبهم النار، ويجزي الذين أطاعوا - فأحسنوا



بطاعتهم إياه في الدنيا- بالحسنى، وهي: الجنة.

[١٣٩]

ويُروى أن المعني بذلك / أهل الشرك والإيمان.

رُوي ذلك عن زيد بن أسلم في قوله -جلّ وعزّ-: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾: "الَّذِينَ أَسْتَوُوا": المشركون، و﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾: المؤمنون"، وفي الآية جواب

رابع، وهو قول أبي حاتم، قال: هي لام قسم.

قال أبو بكر: وليس قطع القارئ على ﴿بِالْحُسْنَى﴾ وقفًا؛ لأن ﴿الَّذِينَ﴾ الثاني بدل من الأول»^(١).

وفيما يلي بيان منهجه في هذا التفسير بشكل تفصيلي:

أولاً: منهجه في إيراد الآيات ودراساتها:

١ - سلك الأДФوي رَحْمَةُ اللهِ فِي تَرْبِيهِ لِلآيَاتِ الْمَسْلُوكِ الْمَعْهُودِ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ، حَيْثُ يَتَنَاوَلُ السُّورَةَ مَبْتَدَأً بِالآيَةِ الْأُولَى ثُمَّ الَّتِي تَلِيهَا، أَوْ يُوْرِدُ عَدَدًا مِنَ الْآيَاتِ فِي مَقْطَعٍ وَاحِدٍ.

٢ - فِي جَمِيعِ الْآيَاتِ يَبْدَأُ الْأُذْفُوِي رَحْمَةُ اللهِ بِذِكْرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالآيَاتِ مِنْ أَوْجِهِ الْإِعْرَابِ، فَيَعْرَبُ كُلَّ كَلِمَةٍ فِي الْآيَةِ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ كَثِيرًا مَا يَنْقُلُ مِنْ كِتَابِ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ لِلنَّحَاسِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ النَّحَاسِ، بَلْ يَضِيفُ إِلَيْهِ. وَسَابِقِينَ ذَلِكَ بِالْأَمْثَلَةِ عِنْدَ ذِكْرِ مَنْهَجِهِ فِي الْإِعْرَابِ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

ثانياً: منهجه في التفسير بالمأثور:

تطرق الأДФوي رَحْمَةُ اللهِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَاتِ إِلَى أَنْوَاعِ التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ:

١ - تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ: وَيُعَدُّ هَذَا النُّوعَ أَعْلَى مَرَاتِبِ التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ، وَقَدْ اعْتَمَدَ

عَلَيْهِ الْإِمَامُ الْأُذْفُوِي رَحْمَةُ اللهِ عِنْدَ تَفْسِيرِ بَعْضِ الْآيَاتِ.

(١) ينظر: الصفحتان (١٣٦-١٣٧) من هذه الرسالة.

* مثال ذلك في سورة النجم، عند تفسير قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ (٥٦) ﴿أَزِفَتِ الْأَافِقُ فُجُورُهُمْ﴾ (٥٧) ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ (٥٨) ﴿أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ﴾ (٥٩) ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ (٦٠) ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ (٦١) ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوهُ﴾

قال رحمه الله: ... وقيل: ﴿كَاشِفَةٌ﴾ فأثبتت، هي بمعنى الانكشاف، كما قيل: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨٠] أي: فهل ترى لهم من بقاء؟ وكما قيل: [العاقبة] فأثبتت كاشفة، بمعنى حال كاشفة، أو فرقة كاشفة^(١).

* وفي سورة الرحمن، عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءَ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (٣٧) ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تُكذِّبَانِ﴾ (٣٨) ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ (٣٩) ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تُكذِّبَانِ﴾ (٤٠) ﴿أورد رحمه الله معاني ﴿كَالدِّهَانِ﴾، ومنها: ... قيل تمر وتحيء، كما قال -جل- وعز-: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩٠]^(٢).

٢ - تفسير القرآن بالسنة: وهو من المعالم المتعلقة بمنهج الأدفوي رحمه الله أنه يورد الحديث الذي يدل على المعنى المتعلق بالآية لكنه لا يذكر إسناده، ولا يذكر من أخرجه، ولا يحكم على الحديث من حيث الصحة أو الضعف، وسيمر عند ذكر منهجه في إيراده للأحاديث.

* مثال ذلك في سورة الواقعة، عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٣) ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَأَمْ نَحْنُ الْمَرْعُومُونَ﴾ (٦٤) ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُوتَ﴾ (٦٥) ﴿إِنَّا لَمُعْرِمُونَ﴾ (٦٦) ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ (٦٧) قال رحمه الله: ... أفرايتم أيها الناس الحرت الذي تحرثونه؟ أنتم تزرعون؟ أي: تُصَيِّرُونَهُ زَرْعًا، أم نحن نجعله كذلك؟!

وبهذا جاء الحديث عن النبي ﷺ رواه هشام عن محمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: ((لَا

تَقُلْ: زَرَعْتُ، وَلَكِنْ قُلْ: حَرَثْتُ))، ثم تلا أبو هريرة ﷺ: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٣) ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ

(١) ينظر: الصفحة (١٩٠) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحة (٣٣٢) من هذه الرسالة.

أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿١﴾ .

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

اعتمد الأُدفوي رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذَا الْجَانِبِ عَلَى مَا أوردَهُ الْإِمَامُ الطَّبْرِي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ، إِلَّا مَا ندر.

* ومثال ذلك في سورة القمر عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفْرًا﴾

قال رَحِمَهُ اللهُ، بعد أن شرع في بيان معنى الدُّسُر: ... وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: "الدُّسُر: كَلْكَل السفينة" (٢).

* ومثال آخر في سورة الرحمن، عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٣٣﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

قال رَحِمَهُ اللهُ عند بيانه للمقصود بالمرجان: ... وقال آخرون: المرجان حَجَرٌ. رُوي ذلك عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: "المرجان حَجَرٌ" (٣).

٤ - تفسير القرآن بأقوال التابعين:

يعد تفسير القرآن بأقوال التابعين أحد أنواع التفسير بالمأثور، التي اعتمد عليها الإمام الأُدفوي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ، وَغالب هذه الأقوال اعتمد فيها الأُدفوي على تفسير الإمام الطبري، كما هو الحال في تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

* مثال ذلك في سورة النجم، عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْعَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾

(١) ينظر: الصفحة (٤٤٤) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر الصفحة (٢١٧) من هذه الرسالة.

(٣) ينظر الصفحة (٣٠٧) من هذه الرسالة.

قال رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ عند بيانه لمعنى ﴿وَأَكْدَى﴾: ... وممن قال ﴿وَأَكْدَى﴾ بمعنى: قطع، ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد. وقتادة قال: "أعطى قليلاً، ثم قطع ذلك" ^(١).

* وفي سورة الحديد، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

قال رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ عند بيانه لتفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾: ... روى ذلك ابن أبي نجیح عن مجاهد: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ قال: "في ظهر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ" ^(٢).

ومما ينبغى الإشارة إليه أنّ الأدقوي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ قد يورد قولاً واحداً وينسبه إلى عدد من الصحابة أو التابعين، وذلك عندما تتشابه أقوالهم.

* في مثل سورة النجم، عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَعْفَرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾

قال رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ عند بيان معنى ﴿اللَّمَمَ﴾: ... وممن قال بهذا القول - أعني بين الحدّين -: عكرمة وقتادة والضحاك ^(٣).

ثالثاً: منهجه في إيراد الأحاديث وأسانيدها:

١ - منهجه في إيراد الأحاديث:

أولاً: لا يذكر الأدقوي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ في الأحاديث التي أوردها من أخرجها من أصحاب الصحاح أو السنن أو المسانيد أو غيرها.

(١) ينظر: الصفحة (١٥٤) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحة (٤٩٦) من هذه الرسالة.

(٣) ينظر: الصفحة (١٤٥) من هذه الرسالة.

ثانياً: لا يذكر حكماً عليها؛ فأورد الصحيح والضعيف.

فمثال إبراده الحديث الصحيح:

* في سورة القمر عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَالنَّشَقُ الْقَمَرُ ١٠ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾

قال رحمه الله: ومعنى هذه الآيات -والله أعلم-: اقتربت الساعة التي تقوم فيها القيامة، ومعنى اقتربت: افتعلت، من القرب، أي: هي بالإضافة إلى ما مضى قريبة؛ لأنه قد مضى أكثر الدنيا، كما روى قتادة عن أنس رضي الله عنه، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كادت الشمس تغيب، فقال: ((مَا بَقِيَ مِنْ دُنْيَاكُمْ فِيمَا مَضَى إِلَّا مِثْلُ مَا بَقِيَ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ فِيمَا مَضَى))، وَمَا نَرَى مِنَ الشَّمْسِ إِلَّا يَسِيرًا^(١).

* وفي سورة الواقعة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ٧٧ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ٧٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ٧٩ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ٨٠ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ٨١ وَفَلَكَةٍ كَثِيرَةٍ ٨٢ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ٨٣ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ٨٤ إِنَّا أَنْشَأْنَهُمْ إِنْشَاءً ٨٥ فَجَعَلْنَهُمْ أَجْبَارًا ٨٦ عُرْبًا أَتْرَابًا ٨٧ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾

قال رحمه الله: ... وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ، قال: ((في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة، لا يقطعها، اقرأوا إن شئتم ﴿وَظِلِّ مَمْدُودٍ﴾))^(٢).

ومثال الضعيف: في سورة الرحمن، عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ أَلْيَافُوتٌ وَالْمَرْجَانُ ٨٨ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

قال رحمه الله: ... وما قلناه مأخوذ من الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عمر بن ميمون عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ الْمَرْأَةَ فِي الْجَنَّةِ لِيَرَى بَيَاضُ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ

(١) ينظر: الصفحتان (١٩٤ - ١٩٥) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحة (٤١٤) من هذه الرسالة.

حُلَّةٍ مِنْ حَرِيرٍ، وَحُثْمًا، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ -جَلَّ تَنَاؤُهُ- قَالَ: ﴿كَانَتْهُنَّ أَلْيَافُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ، فَأَمَّا أَلْيَافُوتُ: فَإِنَّكَ لَوْ أَدْخَلْتَ فِيهِ سِلْكَاً لَرَأَيْتَهُ مِنْ وَرَائِهِ^(١).

* ومثال آخر للضعيف: في سورة الواقعة، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ أَلْيَمِينٍ مَا أَصْحَابُ أَلْيَمِينِ﴾^(٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ^(٢٨) وَطَلْحٍ مَنضُودٍ^(٢٩) وَظِلِّ مَمْدُودٍ^(٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ^(٣١) وَفَلَكَهَاتٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ^(٣٢) إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً^(٣٣) فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَاراً^(٣٤) عُرْبًا أَرْبَاباً^(٣٥) لِأَصْحَابِ أَلْيَمِينٍ^(٣٦)

قال رَحِمَهُ اللهُ: ... وقوله: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ أي: ولهم فيها فرش مرفوعة أي: طويلة بعضها فوق بعض، كما يقال: [بناء] مرفوع. روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ قال: ((إِنَّ اِرْتِفَاعَهَا لَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَإِنَّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَمَسِيرَةٌ خَمْسِمِائَةَ عَامٍ))^(٣٧).

٢- منهجه فيما يتعلق بالأسانيد: يقوم الأدفوي رَحِمَهُ اللهُ بحذف الأسانيد في بعض الأحاديث، وقد يكتفي بذكر راوٍ أو راويين في بعضها الآخر، ولم يروِ أحاديث بسنده في الجزء الذي قمت بتحقيقه.

١. يورد الحديث ويحذف إسناده، ومثاله في سورة النجم عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَبِئُونَ كَثِيرَ أَلْيَمِينٍ وَالْفُؤَادِ إِلَّا اللَّامِمْ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَعْفَرِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمِمَّنْ اتَّقَى﴾

قال رَحِمَهُ اللهُ: ... فإن ثبت إنسان على هذا ولم يدعه، فقد دخل في جملته. وفي الحديث عن النبي ﷺ: ((لَا يُلْسَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ))، أي: إنما يخطئ ويذنب أول مرة، ثم تراجع، [ويتوب]، ولا يُصِرَّ^(٣٨).

(١) ينظر: الصفحة (٣٥٥) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحتان (٤١٥-٤١٦) من هذه الرسالة.

(٣) ينظر: الصفحة (١٤٧) من هذه الرسالة.

٢. يورد الحديث ويذكر راويين، ومثاله: في سورة الحديد، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾

قال رحمه الله: ... وروى زيد بن أسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مؤمنو أممي شهداء))، قال: ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(١).

٣. يورد الحديث ويذكر الراوي من الصحابة: مثال ذلك في سورة القمر، عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٥٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٥٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٥٩﴾ وَمَا أَمْرًا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾

قال رحمه الله: ... كما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((يَحْضَرُ الْمَقْتُولُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقُولُ لَهُ: فِيمَ قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: فِيكَ، فَيَقُولُ: كَذَبْتَ، أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ شُجَاعٌ وَقَدْ قِيلَ، فَيُؤْمَرُ بِهِ، فَيُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى النَّارِ))^(٢).

رابعاً: منهجه في إيراد القراءات:

اعتنى الأدقوي رحمه الله بإيراد القراءات وبيان قارئها عناية فائقة، وذلك وفق منهجية يتضح فيها تمكنه من هذا العلم، ومن خلال النقاط التالية يتبين لنا منهجه:

١. يورد القراءات المتواترة:

* ومثالها في سورة القمر، عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكِيرٍ ﴿٦١﴾ خَشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴿٦٢﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَاذِبُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ قال رحمه الله: ... واختلفت القراءة في ﴿خَشَعًا﴾ و﴿خاشعًا﴾: فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر: ﴿خَشَعًا﴾ بغير ألف، وقرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي: ﴿خَشَعًا﴾ بألف^(٣).

(١) ينظر: الصفحة (٥٣٣) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحة (٢٦٥) من هذه الرسالة.

(٣) ينظر: الصفحة (٢٠٧) من هذه الرسالة.

* ومثال آخر في سورة الواقعة، عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ ٥٨ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ ٥٩ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ٦٠ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ قال رحمه الله: وقرأت الجماعة ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا﴾ مشددة الدال، إلا ابن كثير: فإنه قرأ ﴿قَدَرْنَا﴾ بالتحفيف^(١).

٢. يورد بعض القراءات الشاذة: وقد يشير—أحياناً— إلى شدودها وبيئتها.

ومثالها في سورة الرحمن، عند تفسير قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُجْسَبَانِ﴾ ٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ ٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ ٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ قال رحمه الله: وقرأ ابن أبي بردة: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ بفتح التاء، وهي لغة معروفة^(٢).

٣. اعنى بتوجيه القراءات: وقد أجاد في ذلك وأسهب في بعض المواضع.

ومثال ذلك في سورة الرحمن، عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ ٣٥ فَيَأْتِي ٱلْآءِ رَبَّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾

قال رحمه الله: «﴿وَنُحَاسٌ﴾ اختلفت القراءة—أيضاً— في قراءته:

فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿وَنُحَاسٌ﴾ بالخفض. وقرأ الباقون: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ بالرفع.

فمن قرأ بالرفع: عطف على قوله ﴿شُوَاظٌ﴾، ومن قرأ بالكسر: عطفه على ﴿نَارٍ﴾ وهي—أيضاً— قراءة ابن أبي إسحاق. وقرأ مجاهد: ﴿وَنُحَاسٍ﴾ بكسر النون والسين. وقرأ مسلم بن جندب: ﴿ونحس﴾ بغير ألف وبالرفع.

قال أبو بكر: وقراءة من قرأ بالرفع أبيض في العربية؛ لأنها لا إشكال فيها، يكون معطوفاً على ﴿شُوَاظٌ﴾، فإن خُفِضَتْ عَطِفت على ﴿نَارٍ﴾ واحتاج إلى احتيال، وذلك أن أكثر أهل التفسير، منهم ابن عباس رضي الله عنه، يقولون: الشواظ: اللهب، والنحاس: الدخان، فإذا خفضت،

(١) ينظر: الصفحة (٤٣٨) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحة (٢٧٩) من هذه الرسالة.

فالتقدير: شواظ من نار ومن نحاس، فالشواظ لا يكون من النحاس، كما أن اللهب لا يكون من الدخان، إلا على حيلة واعتذار، والذي في ذلك من الحيلة، وهو قول أبي العباس محمد بن يزيد: أنه لما كان اللهب والدخان جميعًا من النار، كان كل واحد منهما مشتتمًا على الآخر.

وأنشد الفرزدق:

[وَبِتُّ أَقْدُ] الرَّادَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَلَى ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانِ

فعطف (ودخان) على (ضوء نار) وليس للدخان ضوء؛ لأن الضوء والدخان من النار، وإن عطف (ودخان) على (ضوء) لم يحتج إلى احتيال.

وأنشد غيره في هذا بعينه:

شَرَابُ الْأَبَانِ وَتَمْرٌ وَأَقِطٌ

وإنما المشروب: الألبان، ولكن الحلق يشتمل على هذه الأشياء.

وقال آخر في مثله:

يَا لَيْتَ زَوْجِكَ [قَدْ غَدَا] مُتَقَلِّدًا سَائِفًا وَرُحْمًا

لأنهما محمولان.

وقال الآخر:

إِذَا مَا الْعَانِيَاتُ [بَرَزْنَ] يَوْمًا [وَرَجَّحْنَ] الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونََا

وقال الآخر:

عَلَفْتُهَا تَيْنًا وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى شَتَّتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا

قال أبو بكر: وقد ذكر اليزيدي علة أبي عمرو، فقال: أي: ومن النحاس.

وقال يونس النحوي كان أبو عمرو يقول: لا يكون الشواظ إلا من النار والنحاس جميعا، فيكون معناه: يرسل عليكما دخان يتشعب من نار ونحاس.

قال أبو بكر: ويجوز أن يكون النحاس معطوفاً على الشواظ، ويُخَفَضُ للمجاورة، والاشتراك في المعنى»^(١).

* ومثال آخر من سورة الحديد، عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُونَ﴾
 اللَّهُ قَرَضًا حَسَنًا يُضَعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ
 قال رحمه الله: اختلفت القراءة في التشديد والتخفيف من ﴿الْمُصَدِّقِينَ﴾: فقرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر: بتخفيف الصاد في الحرفين، وقرأت الجماعة: بتشديدهما، والأصل في قراءة الجماعة: (إن المتصدقين) ثم أدغمت التاء في الصاد، وعلى قراءة ابن كثير: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ﴾ أي: المؤمنين، اسم الفاعل من صدق، إذا آمن، وقرأ أبي: ﴿إِنَّ الْمُتَصَدِّقِينَ﴾^(٢).

خامساً: منهجه في ذكر أسباب النزول:

ذكر الأدفوي رحمه الله أسباب نزول الآيات في موضعين من الجزء المحقق:

الموضع الأول من سورة النجم عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بَرِيءٌ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِنزَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾﴾
 قال رحمه الله: ... وروى أن هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة، من أجل أنه عاتبه بعض المشركين، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه، فضمن له الذي عاتبه، إن هو أعطاه شيئاً من ماله، ورجع إلى شركه، أن يتحمل عنه عذاب الآخرة، ففعل، فأعطى الذي عاتبه على ذلك بعض الذي كان ضمن له، ثم بخل، ومنعه تمام ما ضمن له^(٣).

والموضع الثاني في أول سورة القمر: ﴿اقْرَأْ تِلْكَ السَّاعَةَ ﴿١﴾ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿٢﴾ وَإِن يَرَوْا ءَايَةَ بَعْضِ مَا يَدْعُونَ بِسِحْرٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿٣﴾﴾

قال رحمه الله: «وقال عبد الله ﷺ: انشقَّ القمرُ ونحنُ مع النبيِّ ﷺ بمِثَى، حتى ذهبَتْ مِنْهُ فِرْقَةٌ خَلَفَ الْجَبَلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((اشْهَدُوا)).»

(١) ينظر: الصفحات (٣٢٥ - ٣٢٧) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحة (٥٢٩) من هذه الرسالة.

(٣) ينظر: الصفحة (١٥٣) من هذه الرسالة.

وفي حديث آخر: ((اللَّهُمَّ اشْهَدْ))، قال عبدالله: ((فَقَالَتْ فُرَيْشٌ: هَذَا سِحْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ سَحَرَكُمْ، فَاسْأَلُوا الشُّقَارَ، فَسَأَلُوهُمْ فَقَالُوا: نَعَمْ قَدْ رَأَيْنَاهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ -جَلَّ وَعَزَّ- ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَالنَّشَقَ الْقَمَرُ﴾))^(١).

سادساً: منهجه في علوم اللغة العربية، وما يتعلق بها:

١ . عنايته بالمسائل النحوية: تناول الأدقوي رَحِمَهُ اللهُ المباحث النحوية التي ترد في الآية بإسهاب في بعض المواضع، مما يتضح معه علو كعبه في علوم العربية وتمكُّنه منها وما يتعلق بها. ومثال ذلك من سورة الرحمن، عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ ﴿٧﴾ فَيَأْتِي ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَيَأْتِي ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٠﴾

حيث قال رَحِمَهُ اللهُ: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ في رفعه وجهان: أحدهما: أنه مرفوع على إضمار مبتدأ، على معنى: هو رب المشرقين ورب المغربين، ويجوز أن يكون بدلاً من المضمر الذي في ﴿خلق﴾، وفي رفعه وجه ثالث: وهو يجوز أن يكون رفعاً بالابتداء، أو يكون الخبر ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، ويجوز في النحو الخفض على معنى ﴿فَيَأْتِي ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿١١﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾، ويجوز النصب على إضمار أعني^(٢).

ومثال آخر: من سورة الحديد، عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشَرِّكُمْ أَلْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

قال رَحِمَهُ اللهُ: (قال أبو بكر: ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ظرف زمان، وفي العامل فيه تقديران: من النحويين من قال: التقدير: ولهم أجرٌ كريمٌ يومَ ترى المؤمنين، أي: في ذلك اليوم، ومنهم من قال: هو متعلقٌ بوعُدِّ. ﴿تَرَى﴾ فعل مستقبل في المعنى، في موضع جر بالإضافة، إذا قدرته تقدير الأسماء)^(٣).

(١) ينظر: الصفحة (١٩٦) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحة (٢٩٨) من هذه الرسالة.

(٣) ينظر: الصفحة (٥٠٨) من هذه الرسالة.

٢. النواحي الإعرابية:

اهتم الأدقوي رحمه الله بهذا الجانب اهتماماً كبيراً، فلا تخلو آية من ذكر الأوجه الإعرابية فيها، وهذا يتأتى مع المنهج الذي رسمه لنفسه في مقدمة كتابه؛ حيث بين أنه سيتطرق إلى إعراب ما يشكل في الآيات، ومما ينبغي الإشارة إليه أنه لم يقتصر على إعراب ما أشكل فحسب، بل إنه - في الغالب - لا يترك كلمة في الآية إلا ويذكر إعرابها.

مثال ذلك من سورة الرحمن، عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَيَأْتِي ۙ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذَّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ ۙ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِي ۙ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذَّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾ ﴿إِذَا﴾ ظرف.

﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ فعل ماضٍ، ﴿السَّمَاءُ﴾ رفع بفعلها.

﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ خبر كان، واسمها مضمرة فيها، وهو ضمير السماء.

﴿كَالدِّهَانِ﴾ الكاف: في موضع نصب، ﴿الدِّهَانِ﴾ خفض بالكاف.

﴿فَيَأْتِي ۙ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذَّبَانِ﴾ قد ذكرنا إعرابه^(١).

ومثال آخر: في سورة الواقعة، عند تفسير قوله -جلّ وعزّ -: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِقَوَعِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾﴾

قال أبو بكر: ﴿إِذَا﴾ في موضع نصب؛ لأنه ظرف زمان، والعامل فيه: ﴿وَقَعَتِ﴾؛ لأنها تشبه حرف الشرط، وإنما يعمل فيها ما بعدها، وقد حكى سيويه بها^(٢).

ومثال آخر: في سورة الحديد، عند تفسير قوله -جلّ وعزّ -: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿١﴾﴾

قال رحمه الله: ... و﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ قال أبو إسحاق: الكاف في موضع رفع نعت، أي: وتفاخر مثل غيث أعجب الكفار. قال: ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر^(٣).

(١) ينظر: الصفحة (٣٣١) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحة (٣٧٧) من هذه الرسالة.

(٣) ينظر: الصفحة (٥٣٨) من هذه الرسالة.

٣. ذكر الاختلاف بين النحاة البصريين والكوفيين:

ومثال ذلك من سورة الواقعة، عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكَذِبِينَ ﴿٩٢﴾ فَزُلْ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَازِمَةٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

قال رحمه الله: «واختلف أهل العربية في إضافة الحق إلى اليقين، والحق يقين: فقال بعضهم: ﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾ أضاف الحق إلى اليقين، وذلك كقوله: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] أي: وذلك دين الملة القائمة. وذلك حق الأمر اليقين. وقال بعضهم: اليقين نعت (الحق) كأنه قال: الحق اليقين والدين القيم، وقد جاء مثله في كثير من الكلام والقرآن: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩]، قال فإذا أضيف تُؤهَّم به أنه غير الأول. قال أبو بكر: الكوفيون يجيزون إضافة الشيء إلى نفسه، ويجعلون هذا منه، وهذا عند البصريين خطأ؛ لأنه إنما يُبين الشيء بغيره، والمضاف إليه يبين به»^(١).

٤. بيانه لاشتقاق الكلمة:

مثال ذلك في سورة النجم، عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصل ﴿وَأَكْدَى﴾ من الكُدْيَة، وذلك أنه يقال لكل من حفر بئرًا، ثم بلغ إلى حجر صلب، لا يتهيأ له أن يحفر فيه: بلغ الكُدْيَة، فأكدى، ثم استعملت العرب هذا لمن طلب شيئًا لم يبلغ آخره، ولمن أعطى ولم يتم»^(٢).

* ومثال آخر في سورة القمر، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التُّدْرُ ﴿٥﴾

قال رحمه الله: «والأصل عند سيبويه: مزجج؛ لأنه مفتعل من الزجر، إلا أن التاء مهموسة والزاي مجهورة فتقل الجمع بينهما، فأبدل من التاء [بما] هو من مخرجها وهو الدال. قال: وهذا

(١) ينظر: الصفحة (٤٧٩) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحة (١٥٤) من هذه الرسالة.

من أحسن النحو، ولطيفه»^(١).

٥. بيان الغريب وإيراده للشواهد الشعرية:

للإمام الأديفوي رَحِمَهُ اللهُ مِنْهُجٌ مُمْتَزِعٌ فِي إِيرَادِ الشَّوَاهِدِ الشَّعْرِيَّةِ، حَيْثُ كَانَ يَسُوقُ الْبَيْتَ الشَّعْرِيَّ -غَالِبًا- لِبَيَانِ الْغَرِيبِ.

مثال ذلك في سورة الواقعة، عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾^(٦٣) ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمَا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾

قال رَحِمَهُ اللهُ: «وأولى الأقوال بالصواب: قول من قال: إنا لمعدَّبون؛ وذلك أن الغرام عند العرب: الهلاك والعذاب، ومنه قول الأعشى:

إِنْ يُعَاقِبَ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُعْ
طِ جَزِيلًا فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي

وقال بشر بن أبي حازم:

وَيَوْمُ النَّسَارِ وَيَوْمُ الْجِفَارِ
كَانَا عَدَابًا وَكَانَا غَرَامًا

يعني بقوله: يكن غرامًا: يكن هلاكًا وعذابًا^(٢).

سابعًا: منهجه في المسائل العقائدية:

مرَّ الأديفوي رَحِمَهُ اللهُ عَلَى مَسْأَلَةِ عَقَائِدِيَّةٍ وَهِيَ مَسْأَلَةُ إِثْبَاتِ صِفَةِ الْوَجْهِ لِهَيْبَةَ اللهِ ﷻ -وردت في الجزء المحقق- مرورًا مقتضيًا على غير عادته في الإسهاب -غالبًا- عند تحريره لمختلف المسائل، واكتفى بنقل قول عالم فيها، ثم بيَّن معنى الآية باختصار، دون التطرق لأقوال المخالفين لأهل السنة والجماعة. وذلك في سورة الرحمن، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ حيث قال رَحِمَهُ اللهُ: «قال أبو جعفر: المعنى: ويبقى ربك، كما تقول: هذا وجه [الأرض]. ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: ومعنى الآية -والله أعلم-:

(١) ينظر: الصفحة (٢٠١) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحتان (٤٤٦-٤٤٧) من هذه الرسالة.

كل من على ظهر الأرض - من جن وإنس - ﴿فَإِنْ﴾: هالك، ويبقى وجه ريك - يا محمد - ذو الجلال والإكرام»^(١).

ثامناً: منهجه في المسائل الفقهية:

يورد الأدفوي رَحْمَةُ اللَّهِ أَدْلَةَ الْمَسْأَلَةِ ويجررها بذكر أقوال العلماء فيها بإسهاب ويرد على بعضها، دون أن يرجح بينها، وقد اتضح ذلك في سورة النجم، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ حيث قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «في معنى قوله: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ للناس أقوال: فمنهم من قال: الآية منسوخة، ومنهم من قال: هي محكمة، ولا ينفع أحدًا [إلا] أن يُصَدَّقَ عنه أحدٌ، ولا أن يجعل له ثواب شيءٍ عمله.

قالوا: وليس للإنسان إلا ما سعى كما قال الله - جلَّ وعزَّ -، وقال قوم: قد جاءت أحاديث عن النبي ﷺ بأسانيد صحاح، وهي مضمومة إلى الآية، وقال قوم: الأحاديث لها تأويل: وليس للإنسان على الحقيقة إلا ما سعى، فمَنْ تُؤَوَّلُ عليه أن الآية منسوخة: ابن عباس روى عنه علي بن أبي طلحة قال: وقوله: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ فأنزل الله - جلَّ وعزَّ - بعد ذلك: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]، فأدخل الله - جلَّ وعزَّ - الأبناء - بصلاح الآباء - الجنة. قال محمد بن جرير: يذهب إلى أنها منسوخة.

وروى سعيد بن جبیر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "إن الله - جلَّ ثناؤه - يرفع ذرية المؤمن معه في درجة الجنة، وإن كانوا دونه في العمل، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ﴾ [الطور: ٢١] أي: نَقَصْنَاهُمْ".

وقد رفعه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ مَعَهُ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ؛ لِيَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ﴾ [الطور: ٢١])).

(١) ينظر: الصفحتان (٣١٢ - ٣١٣) من هذه الرسالة.

وأما قول من قال: لا ينفع أحد أن يُصدَّق عنه أحد، ولم يتأوَّل الأحاديث، فقول مرغوب عنه؛ لأنه إذا صحَّ عن النبي ﷺ لم يسع أحدًا رُدُّه، قال الله -جلَّ وعزَّ-: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقد صحَّت عن النبي ﷺ أحاديث، من ذلك ما رواه مالك عن ابن شهاب عن سليمان بن يسار عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه: كَانَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمٍ تَسْتَفْتِيهِ فَجَعَلَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشَّقِّ الْآخِرِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ -جلَّ وعزَّ- عَلَى عِبَادِهِ بِالْحَجِّ أَذْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)). وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ.

وفي حديث ابن عيينة عن عمرو عن الزهري عن سلمان عن ابن عباس رضي الله عنه زيادة، وهي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: ((أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ دَيْنٌ كُنْتَ تَقْضِيهِ؟)) قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: ((فَدَيْنُ اللَّهِ -جلَّ ثناؤه- أَوْلَى)).

فقال قوم: لا يحج أحد عن أحد، واحتج له بعض أصحابه فقال: في الحج صلاة لا بد منها، وقد أجمع العلماء على أنه لا يصلي أحد عن أحد. فقليل لهم: الحج مخالف للصلاة، مع ثبات السنة.

وقد روى شعبة عن جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن [جبير] عن ابن عباس رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّي تُوَفِّيَتْ وَعَلَيْهَا صِيَامٌ، قَالَ: ((فَصُمْ عَنْهَا)).

وقد قال من يُقتدى بقوله من العلماء: لا يصم أحد عن أحد، فقال من احتجَّ لهم: هذا الحديث وإن كان مستقيم الإسناد، وسعيد بن [جبير] وإن كان له المحل الكبير، فقد وقع في أحاديثه غلط، وقد خالفه عبيد الله بن عبد الله، وعبيد الله من الإتقان على ما لا خفاء به.

روى مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه: أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، اسْتَفْتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا نَذْرٌ قَالَ: ((فَأَقْضِيهِ عَنْهَا)).

وروى الزهري عن أبي عبدالله الأغر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((يَلْحَقُ الْمُسْلِمَ

أَوْ يَبْلُغُ الْمُسْلِمَ ثَلَاثٌ: وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، وَعِلْمٌ يَسْرُهُ، وَصَدَقَةٌ جَارِيَةٌ)).

قال أبو بكر: وللعلماء في تأويل الأحاديث المذكورة أقوال: فمن العلماء من قال بما كلها، ولم يجز فيها الترك، منهم: أحمد بن محمد بن حنبل، وكان هذا مذهبه، فقال: يحج الإنسان عن الإنسان، ويتصدق عنه، كما قال رسول الله ﷺ: ((وَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ أُطِعَ عَنْهُ لِكُلِّ يَوْمٍ مُدٌّ، وَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ نَذَرَ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ))، كما أمر رسول الله ﷺ.

ومن العلماء من قال ببعض الأحاديث، فقال: يحج الإنسان عن الإنسان، ولا يصوم عنه، ولا يصلي، وهذا مذهب الشافعي رَحِمَهُ اللهُ.

ومنهم من قال: لا يجوز في عمل الأبدان أن يعملها أحدٌ عن أحد، ولا يحج أحدٌ عن أحد. وهذا قول مالك بن أنس.

ومنهم من قال: الأحاديث صحيحة، ولكن هي محمولة على الآية، وإنما يحج الإنسان عن الإنسان إذا أمره، وأوصى بذلك، وكان له فيه سَعْيٌ، حتى يكون موافقا لقوله -جلّ وعزّ-: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

ومنهم من قال: لا يعمل أحدٌ عن أحد شيئاً، فإن عمله فهو لنفسه، كما قال -جلّ وعزّ-: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

وقال: في الأحاديث سبيل الأنبياء -صلى الله عليهم وسلم- ألا تمنعوا أحداً من فعل الخير.

فإن قال قائل: وكيف يرد هذا إلى الآية؟

ففي ذلك جوابان: أحدهما: أنه ما قاله رسول الله ﷺ وصح عنه، فهو مضموم إلى القرآن، كما روى عبد الله بن أبي رافع عن أبيه أو غيره عن النبي ﷺ قال: ((لَا أَلْفَيْتُ أَحَدَكُمْ مُتَكَبِّراً عَلَى أَرِيكْتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، مَا وَجَدْنَاهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ -جلّ وعزّ- اتَّبَعْنَاهُ)).

قال أبو جعفر: وقول جماعة من الفقهاء: أن يُضَمَّ الحديث إلى القرآن: كما قال -جلّ

وعزّ -: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَيْزِيرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، ثم حرّم رسول الله ﷺ كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، وكان مضمومًا إلى الآية.

قال أبو بكر: في الأحاديث تأويل آخر -فيه لطف ودقّة- وهو: أن الله -جلّ وعزّ- إنما قال: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ولام الخفض معناها في العربية: الملّك والإيجاب، فليس يجب للإنسان إلا ما سعى، فإذا تصدّق عنه غيره، فليس يجب له شيء، إلا أن الله -جلّ وعزّ- يتفضّل عليه بما لم يجب له، كما تفضّل على الأطفال بإدخالهم الجنة بغير عمل، فعلى هذا يصح تأويل الأحاديث.

وقد روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: **إِنَّ أُمَّيْ افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا، فَمَاتَتْ وَمَمْ تُوصِ، أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ قَالَ: ((نَعَمْ))**.

قال أبو بكر: فيكون في هذا الحديث ما ذكرناه من التأويلات، وفيه من الغريب قوله: **((افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا))** معناه: ماتت فجأة.

ومنه قول عمر رضي الله عنه: كانت بيعة أبي بكر رضي الله عنه فُلْتَةً، فوقى الله شرّها، أي: فجأة.

وفي ذلك من المعنى: أن عمر رضي الله عنه تواعد من فعل مثل ذلك، وذلك أن أبا بكر رضي الله عنه صار له من الفضائل الباهرة التي لا تدفع ما يستوجب الخلافة، وأن يبايع فجأة، وكان له استخلاف من رسول الله ﷺ إياه على الصلاة.

قال محمد بن جرير: استخلافه إياه على الصلاة: بمعنى استخلافه إياه على إمامة المسلمين، والنظر في أمورهم؛ لأنه استخلفه على الصلوات، التي لا [تقيمها] إلا الأئمة من الجُمع والأعياد، [فروجع] في ذلك، فقال: يَأْبَى اللهُ وَالْمُسْلِمِينَ إِلَّا أبا بكر^(١).

(١) ينظر: الصفحات (١٥٩-١٦٧) من هذه الرسالة.

تاسعاً: منهجه في الوقف والابتداء:

يسرد الأدفوي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ بَعْدَ الْإِنْتِهَاءِ مِنْ بَيَانِ مَعَانِي آيَاتِ الْمَقْطَعِ الْمَفْسُورِ أَنْوَاعَ الْوَقْفِ بِمِصْطَلِحَاتِ هَذَا الْعِلْمِ - كَافٍ أَوْ تَمَامٍ أَوْ حَسَنٍ أَوْ صَالِحٍ - مُتَّبِعًا فِي ذَلِكَ طَرِيقَةَ شَيْخِهِ النَّحَّاسِ، حَيْثُ نَقَلَهَا نَصًّا مِنْ كِتَابِهِ الْقَطْعُ وَالْإِتْتِنَافُ.

مثال ذلك في سورة الحديد عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ تُوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾

قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «وقطع القارئ على قوله: ﴿انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ تُوْرِكُمْ﴾ قطع كاف. ﴿فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ قطع حسن. ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾ تمام على ما روي عن نافع.

ورد ذلك أحمد بن موسى قال: لأنك إذا قلت: عندنا رجلٌ يعبد الله ويطيعه، لم يحسن أن يقول: عندنا رجل، وتسكت. والوقف عنده: ﴿وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾. قال: وهو رأس الآية. ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ تمام، على ما روي عن نافع. والكافي عند أبي حاتم: ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾. وعند غيره ﴿وَيَسَّسَ الْمَصِيرُ﴾^(١).

عاشراً: منهجه في الترجيح والاختيار:

يظهر اختيار الأدفوي رَحْمَةُ اللَّهِ وَتَرْجِيحَهُ بَيْنَ الْأَقْوَالِ - أحياناً -، وقد ينقل ترجيح بعض العلماء بالتصريح بقائله، وأحياناً أخرى يذكر ترجيح غيره بلا نسبة، مما يعطي انطباعاً بموافقته لهذا الاختيار.

ومثال ذلك في سورة الواقعة، عند قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٨﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمْتًا لِلْمُقِيمِينَ﴾

قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «وقوله: ﴿وَمَتَعًا لِلْمُقِيمِينَ﴾ اختلف أهل العلم في معناهم: فروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿وَمَتَعًا لِلْمُقِيمِينَ﴾ "للمسافرين".

(١) ينظر: الصفحتان (٥١٩-٥٢٠) من هذه الرسالة.

وكذا روى سعيد ومعمر عن قتادة والضحاك: ﴿لِلْمُقَوِّينَ﴾ "للمسافرين".

وقال آخرون: عني بالمقوين: [المستمعون] بها.

روى ذلك ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿لِلْمُقَوِّينَ﴾ "للمستمعين"، الناس أجمعين".

وعنه: "للمستمعين"، المسافر والحاضر".

وقال خُصَيْفٌ: "للخلق".

وقال آخرون: بل عني بذلك الجائعون.

روى ابن وهب قال: قال ابن زيد: ﴿وَمَتَّعًا لِلْمُقَوِّينَ﴾ قال: "المقوي: الجائع".

وفي كلام العرب: [أقويت] منه كذا وكذا، [ما] أكلت منذ كذا وكذا [شيئاً].

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب: قول من قال: عني بذلك المسافرون، الذين لا زاد معهم ولا شيء. وأصله من قولهم: أَقَوْتُ الدار، إذا خلت من أهلها وساكنها، كما قال الشاعر:

حَيَّيْتُ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمَّ الْهَيْثِمِ
ويقال: أقوى إذا نزل بالقيي، وهي الأرض الخالية، وأقوى قوى أصحابه: خلّوا من الضعف.

وقال أبو عبيدة: وفي موضع آخر: المقوي: الكثير المال، يقال: أكثُرُ من فلان فإنه مُقَوٍّ.

وقال أبو عبيدة -أيضاً- : المقوي: الذي لا زاد معه ولا مال.

وقد رُذِّ هذا على أبي عبيدة؛ لأن الغني إلى النار أحوج من الفقير.

وقال أبو جعفر: المَقْوَى في اللغة: على ثلاثة أوجه: يقال: أقوى، إذا فني زاده، ومنه: أَقْوَتْ وَطالَ عِيها سالف الأيد، أي: ذهب أهلها. ويقال: أقوى إذا سافر، أي: نزل القَوَى والقِيّ، ويقال: أقوى أي: قوى وقوى أصحابه. قال أبو بكر: والمتاع المنفعة»^(١).
ومثال آخر، من سورة الرحمن، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾: قال رحمه الله بعد أن استعرض أقوال أهل العلم في معنى البيان:

... وكان مُجَدِّد بن جرير يقول: الصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: أن الله - جلَّ وعزَّ - علَّم الإنسان بيان ما به الحاجة إليه، من أمر دينه ودنياه، من الحلال والحرام، [والمعاش / والمنطق]، وغير ذلك، مما به الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه؛ لأنه - جلَّ وعزَّ - لم يَخْصُصْ بخبره ذلك أنه علَّمه من البيان بعضًا دون بعض، بل عمَّ، فقال: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ وهو كما عمَّ - جلَّ ثناؤه -^(٢).

(١) ينظر: الصفحات (٤٥٢-٤٥٤) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحة (٢٧٨) من هذه الرسالة.



المبحث الرابع

المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في كتابه:

اعتمد الأُدْفوي رَحِمَهُ اللهُ عَلَى قَدْرٍ وَاسِعٍ مِنَ الْمَصَادِرِ الْعِلْمِيَّةِ مِمَّنْ سَبَقَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي مُخْتَلَفِ الْفَنُونِ، وَسَابِقِينَ فِي هَذَا الْمَبْحَثِ أَهَمُّ الْمَصَادِرِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا فِي كِتَابِهِ، وَسَأَقْسِمُهَا إِلَى قَسْمَيْنِ: قَسْمٍ صَرَّحَ بِالْأَخْذِ عَنْهُمْ، وَقَسْمٍ لَمْ يَصْرِّحْ بِالْأَخْذِ عَنْهُمْ، وَسَأَذْكَرُ اسْمَ الْكِتَابِ، ثُمَّ اسْمَ مُؤَلَّفِهِ وَطَرِيقَةَ اعْتِمَادِ الْمُؤَلَّفِ عَلَيْهِ، وَأَمثلةً مِنَ السُّورِ الَّتِي أَحَقَّقَهَا.

القسم الأول: من صرَّحَ بِرَحِمَهُ اللهُ بِالْأَخْذِ عَنْهُمْ:

أولاً: إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ):

يعتبر النحاس شيخ الأُدْفوي رحمهما الله، وقد استقى الأُدْفوي رَحِمَهُ اللهُ مِنْ كِتَابِ شَيْخِهِ وَرَوَى عَنْهُ، وَلِذَلِكَ نَجِدُ إِعْرَابَ الْقُرْآنِ لِأَبِي جَعْفَرِ النَّحَّاسِ حَاضِرًا بِقُوَّةٍ فِي الْإِسْتِغْنَاءِ، فَقُلَّ أَنْ يَخْلُو تَفْسِيرُ آيَةٍ مِنَ الْآيَاتِ إِلَّا وَنَقَلَ مِنْهُ تَفْسِيرًا أَوْ إِعْرَابًا، وَيَصْرِّحُ بِهِ أحيانًا بِقَوْلِهِ: (قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ)، أَوْ (قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ)، أَوْ (أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ) أَوْ لَا يَصْرِّحُ بِهِ.

ومثال ذلك في سورة النجم: (قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْوَلِيدِ يَقُولُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ مَا عَلِمْتُ أَنْ أَبَا عَمْرٍو بْنَ الْعَلَاءِ لَحَنَ فِي شَيْءٍ فِي صَمِيمِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْقُرْآنِ، إِلَّا فِي ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥]، وَفِي ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾^(١).

ومثال بالتصريح باسمه واسم أبيه، في سورة الحديد: (وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ: ﴿لَرَّوْفٌ رَجِيمٌ﴾ حِينَ بَيَّنَّ لَكُمْ وَهَدَاكُمْ)^(٢).

(وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ: فِي الْقِرَاءَةِ -أَيْضًا-: وَالْجَرُّ جَائِزٌ عَلَى أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الْمَعْنَى -أَيْضًا-؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى يَتَنَعَّمُونَ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَيَتَنَعَّمُونَ بِحُجُورِ عَيْنٍ، وَهَذَا جَائِزٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ،

(١) ينظر: الصفحة (١٧٦) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحة (٤٩٩) من هذه الرسالة.

واستشهد بالأبيات التي ذكرناها عن الفراء^(١).

ومثال لم يصرح به، في سورة القمر: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ رفع بفعله، ويقال: التقى لا يكون إلاً للثنين، فالمعنى: التقى ماء الأرض وماء السماء، وهما جميعًا يقال لهما ماء؛ لأن ماء اسم للجنس^(٢).

ثانياً: جامع البيان لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ:

هذا الكتاب له أهميته عند الأدفوي رَحِمَهُ اللهُ، فهو كثيراً ما ينقل منه أقوال المفسرين من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ والتابعين -رحمهم الله- ولكنه لا يذكر أسانيد الطبري رَحِمَهُ اللهُ، وفي النقل عنه إما أن ينسب القول إليه بقول: محمد بن جرير وهذا قليل، أو لا ينسبه إليه غالباً، وأحياناً أجد أنه يقول: قال أبو بكر، فينسبه لنفسه موافقةً له.

مثال على نسبة القول إلى الطبري: في سورة النجم: (وقال محمد بن جرير: ﴿فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب)^(٣).

مثال على نقل كلام الطبري رَحِمَهُ اللهُ بدون نسبة، في سورة الرحمن: (ثم قال: ﴿عَلَّمَ الْبَيَانَ﴾ أي: علّمه الله -جلّ وعزّز- الإنسان البيان)^(٤).

ومثال موافقة المؤلف للطبري رَحِمَهُ اللهُ بنسبة القول لنفسه: في سورة الواقعة: (قال أبو بكر: والطلع عند العرب: شجر عظام، كثير الشوك)^(٥).

ثالثاً: معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج ت ٣١١هـ:

وغالب النقول من هذا الكتاب ينسبها الأدفوي رَحِمَهُ اللهُ إلى الزجاج بقوله: قال أبو إسحاق.

(١) ينظر: الصفحة (٣٩٨) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحة (٢١١) من هذه الرسالة.

(٣) ينظر: الصفحة (١٤٩) من هذه الرسالة.

(٤) ينظر: الصفحة (٢٧٧) من هذه الرسالة.

(٥) ينظر: الصفحة (٤١٢) من هذه الرسالة.

مثال ذلك: في سورة القمر: (وقال أبو إسحاق: "وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً" أي: تركنا هذه الفعلة"^(١)).

ومثال آخر من سورة الحديد: (وقال أبو إسحاق: يجوز أن يكون مقطوعاً من الأول، مستأنفاً. ومن قرأ: ﴿فِيضْلِعْفُهُ﴾ بالنصب، جعله جواب الاستفهام، فينصبه بإضمار (أن) عند الخليل وسيبويه، والجرمي: ينصبه بالفاء)^(٢).

رابعاً: معاني القرآن لأبي زكريا يحيى الفراء ت ٢٠٧هـ:

غالب ما ينقله الأُدْفوي رَحْمَتُهُ من هذا المصدر يصرِّح بنسبته إلى الفراء. مثال ذلك في سورة النجم: (وذكر الفراء: أنه سمع العرب تقول: [ضَرَبَهُ مَا] لَمَمَ القتل، يريد ضرباً مقارباً للقتل)^(٣).

مثال آخر في سورة الرحمن: (وقال الفراء: سجودهما: أنهما يستقبلان الشمس إذا أشرقت، ثم يميلان معها، حين ينكسر الفَيء)^(٤).

خامساً : الكتاب لسيبويه ت ١٨٠هـ:

وهو من أهم المصادر النحوية التي اعتمد عليها الأُدْفوي رَحْمَتُهُ وهو في الغالب يصرِّح بما ينقله من الكتاب وينسبه إلى سيبويه.

مثال ذلك من سورة القمر: (وقرأ عيسى بن عمر: ﴿إِنِّي﴾ بكسر الهمزة، قال سيبويه: أي: قال: إني مغلوب)^(٥).

(١) ينظر: الصفحة (٢٢٠) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحة (٥٠٧) من هذه الرسالة.

(٣) ينظر: الصفحة (١٤٧) من هذه الرسالة.

(٤) ينظر: الصفحة (٢٨٤) من هذه الرسالة.

(٥) ينظر: الصفحة (٢١١) من هذه الرسالة.

ومثال آخر من سورة الواقعة: (قال أبو بكر: ﴿إِذَا﴾ في موضع نصب؛ لأنه ظرف زمان، والعامل فيه: ﴿وَقَعَتْ﴾؛ لأنها تشبه حرف الشرط، وإنما يعمل فيها ما بعدها، وقد حكى سيبويه بها^(١).

سادساً: كتاب السبعة لابن مجاهد ت ٣٢٤هـ:

وهو المرجع الأول لكتب القراءات التي استفاد منها الأدفوي رَحِمَهُ اللهُ، وقليلًا ما يصرح باسم ابن مجاهد وغالبًا ما ينقل منه بدون تصريح. ومثال التصريح، في سورة الرحمن: (قال ابن مجاهد: وأخبرني أحمد بن يحيى ثعلب عن سلمة بن عاصم عن أبي الحارث الليثي بن خالد عن الكسائي: ﴿لَمْ يَطْمِئْتُهُنَّ﴾ فقرأها بالضم والكسر جميعًا، لا يبالي كيف قرأهما. والباقون: يكسرون الميم فيهما)^(٢).

ومثال ما لم يصرح باسمه، في سورة النجم: ﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى﴾ اختلفت القراءة في صرف ثمود وترك الصرف: فقرأته الجماعة بالصرف إلا حمزة وعاصمًا في رواية حفص، غير أن عاصمًا في رواية حفص يقف عليه بألف، في حكاية أبي الربيع عنه، واختلف عن أبي بكر: فروى حسين الجعفي والكسائي عن أبي بكر عن عاصم أنه أجرى هذه أيضًا، وروى يحيى عن أبي بكر أنه لم [يجر هذه]^(٣).

سابعًا: مجاز القرآن لأبي عبيدة ت ٢٠٩هـ:

وقد اعتمد الأدفوي على هذا المصدر، وفي الغالب يصرح بنسبة الأقوال إليه. مثال ذلك، من سورة القمر: عند تفسير قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ (وقال أبو عبيدة: مسرعين)^(٤).

(١) ينظر: الصفحة (٣٧٧) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحتان (٣٥٠-٣٥١) من هذه الرسالة.

(٣) ينظر: الصفحة (١٧٩) من هذه الرسالة.

(٤) ينظر: الصفحة (٢٠٩) من هذه الرسالة.

ومثال آخر، في سورة الحديد: (وقوله: ﴿مَأْوَاكُمْ النَّارُ﴾ يقول: مثواكم ومسكنكم الذي تسكنونه يوم القيامة: النار. ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: النار أولى بكم. هذا قول أبي عبيدة والفراء^(١).

القسم الثاني: من لم يصرِّح ﷺ بالأخذ عنهم، لكن بموافقة أقواله مع أقوالهم وهم ممن سبقوه، فتبين أخذه منهم.

أولاً: القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس:

هذا الكتاب نقل منه الأدفوي نصًّا، عند كلامه على الوقف والتمام لكنه لم يصرِّح به، وغالبًا يقول: قال أبو بكر، فلعله قصد موافقته لشيخه، أو لعل هذه الإضافة (قال أبو بكر) من الناسخ.

مثال ذلك في سورة الرحمن: (قال أبو بكر: وقطع القارئ على ﴿كَالَّذِينَ عَلِمُوا﴾ تام، وكذا ﴿فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٢).

ومثال آخر من سورة الواقعة: (قال أبو بكر: وليس قطع القارئ على قوله: ﴿وَلَحْمَ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ كافيًا، على قراءة من خفض ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾؛ لأنه معطوف، وأما على قراءة من قرأ بالنصب فإنه يقف على ﴿يَشْتَهُونَ﴾، وأما من قرأ بالرفع فوقه الكافي على ﴿يَشْتَهُونَ﴾. ﴿جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قطع صالح^(٣).

ثانيًا: كتاب الحجة في القراءات لابن خالويه ت ٣٧٠هـ:

من الكتب التي نقل منها توجيه القراءات، ولم يصرِّح به. ومثال ذلك: في سورة النجم: (وأما القراءة التي رواها إسماعيل القاضي عن قالون وأحمد بن صالح، عن أبي بكر بن أبي أويس وقالون وإبراهيم، عن ابن أبي أويس عن نافع: أنه همز واو ﴿لَوْلَا﴾؛ فقراءة لا أعرف لها وجهًا في العربية؛ لأن سبيل الهمزة إذا أُلقيت حركتها أن تُحذف،

(١) ينظر: الصفحة (٥٢٢) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحة (٣١١) من هذه الرسالة.

(٣) ينظر: الصفحة (٤٠٦) من هذه الرسالة.

وهذه الواو فهي في موطن العين من (فعلى)، ولا يُعرف في كلام العرب اسمًا فاؤه وعينه همزتان، وسبيل كتاب الله -جلّ وعزّ- أن يُقرأ بأفصح اللغات وأعلاها^(١).

ومثال آخر، في سورة الرحمن: (وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمر وعاصم وحمزة والكسائي، وكذلك هو في مصاحف أهل الحجاز والعراق. وقرأ ابن عامر وحده بترك ﴿أَسْمُ رَيْكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ بالرفع نعت ﴿أَسْمُ رَيْكَ﴾. وكذلك هي في مصاحف أهل الشام بالواو^(٢).

ثالثاً: الحجة للقراء السبعة للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، أبو علي ت

٣٧٧هـ:

من الكتب التي نقل منها توجيه القراءات، ولم يصرّح بها. ومثال ذلك، في سورة القمر: (وقرأ ابن عامر وحده: ﴿فَقَمَّتْ حَنَّا أَبُوَبَ السَّمَاءِ﴾ بالتشديد على معنى التكثير^(٣).

ومثال آخر، في سورة الرحمن: (ومن قرأ بخفض ﴿وَالرَّيْحَانِ﴾ فالتقدير في قراءته: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانِ﴾ فعطف على ﴿الْعَصْفِ﴾^(٤).

(١) ينظر: الصفحتان (١٧٨-١٧٩) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الصفحة (٣٦٩) من هذه الرسالة.

(٣) ينظر: الصفحة (٢١١) من هذه الرسالة.

(٤) ينظر: الصفحة (٢٨٧) من هذه الرسالة.

المبحث الخامس

القيمة العلمية للكتاب وأهم مميزاته

تظهر أهمية الكتاب وقيّمته العلمية فيما يلي:

- ١- مكانة مؤلفه العلميّة كما سبق، فهو أحد العلماء الذين برعوا في علومٍ شتى، فهو نحوي مقرئٌ مفسّر، وما قوله: (ما علمتُ في ذلك خلافاً بين أهل العلم) إلا دليلٌ على ذلك؛ فلم يكن ليحزمَ دون أن يكون مطلعاً متوسّعاً في العلوم.
- ٢- قدّم هذا الكتاب، وأصالته، حيث يعد مؤلفه من علماء القرن الرابع الهجري.
- ٣- كثرة المصادر التي اعتمد عليها المؤلف وأصالتها وتنوعها، حيث تُعدُّ هذه المصادر من أمهات الكتب في الفنون التي عنيت بها، كتفسير الطبري، والسبعة في القراءات، وغيرهما.
- ٤- جودة عرض الكتاب لمادته العلميّة، وحسن ترتيبه، ووفرة مسائله ومعلوماته حيث جمع ما تفرّق في غيره.
- ٥- عِظَم حجمه، وإن لم يكن ذلك دليلاً على أهميّته ابتداءً؛ إلا أنّه متى ما عُرِفَ المؤلف واطُّلِعَ على كتابه تبَيَّنَ حينئذٍ أنّه مرجعٌ واسعٌ في بابه، وأنّ كِبَرَ حجمه يُعرب عن وَفَرَةٍ ما أُودِعَ فيه من علوم وفنون ومسائل.
- ٦- وضوح أسلوب المؤلف وسهولته -غالبًا- حيث أتى بأسلوب رصين، ولغة سليمة.
- ٧- تميّز الكتاب بترتيبه على عددٍ من أنواع علوم القرآن، وتبويب الكتاب وتقسيمه، وترتيب الآيات المفسّرة فيه بتسلسل الآيات القرآنية في المصحف الشريف، وهي طريقةٌ فريدةٌ قلَّ مَنْ سَلَكَ مثَلها.
- ٨- ابتداعه في الإعراب، حيث أعرب القرآن كلمةً كلمةً، وهي طريقة لم يُسَبَقْ إليها.
- ٩- ذكره المسائل النحوية المتعلقة بالآية التي هو بصددّها، مع شرحها.
- ١٠- ظهور الصنعة اللغوية وصنعة القراءات في التفسير بشكلٍ واضحٍ.
- ١١- كان الإمام الأُدْفوي رَحِمَهُ اللهُ من علماء التفسير الذين يستشهدون بأبياتٍ شعريّةٍ لبيان معانٍ لغوية.
- ١٢- المؤلف يحتاط في تفسيره دائماً، فيقول: (ومعنى الآيات -والله أعلم- ...).

- ١٣- المؤلف من أوائل من اعتنى بالتلخيص والاستنباط.
- ١٤- عنايته بعلم الوقف والابتداء، ظهر ذلك من خلال حرصه على بيان نوع الوقف، وما لا يصح الوقف عليه.
- ١٥- اشتماله على نصوصٍ من كتب مفقودة في عصرنا ولم تصل إلينا.
- ١٦- خلو الكتاب من النقل عن المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة، فدلّ على سلامة المؤلف وشيوعه، وأيضًا أثر ذلك على تلاميذه.
- ١٧- استفادة من جاء بعده من أهل العلم ك (مكي بن أبي طالب) دليل على نفاسة هذا الكتاب، وأصالته.
- ١٨- أن المؤلف -في الغالب- لم يخالف المنهج الذي وضعه في مقدمة الكتاب.
- ١٩- يعتبر من المراجع النفيسة للمهتمين بالتفسير؛ لما جمعه فيه مؤلفه من كتب فنون علوم القرآن، وكثرة استشهاده بالأحاديث والآثار والشواهد الشرعية.

المبحث السادس الماخذ على الكتاب

ما أذكره في هذا المبحث لا يقلل من قدر الكتاب ومؤلفه؛ إنما هي ملحوظات يسيرة تحتمل الصواب والخطأ، أذكرها فيما يلي:

- ١- عدم تعليق المؤلف على صحة أو ضعف الأحاديث والآثار، فكان يروي الصحيح وغيره.
- ٢- عدم ذكر تخريج للحديث الوارد سواءً من الصحيحين أو غيرهما.
- ٣- ذكر بعض أقوال الأئمة والعلماء المتقدمين دون النسبة إليهم أحياناً.
- ٤- اختصاره أو عدم تصريحه بأسماء المصادر إذا نصَّ على نقلها عن قائلها، وهذا مشكل؛ لا سيما إذا تعددت كتب المؤلف في العلم الواحد.
- ٥- عدم تصريحه بالنقل في مواضع، وقد يصدّرها بقوله: (قال أبو بكر)، والمقول منقول بنصّه عن الطبري أو غيره، وهذا يوهم القارئ أن الكلام له، وقد ذكرْتُ سابقاً أن ذلك قد يكون وهمًا ممن نسخ أو موافقة لصاحب القول، والله أعلم.
- ٦- في بعض المواضع ينقل المؤلف الأقوال المختلفة في الآية التي هو بصددتها دون نقد أو تمحيص.
- ٧- اعتماده في بعض المواضع على ترجيحات من سبقه من العلماء كابن جرير الطبري والنحاس، ونقلها بحرفها كما جاءت دون تعليق أو تعقيب.
- ٨- التوسع في جوانب اللغة أحياناً، حتى خرج في بعض المواضع عن طور التفسير وبدا وكأنه كتاب لغة.

المبحث السابع

وصف النسخة الخطية للكتاب، ونماذج منها

اعتمدتُ في تحقيق هذا الكتاب على نسخة فريدة، تامة، واضحة المبدأ والمنتهى، ثابتة النسبة، مكتوبة بخط واضح، سالمة من النقص، إلا في مواطن قليلة فيها بعض المسح، وهناك تقديمٌ وتأخيرٌ في بعض اللوحات في أول الكتاب - ولم يقع في الجزء الذي أحققه شيءٌ من ذلك - وقد يكون ذلك بسبب الناسخ أو التصوير - والله أعلم - وقد رتبها من قبلي من الباحثين.

وفيما يلي أذكر بياناتٍ عن المخطوط والجزء المحقق في هذه الرسالة، ثم أتبعها بوصفٍ عامٍّ للمخطوط:

عنوان المخطوط: الاستغناء في علوم القرآن من الغريب والإعراب والقراءات باختلافها والناسخ والمنسوخ [والمحكم والمتشابه وعدد الآي والتنزيل والأحكام]^(١) والوقف الكافي والتام والتعريف والتصريف وغير ذلك.

مؤلفه: الشيخ الإمام العلامة أبو بكر محمد بن علي بن أحمد الأُدُوي النَّحوي، تغمَّده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وأعاد على المسلمين من بركته.

الناسخ: محمد بن عبد المنعم الغمري الحنفي الأنصاري. كما هو ثابتٌ في آخر المجلد السابع، والناسخ - كما يظهر لكل مطلعٍ على المخطوط - واحدٌ؛ لتشابه الخط في جميع الأجزاء.

تاريخ النسخ: أثبتَ الناسخ تاريخ النسخ في آخر جزءٍ من الكتاب - وهو المجلد السابع - بقوله: (تمَّ الفراغ من كتابة هذا الجزء من الاستغناء في اليوم المبارك تاسع عشر جمادى الأول من شهور سنة ثمانين وتسعمائة للهجرة)^(٢).

(١) ساقطة من غلاف الجزء السابع الذي ورد فيه الجزء المحقق في هذه الرسالة، ومكتوبة على غلاف الجزء الرابع.

(٢) ينظر: صورة آخر لوحٍ من المخطوط، مرفقة في نهاية هذا القسم من الرسالة.

نوع الخط: مشرقي، نسخي، مشكول في مواضع قليلة منه.

عدد الألواح: ١٦٨٦ لوحًا.

عدد أسطر اللوح: ما بين ٣٢ إلى ٣٥ سطرًا.

كلمات السطر الواحد: يتراوح عدد كلمات كل سطر ما بين (١٤-١٧) كلمة تقريبًا.

بداية المخطوط: بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسر وأعن واختم بخير يا كريم، الحمد لله ذي النعم المتظاهرة...

نهاية المخطوط: واختلف العادون في عدّها، فعدها المدنيان والكوفي والبصري ست آيات والمكي والشامي سبعًا اختلافها آية ﴿مَنْ شَرَّ الْوَسْوَيسِ الْخَسَيسِ﴾^(١).
. آية مكي وشامي والله أعلم بالصواب.

مصدر المخطوط: قسم المخطوطات بمكتبة سليم آغا بتركيا.

المجلد الذي ورد فيه النصّ المحقّق: المجلد السابع.

عدد ألواح النصّ المحقّق: قرابة خمس وخمسين لوحة.

بداية النصّ المحقّق: وقوله جلّ وعز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى﴾^(٢).

نهاية النصّ المحقّق: ... ثم قال جلّ وعز: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾^(٣) وهو قول أبي حاتم^(٢).

الوصف العام للمخطوط:

١- صفحات المخطوط بها إطار -يسمى: جدول- بلونٍ أحمر، والنص مكتوبٌ داخله بلونين (الأسود والأحمر)؛ حيث تكون الآيات المراد تفسيرها باللون الأحمر، وكذلك أسماء بعض السور، وبقية الكلام باللون الأسود، وفي بعض أجزاء المخطوط يكون اسم السورة باللون الأخضر، واستُخدم كذلك اللون الأصفر في كتابة بعض الجمل^(٣).

(١) اللوح رقم ١٣٨، في صور النسخة الضوئية للجزء السابع.

(٢) اللوح رقم ١٩٢، في صور النسخة الضوئية للجزء السابع.

(٣) ينظر: صور بعض الألواح من المخطوط، مرفقة في نهاية هذا القسم من الرسالة.

٢- وجود ختم وقف المخطوط للمكتبة؛ على بعض صفحاته، وفيه: (قد وقف هذا الكتاب المستطاب لوجه الله الملك الوهاب: الحاج سليم آغا، وشرط ألا يُخرج ولا يُرهن، فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه).

٣- خلوُ صفحة العنوان وصفحات الجزء المحقق من السماعات.

٤- خلو النسخة من التعليقات على الهوامش -إلا ما ندر- وقد يوجد جزء من بعض الكلمات خارج إطار النص.

٥- وجود تبخُر حبرٍ أو ترميمٍ أو خرومٍ في بعض أطراف الأوراق وهي يسيرة في الغالب، وغير مؤثرة، تذهب بأول حرفٍ أو كلمةٍ.

٦- وجود بعضٍ من آثار الحبر متفرقةٍ في مواضع قليلةٍ من المخطوط، وهي غير مؤثرةٍ غالبًا.

٧- وجود تعقيبات -باللون الأسود- في نهاية كل صفحة تدل على أول كلمة في الصفحة التي تليها، وإذا كانت كلمةً قرآنيةً يلونها باللون الأحمر غالبًا.

٨- وردت في بعض الهوامش -وهي قليلة- كلماتٌ لم يُدرجها الناسخ في المتن -وحقُّها أن تُدرج-، ولعلَّه سها أو انتقل نظره؛ فأثبتها في الهامش، وهو ما يسمى باللَّحَق في علم كتابة المخطوطات.

٩- وجود علامات مقابلة، بالرغم من كثرة التصحيفات والتحريفات، ووجود بعض السَّقَط فيها، ويمكن حَمَلُ ذلك على اعتماده على نسخةٍ رديئةٍ في الأصل، والله أعلم.

١٠- النص المحقق يخلو من علامات الترقيم بالكلية، ومن التشكيل غالبًا، باستثناء الآيات المراد تفسيرها، وبعض الأحرف.

١١- يميِّز الناسخُ التبويبات التي يذكرها المؤلف بخطِّ أكبر قليلاً عن حجم خط المتن غالبًا.

١٢- ترك الناسخ نقط بعض الكلمات في أجزاء متفرقة من المخطوط.

١٣- لا يهمز الكلمات المهموزة، وقد يشير إليها برسم رمزٍ صغيرٍ كرأس العين قبل الحرف في بعض الكلمات، باستثناء الآيات القرآنية؛ فإنه يهمزها دائماً.

١٤- وجود بعض الأخطاء النحوية، ولعلَّ هذا راجعٌ لرداءة النسخة المنسوخ منها، أو لضعف الناسخ، والله أعلم.

١٥- طريقة الناسخ في ضرب الكلمة: وضع خطٍّ رقيقٍ عليها، والسياق يدلُّ على زيادتها،

والمصادر تؤيد ذلك.

١٦- يضع الناسخ غالباً خطأً أحمر فوق الكلمة التي يتدئ بها جملةً جديدةً، أو فقرةً

جديدةً، أو نحو هذا، مثل (قال، روى)، أو غير ذلك.

وبالمجمل فإن الناظر إلى المخطوط يجده في صورة مرتبة واضحة.

وقد تمّ تحقيق النصّ بالرجوع إلى النسخة الفريدة للمخطوط، والمصادر التي نقل عنها

المؤلف رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهَا، والكتب التي نقلت عنه أو ألفت في الموضوع نفسه.

وفيما يلي نماذج مصوّرة من الجزء المحقّق من المخطوط، والله ولي التوفيق.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

نماذج من صور المخطوط



منا انكار اسهوان يكون الله جل وعز يرسل رسولا من بني ادم بل هو كذاب الاشر والاشد
 المرح والفتاط والخبر والكراروي عن الحسن بن محمد بن سعيد القرشي قال قلت لعبد الرحمن
 ابن ابي حنيفة ما الكذاب الاشر قال الذي لا يبالي بما قال قال ابو بكر الاشر في كلام العرب
 المرح في غير طاعة الله والتكبر وقبول الولاية سبعون عددا من الكذاب الاشر في الشين والشد
 الدرا قال ابو بكر ليس هذا من قوله بل لان شرس فلان لا يبالى به افعل وانما هذا من
 قوله زيد الاشر وهذا الشري كما يقال الاخير والحوري كما قال الشاعر في **الاشد**
 ذاك خير الناس ذابن الاخير

ولا يجوز ان يقال هو كذاب الاشر بوجه وقاسميد بن جابر ومجاهد من الكذاب الاشر بضم
 الشين وتخفيف الراء وهو معنى الاشر ومثله رجل جذر وجذره والفعل من قراءة الجملة
 اشرا اشرا مثل نظير نظير نظير نظير وقوله انا رسول الله فتنه لهوى باعثوا
 الناقة التي سألها ثم وصالحا اية لهم وحجة لصالح على حقيقة نبوته وصدق قوله فتنه
 لهوى اي ابتلاهم واختبار اهل نوسوا بالله ويتبعون صالحا ويصدقونه فيما دعاهم اليه
 من توحيد الله جل وعز اذ ارسل المهرنا فته ام يكذبونه ويكفرون بالله وقوله فارتقبهم
 امر من الله جل وعز لصالح اي فانظروهم ويتصروا ما هم ما نعون لها واصطبر اي واصبر
 على نقاهم ولا تعجل والتطير ما يصنعون بنافة الله جل وعز وقيل كان ابتدا وهو في ذلك
 ان الناقة خرجت لهم من صخرة صمنا ناقة عظيمة فاس بعضهم وكان لعظمها كثرة الاكل
 فكثروا ذلك الى صالح عليه السلام وقالوا فذا فنت الحشايش والاعتساب وسعنتنا من الماء
 فقال ذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوا نرد الماء يوما وتردون يوما فكانت
 هذه الفتنة قال ابو بكر وكان ابو جعفر يقول قطع القاري على هو كذاب الاشر قطع كان
 والتمام سيعلمون عددا من الكذاب الاشر يتكلمون ان شاء الله تعالى في الذي يليه
 قوله جل وعز ونبههم ان الماتمة بينهم الاية **الجزو الثالث والثلاثون**
والمائة من كتاب الاستغناء في علوم القرآن من الغريب والاعراب والمعاني
والقرآيات باختلافها وشرح معانيها والتعريف والتامح والتمسوخ والحكم والمتشابهة
والتهليل والاشتقاق والتصريف والنحو والوقف والتام
وعدد الالهي تاليف ابي بكر محمد بن يعقوب بن احمد الازدوني
 رحمه الله فيه من اقتربت الساعة من قوله ونبههم
 ان الماتمة بينهم الى اخر سورة الرحمن جل وعز
 بسم الله الرحمن الرحيم وقوله جل وعز
 ونبههم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر
 فنادوا واصحابهم فتنعالي فمقر فكيف كان
 عذابي ونذر

ونبههم فعل الامر وعلامة الجزم او الينا حذف الضمة من الهجزة والها والميم ضمير مفعولين ان
 الماتمة ان بالفعل الذي قلنا ونصب الما بان قسمة خبر ان كل شرب محتضر ابتداء وخبر
 فنادوا وفعل ما ضرف فعل مثله معطوف عليه فكيف كان عذابي ونذر عذابي اسم كان نذر
 معطوف عليه وكيف في موضع خبر كان ومعنى الاية والله اعلم ان الله جل ثناؤه يتوكل لصالح

ونبيه

وَقَالَ الْاَئِمَّةُ فِي الْاِسْتِغْنَاءِ بِإِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ سَأَلْتُ أبا عبد الله عليه السلام عن رجل أهدى ابنته لرجل أخرى فدنا منها فاحتملها وأضربها بالأسنان فبقيت حاملًا وولدت له ولدًا ثم ماتت المرأة والولد قد ولدت له ولدًا من بعده قالوا يا رسول الله ما لنا بهذا الولد قال لا أعلم له أبًا ولا أمًا له

سُورَةُ الْفُلُقِ فِي مَدِينَةِ قَوْلٍ مَعْبُودٍ

قَوْلٍ مَعْبُودٍ مَنِ الْفُلُقِ مِنْ مَدِينَةٍ
وَمَنْ مَدِينَةٍ مَنِ الْفُلُقِ مَنِ مَدِينَةٍ
وَمَنْ مَدِينَةٍ مَنِ الْفُلُقِ مَنِ مَدِينَةٍ
وَمَنْ مَدِينَةٍ مَنِ الْفُلُقِ مَنِ مَدِينَةٍ

قال رجل من عوذة بن مسعود قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل أهدى ابنته لرجل أخرى فدنا منها فاحتملها وأضربها بالأسنان فبقيت حاملًا وولدت له ولدًا ثم ماتت المرأة والولد قد ولدت له ولدًا من بعده قالوا يا رسول الله ما لنا بهذا الولد قال لا أعلم له أبًا ولا أمًا له

المسألة العظمى وقد كثر الفيل في شأنها إذ أوتيت قال الغار إذا دخلت الليل وقتها انصرفت في الشهر الثاني

قَوْلٍ مَعْبُودٍ مَنِ الْفُلُقِ مِنْ مَدِينَةٍ
وَمَنْ مَدِينَةٍ مَنِ الْفُلُقِ مَنِ مَدِينَةٍ
وَمَنْ مَدِينَةٍ مَنِ الْفُلُقِ مَنِ مَدِينَةٍ
وَمَنْ مَدِينَةٍ مَنِ الْفُلُقِ مَنِ مَدِينَةٍ

سُورَةُ الْفُلُقِ فِي مَدِينَةِ قَوْلٍ مَعْبُودٍ

قَوْلٍ مَعْبُودٍ مَنِ الْفُلُقِ مِنْ مَدِينَةٍ
وَمَنْ مَدِينَةٍ مَنِ الْفُلُقِ مَنِ مَدِينَةٍ
وَمَنْ مَدِينَةٍ مَنِ الْفُلُقِ مَنِ مَدِينَةٍ
وَمَنْ مَدِينَةٍ مَنِ الْفُلُقِ مَنِ مَدِينَةٍ

في أمثلة الناس في موضع خفض وذلك الأمثلة فزوي حمدين صالح عن رسل وقالون هرب الناس المون مفعولة
 وسقط من ذلك وروي الخواري عن قالون عن ناظم المون مفعولة واختلفت عن علي بن عمير والكافي فوجد
 ابن عبد الرحمن وأبو جردون عن الزبير بن أن اللون مسحة كثيرا إذا كانت في موضع خفض فإذا كانت
 في موضع نصب أو خفض فاللون مفعولة وخبر في من ترا على بكر بن مجاهد يستعملها في المواضع الثلاثة
 وروي الخواري عن علي بن عمير عن الكافي قبل رواية ابن جردون عن الزبير بن جندب عن علي بن جندب
 بن جندب • وروي جلد عن سليمان بن عيسى عن حمزة بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 لا تكبرها كثيرا سديرا ولا يفتخها قضا خافاه وقرا الباقون بالفتح • قال أبو بكر بن جندب
 السورة بأصنافه واختلفت الخادون في عددها فقد هذا المديان والكيفية والمصريت الارات
 وعددها المكي والسامي سبعا اخلافها اية من سنن الوساو اسية مكي وشامي والله سبحانه اعلم بالصواب

وكان الفراغ من كتاب هذا الجهد هذا ومن الاستغناء

في اليوم المبارك تاسع عشر جماد

الاول من شهر ربيع الثاني

وشعيرة علي بن عبد الصفي محمد

عبد المنعم الغزي الحنفي

الاصطري عقر

الله تعالي

والله اعلم

بالحق

م



القسم الثاني

النص المحقق

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٨﴾ فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾

﴿الَّذِينَ﴾ في موضع نصبٍ بِـ ﴿إِنَّ﴾.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فعلٌ مستقبلٌ ^(١) منفيٌّ بِـ ﴿لَا﴾.

﴿بِالْآخِرَةِ﴾ خَفُضٌ ^(٢) بالباءِ. وَ ﴿لَا﴾ مَعَ مَا بَعْدَهَا فِي صِلَةِ ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿لَيَسْمُونَ﴾ فعلٌ مستقبلٌ، واللامُ لأمٍ توكيدٍ، وهي وَمَا اتَّصَلَتْ بِهِ فِي مَوْضِعِ خَبَرٍ ﴿إِنَّ﴾.

﴿الْمَلَائِكَةَ﴾ منصوبةٌ بِـ ﴿يُسْمُونَ﴾.

﴿تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾ العاملُ فِيهَا ﴿يُسْمُونَ﴾، والتقديرُ: يَسْمُوهُمْ تَسْمِيَةً مِثْلَ تَسْمِيَةِ الْأُنثَىٰ، ثُمَّ حُذِفَ الْمُضَافُ وَأُقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ.

﴿الْأُنثَىٰ﴾ خَفُضٌ بِإِضَافَةِ ﴿تَسْمِيَةَ﴾ إِلَيْهَا.

﴿لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ ﴿مَا﴾ حرفٌ نفيٌّ، والهاءُ والميمُ: خَفُضٌ بِاللَّامِ، وَهُوَ فِي الْمَعْنَى فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، أَي: مَا لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ. وَ ﴿مِنْ﴾ مُؤَكِّدَةٌ ^(٣).

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾ ﴿إِنْ﴾ فِي مَعْنَى (مَا) ^(٤)، أَي: مَا يَتَّبِعُونَ.

(١) الفعل المستقبل: هو الفعل المضارع، ويعبر عنه بالمستقبل على اصطلاح الكوفيين. ينظر: إسفار الفصيح، ١/١٨٤.

(٢) الخفض: مصطلح كوفي، وهو الجر عند البصريين، وفسر الكوفيون هذه التسمية لانخفاض الحنك الأسفل عند النطق

به. ينظر: الإيضاح في علل النحو، ٩٣.

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٤/١٨٤.

(٤) ينظر: الأصول في النحو، ١/٢٣٥.

﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ مفعولٌ بِـ ﴿يَتَّبِعُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ الظَّنَّ﴾ منصوبٌ بِـ ﴿إِنَّ﴾.

﴿لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ في موضع خبرٍ ﴿إِنَّ﴾.

﴿فَأَعْرَضَ﴾ أمرٌ.

﴿عَنْ مَنْ تَوَلَّى﴾ فعلٌ ماضٍ في صلةٍ ﴿مَنْ﴾.

﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾ خَفُضٌ بِـ ﴿عَنْ﴾، مُتَّصِلٌ بِصِلَةِ ﴿مَنْ﴾.

﴿وَلَوْ يُرِيدُ﴾ جَزْمٌ بِـ ﴿لَمْ﴾، وَعَلَامَةُ الْجَزْمِ حَذْفُ الضَّمَّةِ مِنَ الدَّالِ، وَحُذِفَتْ الْيَاءُ؛ لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ.

﴿إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ مفعولٌ (يريد).

﴿الدُّنْيَا﴾ مِنْ نَعْتِهَا.

ومن قوله: ﴿وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ معطوفٌ على ﴿تَوَلَّى﴾، أي: فأعرض عن مَنْ تَوَلَّى وَعَنْ مَنْ لَمْ يُرِيدُ.

﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعَالَمِ﴾ ابتداءٌ وخبرٌ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ نصبٌ بِـ ﴿إِنَّ﴾.

﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ ابتداءٌ وخبرٌ، أو يكون ﴿هُوَ﴾ فاصلةً، و﴿أَعْلَمُ﴾ في موضع خبرٍ ﴿إِنَّ﴾.

﴿يَمَنُ﴾ خَفُضٌ بِالْبَاءِ.

﴿ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ في صلةٍ ﴿مَنْ﴾.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ يَمَنِ أَهْتَدَى﴾ عطفٌ جملةً على جملة.

ومعنى الآية - والله أعلم -:

إن الذين لا يُصدِّقون بالبعث في الدار الآخرة - وذلك يوم القيامة - يُسْمُونَ ملائكة الله جلَّ وعزَّ تسمية الإناث، وذلك أنهم / كانوا يقولون: هم بنات الله^(١). جلَّ وعلا عما يقولون علوًّا كبيرًا.

روى ابن أبي نجیح^(٢) عن مجاهد^(٣): «سَمِيَةَ الْأُنثَى» قال: "الإناث"^(٤).

«وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عَلِيٍّ» أي: وما لهم بما يقولون من تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى من حقيقة علم. «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ» أي: ما يتبعون في ذلك إلا الظن، أي: إنما يقولون ذلك ظنًا بغير يقين علم. «وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا» أي: لا ينفع من الحق شيئًا، ولا يقوم مقامه^(٥).

«فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا» يقول لنبيه محمد ﷺ: فَدَعْ مَنْ أَدْبَرَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ وَلَمْ يُوحِّد^(٦).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٥٧/٢٢.

(٢) عبد الله بن أبي نجیح يسار، أبو يسار الثقفي: الإمام، الثقة، المفسر، المكي. أبوه مولى الأحنس بن شريق الصحابي. حدَّث عن: مجاهد، وطاووس، وعطاء، ونحوهم. حدَّث عنه: شعبة، والثوري، وسفيان بن عُيينة، وآخرون. دخل في القدر. قال ابن عُيينة: هو مفتي أهل مكة بعد عمرو بن دينار. قال يحيى بن القطان: كان معتزليًا. توفي: سنة إحدى وثلاثين ومائة. وقيل: اثنتين وثلاثين ومائة. ينظر: الطبقات الكبرى، ٣٢/٦، سير أعلام النبلاء، ١٢٥/٦، طبقات المفسرين للأدنه وي، ٢٥٨/١.

(٣) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الأسود، الإمام، شيخ القراء والمفسرين، كان فقيهاً عالماً كثير الحديث، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي. ويقال: مولى لغير السائب. روى عن: ابن عباس ؓ - فأكثر وأطاب - وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقهاء. وعن: أبي هريرة، وعائشة ؓ، وعدة. وحدَّث عنه: عكرمة، وطاووس، وعطاء - وهم من أقرانه - وابن أبي نجیح، وخلق كثير. توفي بمكة سنة ثلاث ومائة. وقيل: سنة اثنتين ومئة، وقيل: أربع ومائة. ينظر: الطبقات الكبرى، ٢٠/٦، سير أعلام النبلاء، ٤٥٠/٤.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٥٧/٢٢.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل ١٦٣/٤، جامع البيان في تأويل القرآن، ٥٨/٢٢، إعراب القرآن للنحاس، ١٨٤/٤.

(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٥٨/٢٢.

﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: ولم يطلب ما عند الله -جلَّ وعزَّ- في الدار الآخرة، ولكن طلب زينة الحياة والتمسَّ البقاء فيها. و﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: ذلك الذي يقول هؤلاء -الذين لا يؤمنون بالآخرة- في الملائكة من تسميتهم إياهم تسمية الأنثى، مبلَّغهم من العلم، أي: ليس لهم علم إلا هذا الكفر بالله -جلَّ وعزَّ- والشرك به، على وجه الظن بغير يقين علم^(١).

وكان ابن زيد^(٢) يقول في قوله -جلَّ وعزَّ-: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾: "ليس لهم علم إلا الذي هم فيه من الكفر برسول الله ﷺ"^(٣).

وقال غيره: "﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ إنما يعلمون ما يحتاجون إليه من معاشهم، وقد نبذوا الآخرة وراء ظهورهم"^(٤).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: إن ربك -يا محمد- هو أعلم، و﴿أَعْلَمُ﴾ بمعنى: عالم، ويجوز أن يكون على بابيه بال حذف^(٥)، أي: بمن حاد عن طريقه في سابق علمه، فلا يؤمن [من]^(٦) [و]^(٧) ذلك الطريق هو الإسلام^(٨).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٥٨/٢٢، معاني القرآن للقرءاء، ١٠٠/٣.

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، روى عن أبيه، وابن المنكدر، وصفوان بن سليم، وأخذ عنه: إبراهيم بن المنذر، وابن أبي أويس، وابن وهب، وغيرهم، ضعّفه ابن سعد والإمام أحمد وعلي بن المديني وابن حبان، له كتاب: (الناسخ والمنسوخ)، و(التفسير)، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة، ينظر: الطبقات الكبرى، ٤١٣/٥، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ٥٦٧/٣، تهذيب التهذيب، ١٧٧/٦.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٥٨/٢٢، مطوّلاً، وتتمّة كلامه: (ومكايدهم لما جاء من عند الله، قال: وهؤلاء أهل الشرك).

(٤) معاني القرآن للزجاج، ٧٤/٥.

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٨٥/٤.

(٦) مثبت في الأصل، وقد يكون زائداً؛ لموافقة ما في المصدر، ومناسبة السياق، في أحد الاحتمالين للجملة: (... بمن حاد عن طريقه في سابق علمه، فلا يؤمن، وذلك الطريق هو الإسلام)، والاحتمال الثاني: (بمن حاد عن طريقه في سابق علمه، فلا يؤمن من ذلك الطريق، وهو الإسلام)، والأول أولى.

(٧) غير مثبت في الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٨) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٥٩/٢٢.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ أي: وربك هو أعلم بمن أصاب طريقه فسلكه - في سابق علمه - وذلك الطريق - أيضاً - الإسلام^(١).

قال أبو بكر^(٢): «وأما قوله - جلَّ وعزَّ -: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ قطع حسن^(٣). وكذا: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾. والتمام^(٤): ﴿بِمَنِ اهْتَدَى﴾ على قول من جعل: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلقاً بما قبله. يليه في ذلك اختلاف كثير^(٥)، فعلى هذا: التقدير: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فهو يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء؛ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اسْتَفَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾.

والتمام عند أبي حاتم^(٦): ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فهو يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ثم ابتداء بما فيه اللام، وزعم أنها لام قسم^(٧).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٥٩/٢٢، إعراب القرآن للنحاس، ١٨٥/٤.

(٢) المصنّف.

(٣) الوقف الحسن: هو الذي يحسن الوقف عليه؛ لأنه كلام حسن مفيد، ولا يحسن الابتداء بما بعده؛ لتعلقه به لفظاً ومعنى. باستثناء الوقف على رؤوس الآي، فإن ذلك سنة. ينظر: المكتفى في الوقف والابتداء، ١١/١، التمهيد في علم التجويد، ١٧٤/١.

وقد جاء في النشر في القراءات العشر، ٢٣٨-٢٣٩ قوله: (في الفرق بين الوقف والقطع والسكت: هذه العبارات جرت عند كثير من المتقدمين مراداً بها الوقف غالباً، ولا يريدون بها غير الوقف إلا مقيدة، وأما عند المتأخرين وغيرهم من المحققين فإن القطع عندهم عبارة عن قطع القراءة رأساً، فهو كالانتهاء، فالقارئ به كالمُعْرَض عن القراءة، والمنتقل منها إلى حالة أخرى سوى القراءة، كالذي يقطع على حزب، أو ورد، أو عُشْر، أو في ركعة، ثم يركع، ونحو ذلك مما يؤذن بانقضاء القراءة والانتقال منها إلى حالة أخرى، وهو الذي يُستَعَاذ بعده للقراءة المستأنفة، ولا يكون إلا على رأس آية؛ لأن رؤوس الآي في نفسها مقاطع).

(٤) الوقف التام: هو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده، لأنه لا يتعلق بما بعده لفظاً ولا معنى. ينظر: المكتفى في الوقف والابتداء، ٨/١، التمهيد في علم التجويد، ١٦٧/١.

(٥) قال بعض النحويين: المعنى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اسْتَفَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ قال آخر: لا يعني شفاعتهم شيئاً ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اسْتَفَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ ليس بوقف لأن ﴿الَّذِينَ﴾ الثاني بدل من الأول. القطع والانتشاف، ٦٩٤/١.

(٦) أبو حاتم، سهل بن محمد بن عثمان السجستاني، المقرئ، النحوي، اللغوي، أخذ عن: يزيد بن هارون، وأبي عبيدة بن المنذر، ويعقوب الحضرمي، وقرأ عليه القرآن، حدّث عنه: أبو داود، والنسائي في كتابيهما، وروى القراءة عنه محمد بن سليمان المعروف، له اختيار في القراءة، وبأغ طولاً في اللغات والشعر، وله كتاب (إعراب القرآن)، والمقاطع (المبادئ)، و(اختلاف المصاحف)، وغير ذلك، مات سنة خمس وخمسين ومائتين، ينظر: تهذيب الكمال، ٢٠١/١٢، سير أعلام النبلاء، ٢٦٨/١٢، غاية النهاية، ٤٨٤/١.

(٧) القطع والانتشاف، ٦٩٤، بزيادة طفيفة من الإمام الأذفوي رحمه الله؛ حيث أضاف في آخر الكلام قوله: (فهو يضل من يشاء ويهدي من يشاء) بعد قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَفُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾

﴿مَا﴾ في موضع رفع بالابتداء.

﴿وَلِلَّهِ﴾ في موضع خبره.

﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾ خفض بـ ﴿فِي﴾، في صلة ﴿مَا﴾.

﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ معطوف أيضاً.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ نصب بلام كي.

﴿الَّذِينَ﴾ نصب بـ ﴿يَجْزِي﴾.

﴿أَسَفُوا﴾ في صلة ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿بِمَا﴾ خفض بالباء.

﴿عَمِلُوا﴾ في صلة ﴿بِمَا﴾.

﴿وَيَجْزِيَ﴾ معطوف.

﴿الَّذِينَ﴾ مفعول أيضاً بهم.

﴿أَحْسَنُوا﴾ فعل، وضمير فاعلين، في صلة ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿بِالْحُسْنَى﴾ خفض بالباء.

واختلف النحويون في المعنى الذي (لام كي) متعلقة به: فمن ذلك: أنه يجوز أن يكون اللام متعلقة بقوله: ﴿لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا﴾، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَفُوا بِمَا عَمِلُوا﴾. وجواب ثاني: وهو أن المعنى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَفُوا بِمَا عَمِلُوا﴾. وجواب ثالث: أن تكون متعلقة بما يليها، وأن يكون المعنى: ولله ملك كل ما في السماوات وما في الأرض من شيء، فهو يضل

من يشاء ويهدي من يشاء، فهو أعلم بمن اهتدى^(١)، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَفُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: ليجزي الذين عَصَوْا من خَلَقَهُ - فأساءوا بمعصيتهم إياه - فيشيبهم النار، ويجزي الذين أطاعوا - فأحسنوا بطاعتهم إياه في الدنيا - بالحسنى، وهي: الجنة^(٢).

[١٣٩/أ]

ويروى أن المَعْنَى بذلك / أهل الشرك والإيمان^(٣).

رُوي ذلك عن زيد بن أسلم^(٤) في قوله - جلَّ وعزَّ -: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَفُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾: ﴿الَّذِينَ أَسَفُوا﴾: المشركون، و﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾: المؤمنون^(٥)، وفي الآية جواب رابع، وهو قول أبي حاتم، قال: هي لام قسم^(٦).

قال أبو بكر: وليس قطع القارئ على ﴿بِالْحَسَنَى﴾ وقفًا؛ لأن ﴿الَّذِينَ﴾ الثاني بدل من الأول^(٧).

(١) ينظر: القطع والائتناف، ٦٩٤.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢ / ٥٩، إعراب القرآن للنحاس، ٤ / ١٨٥. وقد ذكر السيوطي في كتابه الإتيان في علوم القرآن، ٣ / ١٦٣ فائدة لطيفة، يقول: (عدل في الجملة الأولى عن قوله (بالسوءى) مع أن فيه مطابقة للجملة الثانية إلى (بما عملوا)؛ تأدُّبًا أن يضاف السوء إلى الله تعالى).

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢ / ٥٩.

(٤) زيد بن أسلم العدوي، أبو أسامة، ويقال: أبو عبد الله، المدني، ثقة، وكان عالمًا بتفسير القرآن، حدَّث عن والده أسلم مولى عمر، وعن عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله رضي الله عنه، وخَلْق، حدَّث عنه: مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي، قال الذهبي: (لزيد تفسير رواه عنه ابنه عبد الرحمن)، كانت وفاته سنة ست وثلاثين ومائة، ينظر: سير أعلام النبلاء، ٥ / ٣١٦، تهذيب التهذيب، ١ / ٢٠٧، طبقات المفسرين للداودي، ١ / ١٨٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢ / ٥٩، مختصرًا. وينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٤ / ١٨٥.

(٦) ينظر: القطع والائتناف، ٦٩٤. ولام القسم لا بد أن تكون مفتوحة.

(٧) ينظر: القطع والائتناف، ٦٩٤.

وقوله - جلّ وعزّ -:

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾﴾

قال أبو بكر: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾ في موضع نصب على البدل من: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾^(١)، و﴿يَجْتَنِبُونَ﴾ فعل مستقبل، وضمير فاعلين، وهو الواو، في صلة ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾ منصوب ﴿يَجْتَنِبُونَ﴾. ف ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ معطوف على ﴿كَبِيرَ﴾.

﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ استثناء ليس من الأول^(٢)، ومنهم من جعله في موضع نصب ﴿يَجْتَنِبُونَ﴾ وجعل ﴿إِلَّا﴾ بمعنى الواو، وقدّر المعنى: الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش واللمم، وهذا القول مردود؛ لأن الظاهر يدل على غيره، وأيضاً فإذا كان المعنى: يجتنبون كبائر الإثم والفواحش واللمم، فما الذي يُغفر لهم؟! و﴿إِلَّا﴾ لمعنى الواو لا يعرفه النحويون القدماء^(٣).

وقوله - جلّ وعزّ -: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ اسم إن وخبرها.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ ابتداء خبر.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان.

﴿أَنْشَأَكُمْ﴾ فعل ماض، والكاف والميم: ضمير مفعولين.

﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾ خفض بـ ﴿مِّنَ﴾.

﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ ابتداء وخبر بعد ﴿إِذْ﴾.

﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ خفض بـ ﴿فِي﴾.

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٨٥/٤.

(٢) يعني استثناءً منقطعاً. ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٨٥/٤.

(٣) القطع والائتناف، ٦٩٥.

﴿فَلَا تُزَكُّوْا﴾ فعل النهي .

﴿أَنْفُسِكُمْ﴾ مفعول ﴿تُزَكُّوْا﴾ .

﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ ابتداء وخبر .

﴿يَمَنْ﴾ خفض بالباء .

﴿أَتَقَى﴾ فعل ماض في صلة ﴿مَنْ﴾، و﴿مَنْ﴾ وما عمل فيه، وما اتصل بها، متصل بخبر

الابتداء .

ومعنى الآية - والله أعلم -:

«الذين يبعدون عن كبائر الإثم التي نهى الله -جلّ وعزّز- عنها، وحرّمها عليهم، فلا يقربوها، وذلك الشرك بالله -جلّ ثناؤه-، وما قدمناه في قوله جلّ وعزّز: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]^(١)، و﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ وهي الزنا، وشبهه، مما أوجب الله -عزّ وجلّ- فيه حدًّا.

وقوله: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ اختلف أهل العلم في معنى: ﴿إِلَّا﴾ في هذا الموضع فقال بعضهم: هي بمعنى الاستثناء المنقطع، وقالوا: معنى الكلام: الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم الذي ألموا به من الإثم والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام؛ فإن الله -جلّ ثناؤه- قد عفا لهم عنه، فلا يؤاخذهم به»^(٢).

روى علي بن أبي طلحة^(٣) عن ابن عباس^(٤) رضي الله عنه قوله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا

(١) سورة النساء في المجلد الثاني من الأصل، وهو المجلد المفقود.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٦٠/٢٢-٦١، تفسير القرآن للسمعي، ٢٩٨/٥.

(٣) علي بن أبي طلحة، واسمه سالم بن المخارق الهاشمي، يكنى أبا الحسن، روى عن ابن عباس ولم يسمع منه حيث أنّ بينهما مجاهد، وسمع من: أبي الودّاء جبر بن نوف، وراشد بن سعد المقرئ، روى عنه الحكم بن عتيبة، وداود بن أبي هند، وسفيان الثوري، وآخرون، وذكره ابن حبان في (الثقات)، ووثقه العجلي، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة، ينظر: معرفة الثقات للعجلي، ١٥٦/٢، تهذيب الكمال، ٤٩٠/٢٠، تهذيب التهذيب، ٣٣٩/٧.

(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ، أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، دعا له رسول الله ﷺ فقال: ((اللَّهُمَّ عَلِّمُهُ التَّأْوِيلَ وَفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ))، ومناقبه أكثر من أن تُحصَر، توفي بالطائف -وقد كُفِّفَ

اللَّمَمَ ﴿ قال: "إلا ما قد سلف" ^(١).

وقال ابن زيد: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ قال: "المشركون إنما كانوا بالأمس يعملون [معناه] ^(٢)، فأنزل الله -جلَّ وعزَّ-: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ ما كان منهم في الجاهلية، قال: واللمم الذي كانوا ألموا به من تلك الكبائر والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام، وعَفَّوْهَا لهم حين أسلموا" ^(٣).

وقال زيد بن أسلم في قوله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ قال: "﴿كَبِيرَ﴾ الشرك، ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ الزنا، تركوا ذلك حين دخلوا الإسلام، فغفر الله -جلَّ وعزَّ- لهم ما كانوا ألموا به، وأصابوا من ذلك قبل الإسلام" ^(٤).

وقال أبو عبيدة ^(٥) في قوله: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾: "لم يأذن في اللمم، وليس هو من الفواحش، ولا من كبائر الإثم، وقد يُستثنى الشيء من الشيء وليس منه، على ضميرٍ قد كُفَّ عنه، فما مجازة إلا أن يلم بشيء ليس من الفواحش / ولا من الكبائر. قال الشاعر ^(٦):

وَبَلَدُهُ لَيْسَ بِهَذَا أَنْيْسٌ إِلَّا الْيَعْفَا فَيْرٌ وَإِلَّا [الْعَيْسُ] ^(٧)

بصره- سنة ثمان وستين، ينظر ترجمته في: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ١٨٦/٣، الإصابة في تمييز الصحابة، ١٢١/٤.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٦٠/٢٢.

(٢) في الأصل (معنا)، وأثبت (الماء)؛ لموافقتة لما في المصدر، ولمناسبته للسياق.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٦٠/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٦١/٢٢.

(٥) مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى أَبُو عبيدة التيمي البصري، النحوي العلامة مولى بني تَيْمٍ بن مرة، روى عن: هشام بن عروة وأبي عمرو بن العلاء وأبي الوليد بن داب وغيرهم. روى عنه: إسحاق بن إبراهيم الموصلي وأبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، مات سنة ثمان ومائتين. ينظر: تهذيب الكمال، ٣١٦/٢٨، سير أعلام النبلاء، ١٥٢/٨.

(٦) جران العود النميري، عامر بن الحارث النميري: شاعر ووصاف. أدرك الإسلام، وسمع القرآن. ينظر: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ٦٩/٢، الأعلام، ٢٥٥/٣، معجم المؤلفين، ١١٩/١٤.

(٧) في الأصل: (العيس)، والمثبت موافق لما في المصدر. ديوان الشاعر الأموي جران العود النميري، ٩٧.

اليعافير: الطباء، والعييس: الإبل. ليس بها أنيس غير أن بها طباءً وإبلاً. وقال بعضهم: اليعفور من الطباء: الأحمر، والأعيس: الأبيض من الطباء^(١).

قال أبو بكر: وليست اليعافير والعييس من الناس^(٢). وقال بنحو هذا القول جماعة من أهل العلم:

روى الأعمش^(٣) عن أبي الضحى^(٤) أن ابن مسعود^(٥) قال: "زنا العينين: النظر، وزنا الشفتين: التقبيل، وزنا اليدين: البطش، وزنا الرجلين: المشي، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه، فإن تقدم لفرجه؛ كان زانيًا، وإلا فهو اللمم"^(٦).

وروى طاووس^(٧) عن ابن عباس^(٨) قال: "ما رأيت شيئًا أشبه بالمم مما قال أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَزَّ - كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّانِ، أَدْرَكَهُ ذَلِكَ لَا

(١) ينظر: مجاز القرآن، ٢/٢٣٧.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٦٢/٢٢.

(٣) سليمان بن مهران الأعمش الأسدي الكوفي، أبو سليمان، روى عن: أنس بن مالك، وزيد بن وهب، وإبراهيم النخعي، وأخذ عنه: عاصم القارئ، وأيوب السختياني، والحكم بن عتيبة، كان شيخًا في القراءة والحديث، عابدًا عالمًا، وكان مدلسًا مع إمامته، مات سنة ثمان وأربعين ومائة، ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ٩٤/١، غاية النهاية، ٤٧٨/١، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٢/٢٢٠.

(٤) مسلم بن صبيح الهمداني، أبو الضحى الكوفي العطار مولى همدان، وقيل: مولى آل سعيد بن العاص القرشي. روى عن جرير بن عبد الله البجلي، وجعدة بن هبيرة المخزومي وغيرهم، وروى عنه: جابر الجعفي والحسن بن عبيد الله وغيرهم. قال إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين، وأبو زرعة: (ثقة). وذكره ابن حبان في كتاب (الثقات). مات في خلافة عمر بن عبد العزيز. ينظر: تهذيب الكمال، ٥٢٠/٢٧، سير أعلام النبلاء، ٧١/٥، تقريب التهذيب، ٥٣٠.

(٥) أبو عبد الرحمن الهذلي، عبد الله بن مسعود بن غافل، حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعرض عليه القرآن، وحدث عن عمر، وسعد بن معاذ رضي الله عنه، حدث عنه أبو هريرة رضي الله عنه، وعرض عليه القرآن أبو عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش، وطائفة، وكان يقول: (حفظت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة وسبعين سورة)، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، ينظر: سير أعلام النبلاء، ٤٦١/١، غاية النهاية في طبقات القراء، ٦٧٧/٢، الإصابة في تمييز الصحابة، ٢٣٣/٤.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٦٢/٢٢، وعبد الرزاق في تفسيره، ٢٥٧/٣، بنحوه.

(٧) طاووس بن كيسان الهمداني الفارسي ثم اليماني، أبو عبد الرحمن الخولاني، تابعي جليل، سمع من السيدة عائشة، وأبي هريرة، وابن عباس رضي الله عنه، أخذ عنه: الزهري، وأسامة بن زيد الليثي، والحسن بن مسلم، وغيرهم، كان مجرًا في العلم،

مَحَالَّةٌ؛ فَرْنَا الْعَيْنِ: النَّظْرُ، وَزَنَا اللِّسَانَ: النُّطْقُ، وَالنَّفْسُ تَمَّتْ وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ^(١))). وقال مسروق^(٢): "إِنْ تَقَدَّمَ؛ كَانَ زَنًا، وَإِنْ تَأَخَّرَ كَانَ لَمَمًا"^(٣).

وقال الشعبي^(٤): "هو ما دون الزنا، ثم ذكر ما روينا عن ابن مسعود رضي الله عنه"^(٥).

وقال أبو لبابة عبد الرحمن بن نافع الطائفي^(٦): "سألت أبا هريرة رضي الله عنه عن قوله -جل-

زاهدًا ورعًا مع كثرة في العبادة، كانت وفاته سنة ست ومائة، ينظر: الثقات لابن حبان، ٣٩١/٤، طبقات الفقهاء، ٧٣/١، تهذيب التهذيب، ٨/٥.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، بلفظ: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّانَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَّةَ، فَرْنَا الْعَيْنِ النَّظْرَ، وَزَنَا اللِّسَانَ الْمُنْطِقَ، وَالنَّفْسُ تَمَّتْ وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ)). كتاب: الاستئذان، باب: زنا الجوارح دون الفرج، رقم الحديث: ٦٢٤٣، ٥٤/٨، وكتاب: القدر، باب: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْتَهَا أَنُحْمًا لَا يَرْجِعُونَ﴾، رقم الحديث: ٦٦١٢، بدون لفظ (كله)، ١٢٥/٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، بلفظ: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّانَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَّةَ، فَرْنَا الْعَيْنِ النَّظْرَ، وَزَنَا اللِّسَانَ النَّطْقَ، وَالنَّفْسُ تَمَّتْ وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ))، كتاب: القدر، باب: فُذِّرَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزَّانَا، رقم الحديث: ٢٠ - ٢٦٥٧، ٤/٤٦٠٤.

(٢) مسروق بن الأجدع الهمداني الكوفي، أبو عائشة، وعداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، حدّث عن أبي بن كعب، وعمر، وعائشة رضي الله عنهم، وغيرهم، روى عنه: الشعبي، وإبراهيم النخعي، ويحيى بن وثاب، وآخرون، قال علي بن المديني: ما أقدم على مسروق أحدًا من أصحاب عبد الله، توفي سنة اثنتين وستين، ينظر: الطبقات الكبرى، ٧٦/٦، سير أعلام النبلاء، ٦٣-٦٩، تهذيب التهذيب، ١٠/١٠٠.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٦٢/٢٢.

(٤) عامر بن شراحيل بن عبّاد بن ذي كِبَارٍ، أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي، حدّث عن سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد رضي الله عنه، وقرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، روى عنه عاصم الأحول، وابن أبي ليلى، وأبو حنيفة، قال ابن عيينة: علماء الناس ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه، توفي سنة أربع ومائة، ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٣٤٦/٦، سير أعلام النبلاء، ٤/٢٩٤، غاية النهاية، ٥٣١/٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٦٢/٢٢، وقد ذكر الطبري الأثر المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه، والأثر قد ذكره الأدفوي في موضع متقدم (ينظر صفحة (١٤١) من هذه الرسالة).

(٦) عبد الرحمن بن نافع بن لبيبة الطائفي، روى عن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم، روى عنه عبد الله بن عثمان بن خثيم ويعلى بن عطاء، ينظر: الجرح والتعديل، ٢٩٤/٥، المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، ٨١٠/٢.

(٧) أبو هريرة الدوسي اليماني، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، اختُلف في اسمه واسم أبيه اختلافًا كثيرًا، وأصح ما قيل في اسمه: عبد الرحمن بن صخر، وقد كان حفظه الخارق من علامات النبوة، فإنَّ أبا هريرة رضي الله عنه كان أحفظ من روى الحديث، كانت وفاته سنة سبع وخمسين، ينظر: أسد الغابة، ٣١٨/٥-٣٢١، الإصابة في تمييز الصحابة، ٣٤٨/٧-٣٦٢، سير أعلام النبلاء، ٦١٦/٢-٦٣٢.

وعزّ - ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾، قال: "القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة، فإذا مسَّ الختان الختان فقد وجب الغسل، وهو الزنا"^(١).

وقال آخرون: بل ذلك استثناء صحيح، ومعنى الكلام: الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا أن يلَمَّ بها ثم يتوب^(٢). وذلك ما رواه عمرو بن دينار^(٣) عن عطاء^(٤) [عن^(٥) ابن عباس رضي الله عنه] في قوله: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ قال: "هو أن يأتي الذنب ثم يتوب، ألم تسمع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول:

((إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا))^(٦)

وروى منصور^(٧) عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ قال: "هو أن يلَمَّ العبد بالذنب ثم لا يعاود. قال الشاعر^(٨):

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٦٣/٢٢.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٦٣/٢٢، وينظر: تفسير القرآن للسمعاني، ٢٩٧/٥، معالم التنزيل، ٣١١/٤.

(٣) عمرو بن دينار، الحافظ الإمام عالم الحرم، الجمحي مولاها المكي الأثرم، وفاته في أول سنة ست وعشرين ومائة. ينظر: تذكرة الحفاظ، ٨٥/١. تهذيب التهذيب، ٢٦/٨. تهذيب الكمال، ٥/٢٢.

(٤) عطاء بن أبي رباح، واسم أبي رباح: أسلم، مفتي الحرم، أبو محمد القرشي، حدّث عن عائشة، وأبي هريرة، وابن عباس رضي الله عنه، وغيرهم، حدّث عنه: مجاهد بن جبر، وعمرو بن دينار، والزهري، وأمّ سواهم، قال ابن سعد: (انتهت فتوى أهل مكة إليه وإلى مجاهد، وأكثر ذلك إلى عطاء)، توفي سنة أربع عشرة ومائة. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٤٦٧/٥، سير أعلام النبلاء، ٧٨/٥، تهذيب التهذيب، ١٧٩/٧.

(٥) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٦) الحديث أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة والنجم، ٣١٨/٥، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق، ذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٢٩٩/١. والبيت لأمية بن أبي الصلت، وستأتي ترجمته.

(٧) منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة وقيل المعتمر بن عتاب بن فرقد السلمي الكوفي أبو عتاب، الإمام الحافظ الحجّة أحد الأعلام، وقال ابن مهدي: لم يكن بالكوفة أحد أحفظ من منصور، وقال أبو زرعة عن إبراهيم بن موسى: أثبت أهل الكوفة منصور ثم مسعر. وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن منصور، فقال: ثقة. توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة. ينظر: تذكرة الحفاظ، ١٠٧/١، تهذيب التهذيب، ٢٧٧/١٠، غاية النهاية، ٣١٤/٢.

(٨) أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عون بن عقدة بن عزة بن عوف بن ثقيف وهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن، أبو عثمان، ويقال: أبو الحكم الثقفي، شاعر جاهلي، قدم دمشق قبل الإسلام. ينظر: تاريخ دمشق، ٢٥٥/٩، ديوان الإسلام، ٤٣/١.

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَا" (١)
 وروى يونس (٢) عن الحسن (٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه - أراه رفعه - في ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ
 وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾، قال: "اللممة من الزنا، ثم يتوب ولا يعود، واللممة من السرقة، ثم يتوب ولا
 يعود، واللممة من شرب الخمر - إن شاء الله - ثم يتوب ولا يعود، وذلك الإمام" (٤).
 وقال أبو صالح: "الزنا ثم يتوب" (٥).

وقال مجاهد: "يَلْمُ بالذنب ثم [ينزع] (٦) عنه". قال: و"كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت،
 وهم يقولون:

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَا" (٧)
 وقال آخرون - يَمُنُّ وَجَّهَ معني ﴿إِلَّا﴾ إلى الاستثناء المنقطع -: "﴿الَلَمَمَ﴾ هو ما دون حد
 الدنيا وحد الآخرة، قد تجاوز الله - جلَّ وعزَّ - عنه" (٨). روى ذلك جابر (٩) عن عطاء عن

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٦٤/٢٢، بنحوه. والبيت الشعري من ديوان أمية بن الصلت، ١٩١.
 (٢) يونس بن عبيد، أبو عبد الله مولى لعبد القيس، وكان ثقةً ثبناً حافظاً ورعاً، ورأساً في العلم والعمل، مات سنة تسع
 وثلاثين ومائة. الطبقات الكبرى لابن سعد، ١٩٢/٧، التاريخ الكبير، ٤٠٢/٨.
 (٣) الحسن بن أبي الحسن يسار، الإمام البصري، شيخ الإسلام أبو سعيد، وأمه خيرة مولاة أم سلمة، نشأ بالمدينة وحفظ
 كتاب الله في خلافة عثمان رضي الله عنه، وسمعه يخطب مرات، وكان يوم الدار ابن أربع عشرة سنة، ثم كبر ولازم الجهاد،
 ولازم العلم والعمل، توفي سنة عشر ومائة، وله ثمان وثمانون سنة. ينظر: تذكرة الحفاظ، ٥٧/١، غاية النهاية،
 ٢٣٥/١.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٦٤/٢٢، باختلاف طفيف في لفظه.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٦٥/٢٢.

(٦) في الأصل: (يفرغ)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٦٦/٢٢، بنحوه.

(٨) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٦٦/٢٢، معالم التنزيل، ٣١٢/٤، المحرر الوجيز، ٢٠٥/٥.

(٩) جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث بن كعب بن الحارث بن معاوية بن وائل بن مرثي الجعفي، أبو عبد الله، روى
 عن سالم بن عبد الله بن عمر، وطاووس بن كيسان، وعامر بن شراحيل الشعبي، وغيرهم، وروى عنه: حفص بن

ابن الزبير^(١) رضي الله عنه: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ قال: "ما بين الحدّين: حدّ الدنيا وعذاب الآخرة"^(٢).

روى الحكم^(٣) عن عيينة عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ قال: "ما دون الحدّين: حدّ الدنيا والآخرة"^(٤). وعنه رضي الله عنه بغير هذا الإسناد: "كل شيء بين حدّين: حدّ الدنيا وحدّ الآخرة، تكفره الصلوات، وهو اللمم، وهو دون كل موجه، فأما حدّ الدنيا: فكل حدّ فرض الله -جلّ وعزّز- عقوبته في الدنيا، وأما حدّ الآخرة: فكل شيء ختمه الله -جلّ وعزّز- بالنار، وأخّر عقوبته إلى الآخرة"^(٥). وممن قال بهذا القول -أعني بين الحدّين-: عكرمة وقتادة والضحاك^(٦).

وقال أحمد بن محمد: "ومن أصح ما قيل فيه، وأجمعه لأقوال العلماء: أنه الصغائر، ويكون [مأخوذاً]^(٧) من ألممت بالشيء، إذا قللت نيله"^(٨). قال: وقيل: ﴿اللَّمَمَ﴾ النظرة، أي: تكون فجأة^(٩).

[١٤٠/أ]

عمر البُرْجُمِيُّ الأزرق، وزهير بن معاوية، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة وغيرهم، مات سنة ثمان وعشرين ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ٤/٦٥، تهذيب التهذيب، ٢/٤٦.

(١) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله، هو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وأبوه الزبير بن العوام رضي الله عنه أحد الصحابة العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن صفيّة عمة النبي صلى الله عليه وآله. وأم عروة المذكور: أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، هي ذات النطاقين وإحدى عجائز الجنة، مات سنة تسع وسبعين للهجرة. ينظر: طبقات الفقهاء، ١/٥٨، وفيات الأعيان، ٣/٢٥٥.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٦٧.

(٣) الحكم بن عتيبة الكندي، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله، ويقال: أبو عمر، الكوفي مولى عدي بن عدي الكندي، ويقال: مولى امرأة من كندة، وليس بالحكم بن عتيبة بن النهاس العجلي الذي كان قاضيًا بالكوفة فإن ذلك لم يُرو عنه شيء من الحديث، مات سنة ثلاث عشرة ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ٧/٤١٤، تهذيب التهذيب، ٢/٤٣٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٦٧، من طريق شعبة عن الحكم عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٦٧، بنحوه.

(٦) أخرج آثارهم الطبري في تفسيره، ٢٢/٦٧-٦٨، بأسانيد منفصلة.

(٧) في الأصل: (موجودا)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٨) إعراب القرآن للنحاس، ٤/١٨٥.

(٩) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني، ٥/٢٩٨.

قال أبو بكر: وأنكر الفراء^(١) قول من قال: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى الواو، وقال: "المعنى: إلا المتقارب من صغير الذنوب"^(٢).

قال أبو جعفر أحمد بن محمد: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ استثناء ليس من الأول^(٣). والمعنى: لكن اللمم فإن الله يعفو عنه. ويجوز أن يكون استثناء من الأول، من ﴿الْفَوَاحِشَ﴾ ويكون المعنى: ويجتنبون الفواحش إلا اللمم؛ لأن الفواحش تكون الكبائر والصغائر^(٤).

وقال أبو إسحاق: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ إلا أن يكون العبد قد ألمَّ بفاحشة ثم تاب، فإن الله -جلَّ وعزَّ- يقبل التوبة ويعفو عن السيئات^(٥).

وكان محمد بن جرير^(٦) يقول: أولى الأقوال بالصواب، قول من قال: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى الاستثناء المنقطع، ووجه معنى الكلام إلى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْأَثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾، فما دون كبائر الإثم ودون الفواحش الموجبة الحدود في الدنيا والعذاب في الآخرة، فإن ذلك معفو عنه، قال: وذلك عندي نظير قوله -جلَّ وعزَّ-: ﴿إِن يَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] فوعده الله -جلَّ وعزَّ- باجتنب الكبائر المعفو عن ما دونها

(١) يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي الفراء، أبو زكريا، الإمام النحوي، الكوفي، صاحب التصانيف، كان صاحبًا للكسائي وأخذ عنه العلم، وروى أيضًا عن: قيس بن الربيع، وأبي الأحوص، روى عنه: سلمة بن عاصم، ومحمد بن الجهم، وثقه العلماء، ترك الكثير من الآثار منها: (آلة الكاتب)، و(كتاب المعاني)، توفي سنة سبع ومائتين، ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ١٤٣، سير أعلام النبلاء، ١٠/١١٨، تهذيب التهذيب، ١١/٢١٢.

(٢) معاني القرآن للفراء، ٣/١٠٠.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ٤/١٨٥.

(٤) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني، ٥/٢٩٨.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٥/٧٤.

(٦) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، أبو جعفر المفسر، كان من أفراد الدهر علمًا وذكاءً، فقيهاً في أحكام القرآن وعلومه، عالماً بالسنن وطرائقها، روى عن: السدي، وسفيان بن وكيع، والحسن بن عرفة، وروى عنه: أبو القاسم الطبراني، وأحمد الخشاب، والمعلّى بن سعيد، وغيرهم، له الكثير من المصنفات أشهرها: (تفسير جامع البيان)، و(تاريخ الرسل والملوك)، (تهذيب الآثار)، وغيرها، توفي سنة عشر وثلاثمائة. ينظر: تاريخ الإسلام، ٧/١٦٠، سير أعلام النبلاء، ١٤/٢٦٧، طبقات المفسرين للسيوطي، ١/٩٥، طبقات المفسرين للأدنه وي، ١/٤٨.

من السيئات، وهي اللمم، الذي قال النبي ﷺ: ((الْعَيْنَانِ يَزْنِيَانِ، وَالْيَدَانِ يَزْنِيَانِ، وَالرِّجْلَانِ يَزْنِيَانِ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ))^(١). قال: وذلك أنه لا حدَّ فيما دون ولوج الفرج بالفرج يجب، وذلك هو العفو من الله -جلَّ وعزَّ- في الدنيا عن عقوبة العبد عليه، والله -جلَّ وعزَّ- أكرم من أن يعود فيما قد عفا عنه، كما رُوي عنه ﷺ^(٢).

قال أبو بكر: يقال: أَمَّ بالشيء، إذا لم يدخل في جملته، وقاربه، ولمَّ فلان بفلان: إذا زاره زيارة غير كثيرة، ولا متصلة^(٣). على ذلك كلام العرب؛ لأنها تقول: فلان يزور فلانًا لِمَامًا، وإِلْمَامًا: إذا كان يأتيه حينًا بعد حين. ويقول: أَمَّ فلانٌ بفلان، إذا أتاه في بعض الأوقات، وإن دوام ذلك فهو مضر^(٤).

وذكر الفراء: أنه سمع العرب تقول: [ضَرَبَهُ مَا] ^(٥)لَمَمَ القتل، يريد ضربًا مقارِبًا للقتل^(٦). فعلى هذا كلام العرب.

فإن ثبت إنسان على هذا ولم يدعه، فقد دخل في جملته. وفي الحديث عن النبي ﷺ: ((لَا يُلْسَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ))^(٧)، أي: إنما يخطئ ويذنب أول مرّة، ثم تراجع، [ويتوب]^(٨)، ولا يُصِرَّ^(٩).

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: الظلم ظلمات، ٢٤٦/١، وذكره الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد وقال: حسن الإسناد.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٦٩/٢٢.

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة: (لَمَم)، جامع البيان في تأويل القرآن، ٦٩/٢٢، إعراب القرآن للنحاس، ١٨٥/٤.

(٤) ينظر: القطع والانتشاف، ٦٩٥.

(٥) في الأصل: (ضربتها)، والمثبت موافق لما في المصدر، وقد ذكر الفراء أن (ما) صِلَةٌ.

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١٠٠/٣.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين، رقم الحديث: ٦١٣٣، ٣١/٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفاق، باب: لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين، رقم الحديث: ٢٩٩٨، ٤/٢٢٩٥. ولفظهما: ((لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ)).

(٨) في الأصل: (ولا يتوب)، والمثبت (بدون لا النافية) موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٩) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني، ٢٩٧/٥.

وقوله -جلّ وعزّ-: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ أي: واسع عفوه للمذنبين، الذين لم تبلغ ذنوبهم الفواحش وكبائر الإثم، وفي هذا إخبار من الله -جلّ وعزّ- عباده أنه يغفر اللمم، لمن اجتنب كبائر الإثم والفواحش^(١).

قال أبو إسحاق: فدلّ هذا على أن اللمم أن يكون الإنسان قد ألمّ بمعصية، ولم يُصِر، ولم يقم على ذلك^(٢).

وقال أبو جعفر: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ أي: لأصحاب الصغائر^(٣).

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أي: ربكم أعلم بالمؤمنين منكم من الكافر، والمحسن منكم من المسيء، والمطيع منكم من العاصي، حين ابتدعكم من الأرض، فأحدثكم منها، بخلق أيكم آدم منها، وحين ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي: حملاً لم [تُولدُوا]^(٤)، منكم بأنفسكم، بعد ما صيرتم رجالاً ونساءً^(٥).

روى ابن أبي نجیح عن مجاهد: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ قال: "كَنَحْوِ"^(٦) قوله -جلّ وعزّ-: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٧) [الأعام: ١١٧، النحل: ١٢٥، القصص: ٥٦، القلم: ٧].

وقال ابن زيد: ﴿إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ قال: "حين خلق آدم ﷺ من الأرض، وحين خلقهم من آدم ﷺ، وقرأ: ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾"^(٨).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٦٩/٢٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٧٤/٥.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ١٨٥/٤.

(٤) في الأصل: (تلدوا)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٧٠/٢٢.

(٦) ساقط من المتن، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٧٠/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٧٠/٢٢، باختلاف يسير في اللفظ.

وقال أبو جعفر أحمد بن محمد: ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي: هو أعلم - بما تعملون، وما أنتم إليه صائرون، حين ابتداء خلق أبيكم من تراب، وحين أنتم أجِنَّةٌ في بطون أمهاتكم - منكم لَمَّا أن كبرتم. قال: ويجوز أن / يكون ﴿أَعْلَمُ﴾ بمعنى: عالم.

[١٤٠/ب]

﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ قال زيد بن أسلم: "فلا تبرؤوها من المعاصي". وشرح هذا: لا تقولوا [إننا] ^(١) أركياء. هو أعلم بمن اتقى المعاصي وخاف، وأدى الفرائض ^(٢).

وقال محمد بن جرير: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب ^(٣).

وقال أحمد بن محمد: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا تقولوا: نحن زاكون؛ فإنكم لا تدرون كيف أنتم عند الله؟ أي: لا ينبغي لأحد أن يقول أنا من أهل الجنة، أو أنا زاكٍ طاهر، ولا يمدح نفسه نظير هذا من المدح، خاصة مما هو مغيب عنه ^(٤).

ويبين هذا حديث النبي ﷺ: أَنَّهُمْ ذَكَرُوا رَجُلًا عِنْدَهُ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا مِنْ رَجُلٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَكَذَا وَكَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ))، مِرَارًا يَقُولُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ؛ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فَلَانًا إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذَا، وَلَا تُزَكِّ عَلَى اللَّهِ أَحَدًا)) ^(٥).

(١) في الأصل: (اما)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) إعراب القرآن للنحاس، ١٨٥/٤.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٧٠/٢٢-٧١، وتماهه: والمعاصي.

(٤) لم أقف عليه بلفظه، أما المعنى فسبق إيرادها فيما تقدم من تفسير الآية.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب: إذا زكى رجل رجلاً كفاه، رقم الحديث: ٦٠٦١، ١٧٦/٣.

وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، وخيف منه فتنه على

الممدوح، رقم الحديث: ٣٠٠٠، ٢٢٩٦/٤. بلفظ مختلف.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٢﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣١﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾﴾

﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ دخلت ألف التقرير على فاء العطف، و﴿رَأَيْتَ﴾ فعل، والثناء فاعله.

﴿الَّذِي﴾ نصب بـ﴿رَأَيْتَ﴾.

﴿تَوَلَّى﴾ فعل ماضٍ، في صلة ﴿الَّذِي﴾.

﴿وَأَعْطَى﴾ فعل ماضٍ معطوف على ﴿تَوَلَّى﴾.

﴿قَلِيلًا﴾ مفعول ﴿وَأَعْطَى﴾.

﴿وَأَكْدَى﴾ معطوف -أيضًا- على ﴿تَوَلَّى﴾.

﴿عِنْدَهُ﴾ ظرف.

﴿عِلْمُ الْغَيْبِ﴾ رفع بالابتداء، والخبر في الظرف.

﴿فَهُوَ﴾ ابتداء.

﴿يَرَى﴾ خبر الابتداء.

﴿أَمْ﴾ حرف عطف.

﴿لَمْ﴾ حرف جزم.

﴿يُبْنَأُ﴾ فعل مستقبل، مجزوم بـ﴿لَمْ﴾، وعلامة الجزم [حذف] ^(١) الضمة من الهمزة.

﴿بِمَا﴾ خفض بالباء.

﴿فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ خفض بـ﴿فِي﴾، و﴿مُوسَى﴾ خفض بإضافة ﴿صُحُفِ﴾ إليه.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ في موضع خبر، عطف على ﴿مُوسَى﴾.

﴿الَّذِي﴾ من نعت ﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾.

(١) ساقط من الأصل، والمثبت موافق للإعراب.

﴿وَقَدْ﴾ فعل ماضي، في صلة ﴿الَّذِي﴾.

﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ موضع ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ موضع خفض على البدل من ﴿مَا﴾، ويجوز أن يكون في موضع رفع، أي: ذلك ألا تزر وازرة.

﴿تَزِرُ﴾ فعل مستقبل. ﴿وَأَنْ﴾ واقعة عليها، محذوفة، وهي هاهنا: أن التي تعمل في الأسماء، والتقدير عند سيبويه: أنه لا تزر وازرةً وزرَ أخرى^(١).

﴿وَازِرَةٌ﴾ رفع بفعالها.

﴿وَزَرَ أُخْرَى﴾ مفعول ﴿وَازِرَةٌ﴾.

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ التقدير: أنه.

﴿لَيْسَ﴾ فعل ماض.

﴿لِلْإِنْسَانِ﴾ خفض باللام.

﴿إِلَّا﴾ إيجاب بعد نفي.

﴿مَا﴾ رفع بـ ﴿لَيْسَ﴾.

﴿سَعَى﴾ في صلة ﴿مَا﴾.

﴿وَأَنْ سَعَىٰهُ﴾ نصب بـ ﴿وَأَنْ﴾.

﴿سَوْفَ﴾ حرف يدل على استقبال الفعل دون حاله.

﴿يُرَىٰ﴾ فعل مستقبل لما لم يُسَمَّ فاعله.

﴿نُفٍّ يُجْزِلُهُ﴾ فعل ما لم يُسَمَّ فاعله مضمر، والهاء مفعول.

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٨٦/٤.

﴿الْجَزَاءُ﴾^(١) مصدر.

و﴿الْأَوْفَى﴾ من نعته.

وأجاز أبو اسحاق: (وَأَنَّ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَى)^(٢). قال أبو جعفر: وهذا عند الكوفيين لا يجوز، منعوا: أن زيدًا ضربت؛ واعتلوا في ذلك بأنه خطأ؛ لأنه لا يعمل في زيد عاملان، وهما: أن، وضربت. وأجاز ذلك الخليل^(٣) وسيبويه^(٤) وأصحابهما، ومحمد بن يزيد^(٥). وقال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان^(٦) يقول: / سألت محمد بن يزيد، فقلت له: أنت لا تجيز: زيدًا ضربت، وتخالف سيبويه؛ فكيف أجزت: أن زيدًا ضربت؛ و(أَنَّ) [تدخل]^(٧) على المبتدأ؟ فقال: هذا مخالف لذلك؛ لأن (أَنَّ) لما دخلت [اضطرت]^(٨) إلى إضمار الهاء؛ لأن في الكلام

(١) وقع هنا تكرر في الأصل (فعل ما لم يسم فاعله مضمر، والهاء مفعول ما لم يسم فاعله ﴿الْجَزَاءُ﴾).

(٢) قراءة شاذة. معجم القراءات، ١٩٩/٩، معاني القرآن وإعرابه، ٧٦/٥.

(٣) الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، عالم اللغة وإمام العربية، استنبط من العروض وعلل النحو ما لم يسبقه له أحد، روى عن أيوب، والعمام بن حوشب، وغالب القطان، أخذ النحو عنه سيبويه، والأصمعي، النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، توفي سنة أربع وسبعين ومائة، ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ٤٧، إنباه الرواة، ٣٧٦/١، بغية الوعاة، ٥٥٧/١.

(٤) عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، أبو بشر، إمام البصرة، وعالم اللغة، أخذ عن: الخليل بن أحمد، ويونس، وأبي الخطاب الأخفش، من آثاره: (الكتاب)، وفاته سنة ثمانين ومائة. ينظر: طبقات النحويين للزيدي، ٦٦، إنباه الرواة، ٣٤٦/٢، بغية الوعاة، ٢٢٩/٢.

(٥) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي، أبو العباس المعروف بالمبرد، إمام العربية ببغداد في زمنه وأحد أئمة الأدب والأخبار، كان فصيحًا بليغًا مفاوِّهًا، ثقةً أخباريًا علامة، توفي سنة خمس وثمانين ومائتين. ينظر: إنباه الرواة، ٢٤١/٣، بغية الوعاة، ٢٦٩/١.

(٦) علي بن سليمان بن الفضل أبو الحسن الأخفش، النحوي، كان من أفاضل علماء العربية؛ أخذ عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، وأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، توفي في ذي القعدة سنة خمس عشرة وثلاث مائة. ينظر: تاريخ بغداد، ٣٨٨/١٣، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ١٨٥.

(٧) في الأصل: (يدخل)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٨) في الأصل: (اضطرت)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

عاملين^(١).

ومعنى الآية-والله أعلم:-

أفرايت -يا محمد- الذي تولى؟ أي: أدبر عن الإيمان بالله، وأعرض عنه، وعن دينه، وأعطى صاحبه قليلاً من ماله، ثم منعه، فلم يُعْطِه، وبخل عليه^(٢).

وروي أن هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة، من أجل أنه عاتبه بعضُ المشركين، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه، فضمن له الذي عاتبه، إن هو أعطاه شيئاً من ماله، ورجع إلى شركه، أن يتحمل عنه عذاب الآخرة، ففعل، فأعطى الذي عاتبه على ذلك بعض الذي كان ضمن له، ثم بخل، ومنعه تمام ما ضمن له^(٣).

ومعنى ما قلناه مأخوذ من قول العلماء: روى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿وَأَكْدَى﴾ قال: "الوليد بن المغيرة، وأعطى قليلاً ثم أكدى"^(٤).

وقال ابن زيد: "في قوله: ﴿أَفْرَأَيْتَ﴾ [إلى]^(٥): ﴿فَهُوَ يَرَى﴾ قال: هو رجل^(٦) أسلم، فَلَقِيَهُ بعضُ من يُعَيِّرُهُ، قال له: أتركت دينَ الأشياخ وضللتهم، وزعمت أنهم في النار؟ كان ينبغي لك أن تنصرهم، فكيف تفعل بأبائك؟ قال: إني خشيت عذاب الله، فقال: [أعطني]^(٧) شيئاً، وأنا أحمل كلَّ عذابٍ كان عليك، فأعطاه شيئاً، فقال: زدني. [فتعاسرا]^(٨)، حتى أعطاه شيئاً،

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٤/١٨٦-١٨٧.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٧١/٢٢.

(٣) أسباب النزول للواحدي، ٢٦٧، وذكره مكي بن طالب في الهداية إلى بلوغ النهاية، ١١/٧١٦٧.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٧١/٢٢.

(٥) في الأصل: (أي)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٦) الوليد بن المغيرة، ينظر سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى، فيما تقدم في هذه الصفحة من الرسالة.

(٧) في الأصل: (أعطي)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٨) في الأصل: (معاشرا)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

وكتب له كتابًا، وأشهد له، فذلك قول الله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾: [عاسره] ^(١)، ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوْ يَرَى﴾ نزلت فيه هذه الآية ^(٢).

ومن قال ﴿وَأَكْدَى﴾ بمعنى: قطع، ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد ^(٣). وقتادة قال: "أعطى قليلاً، ثم قطع ذلك" ^(٤).

وعكرمة ^(٥) والضحاك ^(٦) قال: "انقطع عطاؤه" ^(٧). وعن ابن عباس رضي الله عنه -أيضا-: "منع" ^(٨).

قال أبو بكر: أصل ﴿وَأَكْدَى﴾ من الكُدْيَةِ، وذلك أنه يقال لكل من حفر بئرًا، ثم بلغ إلى حَجَرٍ صَلْبٍ، لا يتهيأ له أن يحفر فيه: بلغ الكُدْيَةَ، فأكدى، ثم استعملت العرب هذا لمن طلب شيئًا لم يبلغ آخره، ولمن أعطى ولم يتم ^(٩).

وقوله: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾ أي: أعند هذا الذي ضمن له صاحبه أنه يضمن عنه عذاب الله في الآخرة؛ علم الغيب، فهو يرى حقيقة قوله ووفائه بما وعده؟ ^(١٠)

(١) في الأصل: (عاشره)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٧٢/٢٢.

(٣) أخرج أنزيهما الطبري في تفسيره، ٧٢/٢٢-٧٣، بسندين منفصلين.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٧٣/٢٢.

(٥) عكرمة، أبو عبد الله القرشي، حَدَّثَ عن ابن عباس، وعائشة، وأبي هريرة رضي الله عنهم، حَدَّثَ عنه إبراهيم النخعي، والشعبي، وعمرو بن دينار، وَخَلَّفَ كثير، مات سنة أربع ومائة على الأرجح. ينظر: الثقات لابن حبان، ٢٣٠/٥، سير أعلام النبلاء، ١٢/٥-٣٦، تهذيب التهذيب، ٧/٢٧٢-٢٧٣.

(٦) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، صاحب التفسير، حَدَّثَ عن أبي سعيد الخدري، وابن عمر، وأنس بن مالك رضي الله عنهم، وطائفة، حَدَّثَ عنه: عمارة بن أبي حفصة، وأبو سعد البقال، وقره بن خالد، وآخرون، وَتَّفَعَّ أحمد بن حنبل، توفي سنة اثنتين ومائة، ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٣٠٠/٦، سير أعلام النبلاء، ٤/٥٩٨، تهذيب التهذيب، ٤/٣٩٧.

(٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٧٢/٢٢-٧٣، وقد أخرج -رحمه الله تعالى- جميع آثارهم بأسانيد منفصلة.

(٨) إعراب القرآن للنحاس، ٤/١٨٦.

(٩) ينظر: لسان العرب، مادة: (كدا)، جامع البيان في تأويل القرآن، ٧٣/٢٢، معاني القرآن وإعرابه، ٧٥/٥.

(١٠) جامع البيان في تأويل القرآن، ٧٤/٢٢.

قال أبو جعفر أحمد بن محمد: أي أَعْلَمَ [أن] ^(١) هذا [الذي] ^(٢) يتحمل عنه العذاب كما قال؟ ^(٣)

و﴿بَرَأَ﴾ بمعنى: يعلم، حكاه سيبويه ^(٤).

وقال أبو إسحاق: الرؤية على ضربين: أحدهما: رأيت زيدًا: أبصرت، والآخر: علمت ^(٥)، كما تقول: رأيت زيدًا أخاك، ألا ترى أن المكفوف يقول: رأيت زيدًا عاقلاً؟ فإن كان من رؤية العين، لم يُجْز ذلك ^(٦).

«أَمْ لَمْ يُدَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ أي: أم لم [يخبر] ^(٧) هذا المضمون له أنه يحمل عنه عذاب الله -جلّ وعزّز- في الآخرة، وبالذي في صحف موسى بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي وُفِّي مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ بِمَا أُرْسِلَ بِهِ.

ثم اختلف أهل العلم في المعنى «الَّذِي وَفِّي﴾ فقال بعضهم: وفي ما عهد إليه ربه -جلّ ثناؤه- [من] ^(٨) تبليغ رسالته، وهو أن لا تزر وازرة وزر أخرى» ^(٩).

روى ذلك عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «وإبراهيمَ الَّذِي وَفِّي﴾ قال: كانوا قبل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يأخذون الولي بالولي، حتى كان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فبَلَّغَ ﴿أَلَا تَنْزُرُ وَازِرَةً وَّرَرَ أُخْرَى﴾ لا يؤخذ واحدٌ بذنب غيره" ^(١٠).

(١) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) زائد، وحذفه أولى؛ لموافقتة لما في المصدر، ومناسبتها للسياق.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ١٨٦/٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس، ١٨٦/٤، ولم أقف عليه في الكتاب لسيبويه.

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (رأى).

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٧٥/٥.

(٧) في الأصل: (يجيز)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٨) في الأصل: (ومن) بزيادة واو، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٩) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٧٤/٢٢.

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٧٤/٢٢، بلفظ: (لا يؤاخذ أحدٌ...).

وكان عكرمة يقول: "وفى هذه الآيات العشر ﴿الَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ حتى بلغ ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾" (١).

وقال مجاهد: ﴿وَأِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قال: "بلغ هذه الآيات ﴿الَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾" (٢).

وقال قتادة (٣): "وفى طاعة الله - جلَّ وعزَّ - ورسالته إلى خلقه" (٤).

وقال سعيد بن جبير (٥): "بلغ ما أمر به" (٦). وهو قول سفيان وإبراهيم وابن زيد (٧).

وقال آخرون: بل وفى بما رأى في المنام من ذبح ابنه. وقالوا: قوله: ﴿الَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ من المؤخر الذي معناه التقديم. وقالوا: معنى الكلام: [أم] (٨) لم ينبأ بما في صحف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: / أن لا تزر وازرة وزر أخرى، [وما] (٩) في صحف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي وفى (١٠). [١٤١/ب]

روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه - أيضاً - بغير الإسناد الأول: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَأِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ يقول: "إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي استكمل الطاعة فيما فعل بابنه حين رأى الرؤيا، والذي في صحف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿الَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ إلى آخر الآية" (١١).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٧٤/٢٢، بلفظ: (وفى هؤلاء...).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٧٤/٢٢.

(٣) قتادة بن دعامة بن قنادة، وقيل: قتادة بن دعامة أبو الحطَّاب السدوسي، البصري، الضير، الأكمه، روى عن عبدي الله بن سرجس، وأنس بن مالك، وسعيد بن المسيب رضي الله عنه، وخلق كثير، روى عنه أيوب السخيتاني، ومعمربن راشد، والأوزاعي، وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع، فإنه مُدَلَّسٌ معروفٌ بذلك، توفي سنة سبع عشرة ومائة. ينظر: الثقات لابن حبان، ٣٢١/٥، سير أعلام النبلاء، ٢٦٩/٥، تهذيب التهذيب، ٣٥١/٨.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٧٥/٢٢، بلفظ: (أوفى...).

(٥) سعيد بن جبير بن هشام، المقرئ، المفسر، الشهيد، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي الوالي، روى عن أبي هريرة، وابن عباس رضي الله عنه، كما قرأ عليه القرآن، قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء، وطائفة، وحدث عنه سلمة بن كهيل، وسليمان الأعمش، وخلق كثير، عن جعفر بن أبي المغيرة قال: (كان ابن عباس رضي الله عنه إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أليس فيكم ابن أمّ الدهماء؟ يعني: سعيد بن جبير)، قتله الحجاج بواسط شهيداً في سنة خمس وتسعين. ينظر: سير أعلام النبلاء، ٣٢١/٤، تهذيب الكمال، ٣٥٨/١٠، غاية النهاية في طبقات القراء، ٤٦٥/١.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٧٦/٢٢.

(٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٧٦/٢٢، وقد أخرج الطبري رحمته الله هذه الآثار بأسانيد منفصلة.

(٨) في الأصل: (ان)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٩) في الأصل: (وما)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(١٠) جامع البيان في تأويل القرآن، ٧٦/٢٢.

(١١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٧٦/٢٢.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنه وفيّ ربّه جميع شرائع الإسلام^(١).

وهذا القول -أيضاً- مَرْوِيٌّ -أيضاً-، روي عن ابن عباس رضي الله عنه بغير الإسنادين، قال: "الإسلام ثلاثون سهماً، وما ابْتُلِيَ بهذا الدين أحدٌ، فأقامه، إلا إبراهيم، قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ فكتب الله -جلّ وعزّ- له براءةً من النار"^(٢).

روي ابن أبي نجیح عن مجاهد: "وإبراهيم الذي وفيّ ما فُرض عليه"^(٣).

وقال آخرون: بل وفيّ بما رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ لِمَ سَمَّى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ الَّذِي وَفَّى؟ لِأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ كُلَّمَا أَصْبَحَ وَكُلَّمَا أَمْسَى: ﴿فَسُبِّحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧]))، حتى ختم الآية^(٤).

وقال آخرون: بل وفيّ ربّه عملَ يومه. روى ذلك الربيع^(٥) عن القاسم^(٦) عن أبي أمامة^(٧)

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾)) قال: (([أَتَذُرُونَ^(٨)] مَا وَفَّى؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((وَفِيّ عَمَلِ يَوْمِهِ، أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ فِي النَّهَارِ))^(٩).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٧٧/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٧٧/٢٢.

(٣) أخرجه مجاهد في تفسيره، ٦٢٨.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٨٨/٢٤، والطبراني في المعجم الكبير، ١٩٢/٢٠، قال شعيب الأرنؤوط في تحقيق مسند الإمام أحمد، ٣٨٨/٢٤، إسناده ضعيف.

(٥) هو الربيع بن أنس بن زياد الخراساني البكري، روى عن: أنس بن مالك، وأبي العالية الرياحي، والحسن البصري، وروى عنه: سليمان التيمي، ويعقوب بن القعقاع، وأبو جعفر الرازي، وغيرهم، صدوق، مُكْتَبَرٌ مِنَ الرِّوَايَةِ، مات سنة أربعين ومائة. ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ٤٥٤/٣، الثقات لابن حبان، ٢٢٨/٤، سير أعلام النبلاء، ١٦٩/٦.

(٦) القاسم بن عبد الرحمن الشامي أبو عبد الرحمن الدمشقي مولى آل أبي بن حرب الأموي، مات سنة اثنتي عشرة ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ٣٨٣/٢٣، تهذيب التهذيب، ٣٢٢/٨.

(٧) صُدِّيٌّ بن عجلان بن وهب الباهلي، أبو أمامة، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن عمر، وأبي عبيدة رضي الله عنه، روى عنه: خالد بن معدان، وشرحبيل بن مسلم، ورجاء بن حيوة، حَجَّ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، مات سنة ثمان وستين. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٧٣٦/٢، أسد الغابة، ١٦/٣، الإصابة، ٤٢٠/٣.

(٨) في الأصل: (تدرون)، والمثبت موافق لما في المصادر.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٧٨/٢٢. وعزاه السيوطي في الدر المنثور، ٤٥/١٤، وضعف إسناده.

وقال أبو بكر: «وكان أبو جعفر محمد بن جرير يختار قول من قال: وفي جميع شرائع الإسلام، وجميع ما أمر به من الطاعة، قال: لأن الله -جلّ وعزّز- أخبر عنه أنه وفيّ، فعَمَّ بالخبر عنه عن تَوْفِيئِهِ جميع الطاعة، [ولم يخص بعضاً دون بعض]»^(١). قال فإن قال قائل: فإنه [قد]^(٢) خص ذلك بقوله ﴿وَفِيَّ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، قال: ذلك مما أخبر -جلّ وعزّز- أنه في صحف موسى [وإبراهيم]^(٣) ﷺ، لا مما خصّ الخبر عن أنه وفيّ.

قال: وأما التوفية: فإنها على العموم.

قال: ولو صح الخبران [اللذان ذكرناهما أو أحدهما عن رسول الله ﷺ]^(٤) لم [نعد]^(٥) القول به إلى غيره، ولكن في إسنادهما نظر، يجب الثبوت فيهما من أجله.

قال: [وقوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ف (أن) من قوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ على التأويل الذي تأولناه في موضع خفضٍ، رداً على (ما)]^(٦) التي في قوله: ﴿أَمْرٌ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾.

قال: ويعني بقوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي: لا تحمل حامله إثم حامله [غيرها]^(٧)، بل

كل آثمة [فإنما]^(٨) إثمها على نفسها»^(٩). هذا نص كلام أبي جعفر محمد بن جرير.

ونذكر قول العلماء فيما في صحف موسى وإبراهيم ﷺ: روى إسماعيل بن أبي خالد^(١٠)

(١) هكذا في المصدر، وفي الأصل: (وما يختص بعضها دون بعض).

(٢) زائد في الأصل عن المصدر.

(٣) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٤) هكذا في المصدر، وفي الأصل: (رسول الله ﷺ أو أحدهما) بإسقاط كلمة (عن).

(٥) في الأصل: (يبعد)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٦) هكذا في المصدر، وفي الأصل: (وأن) من قوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ على التأويل الذي تأولناه في موضع رد (اما).

(٧) هكذا في المصدر، وفي الأصل: (اخرى).

(٨) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٩) جامع البيان في تأويل القرآن، ٧٨/٢٢-٧٩.

(١٠) إسماعيل بن أبي خالد، واسمه هرمز، ويقال: سعد، ويقال: كثير، البجلي الأحمسي، مولاهم، أبو عبد الله الكوفي، رأى أنس بن مالك، وسلمة بن الأكوع ﷺ. قال عبد الله بن المبارك، عن سفيان الثوري: (حفاظ الناس ثلاثة:

عن أبي ملك الغفاري^(١)، في قوله -جلّ وعزّ-: ﴿أَلَا تَنْزِرُ وَازِرَةً وَّرَزَّ أُخْرَى﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ إلى قوله: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ قال: "هذا في صحف إبراهيم وموسى ﷺ" (٢). وإنما [عنى] (٣) بقوله -جلّ وعزّ-: ﴿أَلَا تَنْزِرُ وَازِرَةً وَّرَزَّ أُخْرَى﴾ الذي ضمنه للوليد بن المغيرة أن يتحمّل عنه عذاب الله -جلّ وعزّ- يوم القيامة، يقول -جلّ ثناؤه-: ألم يُخبر قائل هذا القول، وضامن هذا الضمان، عن الذي في صحف موسى وإبراهيم ﷺ، مكتوب: لا تأثم آثمة إثم أخرى غيرها؟ (٤)

قال أبو بكر: ووفى في اللغة للتكثير (٥).

وروى المبارك (٦) عن الحسن أنه قرأ ﴿وَفَى﴾ مخففاً (٧).

وقوله: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ قال أبو بكر في معنى قوله: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ «للناس أقوال: فمنهم من قال: الآية منسوخة، ومنهم من قال: هي محكمة، ولا ينفع أحداً [إلا] (٨) أن يُصدّق عنه أحد، ولا أن يجعل له ثواب شيءٍ عمله.

إسماعيل بن أبي خالد، وعبد الملك بن أبي سليمان، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وهو -يعني إسماعيل- أعلم الناس بالشعبي، وأثبتهم فيه). مات سنة ست وأربعين ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ٦٩/٣، تهذيب التهذيب، ٢٩١/١. (١) غزوان الغفاري أبو مالك الكوفي، مشهور بكنيته، واسمه محمد، ويقال عبد الله، صاحب التفسير، تابعي، وذكره غير واحد في الصحابة، كان قليل الحديث، ثقة، روى عن: ابن عباس، وعمار بن ياسر ﷺ، روى عنه: السدي، وحصين بن عبد الرحمن. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٢٩٩/٦، التاريخ الكبير للبخاري، ١٠٨/٧، تهذيب الكمال للمزي، ٥٠٢/١٦.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٧٩/٢٢.

(٣) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٧٩/٢٢.

(٥) إعراب القرآن للنحاس، ١٨٦/٤.

(٦) مبارك بن فضالة بن أبي أمية القرشي، الحافظ، المحدث، الصادق، الإمام، أبو فضالة القرشي، العدوي، مولى عمر بن الخطاب ﷺ، من كبار علماء البصرة. ولد في أيام الصحابة ﷺ. مات سنة ست وستين ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ١٨٠/٢٧، سير أعلام النبلاء، ٢٨١/٧.

(٧) ينظر: الحجة في القراءات السبع، ٢٥٣، حجة القراءات، ٤٧٦.

(٨) زائد في الأصل، وحذفه أولى؛ لموافقه لما في المصدر، ومناسبه للسياق.

قالوا: وليس للإنسان إلا ما سعى كما قال الله -جلَّ وعزَّ-، وقال قوم: قد جاءت أحاديث عن النبي ﷺ بأسانيد صحاح، وهي مضمومة إلى الآية، وقال قوم: الأحاديث لها تأويل: وليس للإنسان على الحقيقة إلا ما سعى، فمَنْ تُؤوَّلُ عليه أن الآية منسوخة: ابن عباس رضي الله عنه، روى عنه علي بن أبي طلحة قال: / وقوله: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ فأنزل الله -جلَّ وعزَّ- بعد ذلك: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]، فأدخل الله -جلَّ وعزَّ- الأبناء -بصلاح الآباء- الجنة^(١).

قال محمد بن جرير: يذهب إلى أنها منسوخة^(٢).

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "إن الله -جلَّ ثناؤه- يرفع ذرية المؤمن معه في درجة الجنة، وإن كانوا دونه في العمل، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ﴾ [الطور: ٢١] أي: نَقَصْنَاهُمْ"^(٣).

وقد رفعه ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ مَعَهُ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ؛ لَيَقَرِّ بِهِنَّ عَيْنَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ﴾ [الطور: ٢١]))^(٤).

وأما قول من قال: لا ينفع أحد أن يُصدَّقَ عنه أحد، ولم يتأوَّل الأحاديث، فقول مرغوب عنه؛ لأنه إذا صحَّ عن النبي ﷺ لم يسع أحدًا رُدُّه، قال الله -جلَّ وعزَّ-: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقد صحَّت عن النبي ﷺ أحاديث^(٥)، من ذلك ما رواه

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس، ٦٨٩.

(٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس، ٦٨٩.

(٣) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ، ٦٩٠.

(٤) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ بلفظه، ٦٩٠، والطبري في تفسيره، ٥٧٩/٢١، وابن أبي حاتم في تفسيره، ٣٣١٦/١، كلاهما بنحوه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٦٤٧/٥.

(٥) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس، ٦٩٠/١.

مالك^(١) عن ابن شهاب^(٢) عن سليمان بن يسار^(٣) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: كَانَ الْفَضْلُ بِنُ عَبَّاسٍ^(٤) رضي الله عنه رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَتَمِ تَسْتَفْتِيهِ فَجَعَلَ الْفَضْلُ بِنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشَّقِّ الْآخَرِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَزَّ - عَلَى عِبَادِهِ بِالْحُجِّ أَذْرَكْتُ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)). وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ^(٥).

(١) مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي المدني، تابعي، إمام الفقه والحديث، أعلم أهل زمانه، صاحب الموطأ، سمع نافعاً، والزهري، وعبد الله بن دينار، وروى عنه: ابن المبارك، والقطان، وابن مهدي، توفي سنة تسع وسبعين ومائة. ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ١١/١، طبقات الفقهاء، ٦٧، سير أعلام النبلاء، ٤٨/٨.

(٢) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب، الإمام العَلَمَ حافظ زمانه، أبو بكر القرشي الزهري، روى عن سهل بن سعد، وأنس بن مالك، وسعيد بن المسيب رضي الله عنه، حدَّث عنه عطاء بن أبي رباح، وعمر بن عبد العزيز، وعمرو بن دينار، قال ابن عيينة: كانوا يرون يوم مات الزهري، أنه ليس أحد أعلم بالسنة منه، توفي سنة أربع أو ثلاث وعشرين ومائة. ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر، ٢٩٤/٥٥، سير أعلام النبلاء، ٣٢٦/٥، تهذيب التهذيب، ٤٤٥/٩.

(٣) سليمان بن يسار الهلال، أبو أيوب، المدني مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. أخو عطاء بن يسار، وعبد الملك بن يسار، وعبد الله بن يسار، روى عن: جابر بن عبد الله، وجعفر بن عمرو بن أمية الضمري وغيرهم، مات سنة تسع ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ١٠٠/١٢، سير أعلام النبلاء، ٤٤٤/٤.

(٤) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصادر، ومناسب للسياق.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة، كتاب: الحج، باب: وجوب الحج وفضله، رقم الحديث: ١٥١٣، ١٣٢/٢، وكتاب: جزاء الصيد، باب: الحج عمن لا يستطيع الثبوت على الراحلة، رقم الحديث: ١٨٥٤، ١٨/٣، وباب: حج المرأة عن الرجل، حديث رقم: ١٨٥٥، ١٨/٣، وكتاب: المغازي، باب: حجة الوداع، حديث رقم: ٤٣٩٩، ١٧٦/٥، وكتاب: الاستئذان، باب: قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَلَسْلِمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ رقم الحديث: ٦٢٢٨، ٥١/٨. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الحج، باب: الحج عن العاجز لزمانة وهم ونحوهما أو للموت، رقم الحديث: ٤٠٧ - ١٣٣٤، ٩٧٣/٢. واللفظ له.

وفي حديث ابن عيينة^(١) عن عمرو عن الزهري عن سلمان^(٢) عن ابن عباس رضي الله عنه زيادة، وهي: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: ((أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أَيْدِيكَ دَيْنٌ كُنْتَ تَقْضِيهِ؟)) قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: ((فَدَيْنُ اللَّهِ - جَلَّ نَنَاؤُهُ - أَوْلَى))^(٣).

فقال قوم: لا يحج أحدٌ عن أحد، واحتج له بعض أصحابه فقال: في الحج صلاة لا بد منها، وقد أجمع العلماء على أنه لا يصلي أحدٌ عن أحد. فقيل لهم: الحج مخالف للصلاة، مع ثبات السنة^(٤).

وقد روى شعبة^(٥) عن جعفر بن أبي وحشية^(٦) عن سعيد بن [جبير]^(٧) عن ابن عباس رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّي تُؤَفِّيْت وَعَلَيْهَا صِيَامٌ، قَالَ: ((فَصُمْ عَنْهَا))^(٨).

(١) سفيان بن عيينة، هو: ابن أبي عمران ميمون، أبو محمد الهلالي، سمع من عمرو بن دينار، وابن شهاب الزهري، وسفيان الثوري، حدّث عنه: الشافعي، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، وحلق كثير، توفي سنة ثمان وتسعين ومائة. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤٥٤/٨-٤٧٥، تهذيب الكمال، ١١/١٧٧-١٩٦، تهذيب التهذيب، ١٢٢/١١٧/٤.

(٢) سلمان الأغر: أبو عبد الله المدني مولى جهينة أصله من أصبهان، روى عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي الدرداء رضي الله عنه وغيرهم، وعنه بنوه: عبد الله وعبيد الله وعبيد وزيد بن رباح والزهري، ذكره ابن حبان في (الثقات). ينظر: تهذيب التهذيب، ١٣٩/٤، تهذيب الكمال، ١١/٢٥٦.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه بلفظ قريب منه، ٤/١٥١، وأخرجه النسائي في سننه بإسناد آخر، ٥/١١٨، وفيه أن السائل رجل، وذكر الحديث الألباني في موسوعة الألباني في العقيدة، ٩/٣٨ وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس، ١/٦٩١.

(٥) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم أبو بسطام الواسطي ثم البصري، ثقة حافظ متقن، كان الثوري يقول: (هو أمير المؤمنين في الحديث). وهو أول من فُتِّش بالعراق عن الرجال وذُبَّ عن السنة، وكان من أوعية العلم، لا يتقدمه أحد في الحديث في زمانه، كان عابداً، مات سنة ستين. ينظر: تقريب التهذيب، ٢٦٦، سير أعلام النبلاء، ٧/٢٠٢.

(٦) أبو بشر: جعفر بن أبي وحشية إياس اليشكري، البصري، ثم الواسطي، أحد الأئمة والحفاظ. حدّث عن الشعبي، وسعيد بن جبير، وحميد بن عبد الرحمن الحميري، وغيرهم، وروى عن عباد بن شرحبيل اليشكري، وله صحبة، وحدّث عنه: الأعمش، وشعبة، وأبو عوانة، وآخرون. مات سنة أربع وعشرين ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ٨/٥، سير أعلام النبلاء، ٥/٤٦٥.

(٧) في الأصل: (دينار)، والمثبت موافق لما في المصادر، ومناسب للسياق في الموضع التالي لذكر سعيد بن جبير رضي الله عنه.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه، بزيادة، وإسناد آخر، كتاب: الصيام، باب: قضاء الصيام عن الميت، رقم الحديث: ١٥٥-١١٤٨، ٢/٨٠٤.

وقد قال من يقتدى بقوله من العلماء: لا يصم أحدٌ عن أحد، فقال من احتجَّ لهم: هذا الحديث وإن كان مستقيم الإسناد، وسعيد بن [جبير]^(١) وإن كان له المحل الكبير، فقد وقع في أحاديثه غلط، وقد خالفه عبيد الله بن عبد الله، وعبيد الله من الإتيان على ما لا خفاء به^(٢).

روى مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي^(٣) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: أَنَّ سَعْدَ بْنَ عَبَّادَةَ، اسْتَفْتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا نَذْرٌ قَالَ: ((فَاقْضِهِ عَنْهَا))^(٤).

وروى الزهري عن أبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يَلْحَقُ الْمُسْلِمَ أَوْ يَبْلُغُ الْمُسْلِمَ ثَلَاثٌ: وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، وَعَلْمٌ يَسْرُهُ، وَصَدَقَةٌ جَارِيَةٌ))^(٥).

قال أبو بكر: وللعلماء في تأويل الأحاديث المذكورة أقوال: فمن العلماء من قال بما كلها، ولم يجز فيها الترك، منهم: أحمد بن محمد بن حنبل^(٦)، وكان هذا مذهبه، فقال: يجح

(١) في الأصل: (الجبير).

(٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس، ٦٩٢.

(٣) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: تابعي، ثقة، رجل صالح، جامع للعلم، وهو معلم عمر بن عبد العزيز، وكان ضرير البصر، وكان أحد علماء المدينة في زمانه. سمع ابن عباس وأباه وأم قيس وعائشة رضي الله عنهن، سمع منه أبو الزناد، توفي ما بين إحدى وتسعين ومائة. ينظر: التاريخ الكبير، ٣٨٥/٥، الثقات للعجلي، ٣١٧، تاريخ الإسلام، ١١٣٧/٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب: ما يُستحب لمن توفي فجأة أن يتصدقوا عنه، وقضاء النذور عن الميت، رقم الحديث: ٢٧٦١، ٩/٤.

(٥) أخرجه أبو عمر يوسف القرطبي في كتابه جامع بيان العلم وفضله، باب: قوله صلى الله عليه وسلم: ((ينقطع عمل ابن آدم بعده إلا من ثلاث))، ٧٢/١، بنفس الإسناد واللفظ، وأخرجه ابن ماجه في سننه، باب: ثواب معلم الناس الخير، ٨٨/١، بألفاظ متقاربة، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم الحديث: ١٤-١٦٣١، ١٢٥٥/٣، بمعناه أو بمثله.

(٦) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن شيبان، المروزي ثم البغدادي، صاحب المذهب، إمام أهل السنة، ومحارب البدعة، روى عن: سفيان بن عيينة، ويحيى بن أبي زائدة، وأبي داود الطيالسي، وغيرهم، روى عنه البخاري، ومسلم، وأبو داود، من آثاره: (المسند)، و(علل الرجال)، توفي سنة إحدى وأربعين ومائتين. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٣٥٤/٧، معرفة الثقات للعجلي، ١٩٤/١، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ٤١٢/٤.

الإنسان عن الإنسان، ويتصدق عنه، كما قال رسول الله ﷺ: قال: ((وَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ شَهْرِ رَمَضَانَ أَطْعَمَ عَنْهُ لِكُلِّ يَوْمٍ مُدًّا، وَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ نَذَرَ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ))^(١)، كما أمر رسول الله ﷺ.

«ومن العلماء من قال ببعض الأحاديث، فقال: يحج الإنسان عن الإنسان، ولا يصوم عنه، ولا يصلي، وهذا مذهب الشافعي رَحِمَهُ اللهُ^(٢).

ومنهم من قال: لا يجوز في عمل الأبدان أن يعملها أحدٌ عن أحد، / ولا يحج أحدٌ عن [١٤٢/ب] أحد. وهذا قول مالك بن أنس.

ومنهم من قال: الأحاديث صحيحة، ولكن هي محمولة على الآية، وإنما يحج الإنسان عن الإنسان إذا أمره، وأوصى بذلك، وكان له فيه سَعْيٌ، حتى يكون موافقا لقوله -جلّ وعزّ:-
﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

ومنهم من قال: لا يعمل أحدٌ عن أحد شيئاً، فإن عمله فهو لنفسه، كما قال -جلّ وعزّ:-
﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

وقال: في الأحاديث سبيل الأنبياء -صلى الله عليهم وسلم- ألا تمنعوا أحداً من فعل الخير.

فإن قال قائل: وكيف يرد هذا إلى الآية؟

ففي ذلك جوابان: أحدهما: أنه ما قاله رسول الله ﷺ وصحَّ عنه، فهو مضموم إلى القرآن،

(١) أخرجه أبو داود في سننه، باب: فيمن نذر وعليه صيام، ٣١٥/٢، باختلاف يسير. ذكره الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣١٥/٢.

(٢) محمد بن إدريس الشافعي، أبو عبد الله القرشي، يلتقي نَسَبُهُ مع رسول الله ﷺ، سيد الناس في الفقه، حافظ، ثبت، روى عن مالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد، وسفيان بن عيينة، وغيرهم، روى عنه أحمد بن حنبل، والحميدي، وحرمة بن يحيى، وغيرهم، من آثاره: كتاب (الأم)، و(الرسالة)، توفي سنة أربع ومائتين. ينظر: الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، ٦٥، طبقات الفقهاء، ٧١، سير أعلام النبلاء، ٥/١٠.

كما روى [عبيدالله] ^(١) بن أبي رافع ^(٢) عن أبيه ^(٣) أو غيره عن النبي ﷺ قال: ((لَا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ مُتَّكِمًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، مَا وَجَدْنَاهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَزَّ - اتَّبَعْنَاهُ)) ^(٤).

قال أبو جعفر: وقول جماعة من الفقهاء: أَنْ يُضَمَّ الْحَدِيثُ إِلَى الْقُرْآنِ: كما قال - جَلَّ وَعَزَّ -: «قُلْ لَا أَحَدٌ فِي مَا أَوْحَى إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ» [الأَنْعَامُ: ١٤٥]، ثُمَّ حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ، وَكُلَّ ذِي مَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ، وَكَانَ مَضْمُومًا إِلَى الْآيَةِ ^(٥).

قال أبو بكر: في الأحاديث تأويل آخر - فيه لطف ودقّة - وهو: أَنْ اللَّهُ - جَلَّ وَعَزَّ - إِنَّمَا قَالَ: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» وَوَلَامَ الْخَفْضِ مَعْنَاهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ: الْمَلِكُ وَالْإِيْجَابُ، فَلَيْسَ يَجِبُ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، فَإِذَا تَصَدَّقَ عَنْهُ غَيْرُهُ، فَلَيْسَ يَجِبُ لَهُ شَيْءٌ، إِلَّا أَنْ اللَّهُ - جَلَّ وَعَزَّ - يَنْفَضِّلَ عَلَيْهِ بِمَا لَمْ يَجِبْ لَهُ، كَمَا تَفَضَّلَ عَلَى الْأَطْفَالِ بِإِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَعَلَى هَذَا يَصِحُّ تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ ^(٦).

(١) في الأصل (عبد الله)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٢) عبيد الله بن أبي رافع المدني مولى النبي ﷺ روى عن أبيه وأمه سلمى وعن علي وكان كاتبه وأبي هريرة وشقران مولى النبي صلى الله عليه وسلم وعنه أولاده إبراهيم وعبد الله ومحمد والمعتز والحسن بن محمد بن الحنفية وغيرهم، قال أبو حاتم والخطيب "ثقة" وذكره بن حبان في "الثقات" قلت وقال بن سعد: "كان ثقة كثير الحديث". تهذيب الكمال، ٣٤/١٩، تهذيب التهذيب، ١٠/٧.

(٣) أبو رافع مولى النبي ﷺ، روى عكرمة مولى ابن عباس ؓ، شهد أبو رافع أحدًا والخندق وما بعدهما من المشاهد، ولم يشهد بدرًا، وإسلامه قبل بدر إلا أنه كان مقيمًا بمكة فيما ذكروا، وكان قبليًا. مات في المدينة في خلافة علي ؓ. أسد الغابة، ١٠٢/٦، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ٨٥/١.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: لزوم السنة، ٢٠٠/٤، والترمذي في سننه، باب: ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، ٣٧/٥. وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٥) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس، ٦٩٣/١-٦٩٥.

(٦) الناسخ والمنسوخ للنحاس، ٦٩٣/١.

وقد روى هشام^(١) بن عروة عن أبيه عن عائشة^(٢) رضي الله عنها: إِنَّ أُمِّي افْتُلِّتْ نَفْسُهَا، فَمَاتَتْ
وَلَمْ تُوصِ، أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ قَالَ: ((نَعَمْ))^(٣).

قال أبو بكر: «فيكون في هذا الحديث ما ذكرناه من التأويلات، وفيه من الغريب قوله:
((افْتُلِّتْ نَفْسُهَا)) معناه: ماتت فجأة.

ومنه قول عمر رضي الله عنه: كانت بيعة أبي بكر رضي الله عنه فُلِّتَهُ، فوقى الله شرَّها^(٤)، أي: فجأة^(٥).

وفي ذلك من المعنى: أن عمر رضي الله عنه تواعد مَنْ فعل مثل ذلك، وذلك أن أبا بكر رضي الله عنه صار
له من الفضائل الباهرة التي لا تدفع ما يستوجب الخلافة، وأن يبايع فجأة، وكان له استخلافٌ
من رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه على الصلاة^(٦).

(١) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو المنذر، وقيل: أبو عبد الله، المدني. رأى أنس بن مالك،
وجابر بن عبد الله، وسهل بن سعد، وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مات سنة سبع وأربعين ومائة. ينظر:
تهذيب الكمال، ٣٠/٣٢٣، سير أعلام النبلاء، ٦/٣٤.

(٢) أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أمها: أم رومان بنت عامر، تكنت بأب عبد الله بن الزبير وهو
ابن أختها، تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم وهي بنت تسع سنين، وكانت من أحب الناس لقلبه، وأخذت عنه العلم، وروت
الكثير من الأحاديث، روى عنها كثير من كبار الصحابة كعمر بن الخطاب، وأبي هريرة رضي الله عنه، ومن التابعين سعيد بن
المسيب، وفاتها سنة سبع وخمسين، ينظر: الاستيعاب، ٤/١٨٨١، أسد الغابة، ٧/١٨٦، الإصابة، ٨/١٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب: ما يستحب لمن توفي فجأة أن يتصدقوا عنه، وقضاء النذور عن
الميت، رقم الحديث: ٢٧٦٠، ٤/٨، وكتاب الجنائز، باب: موت الفجأة البغته، رقم الحديث: ١٣٨٨، ٢/١٠٢.
وفيه زيادة بسيطة.

(٤) هذا جزء من أثر أخرجه البخاري في صحيحه، باب: رجم الحبلَى من الزنا إذا أُحصنت، رقم الحديث: ٦٨٣٠،
٨/١٦٨.

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة: (فلت).

(٦) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس، ١/٦٩٣.

قال محمد بن جرير: استخلافه إياه على الصلاة: بمعنى استخلافه إياه على إمامة المسلمين، والنظر في أمورهم؛ لأنه استخلفه على الصلوات، التي لا تقيمها إلا الأئمة من الجُمع والأعياد، [فروجع] ^(١) في ذلك، فقال: يأبى الله والمسلمين إلا أبا بكر ^(٢).

قوله -جلّ وعزّ-: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٦﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ أي: وأن عمل كل عامل سوف يراه يوم القيامة، مَنْ وَرَدَ القيامة، بالجزاء الذي يُجَازَى عليه -خيرًا كان أو شرًّا- لا يؤاخذ بعقوبة ذنبٍ غير عامله، ولا يثاب على عمل صالح عمَله غيرُه، وإنما المراد بها: الذي رجع عن إسلامه بضمان صاحبه له، أنه يتحمل عنه العذاب، أن ضمانه ذلك لا ينفعه، ولا يغني عنه يوم القيامة شيئًا؛ لأن كل عامل فبعمله مأخوذ ^(٣).

وقال أبو إسحاق: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ معناه: أنه يُرى العبد سعيه في ميزانه يوم القيامة، أي: يرى في ميزانه عمله ^(٤).

﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ أي: يُجزى عمله أوفى الجزاء ^(٥).

وقوله ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ يقول -جلّ ثناؤه-: ثم يُثاب بسعيه ذلك الثواب الأوفى. ومعنى الأوفى: لأنه أوفى ما وعد خلقه عليه من الجزاء. والهاء من قوله: ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ﴾ من ذكر السعي، وعليه عادت ^(٦).

[١٤٣/أ]

قال أبو بكر: واختلّف في قطع / القارئ من هذه الآيات:

فقال أبو حاتم: «ومن الوقف ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾. وخولف في هذا؛ لأن قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَعْفَرَةَ﴾ متصل بما قبله، فلا ينبغي أن يوقف على ما قبله؛ لأن المعنى

(١) في الأصل: (وروجع)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس، ٦٩٧/١. ولم أجد في جامع البيان في تأويل القرآن.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٨٠/٢٢.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٧٦/٥.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٧٦/٥.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٨٠/٢٢.

عند أهل التفسير: إن ربك واسع المغفرة لمن أتى اللّم. والتمام بعده عند نافع^(١) ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾.

وقال يعقوب^(٢): ومن الوقف قول الله -جلّ وعزّز-: ﴿فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾، والتمام عنده، وعند أبي حاتم ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْفَى﴾. وعند نافع: ﴿أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾.

ثم ردّ عليه هذا القول بعض النحويين، فقال: وهذا لا معنى له؛ لأن ﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ معطوف على ﴿مُوسَى﴾ بلا اختلاف في ذلك، فلا يتم الكلام حتى يأتي المعطوف، إذا كان مفردًا، ولا سيما في الخفض.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قطع كاف^(٣)؛ [إن]^(٤) جعلت (أن) في موضع رفع على إضمار مبتدأ، وإن جعلتها في موضع خفض بدلًا من (ما) لم يقف على ﴿وَفَّى﴾، وكان الكلام متصلًا.

﴿ثُمَّ يُجْزِلُهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ قطع كاف، على ما حكاه الفراء؛ لأنه حكى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ بكسر الهمزة^(٥).

(١) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القارئ المدني، أحد الأعلام، قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة، ذكره ابن حبان في كتاب الثقات، مات سنة تسع وستين ومائة. ينظر: معرفة القراء الكبار، ٦٤، تهذيب الكمال، ٢٨١/٢٩.

(٢) يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، أبو محمد البصري المقرئ النحوي، ذكره ابن حبان في كتاب الثقات، مات سنة خمس ومائتين. ينظر: تهذيب الكمال، ٣٢/٣١٤، تقريب التهذيب، ٦٠٧.

(٣) الوقف الكافي: هو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون

اللفظ. ينظر: المكتفى في الوقف والابتداء، ١٠.

(٤) في الأصل: (وان) بزيادة واو، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٥) ينظر: القطع والائتناف، ١/٦٩٤-٦٩٦.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ ٤٢ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَابُكَ وَأَبَّكَ﴾ ٤٣ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ ٤٤ ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ ٤٥ ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ ٤٦ ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ ٤٧ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾

قال أبو بكر: ﴿الْمُنْتَهَىٰ﴾ في موضع نصب، إلا أنه لا يتبين في لفظه إعراب؛ لأنه مقصور.

و﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ في موضع خبر ﴿وَأَنَّ﴾.

﴿وَأَنَّهُ﴾ الهاء اسم ﴿وَأَنَّ﴾.

﴿هُوَ﴾ قال أبو بكر: ﴿هُوَ﴾ زائدة للتوكيد، ويجوز أن تكون توكيداً للهاء.

﴿أَصْحَابُكَ﴾ فعل ماضٍ، في موضع خبر أن.

﴿وَأَبَّكَ﴾ معطوف عليه.

وكذا ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ عطف جملة على جملة.

وكذا ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ﴾ في موضع نصب بـ ﴿خَلَقَ﴾.

﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ بدل من الزوجين.

﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ خفض بـ ﴿مِنْ﴾.

﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ ﴿إِذَا﴾ ظرف، و﴿تُمْنَىٰ﴾ فعل مستقبل، أي: إذا أمانها الرجل والمرأة، وقيل: هو من منى -جلّ وعزّ- عليه الشيء: إذا أقدره. فالأول من: أمني، و(تفعل) في الثلاثي والرباعي واحد؛ لأن الرباعي يحذف منه حرف، فتقول: يكرم، والأصل: يؤكرم، فحذفت الهمزة اتباعاً لقولك: أنا أكرمت، وحذفت من أكرم لئلا يجتمع همزتان^(١).

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ﴾ اسم ﴿وَأَنَّ﴾، و﴿عَلَيْهِ﴾ في موضع الخبر.

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٨٧/٤.

﴿الْأُخْرَى﴾ من نعت ﴿النَّشَاءِ﴾.

﴿الْأُخْرَى﴾ ﴿٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٧﴾ جملة معطوفة -أيضاً- كذا: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ﴾.

ومعنى هذه الآيات:

«وأن إلى ربك -يا محمد- انتهاء جميع خلقه، ومرجعهم، وهو المجازي جميعهم بأعمالهم، صالحهم وطالحهم، ومحسنهم ومسيئهم.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ﴾ أي: وأن ربك هو أضحك أهل الجنة، في الجنة، بدخولهم إليها، وأبكى أهل النار، في النار، بدخولهم إياها.

وقيل: أضحك من شاء في الدنيا، بأن سره، وأبكى من شاء، بأن غمه.

وأنه هو أمات من أمات من خلقه، وهو أحياء من أحياء منهم، ومعنى أحياء، أي: نفخ الروح في النطفة الميتة، فجعلها حية، بتصويره الروح فيها.

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ وأنه ابتدع إنشاء الزوجين، وجعلهما زوجين؛ لأن الذكر زوج، والأنثى له زوج، فهما زوجان، يكون كل واحد منهما زوجًا للآخر.

و﴿مِنْ﴾ من صلة ﴿خَلَقَ﴾ أي خلقهما من نطفة، إذا أمنياه الرجل والمرأة.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَاءَ الْآخِرَىٰ﴾ أي: وأن على ربك -يا محمد- أن يخلق هذين الزوجين بعد مماتهم وبلاتهم في قبورهم، الخلق الآخر،/ وذلك إعادتهم أحياءً خلقًا جديدًا، كما كانوا قبل مماتهم.

[١٤٣/ب]

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ أي: وأن ربك هو أغنى من أغنى من خلقه بالمال، وأقناه: جعل له قنية: أصول أموال.

واختلف أهل العلم في تأويله: فقال بعضهم بما قلناه عنهم»^(١).

روى السدي^(٢) عن أبي صالح^(٣): قوله: ﴿أَغْنَىٰ وَاقِنَىٰ﴾ قال: ﴿أَغْنَىٰ﴾ [بالمال]^(٤)، ﴿وَاقِنَىٰ﴾ القنية". وقال آخرون: ﴿وَاقِنَىٰ﴾ أخدم. وهو قول مجاهد، ليث عنه، والحسن وأبو رجاء^(٥) عنه، وقتادة، مَعْمَرُ عَنْهُ^(٦).

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ﴿أَغْنَىٰ﴾ من المال، ﴿وَاقِنَىٰ﴾ أَرْضَىٰ^(٧).

روى ذلك ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿وَاقِنَىٰ﴾ "أَرْضَىٰ"^(٨).

وعن مجاهد -أيضاً-: "﴿أَغْنَىٰ﴾ مَوْلٌ، ﴿وَاقِنَىٰ﴾ أَرْضَىٰ"^(٩).

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أغنى نفسه، وأفقر خلقه إليه^(١٠).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٨١/٢٢-٨٢.

(٢) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الحجازي ثم الكوفي، السدي الكبير، أبو محمد، الإمام المفسر، أخذ عن أنس بن مالك، وابن عباس رضي الله عنه، ومصعب بن مسعد، وأخذ عنه: شعبة، وسفيان الثوري، وأبو عوانة، ووثقه أحمد بن حنبل، وقال أبو حاتم: يُكْتَبُ حديثه ولا يُجْتَجَّ به. مات سنة سبع وعشرين ومائة. ينظر: الثقات لابن حبان، ٢١/٤، تهذيب الكمال، ١٣٢/٣، تهذيب التهذيب، ٣١٣/١.

(٣) أبو صالح باذام ويقال: باذان، حدّث عن مولاته أم هانئ، وأبي هريرة، وابن عباس رضي الله عنه، حدّث عنه أبو قلابة، والسدي، ومحمد بن السائب الكلبي، ووثقه العجلي. ينظر: معرفة الثقات للعجلي، ٢٤٢/١، الكامل في ضعفاء الرجال، ٢٥٥/٢-٢٥٨، سير أعلام النبلاء، ٣٧/٥.

(٤) في الأصل: (المال) بدون الباء، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٥) عِمْرَانُ بْنُ مِلْحَانَ أَبُو رَجَاءِ الْعُطَارِدِيُّ، البصري، أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، وروى عن عمر وعلي وعمران بن الحصين وابن عباس وعائشة رضي الله عنهن، قال ابن معين وأبو زرعة: ثقة، توفي سنة سبعة عشر ومائة. تهذيب الكمال، ٣٥٦/٢٢، تهذيب التهذيب، ١٤٠/٨.

(٦) أخرجها الطبري في تفسيره، ٨٢/٢٢-٨٣، بأسانيد منفصلة.

(٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٨٣/٢٢.

(٨) أخرجها الطبري في جامع البيان، ٨٣/٢٢.

(٩) تفسير مجاهد، ٦٢٨.

(١٠) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٨٤/٢٢.

روى ذلك المعتمر بن سليمان^(١) عن أبيه: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ قال: "زعم حضرمي أنه ذكر له: أنه أغنى نفسه، وأفقر الخلائق - خلقه - إليه"^(٢).

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنه أغنى من شاء من خلقه، وأفقر من شاء^(٣).

روى ذلك ابن وهب عن [ابن]^(٤) زيد: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ قال: "أغنى بعض خلقه، وأفقر بعضهم"^(٥).

وقال [أبو]^(٦) إسحاق: ﴿أَغْنَى﴾ فيه قولان: أحدهما: رضي، والآخر: جعله قنية، أي: جعل القنى أصلاً لصاحبه ثابتاً. ومن هذا قولهم: قد اقتنيت كذا، أي: عمدت على أنه يكون عندي، لا أخرجه من يدي"^(٧).

قال أبو بكر: «الكلام متصل للقارئ؛ على قراءة الجماعة. ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُسْتَهْيَىٰ﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ وما بعده إلى ﴿وَقَوْمٌ نُّوحٌ مِّن قَبْلُ﴾ فإن العباس بن الفضل قال: هذا تمام الكلام.

وروى الأعمش عن إبراهيم^(٨) عن علقمة^(٩) أنه قرأ ﴿وَأَنَّهُ﴾ وكذلك ما بعده بكسر الهمزة.

(١) معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي، أبو محمد البصري، روى عن إبراهيم بن يزيد الخوزي، والأخضر بن عجلان، وإسحاق بن سويد العدوي وغيرهم، روى عنه: أحمد بن حنبل، وأحمد بن عبدة الضبي وأبو الأشعث أحمد بن المقدم العجلي وغيرهم، قال أبو حاتم: ثقة صدوق، مات في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ٢٨/٢٥٠، وتهذيب التهذيب، ١٠/٢٢٧.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة، ١٧٦.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٨٤.

(٤) في الأصل: (ابن)، والمثبت موافق لما في المصادر.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٨٥، وذكره القرطبي في تفسيره، ١٧م١١٨. كلاهما بألفاظ متقاربة.

(٦) في الأصل: (ابن)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٥/٧٦.

(٨) إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي اليماني ثم الكوفي، أبو عمران، الإمام الحافظ، فقيه العراق، روى عن: خاله الأسود بن يزيد، وعلقمة بن قيس، وعبيدة السلماني، وروى عنه: الحكم بن عتيبة، وعمرو بن مرة، وحماد بن أبي سليمان، كان مفتي الكوفة، صالحاً فقيهاً، مات سنة ست وتسعين. ينظر: طبقات الفقهاء للشيرازي، ٨٢، سير أعلام النبلاء، ٤/٥٢٠، تهذيب الكمال، ٢/٢٣٣.

(٩) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، أبو شبل، فقيه الكوفة ومقرؤها، ولد في العهد النبوي، ولازم الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حدّث عن كبار الصحابة؛ كعمر، وعثمان، وروى عنه: إبراهيم النخعي، وأبو إسحاق

وحكى الفراء ﴿وَإِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُتَّهَىٰ﴾ بكسر الهمزة أيضاً. فعلى هذه القراءة ﴿ثُمَّ يُجْزِلُهُ الْجَزَاءَ
الْأَوْفَىٰ﴾ قطع كاف^(١).

السبيعي، والشعبي، وغيرهم، تصدى للإمامة والفتيا بعد الصحابة، قال بعض الحفاظ: أصح الأسانيد: منصور عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود، توفي في الكوفة سنة اثنتين وستين. ينظر: معرفة القراء للذهبي، ٥١/١، غاية النهاية، ٧٥٥/٢، طبقات الحفاظ للسيوطي، ٢٠/١.

(١) ينظر: القطع والائتناف، ٦٩٦_٦٩٧.

وقوله:

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴿١٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٢٠﴾ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٢١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ ﴿٢٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٢٣﴾ فَغَشَّيْنَا مَا غَشَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾ عطف جملة على الجملة المتقدمة.

وكذا ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾.

اختلفت القراءة في قراءته:

«فقرأ ابن كثير^(١) وعاصم^(٢) وحمزة^(٣) والكسائي^(٤) وابن عامر^(٥): ﴿عَادًا الْأُولَىٰ﴾ بالتنوين وكسره؛ لالتقاء الساكنين.

وقرأ أبو عمرو^(٦) ونافع: ﴿عَادًا لُولَىٰ﴾ بإدغام التنوين في اللام»^(٧).

- (١) عبد الله بن كثير بن المطلب أبو معبد، مولى عمرو بن علقمة الكناني الداري المكي، إمام المكين في القراءة، ولد بمكة سنة خمس وأربعين، توفي سنة عشرين ومائة. ينظر: معرفة القراء الكبار، ٤٩، غاية النهاية، ٤٤٣/١.
- (٢) عاصم بن أبي النجود الأسدي مولاهم الكوفي الفارئ الإمام أبو بكر، أحد السبعة، قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش الأسدي، وحدث عنهما وعن أبي واثل، ومصعب بن سعد بن أبي وقاص، وجماعة. توفي عاصم في آخر سنة سبع وعشرين ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ٤٦٨/١٥، معرفة القراء الكبار، ٥١.
- (٣) حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل الإمام الكوفي أبو عمار، مولى آل عكرمة بن ربيعي التيمي الزيات، أحد القراء السبعة، ولد سنة ثمانين، وأدرك الصحابة بالسن فلعله رأى بعضهم، وتصدّر للإقراء مدة، وقرأ عليه عدد كثير، توفي سنة ست وخمسين ومائة، وقيل أربع وخمسون ومائة. ينظر: معرفة القراء الكبار، ٦٦، غاية النهاية، ٢٦١/١.
- (٤) علي بن حمزة الكسائي، الإمام أبو الحسن الأسدي، مولاهم الكوفي المقرئ النحوي، أحد الأعلام، ولد في حدود سنة عشرين ومائة، توفي سنة سبع وثمانين ومائة. ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ٧٢.
- (٥) عبد الله بن عامر اليحصبي إمام أهل الشام في القراءة، عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم، بن ربيعة، أبو عمران، توفي سنة ثمان عشرة ومائة. ينظر: معرفة القراء الكبار، ٤٦، غاية النهاية، ٤٢٣/١.
- (٦) أبو عمرو بن العلاء المازني المقرئ النحوي البصري الإمام، مقرئ أهل البصرة. اسمه زَيْنَانُ عَلَى الْأَصْحَحِ وقيل: العريان. توفي سنة أربع وخمسين ومائة. ينظر: معرفة القراء، ٥٨، غاية النهاية، ٢٨٨/١.
- (٧) ينظر: الحجة في القراءات، ٦٨٧، السبعة في القراءات، ٦١٥/١.

وقرأ قالون: ﴿عَادَ لَوْلَى﴾. قال الحلواني عنه: مثل ﴿عَادَ لَوْلَى﴾^(١).

قال أبو بكر: «أما قراءة الجماعة: فلا علة فيها؛ لأن (عاد) مصروف منون، والتنوين ساكن، واللام من الأولى ساكنة، فكسِر التنوين؛ لالتقاء الساكنين.

وأما قراءة أبي عمرو ونافع: فقد تكلم فيها النحويون والقراء، فمنهم من احتج لها، ومنهم من ردّها.

وأما اليزيدي^(٢) فذكر أن من العرب من يقول: رأيت زيد العجم، وي طرح الهمزة منه، إذا أدغم.

قال: وهكذا تفعل العرب الفصحاء. واعتل أبو بكر بن مجاهد^(٣) لها، فقال: أحسب أبا عمرو وإنما دعاه إلى أن يقرأ هذه القراءة، ويترك القراءة الأولى: أن التنوين خافته السكون واللام التي في الأولى، جمع بين ساكنين، ألا تراه يقرأ ﴿عَزِيْرُ ابْنِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٠] ولا يصل: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الله الصّمد] [الإخلاص: ٢-١] كراهة أن يجمع في الوصل التنوين واللام، فلما وجد إلى تحريك اللام من ﴿الأولى﴾ سبيلاً، خَفَّفَ همزة الأولى، وألقى ضمة الهمزة على لام التعريف، وسقطت الهمزة وألف الوصل، لسقط في الوصل، لاسيما وقد تحركت اللام، فأدغم التنوين في اللام.

(١) ينظر: جامع البيان في القراءات السبع، ١٦١٣/٤، معجم القراءات، ٢٠٤/٩

(٢) يحيى بن المبارك بن المغيرة، أبو محمد العدويّ، المعروف باليزيديّ، المقرئ التحويّ اللغويّ، ثقة، كان من الشعراء، أخذ القراءة عرضاً عن أبي عمرو، وهو الذي خلّفه بالقيام بها، وأخذ علم العربية عن ابن أبي إسحاق الحضرميّ، والخليل بن أحمد، روى عنه ابنه محمد، وأبو شعيب السوسيّ، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ألف كتاب (النّوادر)، والمقصود والممدود، وكتاب (التقط والشكل)، توفي سنة اثنتين ومائتين. ينظر: إنباه الرواة، ٣١/٤، غاية النهاية، ١٣٧٨/٣، بغية الوعاة، ٣٤٠/٢.

(٣) أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أبو بكر البغداديّ العَطَشِيّ، مصنف كتاب (القراءات السبعة)، سمع الحديث من سعدان بن نصر، وقرأ القرآن على أبي الزعراء بن عبْدُوس، وقنبل المكي، قرأ عليه أبو طاهر عبد الواحد بن أبي هاشم، وأبو بكر الشذائيّ، وأبو الفرج الشنبوذّي، تصدّر للإقراء، وازدحم عليه أهل الأداء، ورجل إليه من الأقطار ويعدّ صيته، توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. ينظر: تاريخ بغداد، ١٤٤/٥، معرفة القراء الكبار، ٢٦٩/١، غاية النهاية، ٢٢٢/١.



قال أبو بكر: وهذه علة لو كان أبو عمرو ذهب إلى ذلك، والدليل على أن أبا عمرو لم يرد ما قاله ابن مجاهد، أنه قد خالف ذلك فقراً: ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ﴾ [الروم: ٧] وكسر نون ﴿عَنِ﴾، وهمزة الآخرة، فجمع بين النون الساكنة وبين اللام، ولم يطرح حركة الهمزة على اللام / ونون ﴿عَنِ﴾: ساكنة في الخلقة، كسكون التنوين، وقد لقيت لام التعريف، وهي ساكنة -أيضاً- في الخلقة، وقد جمع بينهما، فلو كان الأمر على ما قاله أبو بكر بن مجاهد؛ كان الواجب أن يقرأ ﴿عَنِ الْآخِرَةِ﴾ فيطرح حركة فتحة الهمزة على اللام، إذا وجد إلى تحريك اللام سبيلاً.

[١٤٤/أ]

قال أبو بكر: وتمثيل أبي بكر بن مجاهد على أبي عمر^(١)، وأن التنوين خلقتة السكون، واللام ساكنة، فكأنه لو قال: عاداً الأولى، جمع بين ساكنين، تمثيل لا يحصل؛ لأنه لا يقدر الناطق بلفظ الحرفين ساكنين متواليين، فإن كان لما لفظ بالكلمة كسر التنوين لالتقاء الساكنين، فلا حاجة به إلى التمثيل الذي مثله؛ لأن الساكن الأول قد تحرك، ولا يمكن أن يجمع بين متحرك وساكن، والذي قاله اليزيدي فهو أصح الاحتجاج لأبي عمرو؛ لأنه جعلها لغة مسموعة من العرب. وأما محمد بن يزيد فذكر أنها لحن^(٢).

قال أبو جعفر: سمعت محمد بن الوليد^(٣) يقول: سمعت محمد بن يزيد ما علمت أن أبا عمرو بن العلاء لحن في شيء في صميم العربية من القرآن، إلا في ﴿يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥]، وفي ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾^(٤).

وزعم أبو إسحاق أن فيه ثلاث لغات: يقال ﴿الْأُولَى﴾: بتحقيق الهمزة، ثم يخفف الهمزة، فتلقى حركتها على اللام فيقال ﴿الُولَى﴾ ولا يحذف ألف الوصل؛ لأنها تثبت مع ألف الاستفهام، نحو ﴿ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس: ٥٩]، فخالفت ألفات الوصل، فلم يحذف -أيضاً-

(١) حفص بن سليمان أبو عمر الدوري مولاهم الغاضي الكوفي، المقرئ الإمام صاحب عاصم، توفي سنة ثمانين ومائة. ينظر: معرفة القراء الكبار، ٨٤، غاية النهاية، ٢٥٤/١.

(٢) ينظر: الحجة في القراءات السبع، ٣٣٧، الحجة للقراء السبعة، ٦/٢٣٧-٢٣٨، حجة القراءات، ٦٨٧.

(٣) محمد بن الوليد بن ولاد التميمي، أخذ عن أبي علي الدينوري، وعن محمود بن حسان، وغيرهما بمصر، ثم رحل إلى العراق وأقام بها ثمانية أعوام، ولقي المبرد وتعلباً، وكان حسن الخط، صالح الضبط، وتزوج أبو علي الدينوري أمه. قرأ على المبرد كتاب سيبويه، توفي أبو الحسين سنة ثمان وتسعين ومائتين. ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ٢١٧/١.

(٤) إعراب القرآن للنحاس، ١٨٨/٤.

هاهنا، واللغة الثالثة: أن يقال ﴿لُؤْلَى﴾ فيحذفوا ألف الوصل؛ لأنها اجتلبت لسكون اللام، فلما تحركت اللام حذفت، فعلى هذا ﴿عَادًا لُؤْلَى﴾ بإدغام التنوين في اللام^(١).

قال أبو بكر: والفاء لعلة حسنة من أبي اسحاق، إلا أنه يلزم على قوله أن يبتدئ إذا وقف على ﴿عَادًا لُؤْلَى﴾ بغير ألف، ولم يرو عن من قرأ هذه القراءة أنه ابتداء ﴿لُؤْلَى﴾، وقال بعض النحويين: لا تخلو هذه القراءة من إحدى الجهتين: إما أن يصرف ﴿عَادًا﴾ فيقول ﴿عَادًا أَلْأُولَى﴾ أو يمنعه الصرف، فيجعله اسمًا للقبيلة، فيقول: ﴿عَادًا لُؤْلَى﴾، وأما ﴿عَادًا﴾ فمتوسط^(٢).

وقال أبو جعفر: سمعت محمد بن الوليد يقول: لا يجوز إدغام التنوين في هذه اللام؛ لأن هذه اللام أصلها السكون والتنوين ساكن، فكأنه جمع بين ساكنين^(٣).

قال أبو بكر: «وتلخيص هذا القول: أن اللام من الأولى حقها السكون، فلما ألقيت عليها حركة الهمزة المحققة لم تعد بتلك الحركة؛ لأن اللام لا حظ لها فيها وإنما هي حركة غيرها ألقيت عليها، سبيلها بعد إلقاء الحركة كسبيلها قبل الإلقاء في السكون، فكأنك أدغمت ساكنًا في ساكن، قال أبو بكر: وإن كان هذا القول قد يُستحسن، فإننا لا نلزم أبا عمرو - على جلاله قدره وعلو منزلته من العربية وتمكنه من اللغة - أن يكون لحن، ولا سيما وقد وافقه على قراءته إمام مدينة رسول الله ﷺ ودار هجرته نافع بن أبي نعيم رحمهما الله، ولقراءتهم وجه: وهو أن هذه اللام لما تحركت بالحركة الملقاة عليها قد قدرنا على الابتداء بها، ولم يكن يقدر على الابتداء بها قبل الإلقاء عليها، فقد صارت بالحركة الملقاة عليها بمنزلة حرف متحرك بحركة لازمة، فلما قدرنا على الابتداء باللام وهي محركة بالحركة الملقاة عليها، كذلك قدرنا تلك الحركة فيها، والتنوين قبلها بمنزلة حرف متحرك قبله حرف ساكن فيما يدغم فيه، ألا ترى أنه يجوز ذلك في النحو أن نقول: (لُؤْلَى) بغير ألف وإن كان غيره أجود منه، ويؤيد ما قلنا ما سُمع من العرب في هذه الكلمة.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٧٧/٥، إعراب القرآن للنحاس، ١٨٨/٤.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٨٨/٤.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ١٨٨/٤.

قال أبو بكر: فإن وقف على ﴿عَادًا﴾ وابتدئ بما بعده، على قراءة نافع وأبي عمرو؛ فأما على قراءة نافع: إذا ابتدأنا، قلنا ﴿الْأُولَى﴾ بإدخال ألف الوصل في اللام المتحركة.

[١٤٤/ب] وأما على قراءة أبي عمرو، فما رأيت أحدًا يروي عن أبي عمرو، فكيف كان / يبتدئ.

ورأيت بعض القراء وقد حكى أنه إذا ابتدأ قال ﴿الْأُولَى﴾ بألف الوصل، وألقى حركة الهمزة على اللام، كما ألقاها في الوصل، كما يفعل نافع.

قال أبو بكر: وقياس قراءة أبي عمرو، وما توجيه اللغة التي حُكيت عن العرب، أنهم يقولون: زيد العجم إن يبتدئ الأولى بالهمزة بعد اللام محققة ولا يلقي حركتها على اللام، وإنما قلنا أن القياس يوجب ذلك؛ لأن لم نر أبا عمرو ألقى حركة همزة على ساكن قبلها إلا في هذا الموضع، مع التنوين خاصة؛ لأنه ذكر أن العرب كذا كانت تكون، فلما وقف على قوله ﴿عَادًا﴾ وزاد التنوين الذي تدغمه العرب مع اللام وجب أن ترد الأولى في تحقيق الهمزة إلى أصوله المتعارفة عنه.

وأما القراءة التي رواها إسماعيل القاضي^(١) عن قالون^(٢) وأحمد بن صالح^(٣)، عن أبي بكر بن أبي أويس^(٤) وقالون وإبراهيم، عن ابن أبي أويس عن نافع: أنه همز واو ﴿لَوْلَا﴾؛ فقراءة لا

(١) إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد القاضي، قاضي بغداد، ثقة صدوق، روى عن القعني، وعيسى بن مينا قالون، وحجاج ابن المنهال، روى عنه: أبو القاسم البغوي، وإسماعيل الصفار، والحسن بن كيسان، تَفَقَّهَ به مالكية العراق، وله كتاب (أحكام القرآن)، و(معاني القرآن)، وكتاب في القراءات، مات سنة اثنتين وثمانين ومائتين. ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ١٥٨/٢، سير أعلام النبلاء، ٣٣٩/١٣، غاية النهاية، ٢٥٢/١.

(٢) قالون أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى الزرقني، مولى بني زهرة، قارئ أهل المدينة في زمانه ونحوهم، توفي سنة عشرين ومائتين، وله نيف وثمانون سنة. ينظر: معرفة القراء الكبار، ٩٣، سير أعلام النبلاء، ٣٢٦/١٠.

(٣) أحمد بن صالح المصري، أبو جعفر الحافظ المعروف بابن الطبري، ولد بمصر سنة سبعين ومائة. قال أبو زرعة الدمشقي: (سألني أحمد بن حنبل: من خَلَّفَتَ بمصر؟ قلت: أحمد بن صالح، فسُرَّ بذكره ودعا الله له)، توفي في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين ومائتين. ينظر: تهذيب التهذيب، ٣٩/١، تهذيب الكمال، ٣٤٠/١.

(٤) عبد الحميد بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو بكر بن أبي أويس المدني الأعشى، حليف بني تميم، وهو أخو إسماعيل بن أبي أويس. روى عن إبراهيم بن سعد، وداد بن قيس الفراء، وسفيان الثوري وغيرهم. روى عنه إبراهيم بن المنذر الحزامي، وأبو بكر أحمد بن محمد بن أبي بكر بن سالم السالمي،

أعرف لها وجهًا في العربية؛ لأن سبيل الهمزة إذا أُلقيت حركتها أن تُحذف، وهذه الواو فهي في موطن العين من (فعلى)، ولا يُعرف في كلام العرب اسمًا فاؤه وعينه همزتان، وسبيل كتاب الله - جلّ وعزّ - أن يُقرأ بأفصح اللغات وأعلاها»^(١).

﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى﴾ اختلفت القراءة في صرف ثمود وترك الصرف:

فقرآته الجماعة بالصرف إلا حمزة وعاصمًا في رواية حفص، غير أن عاصمًا في رواية حفص يقف عليه بألف، في حكاية أبي الربيع عنه، واختلف عن أبي بكر: فروى حسين الجعفي^(٢) والكسائي عن أبي بكر عن عاصم أنه أجرى هذه أيضًا، وروى يحيى عن أبي بكر أنه لم [يجر هذه]^{(٣)(٤)}.

قال أبو بكر: من أجراه جعله اسمًا للحيّ، ومن لم يُجره جعله اسمًا للقبيلة^(٥).

واختلف في العامل في نصب ﴿وَتَمُودًا﴾ فقال بعض العلماء: وثودا فلم يبقهم على كفرهم وعصيانهم حتى أفناهم وأهلكهم، وهذا القول خطأ: لأن الفاء لا يعمل ما بعدها فيما قبلها؛ فلا يجوز أن نصب ﴿وَتَمُودًا﴾ بـ ﴿أَبْقَى﴾، وأيضًا فإن بعد الفاء ﴿مَا﴾ وأكثر النحويين لا يجيز أن يعمل ما بعد (ما) فيما قبلها. والصواب أن ﴿وَتَمُودًا﴾ منصوب على العطف، ينصرف على العطف على عاد^(٦).

﴿وَقَوْهَ نُوحٍ﴾ عطف أيضًا.

وإسحاق بن راهويه، وغيرهم. ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات)، مات ببغداد سنة اثنتين ومائتين. ينظر: تهذيب الكمال، ٤٤٤/١٦.

(١) ينظر: الحجة في القراءات السبع، ٣٣٧، الحجة للقراء السبعة، ٢٣٧/٦-٢٣٨، حجة القراءات، ٦٨٧.

(٢) الحسين بن علي بن الوليد الجعفي، مولاهم، أبو عبد الله، ويقال: أبو محمد، الكوفي المقرئ، مات سنة ثلاث أو أربع ومائتين، وله أربع وثمانون سنة. ينظر: تهذيب الكمال، ٤٤٩/٦.

(٣) في الأصل: (يجزه)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) ينظر: السبعة في القراءات، ٦١٦.

(٥) ينظر: حجة القراءات، ٦٨٨.

(٦) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٨٩/٤.

﴿مِّن قَبْلُ﴾ غاية مبنية على الضم، المحذوف بعدها معرفة، أي: من قبل هؤلاء.

﴿إِنَّهُمْ﴾ الهاء والميم اسم إن.

﴿كَانُوا﴾ الواو اسم كان.

﴿هُمْ﴾ فاصلة.

﴿أَظْلَمَ﴾ خبر كان.

﴿وَأَطْعَمِي﴾ معطوف على ﴿أَظْلَمَ﴾.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ منصوب بـ ﴿أَهْوَى﴾.

﴿فَعَشَّهَا﴾ مفعول أول.

﴿مَا عَشَّيْتُ﴾ مفعول ثان.

﴿عَشَّيْتُ﴾ في صلة ﴿مَا﴾.

ومعنى هذه الآيات -والله أعلم-:

وأن ربك -يا محمد- هو رب الشعري، وهو نجمٌ يُسمى بهذا الاسم، وكان بعض أهل الجاهلية يعبدونه من دون الله -جلَّ وعزَّ-^(١).

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرِيِّ﴾ قال: "هو الكوكب الذي يُدعى الشعري"^(٢).

وقال مجاهد: "هو الكوكب الذي خلف الجوزاء؛ كانوا يعبدونه"^(٣).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٨٥/٢٢.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور، ١٣١/٦.

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة، ٦٩٥، وعزاه السيوطي في الدر المنثور، ١٣١/٦.

وقال قتادة: "كان حي من العرب يعبدون الشّعري، هذا النجم الذي رأيتم"^(١).

وقال ابن زيد: "الشّعري كانت تُعبد في الجاهلية؛ فقال: تعبدون هذه وتتركون ربها؟! اعبدوا ربها". والشّعري: النجم الوَقَاد الذي يتبع الجوزاء^(٢).

قال أبو بكر: وقيل: هما شعرتان فالتى عُبدت هي الشّعري العبور، والخارجة عن المجرة التي عبدها أبو كبشة^(٣) في الجاهلية، وقال: رأيتهما قد عبرت عن المنازل^(٤).

وقال أبو إسحاق: ﴿الشَّعْرَى﴾ كوكب خلف الجوزاء؛ وهو أحد كوكبي ذراع الأسد، وكان قوم يعبدون الشّعري من العرب؛ فأعلم الله -جلّ ثناؤه- أنه ربّها وأنه خالقها وهو المعبود^(٥).

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ قال محمد: ﴿عَادًا الْأُولَى﴾ هو عاد بن إرم بن عَوْص بن سام بن نوح، وعاد الثانية: بنو لُقَيْم بن هَزَال بن هُزَيْل من ولد عاد الأكبر، وكانوا بمكة -في وقت أُهلكت عادًا الأولى- سُكَّانًا مع [إخوانهم]^(٦) من العمالقة -ولدِ عَمَلِيقَ بن / لاوذ بن سام بن نوح- ولم يكونوا مع قومهم من عاد بأرضهم، فلم يصبهم من العذاب ما أصاب قومهم، وهو عاد الآخرة، ثم هلكوا بعد، فكان هلاك عاد الآخرة ينعي بعضهم على بعض، فتفانوا بالقتل^(٧).

[١٤٥/أ]

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره، ٢٥٤/٢، وعزاه الحافظ في الفتح، ٦٠٤/٨، وعزاه السيوطي في الدر المنثور، ١٣١/٦.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١٠٢/٣، وتفسير ابن كثير، ٤٤٢/٧.

(٣) أبو كبشة وهو من خزاعة أحد أجداد النبي ﷺ من قبل أمهاته. خالف قريشًا في عبادة الأصنام، وعبد الشعري العبور، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ٢٦٧، الشرك في القدم والحديث، ٥٣٢.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٧٧/٥، إعراب القرآن للنحاس، ١٨٨/٤.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٧٧/٥.

(٦) في الأصل: (أخوانهم)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٧) ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ٣٢٨/١-٣٢٩، جامع البيان في تأويل القرآن، ٨٨-٨٦/٢٢.

قال ابن إسحاق^(١): "قيل لعاد الأكبر الذي أهلك الله -جلّ وعزّ- ذريته بالريح: عادًا الأولى؛ لأنها هلكت قبل عاد الآخرة"^(٢).

وكان ابن زيد يقول: "إنما قيل لعاد: الأولى؛ لأنها أول الأمم هلاكًا"^(٣).

قال أبو جعفر: "سمعت علي بن سليمان يقول: سمعت محمد بن زيد يقول: عاد الآخرة: ثمود"، واستشهد علي بقول [زهير]^(٤):

كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تَرْضِعُ فَتُفْطِمُ^(٥)

.....

يريد عاقر الناقة.

قال أبو جعفر: "وجواب ثالث: أنه قد يكون شيء له أول، ولا آخر له، من ذلك نعيم أهل الجنة"^(٦).

﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى﴾ قال محمد بن جرير: ولم يُبقِ الله -جلّ وعزّ- ثمود فلبغيهم على طغيانهم وتمردهم على ربهم، ولكنه عاقبها بكفرها وعتوها، فأهلكها^(٧).

(١) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار القرشي المطلي المدني، أبو بكر، صاحب السيرة النبوية، حدث عن: أبيه، وأبان بن عثمان، ويشير بن يسار، وأخذ عنه: يحيى بن سعيد الأنصاري، وزهير بن معاوية، وأبو شهاب الحنات، كان حسن الحديث، صدوقاً، مات سنة خمسين ومائة، ينظر: وفيات الأعيان / ٢٧٦، تهذيب الكمال، ٤٠٥/٢٤، سير أعلام النبلاء، ٣٣/٧.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٨٨/٢٢، وفي تاريخه أيضاً، ٢١٩/١.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٨٨/٢٢، وذكره القرطبي في تفسيره، ٦٣/٢٠.

(٤) في الأصل: (رهين)، والمثبت موافق لما في المصدر. والشاعر هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، حكيم الشعراء في الجاهلية، ووالد الشاعر الصحابي كعب بن زهير وهو صاحب القصائد التي تسمى الحوليات؛ لأنه كان ينظمها في شهر، ويهدبها في سنة، له معلقة مشهورة في مدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان، توفي قبل بعثة النبي ﷺ. ينظر: طبقات فحول الشعراء، ٥١/١، معجم المؤلفين، ١٨٦/٤، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٠٧/١٨.

(٥) ديوان زهير بن أبي سلمى، ١٠٧، و صدر البيت: فَتُنْشِجُ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ، كُفْلَهُمْ.

(٦) إعراب القرآن للنحاس، ١٨٩/٤.

(٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٨٨/٢٢.

﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: وأنه أهلك قوم نوح من قبل عاد^(١).

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ أي أشد ظلماً لأنفسهم، وأعظم كفرًا برهم، وأشد طغيانًا، وتمردًا على الله -جلّ ثناؤه- من الذين أهلكهم من بعدهم من الأمم، وكان طغيانهم الذي وصفهم الله -جلّ وعزّز- به [أنهم كانوا بذلك أكثر طغيانًا على ربهم من غيرهم من الأمم]^(٢)، ما رواه سعيد بن أبي عروبة^(٣) عن قتادة قوله: ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَأَطَعُوا﴾ "لم يكن قبل من الناس هم أظلم وأطغى من قوم نوح ﷺ؛ دعاهم نبي الله نوح ﷺ ألف سنة إلا خمسين عامًا، كلما هلك قرن ينشأ قرن، دعاهم نبي الله ﷺ حتى ذكر لنا أن الرجل كان يأخذ بيد ابنه فيمشي به إليه، فيقول: يا بني لا تقبل من هذا؛ فإن أبي مشى بي إلى هذا -وأنا مثلك يومئذ- وأوصاني بما أوصيك به". تتابعًا في الضلالة، وتكذيبيًا بأمر الله ﷻ^(٤).

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾: أي والمخسوف بها، والمقلوب أعلاها بأسفلها، وهي قرية سدوم^(٥)، قوم لوط، أهوى الله -جلّ وعزّز- فأمر جبريل ﷺ فرفعها من الأرض السابعة بجناحه ثم أهواها مقلوبة^(٦). يقال: هوى، إذا سقط وأهواه غيره^(٧).

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾: "أهواها جبريل ﷺ، قال: رفعها للسماء [ثم أهواها]"^(٨)^(٩).

وقال قتادة: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ "قرية لوط"^(١٠).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٨٩/٢٢.

(٢) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) سعيد بن أبي عروبة واسمه مهرا بن العدوي أبو النضر، مولى بني عدي بن يشكر البصري، قال أبو زرعة: (ثقة مأمون). توفي سنة ست وخمسين ومائة. ينظر: تذكرة الحفاظ، ١٣٣/١، تهذيب التهذيب، ٣٢٧/٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٨٩/٢٢-٩٠.

(٥) سدوم: أميز قرى قوم لوط. ويقال أنها تقع في منطقة البحر الميت. ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد، ٢٠٢.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٩٠/٢٢.

(٧) ينظر: لسان العرب، مادة: (هوا).

(٨) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٩) تفسير مجاهد، ٦٢٩.

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٩١/٢٢.

وقال ابن زيد: "قرية لوط، أهواها من السماء، ثم أتبعها تلك الصخر، اقتلعت من الأرض، ثم أهوى بها في السماء، ثم أهواها، ثم قُلبت"^(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى» "المكذبين: أهلكهم الله -جلّ وعزّ-"^(٢).

وقوله: «فَعَشَّهَا مَا غَشَّى» أي: فغشّى الله المؤتفكة بالحجارة المنضودة^(٣) المسومة^(٤) ما غشّى، فأمطرها إياه من سجّيل^(٥).

قال قتادة: «فَعَشَّهَا مَا غَشَّى» "غشاها [صخرًا]"^(٦) منضودًا"^(٧).

وقال ابن زيد: «فَعَشَّهَا مَا غَشَّى» قال: "الحجارة التي رماهم بها من السماء"^(٨).

وقال الفراء: غشاها الحجارة^(٩).

قال أبو بكر: «فَعَشَّهَا مَا غَشَّى» الفائدة في هذا معنى التعظيم، أي ما غشّى مما قد دُكر لكم^(١٠)، ونظيره قول أبي النجم^(١١):

أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي^(١٢)

.....

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٩١/٢٢.

(٢) معنى منضود: بعضه فوق بعض. ينظر: لسان العرب، مادة (نضد).

(٣) معلّمة بعلامة يُعلم أنها مما عدّب الله بها. ينظر: لسان العرب، مادة (سوم).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٩١/٢٢.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٩١/٢٢.

(٦) مكتوبة في المتن وكذا في هامش الصفحة -مجاورة لموضعها من المتن حيث خُتم السطر بالكلمة-؛ لدفع اللبس عن القارئ عند قراءتها في المتن كونها كُتبت في حيّز ضيق.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٩١/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٩٢/٢٢.

(٩) معاني القرآن للفراء، ١٠٣/٣.

(١٠) إعراب القرآن للنحاس، ١٨٩/٤.

(١١) الفضل بن قدامة بن عبيد بن عبيد الله بن عبدة بن الحارث بن إياس بن عوف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عجل، بقي إلى أيام هشام بن عبد الملك، توفي سنة عشرين ومائة. ينظر: تاريخ دمشق، ٣٥١/٤٨، تاريخ الإسلام، ٢٩٦/٣.

(١٢) ديوان أبي النجم العجلي، ١٩٨، وعجز البيت: لله دَرِّي، ما أجنّ صَدْرِي.

أي: ما علمتم وعزفتم^(١).

﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ أي: فبأي نعم ربك يا ابن آدم التي أنعمها الله عليك ترتاب وتشك وتجادل^(٢).

وقد ذكرنا واحد الآلاء بما أغنى عن إعادته^(٣).

روى سعيد عن قتادة: ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ يقول: "فبأي نعم الله تتمارى يا ابن آدم"^(٤).

قال أبو جعفر أحمد: المعنى: قل - يا محمد - لمن يشكك ويجادل: بأي نعم ربك تتمري؟! أي: تشك؟!^(٥).

وقال أبو إسحاق: المعنى: يا أيها الإنسان فبأي نعم ربك تشكك؛ لأن المرية: الشك^(٦).

وقال أحمد بن محمد: وبلغني أنه - جلّ وعزّ - وصف ما يدل على وحدانيته وما يجب شكره عليه، / إذ خلس منه، ولم يعتل بمثله، ثم خاطب الإنسان، فالمعنى: يا أيها الإنسان: فبأي نعم ربك تكذب؟!^(٧)

[١٤٥/ب]

قال أبو بكر: واختلّف في وقف القارئ:

«فأما على قراءة الجماعة - بفتح الهمزة^(٨) - فالكلام متصل إلى ﴿وَقَوْمٌ نُّوحٌ مِّن قَبْلُ﴾ فإن العباس بن الفضل قال: هذا تمام الكلام.

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، ٢٧٠/٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٩٢/٢٢.

(٣) ينظر: الأصل، المجلد الثالث/اللوحة ١٦٦، سورة الأعراف.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٩٢/٢٢.

(٥) إعراب القرآن للنحاس، ١٩٠/٤.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٧٨/٥.

(٧) لم أقف عليه فيما توفّر من كتب الإمام أحمد بن محمد النحاس، وقد ذكر نحوه في الجامع لأحكام القرآن، ٦٥/٢٠.

(٨) همزة (أَنْ) من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُسْتَعْلَى﴾ وما بعدها.

قال أبو بكر: ويتم الكلام على قول الفراء على قوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى﴾؛ لأنه قال: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ منصوبة بـ ﴿أَهْوَى﴾.

والتمام عند أبي حاتم: ﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾.

وكذا عنده ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذُرِ الْأُولَى﴾ وكذا عنده ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ وكذا ﴿وَأَنْتُمْ سَلْمُذُونَ﴾.

وهذا كافٍ عند غيره، والتمام آخر السورة»^(١).

(١) القطع والائتناف، ٦٩٦-٦٩٧.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ التُّذْرِ الْأُولَىٰ﴾ ﴿٥٦﴾ أَرْفَتِ الْأَرْفَةَ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ
تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَلِيمُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا ﴿٦٢﴾

﴿هَذَا﴾ ابتداء.

﴿نَذِيرٌ﴾ خبر الابتداء.

﴿مِّنَ التُّذْرِ﴾ خفض بـ ﴿مِنَ﴾ متصل بخبر الابتداء.

﴿الْأُولَىٰ﴾ من نعت ﴿التُّذْرِ﴾.

﴿أَرْفَتِ﴾ فعل ماضٍ والتاء للتأنيث.

﴿الْأَرْفَةَ﴾ رفع بفعلها.

﴿لَيْسَ﴾ فعل ماضٍ.

﴿لَهَا﴾ الهاء والألف ضمير مخفوض.

﴿مِنَ دُونِ اللَّهِ﴾ خفض بـ ﴿مِنَ﴾.

﴿كَاشِفَةٌ﴾ اسم ليس. وحرف الجر مع ما عمل فيه في موضع خبر ليس.

﴿أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ ﴿هَذَا﴾ خفض بـ ﴿مِنَ﴾. ﴿الْحَدِيثِ﴾ نعت لـ ﴿هَذَا﴾.

﴿تَعْجَبُونَ﴾ فعل مستقبل.

﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ معطوف على ﴿تَعْجَبُونَ﴾.

وكذا ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾.

﴿وَأَنْتُمْ سَلِيمُونَ﴾ ابتداء وخبر.

﴿فَاسْجُدُوا﴾ فعل أمر.

﴿وَعَبُدُوا﴾ معطوف عليه.

قال أبو بكر: واختلف أهل العلم في معنى قوله -جل ثناؤه- محمد ﷺ ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ ووصفه إياه بأنه من النذر الأولى، وهو آخرهم:

فقال بعضهم: معنى ذلك: نذير لقومه، كما كانت النذر الذين من قبله نذراً لقومهم، كما يقال: هذا واحد من بني آدم، وواحد من الناس^(١).

روى معمر^(٢) عن قتادة، في قوله ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ قال: "أَنْذَرَ مُحَمَّدٌ ﷺ، كما أَنْذَرَتِ الرِّسْلُ مِنْ قَبْلِهِ"^(٣).

وروى جابر عن أبي جعفر: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ قال: "هو محمد ﷺ"^(٤).

وقال آخرون: معنى ذلك: هذا نذير من النذر الأولى في أم الكتاب^(٥).

وقال آخرون: بل معنى ذلك غير هذا كله. وقالوا: معناه: هذا الذي أنذرتكم به -أيها القوم- من الوقائع، الذي ذكرت لكم أي أوقعتها بالأمم قبلكم، من النذر التي أنذرتها الأمم قبلكم، في صحف إبراهيم وموسى ﷺ^(٦).

روى ذلك سفيان عن إسماعيل عن أبي مالك: ﴿نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ "مما أنذروا بها قومهم في صحف إبراهيم وموسى ﷺ"^(٧).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٩٢/٢٢-٩٣.

(٢) معمر بن راشد الأزدي الحدابي، أبو عروة بن أبي عمرو البصري، سكن اليمن، قال عثمان بن سعيد الدارمي: (سألت يحيى بن معين قلت: ابن عيينة أحب إليك في الزهري أو معمر؟ قال: معمر). وكان شهد جنازة الحسن البصري. مات في أول سنة خمسين ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ٣٠٣/٢٨، تقريب التهذيب، ٥٤١.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٩٣/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٩٣/٢٢.

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٩٠/٤.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٩٣/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٩٤/٢٢.

قال أبو بكر: وكان أبو جعفر محمد بن جرير يختار قول أبي مالك، ويقول: هو أشبه بتأويل الآية؛ لأن الله -جل ثناؤه- ذكر ذلك في سياق الآيات التي أخبر عنها أنها في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، ثم قال لقريش: هذا الذي أنبأتكم به من الخبر عنه أنه في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، نذير من النذر الأولى، التي جاءت الأمم قبلكم، كما جاءكم، فقولته هذا بأن يكون إشارة إلى ما تقدمها من الكلام أولى، وأشبه منه بغير ذلك^(١).

وقوله: ﴿أَزَفَتِ الْأَزْفَةُ﴾ يقول -جل ثناؤه- دنت الدانية، أي: دنت القيامة القريبة منكم، يقال منه: أزف رحيل فلان إذا دنا وقرب^(٢)، ومنه قول كعب بن زهير^(٣):

بَانَ الشَّبَابُ وَأَمْسَى الشَّيْبُ قَدْ أَزَفَا وَلَا أَرَى لِشَبَابٍ ذَاهِبٍ [خَلْفًا]^(٤)
وقال التابعي الديباني:

أَزِفَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا لَمَّا تَزَلْ بِرِحَالِهَا وَكَأَنَّ قَدْ^(٥)
/ وما قلناه مأخوذ من قول العلماء:

[١٤٦/أ]

روى علي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿أَزَفَتِ الْأَزْفَةُ﴾: "من أسماء يوم القيامة، عظّمه الله -جل وعزّ -، وحذّره عباده"^(٦).

وقال مجاهد في قوله: ﴿أَزَفَتِ الْأَزْفَةُ﴾ "اقتربت الساعة"^(٧).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٩٤/٢٢.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٩٤/٢٢.

(٣) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرب: شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، له ديوان شعر، كان ممن اشتهر في الجاهلية، ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وسلم، وأقام يشبّب بنساء المسلمين، فهدر النبيّ دمه، فجاءه كعب مستأمنًا، وقد أسلم، وأنشده لامئته المشهورة التي مطلعها: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول... فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم وخلع عليه برده. ينظر: أسد الغابة، ٤٤٩/٤، الإصابة في تمييز الصحابة، ٤٤٣/٥.

(٤) ساقط من المتن، ومكتوب في هامش الصفحة بجوار البيت الشعري. والبيت من ديوان كعب بن زهير، ٤٥.

(٥) ديوان التابعي الديباني، ١٠٥. و(قد) حرف تحقيق، والفعل بعدها محذوف -وساغ حذفه لدلالة ما قبله عليه- والتقدير: (قد زالت). ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ٢٠/١.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٩٥/٢٢.

(٧) تفسير مجاهد، ٦٢٩.

وقال أبو زيد: ﴿أَزَفَتِ الْأَرْزَفَةُ﴾ قال: "الساعة، ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾" (١).

«وقوله -جلّ وعزّ-: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي ليس للآزفة التي قد أزفت -وهي الساعة التي قد دنت- من دون الله كاشف، أي: ليس [تنكشف] (٢)، فتقوم إلا بإقامة الله إياها، وكشفها دون من سواه من خلقه؛ لأنه لم يُطْلَعِ عليها ملكًا مقرَّبًا ولا نبيًّا مرسلًا.

وقيل: ﴿كَاشِفَةٌ﴾ فَأَنْتَتْ، هي بمعنى الانكشاف، كما قيل: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨] أي: فهل ترى لهم من بقاء؟ وكما قيل: [العاقبة] (٣) فَأَنْتَتْ كاشفة، بمعنى حال كاشفة، أو فرقة كاشفة» (٤).

وقيل الهاء للمبالغة، وكاشفة على معنى كشف، معنى المصدر (٥).

وقال أبو إسحاق: لا يكشف علمها -متى يكون- إلا الله -جلّ وعزّ-، كما قال -جلّ وعلا-: ﴿لَا يُجَلِّبُهَا لَوْفَتَهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] (٦).

﴿أَفَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجَّبُونَ﴾ الخطاب لمشركي قريش: أفمن هذا القرآن -أيها الناس- تعجبون، أن نزل على محمد ﷺ وتضحكون منه استهزاءً به؟

﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ لما فيه من الوعيد لأهل المعاصي، وأنتم من أهل معاصيه.

﴿وَأَنْتُمْ سَاهُونَ﴾ أي: وأنتم لاهون عمّا فيه من العبر والذكر، معرضون عن آياته، يقال للرجل: دَعَّ عَنَّا سُمُودًا؛ أي: هَوَّك، والفعل منه: سَمَدَ يَسْمُدُ سُمُودًا (٧).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٩٥/٢٢.

(٢) في الأصل: (تنكشف)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) في الأصل: (العافية)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٩٥/٢٢-٩٦.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١٠٣/٣.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٧٨/٥.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ٩٦/٢٢.

قال أبو بكر: «وقد اختلفت ألفاظ العلماء في معنى السُّمُود:

فقال بعضهم: ﴿سَلِمْدُونَ﴾ "لاهُون".

وقال بعضهم: "مُعْنُونَ".

وقال بعضهم: "شَاخُونَ"»^(١).

روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿سَلِمْدُونَ﴾ قال: "هو الغناء، كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا، وهي لغة أهل اليمن، قال اليماني: اسمُ لنا" ^(٢). أي: تَعَنَّ لنا.

وروى عنه علي وغيره ^(٣): ﴿سَلِمْدُونَ﴾ "لاهُون" ^(٤).

وروى عنه الضحاك: ﴿وَأَنْتُمْ سَلِمْدُونَ﴾ قال: "كانوا يمرون على النبي صلى الله عليه وسلم شامخين، ألم تروا إلى الفحل في الإبل يَحْطُرُ شامخًا" ^(٥).

قال قتادة: ﴿وَأَنْتُمْ سَلِمْدُونَ﴾ "غافلون" ^(٦).

وقال الضحاك: "هو اللهو واللعب" ^(٧).

وروى أبو معشر ^(٨) عن إبراهيم: ﴿وَأَنْتُمْ سَلِمْدُونَ﴾ قال: "قيام القوم قبل أن يجيء الإمام" ^(٩). ينتظرون الصلاة قيامًا.

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٩٦/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٩٦/٢٢.

(٣) لم أفق عليه.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٩٦/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٩٨/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٠٠/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٠٠/٢٢.

(٨) زياد بن كليب التميمي الحنظلي، أبو معشر الكوفي، روى عن: إبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، وعامر الشعبي، وغيرهم. روى عنه: إسماعيل بن مسلم المكي، وأيوب السختياني، وأبو بشر جعفر بن أبي وحشية، وغيرهم، قال

النسائي: (كان ثقة)، مات سنة عشر ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ٥٠٤١/٩، تهذيب التهذيب، ٣٨٢/٣.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٠١/٢٢، وعزاه السيوطي مطولا، في الدر المنثور، ٦٦٧/٧.

وقال إبراهيم: "كانوا يكرهون أن يقوموا إذا أقام المؤذن الصلاة، وليس عندهم الإمام، وكانوا يكرهون أن ينتظرون قياماً"^(١).

وعن مجاهد: ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ البرطمة، وقيل له: ما البرطمة؟ قال: الإعراض"^(٢).

قال أبو بكر: وروي عن علي ابن أبي طالب عليه السلام، إذا دخل الصلاة فرأهم قياماً، قال: "ما لهم وما شأنهم؟ سامدون؟"^(٣).

وقال صالح أبو الخليل^(٤): لما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿أَقِمْنَ هَذَا الْحَدِيثَ تَعَجَبُونَ ۖ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۗ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ لم يُرَ ضاحكاً أو متبسماً حتى مات صلى الله عليه وسلم، قال: ﴿سَامِدُونَ﴾ غافلون^(٥).

قال أبو بكر: وهذه الأقوال ليست بمتناقضة؛ لأن الغناء هو غفلة وإعراض عن الحق، وكذلك القيام إلى الصلاة قبل الإمام لا معنى له - إذ كانوا لا يُصَلُّونَ حتى يُصَلِّيَ الإمام - وفي الحديث: ((إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَقُومُوا حَتَّى تَرَوْنِي))^(٦).

﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوهُ﴾ فاسجدوا لله - أيها الناس - في صلاتكم، دون مَنْ سِوَاهِ مِنَ الْآلِهَةِ والأنداد، وإياه فاعبدوا دون غيره؛ فإنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا له، فأخلصوا له العبادة والسجود، ولا تجعلوا له شريكاً في عبادتكم إياه^(٧).

قال أبو إسحاق: المعنى: فاسجدوا لله ولا تسجدوا للآلات والعزى ومنات^(٨).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٠١/٢٢-١٠٢.

(٢) تفسير مجاهد، ٦٢٩، باختلاف في اللفظ، وأخرجه الطبري في جامع البيان، ١٠١/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٠٠/٢٢، بنحوه.

(٤) صالح بن أبي مرزم الضبي مولاهم أبو الخليل البصري، وثقه ابن معين والنسائي، وأغرب ابن عبد البر فقال: لا يُحْتَجُّ به، من السادسة. ينظر: تهذيب الكمال، ٨٩/١٣، تقريب التهذيب، ٢٧٣.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٦٩/٢٠.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب: متى يقوم الناس إذا رأوا الإمام، رقم الحديث: ٦٣٧، ١٢٩/١، وباب: لا يسعى إلى الصلاة مستعجلاً، وليقم بالسكينة والوقار، رقم الحديث: ٦٣٨، ١٣٠/١.

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٠٢/٢٢.

(٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٧٨/٥.

﴿وَأَعْبُدُوا﴾ أي: واعبدوا الله وحده^(١).

قال أبو بكر: وليس في هذه السورة ياء إضافة^(٢).

واختلف العادُّون في عدد آيها:

فعدّها المدنيان^(٣) والمكي^(٤) والشامي^(٥) والبصري^(٦): ستين آية.

وعدّها الكوفي^(٧): اثنين وستين. اختلافها ثلاث آيات: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾

كوفي، / ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ شامي، ﴿إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أسقطها [١٤٦/ب] الشامي^(٨).



(١) إعراب القرآن للنحاس، ١٩١/٤.

(٢) جامع البيان في القراءات السبع، ٥٣/٤.

(٣) العدد المدني على ضربين: مدني أول ومدني أخير، فالمدني الأول: منسوب إلى نقل أهل الكوفة إياه عن أهل المدينة مرسلًا، بدون تعيين أحدٍ منهم. والمدني الأخير منسوب إلى أبي جعفر يزيد بن القعقاع. ينظر: البيان في عدّ آي القرآن، ٧٩، جمال القراء وكمال الإقراء، ٤٩٢-٤٩٣.

(٤) العدد المكي: هو الذي نُسب إلى مجاهد بن جبر وعبد الله بن كثير. ينظر: فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، ٢٣٧.

(٥) العدد الشامي: هو ما نُسب إلى عبد الله بن عامر اليحصبي. ينظر: فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، ٢٤١.

(٦) العدد البصري: هو ما نُسب إلى عاصم بن ميمون الجحدري. ينظر: فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، ٢٤٠، جمال القراء وكمال الإقراء، ٤٩٤.

(٧) العدد الكوفي: هو ما نُسب إلى أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ينظر: البيان في عدّ آي القرآن، ٨٠، فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، ٢٣٩.

(٨) ينظر: البيان في عدّ آي القرآن، ٢٣٤.

سورة القمر

مكية^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله - جلّ وعزّ -:

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾

﴿اقْتَرَبَتِ﴾ فعل ماض وحرف.

﴿السَّاعَةُ﴾ رفع بفعلها.

﴿وَانْشَقَّ﴾ فعل ماض، معطوف على ﴿اقْتَرَبَتِ﴾، وجاء الفعل الأول بالتاء، لتأنيث الساعة، والثاني بغير تاء، لتذكير القمر.

﴿وَإِن يَرَوْا﴾ جزم ب (إن)؛ لأنه شرط وعلامة الجزم: حذف النون.

﴿آيَةً﴾ مفعول ﴿يَرَوْا﴾.

﴿يُعْرِضُوا﴾ جزم؛ لأنه جواب الشرط.

﴿وَيَقُولُوا﴾ معطوف على ﴿يُعْرِضُوا﴾.

﴿سِحْرٌ﴾ رفع بإضمار مبتدأ، أي: هذا سحر.

﴿مُسْتَمِرٌّ﴾ من نعت ﴿سِحْرٌ﴾.

ومعنى هذه الآيات - والله أعلم -:

اقتربت الساعة التي تقوم فيها القيامة، ومعنى اقتربت: افتعلت، من القرب، أي: هي

(١) البيان في عد آي القرآن، ٢٣٦.

بالإضافة إلى ما مضى قريبة؛ لأنه قد مضى أكثر الدنيا^(١)، كما روى قتادة عن أنس رضي الله عنه، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كادت الشمس تغيب، فقال: ((مَا بَقِيَ مِنْ دُنْيَاكُمْ فِيمَا مَضَى إِلَّا مِثْلُ مَا بَقِيَ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ فِيمَا مَضَى))، وَمَا نَرَى مِنَ الشَّمْسِ إِلَّا يَسِيرًا^(٢).

وقال كعب^(٣) ووهب^(٤): "الدنيا ستة آلاف سنة". قال وهب: "قد مضت منها خمسة آلاف وستمائة سنة"^(٥).

والمعنى في الآية: أنها إنذارٌ من الله -جلّ وعلا- لعباده بدُنُوّ القيامة وقرب فناء الدنيا، وأمرٌ منه بالاستعداد لأهوال القيامة، قبل هجومها عليهم، وهم في غفلة معرضون^(٦).

وقوله: ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أي: وانفلق القمر، وكان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية، فأراهم صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر، آيةً

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٠٣/٢٢، والجامع لأحكام القرآن، ٧١/٢٠.

(٢) أخرجه المقدسي في كتابه: المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما، ١٢٠/٧. وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٣١١/١٠.

(٣) كعب بن ماتع الحميري اليماني، العلامة الخبر، كان يهوديًا فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه، فجالس أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فكان يُحدّثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويأخذ السنن عن الصحابة، حدّث عن: عمر، وصهيب رضي الله عنه، وغير واحد، حدّث عنه: أبو هريرة، ومعاوية، وابن عباس رضي الله عنه، مات بالشام سنة اثنتين وثلاثين، ينظر: الثقات لابن حبان، ٣٣٤/٥، سير أعلام النبلاء، ٤٨٩/٣، تهذيب التهذيب، ٤٣٨/٨.

والقول الذي ذكره مرويًا عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سأل كعب عن الرقيم، رواه الثوري في تفسيره، ١٧٧، وعبد الرزاق في تفسيره، ٣٩٧/٢، والطبري في جامع البيان، ١٥٧/١٥.

(٤) وهب بن منبه بن كامل بن سيح بن ذي كنان اليماني الصنعاني الذماري أبو عبد الله الأبنوي، الإمام الأخباري القصصي، كان غزير العلم في الإسرائيليات، وروايته للمسنّد قليلة، مات سنة عشر ومائة. ينظر: الثقات لابن حبان، ٤٨٧/٥، تهذيب الكمال، ١٤٠/٣١، سير أعلام النبلاء، ٥٤٤/٤.

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره، ٧٢-٧١/٢٠.

(وكل ما يروى عن عمر الدنيا من التحديد فضعيف واهن)، والآيات التي تنفي علم الساعة عن غير الله عز وجل عديدة، ومنها، قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] المحرر الوجيز، ٢١١/٥.

(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٠٣/٢٢.

وَحُجَّةٌ لَهُ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِ وَحَقِيقَةِ نَبِيِّتِهِ، فَلَمَّا أَرَاهُمْ ذَلِكَ أَعْرَضُوا وَكَذَّبُوا وَقَالُوا: هَذَا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ، [سَحَرْنَا] مُحَمَّدٌ، فَقَالَ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾^(١).

وما قلناه فقد جاءت به الآثار وقاله العلماء:

روى قتادة أن أنس بن مالك^(٢) حَدَّثَهُمْ: ((أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ))^(٣).

وعنه -أيضاً-: ((انْشَقَّ فِي رَفَّتَيْنِ))^(٤).

وقال عبد الله ﷺ: انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَى، حَتَّى ذَهَبَتْ مِنْهُ فِرْقَةٌ خَلَفَ الْجَبَلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((اشْهَدُوا))^(٥).

وفي حديث آخر: ((اللَّهُمَّ اشْهَدْ))^(٦)، قال عبد الله: ((فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: هَذَا سِحْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ سَحَرَكُمْ، فَاسْأَلُوا السُّقَّارَ، فَسَأَلُوهُمْ فَقَالُوا: نَعَمْ قَدْ رَأَيْنَاهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ -جَلَّ وَعَزَّ- ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ وَالَّذِينَ أَقْرَبَهُ﴾))^(٧).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٠٣/٢٢.

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن النجار، أبو حمزة ﷺ، خادم رسول الله ﷺ، روى عن النبي ﷺ الكثير من الأحاديث، وروى -أيضاً- عن الصحابة، روى عنه ابن سيرين، وثابت البناني، وقاتادة، دعا له النبي ﷺ بالبركة في ماله وولده، توفي سنة إحدى وتسعين. ينظر: الاستيعاب، ١٠٨/١، أسد الغابة، ١٥١/١، الإصابة، ١٢٦/١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: وانشق القمر وإن يروا آية، رقم الحديث: ٤٨٦٧، ١٤٢/٦، بدون لفظ: (مرتين)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: انشقاق القمر، رقم الحديث: ٢٨٠٢، ٢١٥٩/٤، بلفظه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: وانشق القمر وإن يروا آية، رقم الحديث: ٤٨٦٨، ١٤٢/٦-١٤٣، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: انشقاق القمر، رقم الحديث: ٢٨٠٢، ٢١٥٩/٤، باختلاف يسير.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية...، رقم الحديث: ٣٦٣٦، ٢٠٦/٤، وكتاب مناقب الأنصار، باب: انشقاق القمر، رقم الحديث: ٣٨٦٩، ٦٩/٥، وكتاب التفسير، باب: وانشق القمر...، رقم الحديث: ٤٨٦٤-٤٨٦٥، ١٤٢/٦.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: انشقاق القمر، رقم الحديث: ٤٥ - ٢٨٠٠، ٢١٥٨/٤.

(٧) أخرجه أبو داود الطيالسي في سننه، ٢٣٦/١، والواحدي في أسباب النزول، ٤٠٠. وقد ذكر الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء، ٢٤٧/١، أن الحديث صحيح.



وروى عطاء بن السائب^(١) عن أبي عبد الرحمن السلمي^(٢) قال: "نزلنا المدائن^(٣)، فكنا منها منها على فرسخ^(٤)، فجاءت الجمعة، فحضر أبي وحضرتُ معه، فخطبنا حذيفة^(٥)، فقال: ألا وإنا لله - جل ثناؤه - يقول: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بالفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق. فقلت لأبي: أيسبق الناس غداً؟ فقال: يا بني إنك لجاهل، إنما هو السباق بالأعمال. ثم جاءت الجمعة الأخرى، فحضرنا، فخطبنا حذيفة، فقال: ألا وإن الله عَلَيْكَ يقول: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بالفراق، ألا وإن اليوم مضمار وغداً السباق، ألا وإن الغاية النار، والسباق من / سبق إلى الجنة"^(٦).

[١٤٧/أ]

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: "قد مضى انشقاق القمر"^(٧).

(١) عطاء بن السائب أبو زيد الثقفي الكوفي، أحد الأعلام، أخذ القراءة عرضاً عن أبي عبد الرحمن السلمي وأدرك علياً رضي الله عنه، روى عنه شعبة بن الحجاج وأبو بكر بن عياش وجعفر بن سليمان ومسح على رأسه ودعا له بالبركة، مات سنة ست وثلاثين ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ٨٦/٢٠، غاية النهاية، ٥١٣.

(٢) أبو عبد الرحمن السلمي مقرئ الكوفة، عبد الله بن حبيب بن ربيعة، ولأبيه صحبة. ووُلد هو في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وقرأ القرآن وجوّده وبرع في حفظه، وعرض على عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وغيرهم وحَدَّث عن عمر وعثمان رضي الله عنهما. قال أبو عمرو الداني: أخذ القراءة عرضاً عن عثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب رضي الله عنهم. توفي سنة أربع وسبعين. ينظر: معرفة القراء الكبار، ٢٧، غاية النهاية، ٤١٣.

(٣) المدائن من مدن العراق، وهي من بغداد على سبعة فراسخ. البلدان، ١٥، معجم البلدان، ٧٤/٥.

(٤) الفرسخ: السكون، والفرسخ من المسافة المعلومة في الأرض مأخوذ منه. والفرسخ: ثلاثة أميال أو ستة، سُمي بذلك لأن صاحبه إذا مشى قعد واستراح من ذلك كأنه سكن، وهو واحد الفراسخ؛ فارسي معرب. ينظر: لسان العرب، مادة: (فرسخ).

(٥) حذيفة بن حِسل بن جابر العبسي، أبو عبد الله، واليمان لقب حِسل، من الولاة الشجعان الفاتحين. كان رضي الله عنه صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين، لم يعلمهم أحدٌ غيره. استعمله عمر رضي الله عنه على المدائن، فلم يزل بها حتى مات سنة ست وثلاثين. له في كتب الحديث (٢٢٥) حديثاً. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣٤٤/١، الإصابة في تمييز الصحابة، ٣٩/٢.

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الزهد، ٢٤٦، وابن شيبه في مصنفه، ١٣٩/٧. وأخرجه الطبري في جامع البيان، ١٠٧/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٠٩/٢٢.



وقال جبير بن مطعم^(١): "انشق القمر، ونحن بمكة"^(٢).

فهؤلاء أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن هذا قد كان. منهم اثنان قد شاهدوه^(٣).

قال أبو جعفر: «وزعم القوم أن معنى ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ينشق يوم القيامة.

قال: وهذا ضرب من الإلحاد؛ لأن الرواية قد صحّت بخلافه، ولو لم تكن رواية لم يجيد أن يكون الماضي بمعنى المستقبل إلا بدليل قاطع، وفي الكلام دليل أنه بمعنى الماضي، وذلك قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ فهذا لا يكون يوم القيامة^(٤).

وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ أي: وإن يرَ المشركون علامة تدل على حقيقة نبوة محمد ﷺ ودلالة تدل على صدقه - فيما جاءهم به عن ربه - يُعْرِضُوا عنها، فيولّوا مكذّبين بها، منكرين أن يكون حقًا يقينًا، ويقولوا - تكذيبًا منهم بها وإنكارًا لها أن يكون حقًا - هذا سحر، سَحَرْنَا محمد ﷺ حتى خُيِّلَ إلينا أنا نرى القمر منفلقًا باثنين بسحره، وهو سحر مستمر، يعني بقوله: ﴿سُتَمِرٌّ﴾ ذاهبًا، من قولهم: قد مرّ هذا الشيء، إذا ذهب^(٥).

روى ذلك ابن أبي نجیح عن مجاهد: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ قال: "ذاهب"^(٦). وهو قول قتادة^(٧).

(١) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي، يُكنى: أبا مُحَمَّد، وكان من حلماة قريش وساداتهم، وكان يؤخذ عنه النسب لقريش، وللعرب قاطبة، توفي سنة سبع وخمسين. ينظر: أسد الغابة، ١/٥١٥، الإصابة في تمييز الصحابة، ١/٥٧٠.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٠٩/٢٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور، ٦٧١/٧.

(٣) ذكر معناه ابن عطية في تفسيره، فقال: (ومن قال من الصحابة رأيت: عبد الله بن مسعود وجبير بن مطعم وأخبر به عبد الله بن عمر وأنس وابن عباس وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم)، ٢١١/٥.

(٤) لم أقف عليه، وقد ذكر معناه القرطبي في تفسيره، ٧٢/٢٠.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١١٢/٢٢.

(٦) تفسير مجاهد، ٦٣٣، وأخرجه الطبري في جامع البيان، ١١٣/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١١٣/٢٢.

وقال الضحاك في قوله: ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ "كما يقول أهل الشرك -إذا كُسيف القمر- يقولون: هذا عمل السحرة"^(١).

وقال أبو عبيدة: ﴿مُسْتَمِرٌّ﴾ شديد^(٢).

قال أبو بكر: معنى قول من قال: ﴿مُسْتَمِرٌّ﴾ ذاهب، أي: يستمر ويذهب^(٣).

وقول أبو عبيدة: شديد^(٤).

وقال غيره: نوى أخذه من المرّة، وهو القوة^(٥). كما قال لقيط^(٦):

حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْزٍ [مَرِيرُهُ]^(٧) مَرَّ الْعَزِيمَةَ لَا [رَثًا]^(٨) وَلَا [ضَرَعًا]^(٩)

وقيل: ﴿مُسْتَمِرٌّ﴾ قد مرّ من الأرض إلى السماء^(١٠).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١١٣/٢٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور، ٦٧٢/٧، باختلاف في لفظه.

(٢) مجاز القرآن، ٢٤٠/٢.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ١١٢/٢٢.

(٤) مجاز القرآن، ٢٤٠/٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ٧٤/١١.

(٦) لقيط بن معمر، وقيل: لقيط بن يعمر، لقيط بن يعمر بن خارجة الإيادي، شاعر جاهلي فحل، من أهل الحيرة، كان كان يحسن الفارسية واتصل بكسرى سابور (ذي الأكتاف)، فكان من كتّابه والمطلّعين على أسرار دولته ومن مقدمي مترجميه. ينظر: ديوان لقيط بن يعمر، ٢١-٣٠.

(٧) في الأصل: (مريرة)، والمثبت موافق لما في المصادر.

(٨) في الأصل: (ريا)، والمثبت موافق لما في المصادر.

(٩) في الأصل: (صرعا)، والمثبت موافق لما في المصادر. والشاهد الشعري المذكور في: ديوان لقيط بن يعمر، ٦، وعجز البيت فيه: مستحکم السن لا قحماً ولا ضرعاً، وفي الشعر والشعراء، ١٩٥/١، كذلك، وفي الكامل في اللغة والأدب، ١١٣/٢. بالعجز المذكور في المتن. و الشنزر: قتل الحبل مما يلي اليسار، هو أشد لفتله. المريرة: من المرّة، وهي إحكام الفتل، ثم أريد بها القوة، يقال: استمرت مريرة الرجل: إذا قويت شكيمته. القحم: الشيخ الهرم الكبير. الضرع، بفتح الراء: الغمر الضعيف من الرجال.

(١٠) النكت والعيون، ٤١٠/٥، والجامع لأحكام القرآن، ٧٥/٢٠.

وقيل: ﴿مُسْتَمِرٌّ﴾ يشبه بعضه بعضاً^(١).

وقيل: ﴿مُسْتَمِرٌّ﴾ يكون من [المرارة]^(٢).

وقيل: استمر ومرّ واحد^(٣).

قال أبو بكر: **وقطع القارئ على قوله: ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ قطع كاف، والتمام عند الأخفش**

وأبي حاتم ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٤).

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧١٨٤/١١، والنكت والعيون، ٤١٠/٥.

(٢) في الأصل: (المدارة)، والمثبت موافق لما في المصدر. الجامع لأحكام القرآن، ٧٥/٢٠.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٧٥/٢٠.

(٤) القطع والائتناف، ٦٩٨.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُّزْدَجَرٌ ﴿١﴾ حِكْمَةٌ بَلِيغَةٌ فَمَا تُعِنُّ
النُّذُرُ﴾

﴿وَكَذَّبُوا﴾ فعل ماضٍ، وضمير فاعلين وهو الواو.

﴿وَاتَّبَعُوا﴾ معطوف عليه.

﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ مفعول ﴿اتَّبَعُوا﴾، وهو جمع هوى، مقصور.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ مبتدأ وخبر.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ فعل ماضٍ، وضمير مفعولين.

﴿مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ خفض بـ ﴿مِنَ﴾، زيادة في البيان.

﴿مَا﴾ رفع بفعلها.

﴿فِيهِ﴾ الهاء: خفض بـ ﴿فِي﴾.

﴿مُزْدَجَرٌ﴾ رفع بالابتداء.

و﴿فِيهِ﴾ في: موضع الخبر، والجملة في صلة ﴿مَا﴾.

والأصل عند سيبويه: مزجج؛ لأنه مفتعل من الزجر^(١)، إلا أن التاء مهموسة والزاي مجهزة فثقل الجمع بينهما، فأبدل من التاء [بما]^(٢) هو من مخرجها وهو الدال^(٣).

قال: وهذا من أحسن النحو، ولطيفه.

﴿حِكْمَةٌ﴾ بدل من ﴿مَا﴾.

(١) ينظر جامع البيان في تأويل القرآن، ١١٥/٢٢.

(٢) في الأصل: (با)، والمثبت مناسب للسياق.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٨٥/٥.

﴿بَلَّغَةٌ﴾ من نعتها؛ والتقدير: ولقد جاءهم حكمة بالغة، أي: ليس فيها تقصير، ويجوز أن يكون ﴿حِكْمَةٌ﴾ مرفوعة على إضمار مبتدأ.

﴿فَمَا تُغْنِ الْأُدْرُ﴾ يجوز أن يكون ﴿مَا﴾ في موضع نصب بـ ﴿تُغْنِ﴾؛ والتقدير: فأني شيء تغني النذر عن من اتبع هواه وخالف الحق؟ ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ نافيةً، لا موضع لها.

وزعم قوم أن الياء حذفت من ﴿تُغْنِ﴾ في السواد؛ لأن ﴿مَا﴾ جعلت بمنزلة (لم).

قال أبو جعفر: وهذا غلط، قبيح؛ لأن ﴿مَا﴾ ليست من حروف الجزم، وهي تقع على الأسماء والأفعال، فمحال أن تجزم، ومعناها -أيضاً- مخالف لـ (لم)؛ لأن (لم) تجعل المستقبل ماضياً، و﴿مَا﴾ تنفي الحال. وأما حذف الياء من ﴿تُغْنِ﴾ في السواد: فإنه على اللفظ في الإدراج، ومثله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ سَعْيٍ نُّكْرٍ﴾ كتبت بغير واو على اللفظ / في الإدراج.

وأما ﴿الدَّاعِ﴾ إذا حُذفت منه الياء، فالقول فيه: أنه بُني على نكرته^(١).

قال أبو حاتم: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ بغير ياء ولا واو في السواد، ولا يوقف عليها إلا بالواو والياء^(٢).

واختلفت القراءة في إثبات الياء وحذفها: «فقرأ ابن كثير ونافع في رواية قالون ومحمد بن إسحاق عن إبراهيم عن أبي بكر بن أبي أويس وإسماعيل بن أبي أويس^(٣): ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ بغير ياء، ﴿مُهِطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ بياء.

(١) إعراب القرآن للنحاس، ١٩٣/٤.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٢٥/٢، إعراب القرآن للنحاس، ١٩٣/٤.

(٣) إسماعيل بن أبي أويس الإمام الحافظ الصدوق، أبو عبد الله الأصبحي، المدني، أخو أبي بكر عبد الحميد بن أبي أويس. قرأ القرآن وجوّده على نافع، فكان آخر تلامذته وفاته، توفي سنة سبع وعشرين ومائتين. ينظر: سير أعلام النبلاء، ٤٤١/٤، تاريخ الإسلام، ٦٨/٤.

وقرأ نافع في رواية إسماعيل بن جعفر بن حماد وورش^(١): بياء في الوصل، وكذلك أبو عمرو.

وقرأ ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي: بغير ياء في وصل ولا وقف^(٢).

ومعنى هذه الآيات -والله أعلم-:

«وكذَّب هؤلاء المشركون من قريش بآيات الله، بعدما أتتهم حقيقتها، وعانوا الدلالة على صحتها برؤيتهم القمر منفلقاً، ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾، أي: وآثروا اتباع ما دعتهم إليه أهواء أنفسهم -من تكذيب ذلك- على التصديق بما قد أيقنوا صحته من نبوة محمد ﷺ وحقيقة ما جاءهم به من عند ربهم.

وقوله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: وكل أمر من خير أو شرٍّ مستقرُّ قراره [ومتناه] ^(٣) نهايته، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار^(٤).

قال قتادة: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ "أي: بأهل الخير الخير، وبأهل الشر الشر"^(٥).

وقال قتادة: "يستقر لأهل النار عملهم، ولأهل الجنة عملهم"^(٦).

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُّذَوِّجٌ﴾ أي: ولقد جاء هؤلاء [المشركين] ^(٧) من قريش من الأخبار الأخبار عن الأمم السالفة -الذين كانوا- من تكذيب رسل الله -جلَّ وعزَّ- على مثل الذي

(١) عثمان بن سعيد، وقيل سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان بن إبراهيم، وقيل سعيد بن عدي بن غزوان بن داود بن سابق، وقيل: أبو القاسم، وقيل: أبو عمرو القرشي مولاهم القبطي المصري الملقب بورش، شيخ القراء المحققين وإمام أهل الأداء المرتلين، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه، وُلد سنة عشر ومائة بمصر، قيل: إن نافع لقبه بالورشان ثم خُفف فقيل: ورش، كان ثقة حجة في القراءة، توفي بمصر سنة سبع وتسعين ومائة. ينظر: معرفة القراء الكبار، ٩١-٩٣، غاية النهاية، ١/٥٠٢.

(٢) ينظر: السبعة في القراءات، ٦١٧، والحجة في القراءات السبع، ٣٣٧، ومعاني القراءات للأزهري، ٤١/٣.

(٣) في الأصل: (ومتناه)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١١٤/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١١٤/٢٢-١١٥، وعزاه السيوطي في الدر المنثور، ٦٧٣/٧.

(٦) ذكر معناه الماوردي في النكت والعيون، ٥/٤١٠، والبغوي في تفسيره أيضاً، ٧/٤٢٦، وكذلك القرطبي في تفسيره، ٧٥/٢٠.

(٧) في الأصل: (المشركون)، والمثبت هو الصحيح نحوياً؛ لأن الكلمة وقعت مفعولاً به.

هم عليه، فأحلَّ الله -جلَّ وعزَّ- بهم من عقوبته ما قصَّ في القرآن، ما فيه لهم مزدجر، أي: ما يردعهم عن ما هم عليه مقيمون من التكذيب بآيات الله، وهو مفتعل من الزجر^(١).

قال السُّدي: ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجْرٌ﴾ "عظة"^(٢).

وقال قتادة: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجْرٌ﴾ قال: "عظة"^(٣).

قال أبو بكر: يقال زجرته فزادجر، أي: كفته، فكف^(٤)، كما قال^(٥):

فَأَصْبَحَ مَا يَطْلُبُ [الْغَايَاتِ]^(٦) مُزْدَجِرًا عَنِ هَوَاهُ اَزْدَجَارًا^(٧)

وعني بالحكمة البالغة: هذا القرآن، والمعنى: ولقد جاءهم من الأنباء، النبأ الذي فيه مزدجر، حكمة بالغة، [ولو رُفعت الحكمة على الاستئناف كان جائزًا، فيكون معنى الكلام حينئذ: ولقد جاءهم من الأنباء النبأ الذي فيه مزدجر]^(٨)، وذلك حكمة بالغة^(٩).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١١٥/٢٢.

(٢) لم أقف عليه، و(مزدجر) بمعنى (موعظة) ذكره مجاهد في تفسيره، ٦٣٤، وكذلك ذكره مقاتل في تفسيره، ١٧٧/٤.

(٣) لم أقف عليه، و(مزدجر) بمعنى (موعظة) ذكره مجاهد في تفسيره، ٦٣٤، وكذلك ذكره مقاتل في تفسيره، ١٧٧/٤.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٧٦/٢٠.

(٥) الأعشى الكبير وهو ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، من من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعرًا منه. وكان يغني بشعره، فسمي (صنّاجة العرب) عاش عمرًا طويلًا، وأدرك الإسلام ولم يسلم. ولُقّب بالأعشى لضعف بصره. وعمي في أواخر عمره. مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة (الرياض) وفيها داره، وبها قبره. ينظر: طبقات فحول الشعراء، ٥٢/١، تاريخ دمشق لابن عساكر، ٣٢٧/٦١، الأعلام، ٤٣١/٧.

(٦) في الأصل: (الغايات)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٧) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، ٤٥. وفيه: فأصبحْتُ لا أقرب الغايات مزدجرًا عن هواي ازدجارا

(٨) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٩) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١١٦/٢٢.

ومعنى الكلام: على أن ﴿مَا﴾ [جحد]^(١)؛ فليست تغني عنهم النذر، ولا ينتفعون بها، وإذا كانت بمعنى أي، فالتقدير: فأى شيء تغني عنهم النذر؟ والنذر: جمع نذير، كما [الجُدُد]^(٢) جمع [جديد]^(٣)، والحُصْر جمع حصير^(٤). ويجوز أن يكون النذر والإنذار واحداً^(٥).
واحداً^(٥).

وقطع القارئ على ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ تمام عند أبي حاتم. ﴿مَا فِيهِ مُّزَجَّرٌ﴾ قطع كاف؛ إن رفعت ﴿حِكْمَةٌ﴾ بإضمار مبتدأ، وإن رفعتها على البدل من ﴿مَا﴾؛ لم يكف الوقوف على ﴿مُزَجَّرٌ﴾ وكان الوقف الكافي على قول أبي حاتم ﴿مُزَجَّرٌ﴾^(٦).

(١) في الأصل: (جحدا)، والمثبت هو الصحيح نحويًّا؛ لأن الكلمة وقعت خبرًا لأن.

(٢) في الأصل: (الحدد)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٣) في الأصل: (حديد)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١١٦/٢٢.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٧٧/٢٠.

(٦) ينظر: القطع والائتناف، ٦٩٨.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نَّكِرٍ ۖ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَسِرٌ ۗ﴾^(١) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿

﴿فَتَوَلَّ﴾ أمر، حُذفت منه الألف.

﴿عَنْهُمْ﴾ والهاء والميم ضمير مخفوض.

﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ منصوب على الظرف، وهو مضاف إلى الفعل؛ لأنه بمعنى المصدر. و﴿يَدْعُ﴾ فعل مستقبل، ووقع في المصحف بغير واو لالتقاء الساكنين؛ وذلك أنك إذا وصلت ﴿يَدْعُ﴾ بما بعده سقطت الواو من لفظك، فأثبتته الكاتب على اللفظ، ولا ينبغي أن يُتعمد الوقوف عليه؛ لأنه إن وَقِفَ بغير / واو، كان لحنًا عند النحويين، وإذا وَقِفَ بواو، كان مخالفةً للسواد، وإن كان أبو حاتم قد قال: لا يوقف عليه إلا بالواو. وإذا وَقِفَ فالاختيار ما بدأنا به^(١).

﴿الدَّاعِ﴾ رفع بفعله.

﴿إِلَىٰ شَيْءٍ﴾ خفض بـ ﴿إِلَىٰ﴾.

﴿نَّكِرٍ﴾ من نعت ﴿شَيْءٍ﴾.

وقرأ ابن كثير وحده ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ بسكون الكاف، حذف الضمة؛ لثقلها، وقرأ الباقون ﴿نُّكْرٍ﴾ بضم النون والكاف^(٢).

﴿خُشْعًا﴾ نصب على الحال.

﴿أَبْصَرُهُمْ﴾ رفع بفعالها.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٨٦/٥، المحرر الوجيز، ٢١٢/٥.

(٢) ينظر: السبعة في القراءات، ٦١٧، والحجة في القراءات السبع، ٣٣٨، ومعاني القراءات، ٤١/٣.

واختلفت القراءة في ﴿خَشَعًا﴾ و﴿خَاشِعًا﴾:

فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر: ﴿خُشَعًا﴾ بغير ألف، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿خَشِعًا﴾ بألف^(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿خَاشِعَةً﴾ بالهاء^(٢).

قال أبو بكر: فمن قرأ ﴿خَشِعًا﴾ وحده لأنه بمنزلة الفعل المتقدم، ومن قرأ ﴿خُشَعًا﴾ قال: هو جمع مكسر، فقد خالف الفعل، ولو كان في غير القراءة لجاز الرفع على التقديم والتأخير، ومن قرأ ﴿خَاشِعَةً﴾ أنث لتأنيث الجماعة^(٣).

﴿يَخْرُجُونَ﴾ فعل مستقبل، في موضع الحال.

﴿وَمِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ خفض بـ ﴿وَمِنَ﴾، وواحدتها: جدث، ويقال: جدف: القبر^(٤)، مثل فوم وثوم.

﴿كَانَهُمْ﴾ الهاء والميم اسم كان.

﴿جَرَادٌ﴾ خبرها.

﴿مُنْتَشِرٌ﴾ من نعت ﴿جَرَادٌ﴾، والجملة في موضع نصب على الحال.

وكذا ﴿مُهْطِعِينَ﴾ في موضع نصب -أيضاً- على الحال.

﴿يَقُولُ﴾ فعل مستقبل.

﴿الْكَافِرُونَ﴾ بفعلمهم.

﴿هَذَا يَوْمٌ﴾ ابتداء وخبر.

(١) ينظر: السبعة في القراءات، ٦١٧، والحجة في القراءات السبع، ٣٣٨.

(٢) قراءة شاذة. ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ١٦٣/٩، التفسير الوسيط، ٢٠٨/٤، معجم القراءات، ٢١٩/٩.

(٣) ينظر: حجة القراءات، ٦٨٨.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة: (جدث).

﴿عَسِرٌ﴾ من نعت ﴿يَوْمٌ﴾.

والمعنى -والله أعلم-:

من قوله: ﴿فَتَوَلَّ﴾: فأعرض -يا محمد- عن هؤلاء المشركين من قومك، الذين إن يروا آيةً يعرضوا^(١).

والمعنى عند أهل التفسير في قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ أنه منصوب.

﴿يَخْرُجُونَ﴾ أي: يخرجون من الأجداث يوم يدع الداع.

والتمام عند قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾.

والمعنى عند محمد بن جرير: فأعرض عنهم، فإنهم يوم يدعو داع الله إلى موقف القيامة، وذلك الشيء النكر، حُشَّعًا أَبْصَارَهُمْ لِأَمْرِ رَبِّهَا، يخرجون من الأجداث: وهي القبور^(٢).

قال أبو بكر: «فإن قال قائل: كيف وَصَفَ أَبْصَارَهُمْ بِالْحَشْوَعِ دون سائر الأجسام؟ والمراد به جميع الأجسام؟!»

فالجواب عن ذلك: أن أثر ذلّة كل ذليل، وعزّة كل عزيز، في ناظره، وفي نظره دون سائر جسده؛ فلذلك خص الله -جلّ وعزّز- الأبصار بالحشوع^(٣).

قال قتادة: ﴿حُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ "ذليلة أبصارهم"^(٤).

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ أي: يخرجون من قبورهم كأنهم في انتشارهم وسرعتهم إلى موقف الحساب جراد منتشر^(٥).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١١٧/٢٢.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١١٧/٢٢.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١١٧/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١١٧/٢٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور، ٦٧٤/٧.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١١٨/٢٢.

﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ قال قتادة: "عامدين" (١).

وقال أبو عبيدة: مسرعين (٢).

وقال سفيان: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ "ناظرين" (٣).

وقال ابن جرير: مسرعين بنظرهم، قبل داعيهم إلى ذلك الموقف (٤).

﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِيرٍ﴾ أي: يقول الكافرون بالله - يوم يدع الداع إلى شيء نكر - هذا يوم عسير، وإنما وصفوه بالعُسْر؛ لشدة أهواله وبلباله (٥).

وقطع القارئ على قوله: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾. وعند أبي حاتم: ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِيرٍ﴾ (٦).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١١٩/٢٢، وعزه السيوطي في الدر المنثور، ٦٧٤/٧.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٢٤٠/٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان بمعناه، ١١٩/٢٢.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ١١٨/٢٢.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١١٩/٢٢.

(٦) ينظر: القطع والائتناف، ٦٩٨.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْزُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرَ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾

قال أبو بكر: قوله -جلّ وعزّ- ﴿كَذَّبَتْ﴾ فعل ماضٍ، و(التاء) حرفٌ جاء لمعنى، وهو تأنيث ما يجيء بعدها.

﴿قَبْلَهُمْ﴾ ظرف.

﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ رفع بفعلمهم، وأنت فعلهم على معنى الجماعة. و﴿نُوحٍ﴾ خفض بإضافة ﴿قَوْمٍ﴾ إليه.

﴿فَكَذَّبُوا﴾ فعل ماضٍ، والواو ضمير فاعلين.

﴿عَبْدَنَا﴾ مفعول ﴿كَذَّبُوا﴾، والنون والألف ضمير. / (اسم الله) في موضع خفض بإضافة [١٤٨/ب] (عبد) إليهما.

﴿وَقَالُوا﴾ معطوف على ﴿كَذَّبُوا﴾.

﴿مَجْزُونٌ﴾ رفع على إضمار مبتدأ.

﴿وَازْدَجَرَ﴾ أي: افتعل من الزجر، وهو فعل ماضٍ.

﴿فَدَعَا﴾ فعل ماضٍ.

﴿رَبَّهُ﴾ لفظه منصوب بـ ﴿دَعَا﴾.

﴿أَنِّي﴾ الياء: اسم أن، والتقدير: بأني، و﴿أَنَّ﴾ في موضع خفض بالباء.

﴿مَغْلُوبٌ﴾ خبر إن.

وقرأ عيسى بن عمر^(١): ﴿إِيَّيْ﴾ بكسر الهمزة^(٢)، قال سيويوه: أي: قال: إني مغلوب^(٣).

﴿فَأَنْتَصِرَ﴾ لفظه: لفظ الأمر، ومعناه: معنى الدعاء والطلب.

﴿فَفَتَحْنَا﴾ فعل، وضمير اسم الله وهو النون والألف.

﴿أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ منصوبة بـ ﴿فَفَتَحْنَا﴾.

﴿بِمَاءٍ﴾ خفض بالباء.

﴿مُنْهَرِجٍ﴾ نعت للماء.

وقرأ ابن عامر وحده: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ بالتشديد على معنى التكثر^(٤).

﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ﴾ معطوف على ﴿فَفَتَحْنَا﴾ منصوبة بـ ﴿فَجَّرْنَا﴾.

وكذا ﴿عِيُونًا﴾ العامل فيه ﴿فَجَّرْنَا﴾.

﴿فَأَلْتَقَى الْمَاءُ﴾ رفع بفعله، ويقال: التقى لا يكون إلاً للثنتين، فالمعنى: التقى ماء الأرض

وماء السماء، وهما جميعًا يقال لهما ماء؛ لأن ماء اسم للجنس^(٥).

قال ابن كيسان^(٦): الأصل في ماء: ماه، فأبدلوا من الهاء همزة، فإذا جمعوا: رَدُّوه إلى أصله،

(١) عيسى بن عمر الثقفي البصري، أبو عمر النحوي، أخذ عن: عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعاصم الجحدري، أخذ القراءة عن عبد الله بن كثير المكي، وأخذ عنه: الأصمعي، والخليل بن أحمد، وهارون الأعمور، كان رأساً في العربية، من مصنفاته: (الإكمال)، و(الجامع)، مات بعد سنة خمسين ومائة، ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ٤٣، إنباه الرواة، ٣٧٤/٢، بغية الوعاة، ٢٣٧/٢.

(٢) قراءة شاذة، ينظر: معجم القراءات، ٢٢٢/٩.

(٣) ينظر: الكتاب لسيويوه، ١٤٣/٣، الأصول في النحو، ٢٦٣/١.

(٤) ينظر: السبعة في القراءات، ١/٦١٨، الحجة في القراءات السبعة، ١/٣٣٨، الحجة للقراء السبعة، ٦/٢٤٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس، ١٩٤/٤.

(٦) محمد بن أحمد بن كيسان أبو الحسن البغدادي النحوي. أخذ عن: البصريين، والكوفيين، وبرع في العربية وصنّف التّصانيف. صنّف كتاب (غريب الحديث)، وكتاباً في القراءات، وكتاب (الوقف والابتداء)، وكتاب (المهذب في

فقالوا: أمواه، ومياه، ومويه في التصغير^(١).

﴿عَلَىٰ أَمْرٍ﴾ خفض بـ ﴿عَلَىٰ﴾.

﴿قَدَّرَ﴾ حرف توقع، و﴿قَدَّرَ﴾ فعل ماضٍ، وهذه الجملة في موضع نعت ﴿مَاءٍ﴾.

والمعنى - والله أعلم - في الآية:

«الوعيد من الله - جلَّ وعزَّ - والتهديد للمشركين من أهل مكة، وسائر من أُرْسِلَ [إليه]^(٢) رسوله محمدًا ﷺ على تكذيبهم إياه، وتقدم منه [إليهم]^(٣) أنهم إن لم [ينبيوا]^(٤) من تكذيبهم إياه، أنه مُحِلٌّ بهم ما أحلَّ بالأمم الذي قص قصصهم في هذه السورة من الهلاك والعذاب، وأنه مُنَجِّ نبيِّه محمدًا ﷺ والمؤمنين، كما نجَّى مَنْ قبله مِنَ الرسل وأتباعهم، من نِقْمه التي أحلَّها بأممهم، فقال - جلَّ ثناؤه - لنبيه محمد ﷺ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل قومك الذين كذبوك. ﴿قَوْمٌ نُوحٍ﴾ ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحًا إذ أرسلناه إليهم - كما كذبتك قريش - إذ أتيتهم بالحق من عندنا، وقالوا: ﴿مَجْنُونٌ﴾ أي: هو مجنون.

﴿وَأَزْدَجِرْ﴾ وهو (افتعل) من (زجرت)، وكذلك تفعل العرب بكل فعل أوله زاي، إذا بنوا منه افتعل، صيِّروا [تاء]^(٥) الافتعال منه دالًّا، من ذلك قولهم: ازدجر: من زجرت، وازدلف: من زلفت، وازددت: من زدت، وقد بينا العلة في ذلك بما أغنى عن إعادته هاهنا^(٦).

(١) النُّحُو، وغير ذلك. توفي في ذي القعدة سنة تسع وتسعين. ينظر: تاريخ الإسلام، ١٠١٢/٦، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ٢٤٩، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ٥٧/٣_٥٩.

(٢) إعراب القرآن للنحاس، ١٩٤/٤.

(٣) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) في الأصل: (اليه)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٥) غير واضحة الحروف في الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٦) في الأصل: (ما)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٦) لم أقف على موضعها من الأصل، ولكن نقل النحاس في كتابه إعراب القرآن، ١٩٢/٤، ما يلي: (والأصل عند سيبويه: مزجج بالتاء إلا أن التاء مهموسة والزاي مجهورة فتقل الجمع بينهما فأبدل من التاء ما هو من مخرجها وهو الدال. وهذا من أوجز قوله ولطيفه).

واختلف أهل العلم في المعنى الذي به زجروه: فقال بعضهم: كان زجرهم إياه أن قالوا: استُطِيرَ جنونًا، هذا قول مجاهد^(١).

وقال آخرون: بل كان زجرهم إياه وعيدهم له بالشتم، والرَّجْمُ بالقول القبيح، روى ذلك ابن وهب^(٢) عن ابن زيد: ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَزُدِّجِرْ﴾ قال: اتهموه وزجروه وأوعدوه؛ لئن لم يفعل ليكونن من المرجومين، وقرأ ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَنْصُوحٌ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]^(٣).
وقال الضحاك: "قالوا: مجنون معتوه"^(٤).

وقال الحسن: "قالوا: مجنون، وتوعَّده بالقتل"^(٥).

وقال أبو بكر: وهذا قول بيِّن، ومعناه: وُزِرَ بالشتم والوعيد^(٦).

﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ أي: فدعا نوح ربه. ﴿أَنِّي مَعْلُوبٌ﴾ أي: قد غلبت وفُهِرت، أي: إن قومي قد غلبوني تمردًا وعُتُوًّا، ولا طاقة لي بهم. ﴿فَأَنْتَصَرَ﴾ دعاء وطلب. أي: فانتصر منهم بعقاب من عندك^(٧).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/ ١١٩-١٢٠.

(٢) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، الفهري، أبو محمد المصري الفقيه، روى عن: إبراهيم بن سعد الزهري، وإبراهيم بن نشيط الوعلائي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغيرهم، وروى عنه: إبراهيم بن المنذر الحزامي، وأحمد بن سعيد الهمداني، وأحمد بن صالح المصري، وغيرهم، توفي سنة ثمان وأربعين. ينظر: تهذيب الكمال، ١٦/ ٢٧٧، تهذيب التهذيب، ٦/ ٧٧.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/ ١٢١.

(٤) لم أقف عليه، ومعناه مذكور في العديد من التفاسير، ومنها: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/ ١٢٠، تأويلات أهل أهل السنة، ٩/ ٤٤٦.

(٥) ذكره مكِّي بن أبي طالب في تفسيره، ١١/ ٧١٨٨.

(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/ ١٢٠، تأويلات أهل السنة، ٩/ ٤٤٦.

(٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/ ١٢١.

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ وهو المتدفق^(١)، كما قال امرؤ القيس^(٢) في صفة [غيث]^(٣):

رَاحٍ [تَمْرِيهِ]^(٤) الصَّبَا تَمَّ أَنْتَحَى فِيهِ شَوْبُوبٌ جُنُوبٍ مُنْهَمِرٍ^(٥)

يعني بالمنهمر: المنصب المتدفق، قال أبو بكر: وهو قول العلماء.

قال سفيان: ﴿بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ "ينصب انصباباً"^(٦).

قال أبو بكر: منهمر منصب سريع، ومنه قولهم فلان يهمز، أي: يكثر كلامه ويسرع فيه.

﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أي: [وأسلنا]^(٧) الأرض عيون الماء^(٨).

قال سفيان: / ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ قال: "فجر الأرض الماء، وجاء من السماء ماء، فالتقى [أ/١٤٩] الماء والماء"^(٩).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/١٢١.

(٢) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد، أو باليمن. اشتهر بلقبه. وكان أبوه ملك أسد وغطفان. ينظر: طبقات فحول الشعراء، ٥١/١، الأعلام للزركلي، ١١/٢.

(٣) ساقط من المتن، ومكتوب في هامش الصفحة بمحاذاة السطر.

(٤) كُتِبَ فِي الْأَصْلِ بِلا نِقَاطٍ، وَالمُثَبِّتُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي المِصْدَرِ.

(٥) ديوان امرئ القيس، ٧٩، وفيه:

سَاعَةً تَمَّ أَنْتَحَاهَا وَابِلٌ سَاقِطُ الْأَكْنَافِ وَادٍ مُنْهَمِرٍ

رَاحٍ تَمْرِيهِ الصَّبَا تَمَّ أَنْتَحَى فِيهِ شَوْبُوبٌ جُنُوبٍ مُنْفَجِرٍ

وهنا بيان مختصر لمعاني بعض مفردات البيتين، كما ذُكِرَتْ فِي الدِيَوَانِ اعْتِمَادًا عَلَى النُّسخَةِ الَّتِي شَرَحَهَا حَسَنُ السَّنْدُوبِيِّ: انتحاهَا: اعتمدها وقصدها، الوابل: المطر الشديد، الأكناف: النواحي، وادٍ: مسترخ، منهمر: سائل شديد الوقع، راح: عاد بالعشي أو آخر النهار، تمرية الصبا: تستخرج ريح الصبا ماءه، الشؤبوب: مطر ريح الجنوب وهي التي تقابل الصبا، منفجر: سائل بغزارة.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/١٢٢.

(٧) فِي الْأَصْلِ: (وَأرسلنا)، وَالمُثَبِّتُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي المِصْدَرِ، وَمُنَاسِبٌ لِّلسِّيَاقِ.

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/١٢٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/١٢٢.

﴿قَالَتْغَى الْمَاءِ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ قال محمد بن كعب: "ماء السماء وماء الأرض"^(١)، وهو قول قول سفيان. قال: على أمر قد قدره الله وقضاه^(٢).

وقال محمد بن كعب: "وقع القدر قبل البلاء"^(٣).

وقيل المعنى: ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ لأن ذلك كان من أمر قد قضاه الله -جلَّ وعزَّ- في اللوح المحفوظ^(٤).

قال محمد بن كعب: "كانت الأقوات قبل الأجساد، وكان القدر قبل البلاء"^(٥).

وقال: ﴿قَالَتْغَى الْمَاءِ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ وقيل: قُدِرَ ماء السماء كماء الأرض^(٦).

قال أبو بكر: **وقطع القارئ** على قوله -جلَّ وعزَّ-: ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ قطع كاف، على قول من قال: المعنى: وأوعد بالقتل، أي زجر بالكلام الغليظ، ومن قال المعنى: واستشاط، فالكلام متصل عنده، والقطع الكافي على قوله: ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَرُدِّجِرَ﴾، ثم القطع على رؤوس الآيات كافٍ على أن يتدئ الخبر إلى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرِ﴾ فإنه تمام^(٧).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٢٢/٢٢.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٢٢/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، بزيادة قبله: (كانت الأقوات قبل الأجساد)، وبلغظ (وكان) بدل (وقع)،

١٢٣/٢٢.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٢٣/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٢٣/٢٢.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٨٧/٥.

(٧) القطع والائتناف، ٦٩٩.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَن كَانَ كُفِرَ﴾

﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ فعل ماضٍ، والنون والألف: ضمير اسم الله -جلّ وعزّ- في موضع رفع، والهاء في موضع نصب مفعول بها.

﴿عَلَىٰ ذَاتِ﴾ خفض بـ ﴿عَلَىٰ﴾.

﴿أَلْوَاحٍ﴾ خفض بإضافة ﴿ذَاتِ﴾ إليها.

﴿وَدُسُرٍ﴾ معطوف على ﴿أَلْوَاحٍ﴾ وأقيمت الصفة هنا على مقام الموصوف، أي: سفينة ذات ألواح ودسر.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ يجوز أن تكون ﴿تَجْرِي﴾ في موضع النعت، ويجوز أن يكون مستأنفًا.

﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ خفض بالباء.

﴿جَزَاءَ﴾ مصدر.

﴿لِمَن﴾ خفض باللام.

﴿كَانَ﴾ في صلة ﴿مَن﴾، واسمها مضمّر فيها.

﴿كُفِرَ﴾ فعل ماضٍ، في موضع خبر ﴿كَانَ﴾.

والمعنى -والله أعلم-:

«وَحَمَلْنَا نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذِ التَّمَى الْمَاءَ، عَلَىٰ أَمْرٍ قَدِ قُدِّرَ، عَلَىٰ سَفِينَةٍ ذَاتِ أَلْوَابٍ وَدُسُرٍ، وَالذُّسُرُ: جَمْعُ دَسَارٍ، وَقَدْ يُقَالُ فِي وَاحِدِهَا: دَسِيرٌ، مِثْلُ: رَغِيفٌ، وَرَغْفٌ.»

واختلف في معنى الدُّسْرِ: فقال بعضهم: هي المسامير التي تُشدُّ بها السفينة، فقال: دَسَرَتِ السفينةَ إذا شددتها بمسامير أو غيرها^(١) «^(٢)».

وروى أبو لهيعة^(٣) عن أبي صخر عن القرظي - وقد سئل عن هذه الآية: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ

الْوَجِّ وَدُسِّرَ﴾ - حَدَّثَنَا أَنَّ دُسَّرَهَا: "مساميرها التي تُشدُّ بها"^(٤).

وقال قتادة: "هي معاريض السفينة"^(٥).

وقال ابن زيد: "الدُّسْرُ: المسامير التي دُسِّرَتِ بها السفينة، ضُرِبَتْ فيها، شُدَّتْ بها"^(٦).

وكذا روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: "الدُّسْرُ: المسامير"^(٧).

وقال آخرون: الدُّسْرُ: صدر السفينة، قالوا: وإنما وصف ذلك؛ لأنه يدفع الماء ويُدْسِرُهُ^(٨).

قال الحسن: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسِّرَ﴾ قال: "تَدُسِّرُ الماء بصدورها، أو قال: بِجُؤْجُئِهَا"^(٩).

وعن ابن عباس رضي الله عنه: "الدُّسْرُ: كَلْكَلِ السفينة"^(١٠).

وقال آخرون: "هي عوارض السفينة". روى ذلك مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه: "الوَّاحِ

السفينة، والدُّسْرُ معاريضها التي تعرض عليها"^(١١).

(١) ينظر: لسان العرب، مادة: (دسر).

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٢٣/٢٢.

(٣) عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي بن فرعان بن ربيعة بن ثوبان القاضي، الإمام العلامة محدث ديار مصر مع الليث، أبو عبد الرحمن الحضرمي، الأعدولي، ويقال: الغافقي المصري، مات سنة أربع أو ثلاث وسبعين ومائة. ينظر: سير أعلام النبلاء، ١٢٥/٧-١٣٩، تهذيب الكمال، ٤٨٧/١٥.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٢٣/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٢٤/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٢٤/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٢٤/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٢٤/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٢٥-١٢٤/٢٢. وجُؤْجُؤُ السفينة: صدرها، لسان العرب، مادة: (جأجأ).

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٢٥/٢٢. والكَلْكَلُ: الصدر من كل شيء. لسان العرب، مادة: (كلل).

(١١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٢٦/٢٢، بلفظ مقارب.

وقال آخرون: (الدُّسْر): أضلاع السفينة. روى ذلك ابن أبي نجيح عن مجاهد: (الدُّسْر): أضلاع السفينة^(١).

وقال الضحاك: "أما الألواح فجانبنا السفينة، وأما الدُّسْر فطرفها"^(٢).

قال أبو بكر: أصل هذا من دَسَرَهُ يَدْسُرُهُ، وَيَدْسُرُهُ إِذَا شَدَّه، ودفعه^(٣).

وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي تجري السفينة التي حمل فيها نوح. ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ اختلف في معناه: فقيل المعنى: برأى منا ومنظر^(٤).

وقال سفيان: "بأمرنا"^(٥).

﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِّرَ﴾ اختلف أهل العلم في معناه: فقال بعضهم: معناه: فعلنا ذلك ثواباً لمن [كان] ^(٦) كَفَّرَ فِيهِ. كَفَّرَ بِاللَّهِ فِيهِ^(٧).

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله: ﴿لِمَنْ كَانَ كُفِّرَ﴾ ^(٨) قال: / "كفر بالله"^(٩).

ووجه آخرون معنى ﴿مَنْ﴾ إلى معنى ﴿مَا﴾ في هذا الموضع، وقالوا: معنى الكلام: جزاء لمن كان كُفِّرَ من أيادي الله ونعمه، عند الذين أهلكتهم، وغرقتهم^(١٠).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٢٦/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٢٥/٢٢-١٢٦.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ١٩٤/٤.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٢٦/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٢٦/٢٢.

(٦) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٢٦/٢٢.

(٨) بفتح الكاف والفاء، وهي قراءة شاذة، قرأ بها يزيد بن رومان وقتادة وحמיד. الجامع لأحكام القرآن، ٨٤/٢٠، وفي

القراءات الشاذة: القراءة عن يزيد وقتادة، ١٧٤، والمختسب، ٢٩٨/٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٢٦/٢٢.

(١٠) جامع البيان في تأويل القرآن، بزيادة في آخره: (من قوم نوح)، ١٢٧/٢٢.

قال ابن زيد: "جزاء لمن كان كُفِرَ نعم الله، وكَفَرَ بأياديه وآلائه ورسله"^(١). ومعنى الكلام على هذا: الذي كُفِرَ من النعم وجحد^(٢).

قال أبو بكر: وهذا تمنعه أهل العربية جميعاً^(٣).

قال أبو بكر: ومذهب مجاهد: أن المعنى جزاء الله -جلّ وعزّ - قول حسن: أي عاقبتهم وغرقتناهم، جزاء الله -جلّ وعزّ - حين كفروا به، وجحدوا وحدانيته، قالوا: ﴿لَا تَذَرْنَّ الْهَتَكُ وَلَا تَذَرْنَ وَدًّا وَلَا سُوعًا﴾^(٤).

قال أبو جعفر أحمد بن محمد: وقيل: ﴿جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ بنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، والمؤمنين^(٥).

قال أبو بكر: فيكون معنى الكلام حينئذ: فعلنا هذا جزاء لنوح، ولمن كان معه في الفلك، كأنه قال غرقناهم لنوح، ولصنيعهم به ما صنعوا من كفرهم به، قال: ويكون ﴿كُفِرَ﴾ على هذا القول: موحّداً على لفظ ﴿مَنْ﴾، ولو كان في غير القرآن لجاز على هذا القول ﴿كفروا﴾ على معنى ﴿مَنْ﴾^(٦).^(٧)

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٢٧/٢٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس، ١٩٥/٤.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ١٩٥/٤.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٢٧/٢٢، إعراب القرآن للنحاس، ١٩٥/٤.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٢٧/٢٢.

(٧) وقع هنا تكرار لعبارة: (قال أبو جعفر: وقيل: ﴿جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ بنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ).

قوله -جلّ وعزّ-:

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرٍ ﴿٥٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

في قوله: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ قولان: أحدهما: ولقد تركنا السفينة-التي حملنا فيها نوحًا ومن كان معه-آية، أي: عبرة وعظة لمن بعد قوم نوح من الأمم؛ ليعتبروا بها ويتعظوا، فينتهوا عن أن يسلكوا سبيلهم في الكفر بالله -جلّ وعزّ-، وتكذيب رسله، فيصيبهم ما أصابهم من العقوبة^(١).

قال قتادة: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ "رفعت السفينة على الجوديّ، حتى رآها أوائل هذه الأمة"^(٢).

وقال مجاهد: "إن الله -جل ثناؤه- حين غرّق الأرض، جعلت الجبال تشمخ، وتواضع الجوديّ، فرفعه الله -جلّ وعزّ- على الجبال، وجعل قرار السفينة عليه"^(٣).

وقال أبو إسحاق: "﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ أي: تركنا هذه الفعلة"^(٤).

وقال أبو جعفر: "ولقد تركنا هذه العقوبة لمن كفر وجحد الأنبياء، عظة وعبرة"^(٥).

وقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ بالبدال غير معجمة، قرأه الجماعة.

ويروى عن يعقوب قال: قرأ قتادة: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ بالبدال معجمة^(٦).

قال أبو بكر: والقراءة بالبدال غير معجمة أولى؛ وذلك أن الأصل فيه عند سيبويه (مذكر) مذتكر: على وزن (مفتعل) من الذكر، فاجتمعت الذال -وهي مجهورة أصلية- والتاء -وهي مهموسة- فأبدلوا من التاء حرفًا مجهورًا من مخرجها، وهو الدال، فصار (مذدكر)، ثم أدغمت

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/١٢٨.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره، ٣/٢٦٠، والطبري في تفسيره، ٢٢/١٢٨.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره، ٣/٢٦٠، والطبري في تفسيره، ٢٢/١٢٩.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٥/٨٨.

(٥) إعراب القرآن للنحاس، ٤/١٩٥.

(٦) (مذكر) بالبدال المعجمة المشددة قراءة شاذة، ينظر: معجم القراء، ٩/٢٢٥.

الذال في الدال، فصار ﴿مُدَّكِرٍ﴾، وكذا تفعل العرب في كل فعل أوله ذال وبعدها تاء الافتعال. وأما قراءة قتادة، فإنه أدغم الدال في الذال، وليس على هذا فصيح كلام العرب، إنما يدغمون الأول في الثاني، وهي لغة شاذة، وقد حُكيت عن بعض العرب^(١).

والمعنى - والله أعلم -:

فهل من ذي مدكر، يتذكر ما فعلنا بهذه الآية، التي كفرت بربها، وعصت رسوله نوحًا عَلَيَّ عَلَيْهِ، وكذبتة فيما أتاهم به من رهم، من النصيحة، فيعتبر بهم، ويحذروا أن يحل بهم من عقاب الله - بكفره بربه وتكذيبه رسوله محمدًا ﷺ - مثل الذي حلَّ بهم، فينيب إلى التوبة ويراجع الطاعة^(٢).

قال ابن زيد: ﴿فَهَلَّ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ الذي يتذكر؛ وفي كلام العرب: (المدكر): المتذكر^(٣).

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي﴾ اسم كان.

﴿وَنُذِرٍ﴾ معطوف عليه. و﴿كَيْفَ﴾ في موضع خبرها.

واختلفت القراءة في إثبات الياء وحذفها، من ﴿نُذِرٍ﴾ في جميع هذه السورة - وهي ستة مواضع - فقرأت الجماعة: ﴿وَنُذِرٍ﴾ بغير ياء، في وصل ولا وقف، إلا نافعًا؛ فإن الرواة اختلفوا عنه:

فروى ورشٌ عنه: أنه يثبت الياء في الوصل، ويحذفها / في الوقف، وكذلك قياس أبي مروان [١٥٠/أ] عن قالون؛ لأنه يروي عنه أن كل ياء ليست في السواد فإنه يصلها بياء، ويقف على غير ياء^(٤).

(١) ينظر: الكتاب لسيبويه، ٤/٤٦٩-٤٧٠، إعراب القرآن للنحاس، ٤/١٩٥.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/١٢٩.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/١٣٠.

(٤) ينظر: السبعة في القراءات، ٦١٧، معاني القراءات للأزهري، ٣/٤١، المبسوط في القراءات العشر، ٤٢١.

«فأما قالون في غير رواية أبي مروان والمسي، فرويا عنه: أنه يحذفها في المواضع الستة في الحاليين.

قال أبو بكر: فمنهن في قصة نوح عليه السلام حرف، وفي قصة هود عليه السلام حرفان، وفي قصة صالح عليه السلام حرف، وفي قصة لوط عليه السلام حرفان. فقرأهن بالياء في الوصل والوقف: يعقوب وسلام. ووافق نافعا على وصله بالياء، ووقفه على غير ياء، الحسن، في رواية إسماعيل عنه، وابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي»^(١).

ومعنى قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ فكيف كان عذابي لهؤلاء الذين كفروا برهم - من قوم نوح عليه السلام - وكذبوا رسوله، إذ تمادوا في غيهم وضلالهم، وإنذاري وتحذيري من الوقوع في مثل ذلك، وهو تحذير من الله - جلَّ وعزَّ - لمن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم من قريش، أن يحلَّ بهم مثل ما أحلَّ بالأمم المكذبة رسلها^(٢).

وقوله: ﴿وَنُذْرِي﴾ يعني: وإنذاري، وهو مصدر^(٣)، وقد ذكرناه بأكثر من هذا^(٤).

وقوله - جلَّ وعزَّ -: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: ولقد سهلنا القرآن وهوَّأناه، بتبييننا، [وتفصيلنا]^(٥) الذكر، لمن أراد أن يتذكر، فيعتبر به ويتعظ^(٦).

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ قال: "هوَّأناه"^(٧).

وقال ابن زيد: ﴿يَسَّرْنَا﴾ "بيَّنا"^(٨).

(١) ينظر: السبعة في القراءات، ٦١٨، الحجة للقراء السبعة، ٢٤٣/٦، الجامع لأحكام القرآن، ١٣٥/٢٠.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٣٠/٢٢.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٣٠/٢٢.

(٤) ينظر: الصفحات (٢٢٥-٢٢٩) من هذه الرسالة.

(٥) في الأصل: (وتفصيلنا)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٣٠/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، بلفظ (هوَّأناه)، ١٣٠/٢٢-١٣١.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٣١/٢٢.

﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ فهل من معتبر ومتعظ يتذكر، فيتعظ بما فيه من العبرة والذكر^(١).

وقال بعضهم في تأويل ذلك: فهل من طالب [علمٍ وخيرٍ]^(٢) فيُعَان عليه، وذلك قريب من
من المعنى من القول الأول^(٣).

روى سعيد عن قتادة: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ يقول: فهل من طالب خيرٍ
يُعَان عليه^(٤).

وروى ابن [شوذب]^(٥) عن مطر^(٦): ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ "فهل من طالب علم فيُعَان عليه"^(٧).
عليه^(٧).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، بلفظ (العبر) بدل (العبرة)، ١٣١/٢٢.

(٢) في الأصل: (علما وخير)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق نحوياً.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٣١/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٣١/٢٢.

(٥) في الأصل: (شودب)، والمثبت موافق لما في المصدر. وعبد الله بن شوذب الخراساني، أبو عبد الرحمن البلخي. سكن
البصرة، ثم سكن الشام ببيت المقدس، قال عثمان بن سعيد الدارمي، عن يحيى بن معين: (ثقة). مات سنة أربع
وأربعين ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ٩٤/١٥، تهذيب التهذيب، ٢٥٥/٥.

(٦) مَطَّرَ بن طَهْمَانَ الوراق، أبو رجاء الخراساني، مولى علباء السلمي، سكن البصرة وكان يكتب المصاحف، مات سنة
تسع وعشرين ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ٥١/٢٨، تهذيب التهذيب، ١٦٧/١٠.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٣١/٢٢-١٣٢.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنُذِرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَانَهُمْ أَجْمَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنُذِرِ﴾

﴿كَذَّبَتْ﴾ فعل ماضٍ وحرف.

﴿عَادٌ﴾ رفع بفعالها، وفي الكلام حذف، قد عُرف معناه وهو: كذبت عادٌ هودًا.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنُذِرِ﴾ كيف في موضع نصب بخبر كان، إلا أنها مبنية؛ لأن فيها معنى الاستفهام، وفتحت؛ لالتقاء الساكنين^(١).

﴿إِنَّا﴾ النون والألف اسم إن؛ لأن الأصل (إننا) حذفت إحدى النونين [استخفافاً]^(٢).

﴿أَرْسَلْنَا﴾ فعل وضمير اسم الله -جلّ وعزّ-.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ الهاء والميم: ضمير مخفوض.

﴿رِيحًا﴾ مفعول بها.

﴿صَرْصَرًا﴾ من نعت ﴿ريح﴾.

﴿فِي يَوْمٍ﴾ خفض بـ ﴿فِي﴾.

﴿نَحْسٍ﴾ مخفوض بإضافة ﴿يَوْمٍ﴾ إليه.

﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ نعت.

﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ فعل مستقبل. ﴿النَّاسَ﴾ مفعول بهم.

﴿كَانَهُمْ﴾ (الهاء) و(الميم) اسم كأنَّ.

(١) إعراب القرآن للنحاس، ١٩٦/٤.

(٢) في الأصل: (استخفافاً)، والمثبت مناسب للسياق.

﴿أَعْمَارُ نَخْلٍ﴾ خبر كان.

﴿مُنْقَعِرٍ﴾ نعت لـ ﴿نَخْلٍ﴾.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾.

والمعنى -والله أعلم-:

«كذبت -أيضاً- عادٌ نبيهم هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيما اتاهم به عن الله -جل ثناؤه- كما كذبت قومُ نوحٍ نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكالذي كذبتهم -معشرَ قريشٍ- نبيكم محمدًا ﷺ».

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ أي: فانظروا معشرَ كفرٍ قريشٍ، كيف كان عذابي إياهم، وعقابي لهم على كفرهم، وتكذيبهم رسوكم هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنذاري بفعلي بهم، من سلك طريقهم، وكان على مثل ما كانوا عليه من التمادي في الغي والضلالة.

وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ المعنى -والله أعلم-: إنا بعثنا على عادٍ -إذ تمادوا في طغيانهم وكفرهم بالله- ريحًا صرصرًا: وهي الشديدة العُصُوف في بردٍ، التي لصوتها صريرٌ، وهي مأخوذة من: شدة صوت هُبُوبِهَا، إذا سَمِعَ فيها، من قولهم: صرَّ الشيء إذا [صَوَّت] ^(١)، والأصل: صَرَّرَ، فأُبدِلَ من إحدى الراءات / صاد، ونظيره: ﴿فَكَيْفَ كُتِبُوا﴾ [الشعراء: ٩٤]، الأصل فيه: [١٥٠/ب]

فكبيوا، وأهل التفسير يقولون: هي الباردة» ^(٢).

قال ابن عباس: ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ "ريحًا باردة" ^(٣).

وقال قتادة: "والصَّرَصَرُ الباردة" ^(٤).

(١) في الأصل: (صرت)، والمثبت موافق لما في المصدر (إعراب القرآن للنحاس)، ومناسب للسياق.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٣٢/٢٢، إعراب القرآن للنحاس، ١٩٦/٤.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٣٣/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٣٣/٢٢.

وقال سفيان: ﴿رِيحًا صَرَّصَرًا﴾ قال: "شديدة، [والصَّر] ^(١) [والصَّرَصَر] ^(٢) الباردة" ^(٣).

﴿فِي يَوْمٍ نَحَّيْسٍ﴾ أي: في يوم شر وشؤم لهم ^(٤).

روى معمر عن قتادة قال: "النَّحْسُ: [الشَّؤْم] ^(٥)".

وقال ابن زيد: "النَّحْسُ: الشر" ^(٦).

وقد تأوَّل ذلك آخرون بمعنى: شديد ^(٧).

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فِي يَوْمٍ نَحَّيْسٍ﴾ قال: "أيام شِدَاد" ^(٨).

وقال الضحاك: ﴿فِي يَوْمٍ نَحَّيْسٍ﴾ "في يوم شديد" ^(٩).

قال أبو بكر: وهذا القول ينكره أهل اللغة، ويقولون: لو كان كذلك؛ لوجب أن يُقرأ بتنوين ﴿يَوْمٍ﴾ ولم يُضَف ^(١٠).

وقال أبو إسحاق: ﴿فِي يَوْمٍ نَحَّيْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ دائم الشؤم، [في يوم أربعاء في آخر الشهر، لا يدور] ^(١١).

(١) زائدة في الأصل، بحسب ما ورد في المصدر، والسياق يؤيده.

(٢) في الأصل: (والصر)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٣٣/٢٢.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٣٢/٢٢.

(٥) في الأصل: (السوم)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق. وقد أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٣٤/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٣٤/٢٢.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٣٤/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٣٤/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٣٤/٢٢.

(١٠) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٣٤/٢٢، وإعراب القرآن للنحاس، ١٩٦/٤.

(١١) هذه العبارة مسبوقه بلفظ: (وقيل) في المصدر. معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٨٩/٥.

وقوله: ﴿مُسْتَمِرًّا﴾ أي: استمر بهم البلاء والعذاب فيه إلى أن وافى بهم جهنم^(١).

قال قتادة: "يستمر بهم إلى نار جهنم"^(٢).

وقوله: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ قال محمد بن جرير: تقتلع الناس، ثم ترمي بهم على رؤوسهم، فَتَنْدَقُ رِقَابَهُمْ، وتبين من أجسادهم^(٣).

قال محمد بن إسحاق: لما هبَّت الرياح قام سبعة من عاد، فقالوا: نَزِدُّ الرِّيحَ، فَأَتَوْا فَمِ الشَّعْبَ الَّذِي يَأْتِي مِنْهُ الرِّيحُ، فوقفوا عليه، فجعلت الرِّيحُ تَهْبُ، فتدخل تحت واحدٍ واحدٍ منهم، ثم تقتلعه من الأرض، فترمي به على رأسه، فتندق رقبته، ففعلت ذلك بستةٍ منهم، كما قال الله -جلَّ وعزَّ-: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]، [وبقي الخَلْجَانِ]^(٤)، فَأَتَى هودًا غَالِيَةً، فقال: يا هودُ ما هذا الذي أرى في السحاب كهيفة البَحَايِي؟^(٥) فقال: تلك ملائكة ربي، قال: قال: مالي إن أسلمت؟ قال: تَسَلَّمْ، قال: [أيعيدني]^(٦) ربك إن أسلمت من هؤلاء؟ قال: ويلك؛ أَرَأَيْتَ مَلَكًا [يعيد]^(٧) من جنده؟ فقال: وعزَّته لو فعل ما رضيت، قال: ثم مال إلى جانب الجبل، فأخذ بركنٍ منه، [فهزَّه]^(٨)، فاهتزَّ في يده، ثم جعل يقول:

لَمْ يَبْقَ إِلَّا [الْخَلْجَانُ] نَفْسَهُ يَأْلَكَ مِنْ يَوْمٍ دَهَانِي أَمْسُهُ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٣٥/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٣٥/٢٢.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٣٥/٢٢.

(٤) في الأصل: (ونقى الخَلْجَانِ)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق. والخَلْجَانِ بالتحريك مصدر ك (نزوان) (نزوان) وَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ «إِنَّ فُلَانًا سَاقَ خَلِيجًا» الْخَلِيجُ: نَهْرٌ يُقْتَطَعُ مِنَ النَّهْرِ الْأَعْظَمِ إِلَى مَوْضِعٍ يُتَّقَعُ بِهِ فِيهِ.

النهاية في غريب الحديث والأثر، ٦٠/٢

(٥) البُخْتِيَّةُ: الأنتى مِنَ الْجَمَالِ الْبُخْتِ، وَهِيَ جَمَالٌ طَوَّلَ الْأَعْنَاقَ، وَيُجْمَعُ عَلَى بُخْتٍ وَبُخَاتٍ وَقِيلَ: الْجَمْعُ بَخَاتِي، أَوْ بَخَاتِي بِالْتَخْفِيفِ. ينظر: لسان العرب، مادة: (بخت).

(٦) في الأصل: (أيقيدي)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٧) في الأصل: (يقيد)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٨) في الأصل: (فهزّه)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

بَثَابَتِ الْوَطْءِ شَدِيدٍ وَطُسُّهُ^(١) لَوْ لَمْ يَجْنِي جَنْتَهُ [أَجْسُهُ]^(٢)
ثم هبت الريح، فحملته، فألحقته بأصحابه^(٣).

وروى شهر بن حوشب^(٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "إن كان الرجل من قوم عاد، ليتخذ المصراعين من حجارة، لو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الأمة، لم يستطيعوا أن يحملوها، وإن كان الرجل ليَعْمُرُ قدميه في الأرض، فيدخل في الأرض"^(٥).

«وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَجْمَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ أي: ينزعهم من الحُفْر التي كانوا حفروها، كأنهم أعجاز نخل منقعر.

والنخل: يذكر ويؤنث، لغتان جاء بهما القرآن.

وزعم محمد بن جرير أن في الكلام حذفًا، والمعنى: تنزع الناس، فتركهم كأعجاز نخل منقعر.

قال أبو بكر: فيكون الكاف على هذا في موضع نصب بالفعل المحذوف، وهذا لا يحتاج إلى ما قاله من الحذف، والقول فيه ما قاله أبو إسحاق، قال: هو في موضع نصب على الحال، أي: تنزع الناس أمثال نخل منقعر، أي: في هذه الحال، أي: ينزع الناس مشبهين بالنخل المنقعر.

(١) وَطَسَ الشَّيْءَ وَطَسًا: كسره ودقّه. لسان العرب: مادة: (وطس).

(٢) في الأصل: (احسه)، والمثبت موافق لما في المصادر. تاريخ الطبري، ١/١٣٧، الكامل في التاريخ، ١/٨١.

وقد أورد عبد الملك المعافري في كتابه: التيجان في ملوك حمير، ١/٣٥٢، البيتين باختلافٍ بَيَّن:

يا لك يوماً غاب عنا شمسُه ... يوم شديد لا يؤدب أمسه

لم يبق إلا الخلجان نفسه ... لم يبق إلا سيفه وترسه

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/١٣٦-١٣٧.

(٤) شهر بن حوشب الأشعري، أبو سعيد، روى عن بلال المؤذن، وتميم الداري رضي الله عنه، وثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغيرهم، وروى عنه: أبان بن صالح، وأبان بن صمعة، وإبراهيم بن حنان الأزدي، وغيرهم، مات سنة مائة. ينظر: تهذيب الكمال، ١٢/٥٧٨، غاية النهاية في معرفة القراء، ١/٣٢٩.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/١٣٧-١٣٨.

قال أبو بكر: وهذا القول على حقيقة الإعراب؛ فإن كان على تساهل [المعنى]^(١)؛ فالمعنى يؤول إلى ما قال محمد بن جرير^(٢).

«قال أبو جعفر: ﴿كَأَنَّهُمْ أَجْمَازٌ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾؛ لأنه قد بانت أجسادهم من رؤوسهم، صاروا أجساما بلا رؤوس.

وقال بعض أهل النظر: التشبيه للحفر التي كانوا فيها قيامًا، صارت الحفر كأنها أعجاز نخل، قال أبو جعفر: وهذا القول خطأ، ولو كان كما قال؛ كان (كأنها) أو (كأنهن)، و - أيضًا - فإن (الحفر) لم [يتقدم]^(٣) لها ذكر، [فيكنى]^(٤) عنها، و أيضًا فالتشبيه بالقوم أولى، ولا سيما وهو قول من يحتج بقوله^(٥).

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ قال أبو جعفر محمد بن جرير: المعنى: فانظروا معشر كفار قريش، كيف كان عذابي قوم عاد، إذ كفروا / برهم، وكذبوا رسوله ﷺ، فإن ذلك سنة الله في أمثالهم، وكيف إنذاري بهم من أنذرت^(٦).

وقال أحمد بن محمد: فكيف كان عذابي، ونذري إياكم؛ إياهم على الكفر، وإنذاري إياكم أن ينزل بكم ما نزل بهم^(٧).

(١) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٢) إعراب القرآن للنحاس، ١٩٦/٤.

(٣) في الأصل: (يقدم)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) في الأصل: (فيكنى)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٥) إعراب القرآن للنحاس، ١٩٦/٤-١٩٧.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٣٩/٢٢.

(٧) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٩٧/٤.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣١﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٣٢﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِمَّنَّا وَحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ﴾ لام توكيد، وقد: حرف توقع.

﴿يَسَّرْنَا﴾ فعل، وضمير اسم الله -جلّ وعزّ-.

﴿الْقُرْءَانَ﴾ مفعول ﴿يَسَّرْنَا﴾.

﴿لِلذِّكْرِ﴾ خفض باللام.

﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ قد ذكرنا إعرابه^(١).

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ فعل ماض، وحرف. و﴿ثَمُودُ﴾ رفع بفعله. ﴿بِالنُّذُرِ﴾ خفض بالباء.

﴿فَقَالُوا﴾ فعل ماضي.

﴿أَبَشَرًا مِمَّنَّا وَحِدًا﴾ بنصب ﴿بَشَرًا﴾، بإضمار فعل بينه وبين ألف الاستفهام، تفسيره: نتبعه، فكان تقدير الإعراب: [أتتبع]^(٢) بشرًا منا واحدًا [نتبعه]^(٣) ^(٤).

ولم ينصرف ثمود؛ لأنه اسم للقبيلة، ولو كان اسمًا للحي؛ لانصرف^(٥).

﴿مِمَّنَّا﴾ النون الثانية والألف في موضع خفض ب (من).

﴿وَحِدًا﴾ نعت ل (بشر).

(١) ينظر: الصفحتان (٢٢٠-٢٢١) من هذه الرسالة.

(٢) في الأصل: (اتبع)، والمثبت موافق لما في المصادر، ومناسب للسياق.

(٣) زائد في الأصل.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٨٩/٥، إعراب القرآن للنحاس، ١٩٧/٤.

(٥) إعراب القرآن للنحاس، ١٩٧/٤.

﴿تَتَّبِعُهُ﴾ فعل مستقبل، وضمير مفعول.

﴿إِنَّا﴾ الأصل: إنما، حذفت النون لاجتماع النونات.

﴿إِذَا﴾ توكيد.

﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾ اللام: مؤكدة، ﴿ضَلَالٍ﴾ خفض بـ ﴿فِي﴾

﴿وَسُعْرٍ﴾ معطوف على ﴿ضَلَالٍ﴾

ومعنى ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ سهَّلناه^(١).

وقيل أن كتب أهل الأديان - نحو التوراة والإنجيل - إنما يتلوها أهلها نظرًا، لا يكادون يحفظون كتبهم من أولها إلى آخرها، كما يُحفظ القرآن^(٢).

«ومعنى ﴿لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهَّلناه وهوَّئناه، لمن أراد التذكُّر به؛ ليتذكر به، وللاتعاظ.

﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ فهل من متَّعِظٍ ومنزجرٍ بآياته.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ أي: كذَّبت قومُ صالحٍ ﷺ بُنذر الله - جلَّ وعزَّ - التي أتتهم من عنده، فقالوا - تكذيبًا منهم لصالح رسول الله ﷺ -: أَبَشْرًا مِمَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ ونحن الجماعة الكثيرة وهو واحد؟!

﴿إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ إنما إذا باتبعنا صالحًا - إن اتبعناه وهو واحد ونحن جماعة - ﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾ أي ذهب عن الصواب [وأخذ]^(٣) على غير استقامة^(٤).

﴿وَسُعْرٍ﴾ جمع سعير، ويجوز أن يكون من قولهم: سَعَرَ إذا طاش^(٥).

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٨٥/٢٠، وفيه: (سهَّلناه للحفظ).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٨٥/٢٠، وقد ذكر شيئًا في معناه.

(٣) في الأصل: (واحد)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٣٩/٢٢.

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٩٧/٤.

وكان قتادة يعني بالشُّعْر: العناء، قال: ﴿ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرِ ﴾ قال: "في ضلال وعناء"^(١).

وقال أبو عبيد^(٢): ﴿ وَسُعْرٌ ﴾ "وجنون، من قولهم: ناقة مسعورة؛ كأنها مجنونة من نشاطها"^(٣).

وقيل: وعذاب سعيير^(٤).

قال أبو بكر: **وقطع القارئ على قوله ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالتُّدْرِ ﴾ قطع كاف^(٥).**

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٤٠/٢٢.

(٢) القاسم بن سلام أبو عبيد الأنصاري مولاهم البغدادي، الإمام، أحد الأعلام وذو التصانيف الكثيرة في القراءات والفقهاء واللغة والشعر، توفي سنة أربع وعشرين ومائتين. ينظر: معرفة القراء الكبار، ١٠١، غاية النهاية، ١٧/٢.

(٣) لم أفق عليه، وقد ذكر الزجاج في معاني القرآن وإعرابه، ٨٩/٥، (معناه: إنا إذاً لفي ضلال وجنون، يقال: ناقة مسعورة إذا كان بها جنوناً).

(٤) ينظر: بحر العلوم، ٣٧٣/٣.

(٥) القطع والائتناف، ٦٩٩.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ ﴿١٥﴾ سَيَعْمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ ﴿١٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾

﴿أَلْقَى﴾ فعل ماض دخلت عليه ألف الاستفهام، وفيه معنى التوقيف^(١).

﴿الذِّكْرُ﴾ اسم ما لم يسم فاعله.

﴿عَلَيْهِ﴾ الهاء: ضمير مخفوض.

﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾ خفض بـ ﴿مِنْ﴾.

﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ ابتداء وخبر.

﴿أَشْرٌ﴾ من نعت ﴿كَذَّابٌ﴾.

والكوفيون يقولون: (بل) لا يكون إلا بعد نفي، فيحملون مثل هذا على المعنى؛ لأن معنى ﴿أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ﴾: لم يُلقَ عليه^(٢).

وقرأ أبو عمر: ﴿أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ بمد الألف في حكاية أبي عبدالرحمن وأبي حمدون^(٣) عن اليزيدي^(٤).

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٩٧/٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس، ١٩٧/٤.

(٣) الطيب بن إسماعيل أبو حمدون الذهلي البغدادي، اللؤلؤي. المقرئ، العبد الصالح، قرأ على اليزيدي والكسائي وسليم، وإسحاق المسيبي، صاحب نافع، ويعقوب الحضرمي، وحدث عن سفيان بن عيينة، وغير واحد، وجلس للإقراء. وقصده الطلبة لدينه وورعه، وإتقانه وحذقه بالأداء، قرأ عليه أبو علي الحسن بن الحسين الصواف، والفضل بن مخلد الدقاق، والحسين بن شريك. مات في حدود سنة أربعين ومائتين. معرفة القراء، ١٢٤. غاية النهاية، ٣٤٣/٣.

(٤) معجم القراء، ٨٣/٨.

وكان أبو بكر بن مجاهد يقرأ بقصرها في رواية أبي عمر وأبي خلاد^(١) وأبي شعيب^(٢) عن اليزيدي، واليزيديين عنه يروون بالمد هاهنا، إلا أنهم رووا عنه أنه كان / يهزم الاستفهام همزة واحدة ممدودة.

وروى إبراهيم بن اليزيدي عن أبيه - في حكاية القياس عنه -: ﴿أَلْقَى﴾ و﴿أَنْزَلَ﴾ [ص: ٨] بالمد^(٣).

قالوا: وكذلك كان يفعل بكل همزتين التفتا، فيصيرهما واحدة ويمد، مثل: ﴿أَيَّدَا﴾ [الواقعة: ٤٧] ﴿أَلَّهُ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤] ﴿أَلَيْكُمُ﴾ [الأنعام: ١٩، النمل: ٥٥، العنكبوت: ٢٩، فصلت: ٩] وما أشبههم، ثم إن أبا عبد الرحمن وأبا حمدون نقضا ذلك، فقالوا: ﴿أَوْنَبَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥] لا يمدّها؛ لأنها من نَبَأَتْ، ثم رويًا: ﴿أَلْقَى﴾ و﴿أَنْزَلَ﴾ [ص: ٨] بالمد، وقد كان اليزيدي طُوب بالفرق بين ذلك في حياة أبي عمر، روى ذلك أبو عبد الرحمن بن اليزيدي عن أبيه قال: بعثني الخليل بن أحمد في حياة أبي عمر، فقال لي: لم قرأتم ﴿أَلْقَى﴾ و﴿أَنْزَلَ﴾ [ص: ٨] ولم تقرأوا ﴿قُلْ أَوْنَبَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥]؟ قال: فلم أدري ما أقول له، فرحت إلى أبي عمر، فذكرت له ما قال الخليل، قال: إذا لقيته فأخبره أن هذا من (نَبَأَتْ) أحسبه، قال: فلقيت الخليل، فأخبرته بقول أبي عمر، فسكت. الشك في الحديث هذا الكلام أو معناه^(٤).

وحُكي عن أبي بكر بن مجاهد، أنه كان يقول في هذا الحديث: وهذا شيء ما أدري ما معناه، اللهم إلا أن يكون الذي قال هذا علم منه شيئًا منع غيره أن يعلمه، وإن كانت القرية لا فرق بين اجتماع الهمزتين من (نَبَأَتْ) ولا من (أَنْبَأَتْ)، ولا علة توجب إدخال الألف بينها، إذا كانت من (أَنْبَأَتْ)، أو تمنع إدخالها، إذا كانت من (نَبَأَتْ)؛ لأن ألف الاستفهام حرف

(١) سليمان بن خلاد، وقال أبو الفضل الرازي: سليم بن خلاد، وقيل: سليمان بن خالد، والأول هو الصحيح، أبو

خلاد النحوي السامري المؤدب، صدوق مصدر، مات سنة إحدى وستين ومائتين. غاية النهاية، ٣١٣/١.

(٢) أبو شعيب السوسي، صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود بن مسرح الرُستبي الرقي المقرئ.

قال أبو حاتم: (صدوق)، مات في أول سنة إحدى وستين ومائتين، وقد قارب تسعين سنة رَحَلَهُ. ينظر: معرفة القراء

الكبار، ١١٥، غاية النهاية، ٣٣٢/١.

(٣) ينظر: معجم القراء، ٨٣/٨.

(٤) ينظر: إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ٩٩.

على حدته، دخل على همزة (أنبيء) أو (نبيء) فاجتمع همزتان، فنقلنا، فجيء بالثانية لحد حركتها وخُففت، فلم يترك أبو بكر بن مجاهد -رحمه الله- لأحد في هذا مقالاً إلا أتى عليه.

قال أبو بكر: وذكرت فيما قاله أبو عمرو، فلم أر لذلك وجهًا يوجب ما قال، إلا أن يكون أراد بدل، على أن ماضي (نبأت) بغير ألف، وماضي (أنبأت) بألف، فلم يمد في المستقبل إذا دَخَلَتْ أَلْفُ الاستفهام؛ لأن لا يتوهم أن المدة أَلْفُ النفس، والثانية الهمزة من (أنبأ) فيكون ذلك وجهًا، وليس بالبيِّن الواضح في نفسي -والله أعلم- بما أراد قوله -جلَّ وعزَّ-^(١).

﴿سَيَعْمُونَ عَدَا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَثِيرُ﴾ قال أبو بكر: ﴿سَيَعْمُونَ﴾ فعل مستقبل، وضمير فاعلين: وهو الواو. و﴿عَدَا﴾ ظرف زمان، والأصل فيه عند سيبويه: (غدو) بالواو، إلا أنها حذفت^(٢). ﴿مَنِ الْكَذَّابُ الْأَثِيرُ﴾ ابتداء وخبر، و﴿الْأَثِيرُ﴾ من نعت ﴿الْكَذَّابِ﴾، والجملة في المعنى في موضع نصب ﴿سَيَعْمُونَ﴾.

واختلفت القراءة في [الياء]^(٣) والتاء من قوله ﴿سَيَعْمُونَ﴾:

فقرأ ابن عامر وحمزة: بالتاء على المخاطبة. وقرأ الباقر: بالياء على الخبر، إلا عاصمًا فإنه اختلف عنه عن حفص، فروى هبيرة عنه: بالتاء، مثل حمزة، وروى غير هبيرة بالياء، وهو الصواب^(٤).

وقال أبو بكر: «وكان أبو عبيد يميل إلى القراءة بالياء، على الخبر؛ لأن بعده ﴿إِنَّا مُرْسِلُونَ﴾. التَّفَاقَةُ فِتْنَةٌ لَهُمْ﴾ ولم يقل (لكم).

قال أبو بكر: والتقدير في قراءة من قرأ بالتاء: إن القول محذوف والتقدير: قال الله:

(١) ينظر: حجة القراءات، ١٥٥.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٩٧/٤.

(٣) في الأصل: (الباء)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) ينظر: السبعة في القراءات، ٦١٨، الحجة في القراءات السبع، ٣٣٧، معاني القراءات، ٤٣/٣.

﴿سَيَعْمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَابِ الْآثِرِ﴾، والقول يُحذف كثيراً^(١).

وقوله: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ﴾ الأصل: مرسلون بإثبات النون، ونصب الناقة، إلا أن العرب تحذف هذه النون كثيراً، وتضيف المفعول، فتجُر، فنزل القرآن بلغتهم^(٢).

وقوله: ﴿فِتْنَةً لَهُمْ﴾ في نصبها قولان:

قال أبو إسحاق^(٣): وقوله: ﴿فِتْنَةً لَهُمْ﴾ في نصبها قولان: قال أبو إسحاق: هو مفعول له^(٤). وقال غيره: هي منصوبة على المصدر، أي: فتناهم بذلك فتنة وابتليناهم^(٥).

﴿فَأَرْتَبَهُمْ﴾ فعل الأمر، والهاء والميم ضمير مفعولين.

﴿وَأَصْطَرِبِ﴾ معطوف على (ارتبهم)، فالطاء فيه مبدلة من تاء؛ لأنه على (افتعل) من الصبر؛ لأن الطاء مجانسة للصاد في الإطباق، وهي من مخرج التاء، فأبدلت منها^(٦).

ومعنى الآية - والله أعلم -:

«أن الله - جلَّ وعزَّ - يقول مخبراً عن قول مكذبي رسوله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ من قومه ثمود: أَلْقِي الذِّكْرَ عَلَيْهِ، يَعْنُونَ أَنْزِلِ الْوَحْيَ عَلَيْهِ، وَخُصَّ بِالنَّبُوَّةِ مِنْ بَيْنِنَا، وَهُوَ وَاحِدٌ مِّمَّنَا؟، إنكاراً منهم [١٥٢/أ] أن يكون الله - جلَّ وعزَّ - يرسل رسولاً من بني آدم.

﴿بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾ والأشْر: المرح والنشاط والتجبر والكبرياء^(٧).

(١) السبعة في القراءات، ٦١٨، معاني القراءات، ٤٣/٣، معجم القراءات، ٢٣١/٩.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٩٧/٤-١٩٨.

(٣) لعل الناسخ أراد أن يكتب: أبو بكر - يعني الأدفوي-؛ لأني لم أجد القول: (... في نصبها قولان) منسوباً لأبي إسحاق. والله أعلم.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٨٩/٥.

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٩٨/٤.

(٦) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٩٨/٤.

(٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٠/٢٢.

روي عن الحسن بن محمد بن سعيد القرشي قال: "قلت لعبد الرحمن بن أبي حماد: ما الكذاب الأشتر؟ قال: "الذي لا يبالي ما قال"^(١).

قال أبو بكر: ﴿أَشْرٌ﴾ في كلام العرب: المرح في غير طاعة الله، والتكبر^(٢).

وقرأ أبو قلابة ﴿سَيَعْمُونَ عَدَا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشْرُ﴾ بفتح الشين وتشديد الراء^(٣).

قال أبو بكر: ليس هذا من قولهم: فلان شر من فلان؛ لأنه لا يقال منه (أفعل)، وإنما هذا من قولهم: زيد الأشتر، وهند الشري، كما يقال: الأخير والخوري. كما قال الشاعر^(٤) [قال]^(٥):

[بلال]^(٦) خير الناس وابن الأخير^(٧)

ولا يجوز أن يقال: هو كذاب أشر بوجه.

وقرأ سعيد بن جبير، ومجاهد: ﴿مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشْرُ﴾ بضم الشين وتخفيف الراء، وهو بمعنى الأشتر، ومثله: رَجُلٌ حَذِرٌ وَحَدْرٌ^(٨).

والفعل من قراءة الجماعة: أَشَرَ يَأْشُرُ أَشْرًا، مثل: نَظَرَ يَنْظُرُ نَظْرًا، فهو نَظِرٌ.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢، ١٤٠.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة: (أش).

(٣) قراءة شاذة، ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ٢٩٩/٢، معجم القراءات، ٢٣١/٩.

(٤) رؤبة بن العجاج واسم العجاج عبد الله بن رؤبة بن أسد بن صخر بن كنيف بن عميرة، يتصل نسبه بزيد بن مناة، الراجز المشهور، من مخضرمي الدولتين ومن أعراب البصرة، سمع من أبي هريرة رضي الله عنه والنسابة البكري، وعداده في التابعين. وروى عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى والنضر بن شميل وخلف الأحمر وغيرهم. وله ديوان رجز مشهور. مات في زمن المنصور سنة خمس وأربعين ومائة. تاريخ دمشق لابن عساكر، ٢١٢/١٨، معجم الأدباء، ١٣١١/٣.

(٥) هكذا في الأصل، ولعلها زائدة.

(٦) في الأصل: (زال)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٧) ديوان رؤبة بن العجاج، ٦٢.

(٨) ينظر: معجم القراءات، ٢٣١/٩.

«وقوله: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي: باعثوا الناقة - التي سألتها ثمودٌ صالحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ - آيةً لهم، وحُجَّةً لصالِحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ على حقيقة نبوته، وصدق قوله.

﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي: ابتلاءً لهم، واختبارًا: هل [يؤمنون]^(١) بالله ويتبعون صالحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويصدقونه فيما دعاهم إليه، من توحيد الله - جلَّ وعزَّ - إذ أرسل إليهم ناقته، أم يكذبونه ويكفرون بالله؟.

وقوله: ﴿فَأَرْزَقْنَاهُمْ﴾ أمر من الله - جلَّ وعزَّ - لصالِحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أي: فانتظرهم، وتبصَّر ما هم [صانعون]^(٢) بها^(٣).

﴿وَأَصْطَبِرُ﴾ أي: اصطبر على [ارتقاہم]^(٤)، ولا تعجل، وانتظر ما يصنعون بناقة الله جلَّ وعزَّ^(٥).

وقيل كان ابتداءهم في ذلك: أن الناقة خرجت لهم من صخرة صمءاء - ناقة عظيمة - فأمن بعضهم، وكانت لعظمها كثرة الأكل، [فشكوا]^(٦) ذلك إلى صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقالوا: قد أفنت الحشائش والأعشاب، ومنعنا من الماء، فقال: ذروها تأكل في أرض الله، ولا تمسوها بسوء، ترد الماء يومًا وتردون يومًا، فكانت هذه الفتنة^(٧).

قال أبو بكر: وكان أبو جعفر يقول: قطع القارئ على ﴿هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ قطع كاف، والتمام ﴿سَيَعْلَمُونَ عَدَا مَنِ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ﴾^(٨).

(١) في الأصل: (يؤمنوا)، والمثبت هو الصحيح نحوياً.

(٢) في الأصل: (مانعون)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٤١-٤٢-٤٣.

(٤) في الأصل: (انقاهم)، والمثبت مقارب لما في المصدر (ارتقابك إياهم)، ويحتمله رسم الكلمة، ومناسب للسياق كذلك.

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٤/١٩٨.

(٦) في الأصل: (فكشوا)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٧) إعراب القرآن للنحاس، ٤/١٩٨.

(٨) القطع والائتناف، ٦٩٩.

يتلوه - إن شاء الله تعالى - في الذي يليه، قوله - جلّ وعزّ -: ﴿وَيَبِّحُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ...﴾ الآية.

.. الجزء الثالث والثلاثون والمائة، من كتاب الاستغناء في علوم القرآن، من الغريب والإعراب والمعاني والقراءات باختلافها، وشرح معانيها والتفاسير والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، والتنزيل والاشتقاق، والتصريف والنحو، والوقف والتمام، وعدد الآي

تأليف: أبي بكر محمد بن علي بن أحمد الأدفوي رحمته الله

فيه من ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر]: من قوله: ﴿وَيَبِّحُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ إلى آخر سورة الرحمن - جلّ وعزّ -.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿وَيَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنادوا أصحابهم فتعاطى ففَعَقَرُ ﴿٢٩﴾ فكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾

﴿وَيَبِّئُهُمْ﴾ فعل الأمر، وعلامة الجزم أو البناء: حذف الضمة من الهمزة، والهاء والميم: ضمير مفعولين.

﴿الْمَاءَ﴾ فتحت ﴿أَنَّ﴾ بالفعل الذي قبلها، ونصب ﴿الْمَاءَ﴾ بـ (أن).

﴿قِسْمَةٌ﴾ خبر ﴿أَنَّ﴾.

﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ ابتداء وخبر.

﴿فَنَادُوا﴾ فعل ماضي.

﴿فَفَعَقَرُ﴾ فعل مثله، معطوف عليه.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿عَذَابِي﴾ اسم كان. ﴿وَنُذْرِي﴾ معطوف عليه. و﴿كَيْفَ﴾ في موضع خبر كان.

ومعنى الآية -والله أعلم-:

أن الله -جلّ ثناؤه- يقول لصالح عليه السلام / ﴿وَيَبِّئُهُمْ﴾ أي: أخبر قومك أن الماء يوم غيبّ الناقة قسمة بينهم، فكانوا يقسمون ذلك يوم غيبّها، فيشربون منه ذلك اليوم، [ويتزودون]^(١) منه ليوم ورودها.

وقد وجّه تأويل ذلك قوم، أن الماء قسمة بينهم وبين الناقة: يوماً لهم ويوماً لها، وأنه إنما قيل ﴿وَيَبِّئُهُمْ﴾ والمعنى ما ذكرناه؛ لأن العرب إذا أرادت الخبر عن فعل جماعة بني آدم مختلطاً بهم البهائم؛ جعلوا الفعل خارجاً مخرج فعل بني آدم؛ لتغليبهم فعل بني آدم على فعل البهائم^(٢).

(١) في الأصل: (ويتزودون)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٢/٢٢.

ومعنى ﴿فَسَمَةً بَيْنَهُمْ﴾ أي: ذو قسمة، كقولك: رجل عدل ورضي^(١).

﴿كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ قال أبو إسحاق: يحضر الشرب القوم يوماً، وتحضر الناقة يوماً^(٢).

قال أبو جعفر: كل حظ من الماء يحضره من هو له^(٣).

وقال محمد بن جرير: ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ كل شرب من ماء يوم غيب الناقة، ومن لبن يوم وزدها محتضر يحضره^(٤).

واحتج بما رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ قال: "يحضرون لهم الماء، وإذا جاءت حضروا اللبن"^(٥).

وقوله: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ أي: فنادت ثمود أصحابهم - عاقر الناقة - فُدار بن سالف^(٦)، لعقر الناقة حصاً منهم له على ذلك^(٧).

﴿فَتَعَاظَى﴾ أي: فتناول الناقة، [فعرها]^(٨) أي: قتلها، وهو من قولهم: عطوت إذا تناولت^(٩)، تناولت^(٩)، قال الشاعر^(١٠):

وَنَعَطُوا بِرَخِصٍ غَيْرِ شَنْ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحَلٍ^(١١)

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٩٨/٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٩٠/٥.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٩٦/٢٠.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٣/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٤٣/٢٢.

(٦) فُدار بن سالف، اشقى ثمود وكان أشقر أزرق قصير. ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٦٤٩/٣، تفسير ابن كثير، ٤٠١/٨.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٣/٢٢.

(٨) في الأصل: (فعرها)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٩) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٩٨/٤.

(١٠) الشاعر هو امرؤ القيس، وقد تقدمت ترجمته.

(١١) ديوان امرئ القيس، ٤٥.

وفي الحديث: عن النبي ﷺ: ((أَنَّ عَاقِرَ النَّاقَةِ كَانَ عَزِيْزًا مِّنِيْعًا [كَأَبِي] ^(١) زَمْعَةً)) ^(٢).

قال: قال أبو بكر: والعرب تضرب به المثل في الشؤم ^(٣). قال زهير: وغلط، [على قول الأصمعي] ^(٤):

فُتْنَتْجَ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمُ كَأَحْمَرَ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَفْطِمُ

وقوله: (كأحمر عاد) غلط، إنما هو (كأحمر ثمود) ^(٥).

وقوله ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذْرِي﴾ قال محمد بن جرير: يقول لقريش: فكيف كان عذابي إياهم - معشر قريش - حين [عذبتهم] ^(٦)؟! ألم أهلكهم [بالرحفة] ^(٧)!؟

=
العطو: التناول، والفعل: عطا يعطو عطواً، والإعطاء: المناولة، والتعاطي: التناول، والمعاطاة: الخدمة، والتعطية مثلها. الرخص: الدين الناعم. الشثن: الغليظ الكثر، وقد شثن شثونة، الأسروع واليسروع: دود يكون في البقل والأماكن الندية، تشبه أنامل النساء به، والجمع: الأساريع واليساريع. ظبي: موضع بعينه. المساويك: جمع المساوك. الإسحل: شجرة تدق أغصانها في استواء، تشبه الأصابع بها في الدقة والاستواء. يقول: وتتناول الأشياء ببنان رخص لئن ناعم غير غليظ ولا كثر، كأن تلك الأنامل تشبه هذا الصنف من الدود أو هذا الضرب من المساويك وهو المتخذ من أغصان هذا الشجر المخصوص المعين.

(١) في الأصل: (لابي)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) تفسير القرآن للصنعاني، ٢٦٠/٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٩٠/٥، وفيه: (... وكان يُقال له: أحمر ثمود، وأحيمر ثمود، والعرب تغلظ فتحجّل أحمر عادٍ فتضرب به المثل في الشؤم، قال زهير يصِف حَزْباً:

فُتْنَتْجَ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمُ . . . كَأَحْمَرَ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَفْطِمُ

ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، ١٠٢).

(٤) هكذا في الأصل. والأصمعي هو عبد الملك بن قريب أبو سعيد الأصمعي البصري، صاحب اللغة والنحو والغريب والأخبار والملح والنوادر، وقد أثنى عليه الإمام أحمد بن حنبل في السنة، مات الأصمعي في سنة ست عشرة أو سبع عشرة ومائتين. تهذيب الكمال، ٣٨٢/١٨، سير أعلام النبلاء، ١٧٥/١٠.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٩٠/٥.

(٦) في الأصل: (كذبهم)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٧) في الأصل: (بالرحم)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

﴿وَنُذِرِي﴾ أي: وكيف كان إنذاري من أنذرت من الأمم، بعد ما فعلت بهم، وأحللت بهم من العقوبة" (١).

وقال غيره (٢): «﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾ أي: عقابي إياهم على عصيانهم، فاحذروا المعاصي.

﴿وَنُذِرِي﴾ أي: إنذاري إياكم، أي ينزل بكم ما نزل بهم» (٣).

«وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ قال: "تناولها بيده".

قال: "يقال: إنه ولد زنية، وهو من التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض، ولا يصلحون، وهم الذين قالوا لصالح عليه السلام: لنبيتنه وأهله، فلنقتلنهم" (٤).

قال أبو بكر: **وقطع القارئ على ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُّتَّصِرٍ﴾ قطع كاف، وكذا ﴿فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾، والتمام ﴿وَنُذِرِي﴾ (٥).**

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٣/٢٢.

(٢) أبو جعفر النحاس.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ١٩٨/٤.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٤٤/٢٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور، ١٣٦/٦، مقتصرًا على نصفه الأول بلفظ: فتعاطى قال: تناول.

(٥) القطع والائتناف، ٦٩٩.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾﴾

النون والألف من ﴿إِنَّا﴾ اسم إن.

﴿أَرْسَلْنَا﴾ فعل ماض، وضمير اسم الله -جلّ وعزّ- في موضع خبر (إن).

﴿عَلَيْهِمْ﴾ الهاء والميم ضمير مخفوض.

﴿صَيْحَةً﴾ مفعول ﴿أَرْسَلْنَا﴾.

﴿وَاحِدَةً﴾ من نعتها.

﴿فَكَانُوا﴾ الواو اسم كان.

﴿كَهَشِيمِ﴾ الكاف في موضع نصب [خبر] ^(١) كان، ﴿كَهَشِيمِ﴾ خفض بالكاف.

و﴿الْمُحْتَظِرِ﴾ خفض بإضافة ﴿كَهَشِيمِ﴾ إليه، ﴿وَلَقَدْ﴾ بيناه في غير موضع من كتابنا.

﴿يَسَّرْنَا﴾ فعل ماض، والنون والألف ضمير اسم الله -جلّ وعزّ- في موضع ^(٢). ﴿الْقُرْآنَ﴾

منصوب بـ ﴿يَسَّرْنَا﴾. ﴿لِلذِّكْرِ﴾ خفض باللام. ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ خفض بـ ﴿مِنْ﴾.

ومعنى الآية -والله أعلم-:

أنا بعثنا على ثمود صيحة واحدة، وقد بيّنا في ما مضى أمر الصيحة، وكيف أتتهم بما أغني عن إعادة ذلك ^(٣).

(١) في الأصل: (الخبر)، والمثبت مناسب للسياق.

(٢) كذا في الأصل، ولعل تكملة الجملة (رفع فاعل).

(٣) ينظر: الأصل، المجلد الثالث/اللوحة ١٧٠، سورة الأعراف.

وقوله: ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ أي: فكانوا بهلاكهم بالصَّيِّحَةِ كهشيم المحتظر، وهذا من التمثيل العجيب؛ لأن الهشيم هو ما يبس من الشجر، وتَهَشَّم بعد أن كان أخضر نضراً، أي: صاروا بعد النعمة والبهجة رفاتاً وحطاماً، كهيئة الشجر^(١).

[١٥٣/١]

واختلف أهل العلم في المعنى بقوله: ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾: فقال بعضهم: عني بذلك [العظام]^(٢) المحترقة، وكأنهم وجَّهوا معناه إلى [أنه]^(٣) مثل هؤلاء القوم - بعد هلاكهم وبلاهم - بالشيء الذي أحرقه مُحْرَقٌ في حظيرته^(٤).

فمن روي عنه أنه قال ذلك ابن عباس رضي الله عنه، قال: "[كالعظام]^(٥) المحترقة"^(٦).

وليس فيما فسَّره دليل على قراءته إلا أنه يُحتمل أن تكون قراءته كقراءة أهل الأمصار، ويُحتمل أن يكون بفتح [الطاء]^(٧) من ﴿الْمُحْتَظِرِ﴾، ويكون نعتاً للهشيم، ثم أضيف إلى نعته، كما قيل ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [يوسف: ١٠٩، النحل: ٣٠]، والمعنى: وللدار الآخرة، وهو الحق [حق]^(٨) اليقين، فهذا قول الكوفيين^(٩).

وروي عن الحسن وقتادة: أنهما كانا يقرآن ﴿الْمُحْتَظِرِ﴾ بفتح الطاء^(١٠)، ويتأولان هذا التأويل الذي رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه^(١١).

(١) إعراب القرآن للنحاس، ١٩٨/٤.

(٢) في الأصل: (الطعام)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٣) في الأصل: (ان)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٥/٢٢.

(٥) في الأصل: (كالطعام)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٤٥/٢٢.

(٧) في الأصل: (الطاء)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٨) زائدة في الأصل.

(٩) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٥/٢٢.

(١٠) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ٢٩٩/٢، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، ٦٤٢، الجامع لأحكام القرآن، ٩٧/٢٠، وقد ذكر القرطبي ما نصه: (وقرأ الحسن وقتادة وأبو العالية: ﴿المحتظر﴾ بفتح الطاء، أرادوا الحظيرة. الباكون بالكسر، أرادوا صاحب الحظيرة).

(١١) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٦/٢٢.

«وقال آخرون: بل عني التراب الذي يتناثر من الحائط.

وقال آخرون: بل هو حظيرة الراعي للغنم»^(١).

وقال الضحاك ﴿كَهَشِيرِ الْمُحَطَّرِ﴾ "الحظيرة: تتخذ للغنم فتببس فتصير هشيماً"^(٢).

وقال الضحاك وابن زيد: ﴿كَهَشِيرِ الْمُحَطَّرِ﴾ قال: "هو الشوك الذي تحظر به العرب حول مواشيتها، من السَّبَاع، والهشيم: يابس الشجر. [الذي فيه شوك، ذلك الهشيم]"^(٣)^(٤).

وقال آخرون: بل عني به هشيم الخيمة، وهو ما تكسّر من خشبها^(٥).

روى ذلك ابن أبي نجيح عن مجاهد، في قوله: ﴿كَهَشِيرِ الْمُحَطَّرِ﴾ قال: "كهشيم الخيمة"^(٦).

وقال آخرون في قوله: ﴿كَهَشِيرِ الْمُحَطَّرِ﴾: هو الورق الذي يتناثر من خشب الحظيرة^(٧).

روى ذلك مهران^(٨) عن سفيان: ﴿كَهَشِيرِ الْمُحَطَّرِ﴾ قال: "الهشيم إذا ضربت الحظيرة بالعصا، بالعصا، يهشم ذلك الورق فيسقط"^(٩).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٦/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٤٧/٢٢.

(٣) هذه العبارة ساقطة من المتن، ومكتوبة في هامش الصفحة، وقد وضع الناسخ علامة لموضع اللحق (خط صغير منحنى).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، عن ابن زيد فقط، ١٤٧/٢٢.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٧/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٤٧/٢٢.

(٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٧/٢٢.

(٨) مهران بن أبي عمر العطار، أبو عبد الله الرازي. قال أبو حاتم: ثقة، صالح الحديث، وذكره ابن حبان في كتاب (الثقات). ينظر: تهذيب الكمال، ٥٩٥/٢٨، تقريب التهذيب، ٥٤٩.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، بلفظ: (هَشَمٌ)، ١٤٨/٢٢.

قال أبو بكر: وحقيقة قوله: ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ في العربية: كهشيم الرجل المحتظر، ومن قرأ بفتح الظاء فحقيقته: كهشيم الشيء الذي قد احتظر، والعرب تسمي كل شيء كان رطبًا فيبس: هشيماً^(١).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي: ولقد هوّنناه بتبييننا إياه، ﴿لِلذِّكْرِ﴾ لمن أراد أن يتذكر به فيتعظ، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي: من متعظ ومعتبر يعتبر به، فيرتدع عما يكره الله منه^(٢).

وقال [القني]^(٣): "سهّلناه لتلاوته، ولولا ذلك ما أطاق العباد أن يلفظوا به، ولا أن يسمعوه"^(٤).

قال أبو بكر: وقطع القارئ على قوله: ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ تمام، وكذا ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^(٥).

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٩٩/٤، الجامع لأحكام القرآن، ٩٨/٢٠.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٨/٢٢.

(٣) هكذا في الأصل، ولعله عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد الكاتب الدينوري، سكن بغداد وحدث بها عن إسحاق بن راهويه، ومحمد بن زياد الزياتي، وأبي الخطاب زياد بن يحيى الحساني، وأبي حاتم السجستاني. روى عنه ابنه أحمد وعبيد الله بن عبد الرحمن السكري، وإبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ وغيرهم، وكان ثقة ديناً فاضلاً، وهو صاحب التصانيف المشهورة والكتب، مات أول ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين. ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، ١٠/١٦٨، الوافي بالوفيات، ٣٢٦/١.

(٤) ذكر معناه التستري في تفسيره، ١٥٨.

(٥) القطع والائتناف، ٦٩٩-٧٠٠.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذُرِّ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ
يَجْرِي مِنَ شُكْرٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾ رفع بفعلهم.

﴿بِالَّذُرِّ﴾ خفض بالباء.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ اسم إن، وخبرها.

﴿حَاصِبًا﴾ مفعول ﴿أَرْسَلْنَا﴾.

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ استثناء، وآل الرجل: كل من كان على دينه ومذهبه، كما قال لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ:
﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود:٤٦] وهو ابنه، وآل وأهل بمعنى واحد، إلا أن النحويين يقولون: الأصل في
آل: أهل، والدليل على ذلك: أن العرب إذا صغرت (الا) قالت: أهيل^(١).

﴿نَّجَّيْنَاهُمْ﴾ فعل ماض، والنون والألف ضمير اسم الله -جلّ ثناؤه-، والهاء والميم ضمير
مفعول.

﴿بِسَحْرِ﴾ خفض بالباء.

قال الفراء: ﴿سَحْرٌ﴾ هاهنا [يجري]^(٢)؛ لأنه نكرة^(٣)، كقولك: نَجَّيْنَاهُمْ بلبيل^(٤).

قال أبو بكر: وهذا قول جميع النحويين، ولا نعلم فيه اختلافًا، إلا أنه قال بعده شيئًا، قال:
فإذا نفت العرب من سَحْر (الباء) لم يُجْرَوْه، فقالت: فعلت هذا سحر يا هذا^{(٥)(٦)}.

(١) إعراب القرآن للنحاس، ١٩٩/٤.

(٢) في الأصل: (سجزي)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق. والكلمة بمعنى: انصرف، من كتاب: معاني
القرآن وإعرابه للزجاج، ٩٠/٥.

(٣) (يراد به سَحْرًا من الأسحار)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٩٠/٥.

(٤) معاني القرآن للفراء، ١٠٩/٣.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١٠٩/٢.

(٦) إعراب القرآن للنحاس، ١٩٩/٤.



قال أبو جعفر: وقول البصريين: أن (سحر) إذا كان نكرة؛ انصرف، وإذا كان معرفة؛ لم ينصرف، ودخول الباء وخروجها: واحد، والعلة فيه عند سيبويه: أنه معدول عن الألف واللام؛ / لأنه يقال أتيتك [أعلى] ^(١) السَّحَر، فلما حذفت الألف واللام -وفيه [نيتها] ^(٢) - اعتل، [ب/١٥٣]

فلم ينصرف، تقول: سير بزيد سحر يا هذا، غير مصروف، ولا يجوز رفعه ^(٣).

وقوله: ﴿نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا﴾ قال أبو إسحاق: نُصِبَتْ ﴿نِعْمَةٌ﴾؛ لأنها مفعول لها ^(٤)، قال: ويجوز الرفع، بمعنى: تلك نعمة من عندنا ^(٥).

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ الكاف من ﴿كَذَلِكَ﴾ في موضع نصب، أي: نجزي من شكر جزاء، كذلك الجزاء.

ومعنى الآية - والله أعلم -:

«كذبت قوم لوطٍ بآيات الله التي أنذرهم، ودكَّرتهم بها.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ أي: حجارة.

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ أي: غير آل لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ -الذين صدَّقوه واتبَعوه على دينه- فإننا نجزيهم من العذاب الذي عدَّنا به قومه.

﴿نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا﴾ أي: نعمة أنعمناها على لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ وآله، وكرامة أكرمناهم بها من عندنا.

(١) في الأصل: (على)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٢) في الأصل: (نتيها)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ١٩٩/٤.

(٤) المعنى: نجزيهم للإِنعام عليهم، معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٩٠/٥.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٩٠/٥، وتتمة كلامه: (ولكني لا أعلم أحداً قرأ بها، فلا تقرأنَّ بها إلا أن تثبت روايةً صحيحة).

وقد أضاف محقق الكتاب: عبد الجليل شلبي ما يلي: (قال مشايخنا من أهل العلم: القراءة سنَّةٌ متَّبَعَةٌ، ولا يروون أن يقرأ أحدٌ بما يجوز في العربية إذا لم تُثبَّتْ روايةً صحيحة).

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ أي: كما أثبتنا لوطاً عَلَيْهِ السَّلَامُ وآله، وأنعمنا عليهم، فأنجيناهم من عذابنا، بطاعتهم إيانا، كذلك نثيب من شكرنا على نعمائنا، فأطاعنا، وانتهى إلى أمرنا ونهينا، من جميع خلقنا»^(١).

قال أبو بكر: «**وقطع القارئ على قوله: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ﴾ قطع كاف.**

﴿إِلَّا آءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ﴾ روي عن نافع أنه قال: تم، وهو غلط عند النحويين؛ لأن ﴿يَعْمَةٌ﴾ منصوبة، والعامل فيها معنى ما قبلها، وهي إما مصدر، وإما مفعول من أجله.

﴿مَنْ عِنْدَنَا﴾ قطع كاف، والتمام ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾^(٢).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٨/٢٢.

(٢) القطع والائتناف، ٧٠٠.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ ٣٦ ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ ٣٧ ﴿وَلَقَدْ صَبَحَهمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ ٣٨ ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ ٣٩ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

﴿وَلَقَدْ﴾ لام توكيد، و﴿قَدْ﴾ حرف توقع.

﴿أَنْذَرَهُمْ﴾ فعل ماضٍ، وضمير مفعولين.

﴿بَطْشَتَنَا﴾ مفعول ثانٍ.

﴿فَتَمَارَوْا﴾ فعل ماضٍ، والواو ضمير الفاعلين.

﴿بِالنُّذُرِ﴾ خفض بالباء.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ﴾ فعل -أيضاً-، وضمير فاعلين، والهاء: ضمير مفعول.

﴿عَنْ ضَيْفِهِ﴾ خفض بـ ﴿عَنْ﴾.

﴿فَطَمَسْنَا﴾ فعل ماضٍ، وضمير اسم الله -جلّ وعزّ-.

﴿أَعْيُنَهُمْ﴾ مفعول بها.

﴿فَذُوقُوا﴾ فعل الأمر، والواو: ضمير فاعلين.

﴿عَذَابِي﴾ في موضع نصب مفعول ﴿فَذُوقُوا﴾.

﴿وَنُذُرٍ﴾ معطوف على ﴿عَذَابِي﴾.

﴿وَلَقَدْ صَبَحَهمْ﴾ فعل ماضٍ، والهاء والميم: ضمير مفعول بهم.

﴿بُكْرَةً﴾ ظرف زمان.

﴿عَذَابٌ﴾ رفع بفعله.

﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ من نعت ﴿عَذَابٌ﴾.

وصُرفت ﴿بُكْرَةً﴾ هاهنا؛ لأنها نكرة.

وزعم الفراء أن (غدوة) و﴿بُكْرَةٌ﴾: يجريان، ولا يجريان، وزعم أن الأكثر في (غدوة) ترك الصرف، وفي ﴿بُكْرَةٌ﴾ الصرف^(١).

وقال أبو جعفر: قول البصريين: أنهما لا ينصرفان في المعرفة، وينصرفان في النكرة. فإن زعم زاعم أن الأولى ما قال الفراء؛ لأن ﴿بُكْرَةٌ﴾ هاهنا مصروفة، قيل له: هذا لا يلزم؛ لأن ﴿بُكْرَةٌ﴾ ها هنا نكرة، وكذا (سحر)، والدليل على ذلك: أنه لم يقل هلكوا في يوم كذا، من شهر كذا، من سنة كذا، فيكون [نكرة]^(٢) معرفة، فلما وجب أن يكون نكرة، لم يكن فيها ذكر حجة^(٣).

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ قد ذكرنا إعرابه^(٤).

ومعنى الآيات - والله أعلم -:

«ولقد أنذر لوط ؑ قومَه بطشتنا التي بطشناها قبل ذلك.

﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ أي: فكذبوا بإنذار ما أنذرهم ؑ من ذلك، شكاً منهم فيه ؑ، وتماروا: تفاعلوا من (المزينة)^(٥).

روى سعيد عن قتادة: ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ "لم يصدّقوه ؑ"^(٦).

«﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيفِهِ﴾ أي: ولقد راودوا لوطاً ؑ قومَه عن ذوي صيفه -الذين نزلوا- حين أراد الله -جلّ وعزّز- هلاكهم، بفعل ما كانوا يفعلونه بمن دخل قريتهم من الذكور.

(١) معاني القرآن للفراء، بلفظ مقارب جداً، ١٠٩/٣.

(٢) زائدة في الأصل.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ٢٠٠/٤.

(٤) ينظر: الصفحات (٢٢٠-٢٢١) من هذه الرسالة.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٩/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٤٩/٢٢.

﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ أي: على أعينهم، يقال: طمس عينه، وعلى عينيه: إذا فعل بهما فعلاً، [يصيران] ^(١) مثل وجهه، لا شق فيهما، ويقال: طمست الريح الأعلام؛ إذا سقت عليها التراب، فغطتها» ^(٢). /

[١٥٤/أ]

فمعى ﴿طَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ سترناها كسائر الوجه ^(٣).

روي عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ قال: "عمى الله عجل عليهم الملائكة عليهم السلام حين دخلوا على لوط عليه السلام" ^(٤).

وروي "أن جبريل عليه السلام استأذن ربه، في عقوبتهم ليلة أتوا لوطاً عليه السلام، وأنهم عاجلوا الباب ليدخلوا عليه، فصفقهم بجناحه، وتركهم عمياً، يترددون" ^(٥).

وروي ابن وهب عن ابن زيد: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ قال: "هؤلاء قوم لوط عليهم السلام، حين أرادوا من صيفه، فطمس الله -جلّ وعزّ- أعينهم، فكان ينهاهم عن عملهم الخبيث الذي كانوا يعملون، وقالوا له: إنا لا نترك عملنا؛ فإياك أن [تنزل] ^(٦) أحداً، أو تضيّفه، تضيّفه، أو تدعه ينزل عليك؛ فإنا لا نتركه.

قال: فلما جاءه المرسلون، خرجت امرأته الشقية من الشق، فأتتهم فدعتهم، فقالت لهم: تعالوا، فإنه قد جاء قوم، لم أرَ قوماً قطُّ أحسنَ وجوهاً، ولا أحسنَ ثياباً، ولا أطيّبَ أرواحاً منهم، قال: فجاءوه، يُهرعون إليه، فقال: ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ صَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [الحجر: ٦٩، ٦٨] ﴿فِي صَيْفِي﴾ [هود: ٧٨] قالوا: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الحجر: ٧٠] أليس قد تقدمنا إليك واعتذرنا فيما بيننا وبينك؟ قال: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَظْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨] فقال له جبريل عليه السلام: ما يهولك من هؤلاء؟ قال: أما ترى ما يريدون؟ قال: إنا رسل ربك، لن يصلوا إليك،

(١) في الأصل: (يصران) بحذف الياء الثانية، والمثبت موافق للمصادر، ومناسب للسياق.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٩/٢٢، إعراب القرآن للنحاس، ٢٠٠/٤.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٠١/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٥٠/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، عن قتادة، وفيه: (وذكر لنا...)، ١٥٠/٢٢.

(٦) في الأصل: (ترك)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

لا تخف ولا تحزن، إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك، قال: فنشر جبريل عليه السلام جناحًا من أجنحته، فاختم به أبصارهم، وطمس أعينهم، فجعلوا يجول بعضهم في بعض، فذلك قول الله -جلّ وعزّ- ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَذُرِّ﴾^(١).

وقال الضحاك: "جاءت الملائكة عليهم السلام في صورة الرجال، وكذلك كانت تحيي، فراهم قوم لوط عليه السلام حين دخلوا القرية، وقيل لهم: نزلوا بلوط عليه السلام، فأقبلوا يريدونهم، فتلقاهم لوط عليه السلام، فناشدهم الله؛ أن لا [يجزوه]^(٢) في ضيفه، فأبوا عليه، وجاؤوا إليه، ليدخلوا عليهم، فقال الرسل للوط عليه السلام: خلّ بيننا وبين الدخول؛ إنا رسل ربك، لن يصلوا إليك، فدخلوا البيت، فطمس الله -جلّ وعزّ- على أبصارهم، فلم يروهم، وقالوا: قد رأيناهم حين دخلوا البيت، فأين ذهبوا؟ فلم يروهم ورجعوا"^(٣).

وقوله: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَذُرِّ﴾ أي: فذوقوا معشر قوم لوط عليه السلام من سدوم^(٤) عذابي، الذي حلّ بكم، وإنذارى الذي أنذرت به غيركم من الأمم، من النكال والمثلاث^(٥).

وقال أبو جعفر: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَذُرِّ﴾ قالت لهم الملائكة عليهم السلام: فذوقوا عذاب الله وعقابه، ما [أنذركم]^(٦) به^(٧).

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ﴾ أي: صبّح قوم لوط عليه السلام بكرة. روي أن ذلك كان عند طلوع الفجر^(٨).

روي ذلك مهران عن سفيان، قال: "عند طلوع الفجر"^(٩).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، بألفاظ متقاربة جدًا، ١٥٠/٢٢-١٥١.

(٢) في الأصل: (يجزوه)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، بألفاظ متقاربة جدًا، ١٥١/٢٢-١٥٢.

(٤) وماء سدّم وسديمّ وسدّم وسدومّ وسدومّ: مندفق. ينظر: لسان العرب، مادة: (سدم).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٢/٢٢.

(٦) في الأصل: (انذرتكم)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٧) إعراب القرآن للنحاس، ٢٠٠/٤.

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٢/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٥٢/٢٢.

﴿عَذَابٌ﴾ وذلك قلب الأرض بهم، وتصيير أعلاها أسفلها بهم، ثم [إتباعهم] ^(١) بحجارة من سجليل منضود، وهي حجارة رُمُوا بها ^(٢).

﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: استقر ذلك العذاب فيهم إلى يوم القيامة، حتى يوافوا عذاب الله الأكبر في جهنم ^(٣).

وروى سعيد عن قتادة: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: "استقر بهم إلى نار جهنم" ^(٤).

وقال ابن زيد: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ قال: "ثم صَبَّحَهُم بعد هذا، يعني: بعد أن طمس الله أعينهم، [عذاب] ^(٥) فهم في ذلك العذاب إلى يوم القيامة. قال: وَكُلُّ قَوْمِهِ كانوا كذلك، ألا تسمع قوله: ﴿الَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]" ^(٦).

«فذوقوا معشر قوم لوط عَذَابِي - الذي أحللت بكم - بكفركم بالله، وتكذيبكم رسوله، وإنذاري لكم الأمم - سواكم - بما أنزلته بكم من العقاب.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: لمن أراد التذكر.

﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي: من متعظ معتبر، فينجزر به عما نهاه الله إلى ما أمره به، وأذن له فيه» ^(٧).

قال أبو بكر: **وقطع القارئ على ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ قطع كاف.** والتمام ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي﴾، وكذا ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ^(٨).

(١) في الأصل: (اتبعتهم)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٢/٢٢.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٣/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٥٣/٢٢.

(٥) زائد في الأصل.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٥٣/٢٢.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٣/٢٢.

(٨) القطع والائتناف، ٧٠٠.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴿٥١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴿٥٢﴾ أَكْفَارَكُمْ حَيْرًا مِّنْ أَوْلِيكُمُ أَمْرٌ لَّكُمْ بَرَآءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾

[١٥٤/ب]

/﴿وَلَقَدْ﴾ لام توكيد.

و(قد) إذا كان معها فعل ماضٍ؛ دلت على التوقع، وإذا كان معها فعل مستقبل؛ دلت على التقليل. نقول: قد يكرمنا فلان أي ذلك يَقِلُّ منه^(١).

﴿جَاءَ﴾ فعل ماضٍ.

﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾ نصب مفعول ﴿جَاءَ﴾، و﴿فِرْعَوْنَ﴾ في موضع جر، إلا أنه لا ينصرف لعجمته وتعريفه.

﴿النَّذْرُ﴾ رفع بفعلهم.

﴿كَذَّبُوا﴾ فعل، وضمير فاعلين، وهو الواو.

﴿بِآيَاتِنَا﴾ خفض بالباء.

﴿كُلِّهَا﴾ توكيد للآيات.

﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ فعل، وضمير فاعل: وهو النون والألف، وضمير مفعولين: وهو الهاء والميم.

﴿أَخَذَ عَزِيزٌ﴾ مصدر، و﴿عَزِيزٌ﴾ خفض بإضافة ﴿أَخَذَ﴾ إليه.

﴿مُّقْتَدِرٌ﴾ نعت لـ ﴿عَزِيزٌ﴾.

﴿أَكْفَارَكُمْ حَيْرًا مِّنْ أَوْلِيكُمُ﴾ ابتداء وخبر.

﴿أَمْرٌ لَّكُمْ بَرَآءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿بَرَآءَةٌ﴾ رفع بالابتداء، وخبر الابتداء في حرف الجر مع ما عمل فيه،

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢٠٠.

وهذه جملة معطوفة على ما قبلها.

ومعنى الآية -والله أعلم-:

«ولقد جاء ثباع فرعون وقومه إنذارنا بالعقوبة؛ لكفرهم بالله -جلّ وعزّ-، وبرسوله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.»

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: كذب آل فرعون [بأدلتنا]^(١) التي جاءتهم من عندنا، وحنّتنا التي أتتهم بأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له^(٢).

وفي معنى ﴿بِآيَاتِنَا كُفُّهَا﴾ قولان: أحدهما: كذبوا بآياتنا التي أريناهم كلها، والآخر: أنه على التكثير، كما حكى سيبويه: ما بقي منهم مخبر فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر^(٣).
قال قتادة: "عزيز في انتقامه"^(٤).

وقال غيره: "﴿عَزِيزٌ﴾ لا يُغلب، مقتدر على ما يشاء، غير عاجز ولا ضعيف"^(٥).

﴿الْكَافِرُ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيكِهِ﴾ أي: أكفار قريش الذين [أخبر]^(٦) الله -جلّ وعزّ- عنهم: أنهم ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي: أكفاركم معشر قريش خير من أولئك الذين أحللت بهم نعمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون؟! وهم بذلك يأملون أن [ينجوا]^(٧) من عذابي ونعمتي على كفرهم بي وتكذيبهم رُسلي، أي: إنما أنتم في كفركم بالله، وتكذيبكم

(١) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٤/٢٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ٢٠٠/٤.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، بزيادة يسيرة (... إذا انتقم)، ١٥٤/٢٢.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٤/٢٢، وذكره النحاس في إعراب القرآن، ٢٠٠/٤، مختصراً.

(٦) في الأصل: (أخبر)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٧) في الأصل: (نجوا)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

رسوله ﷺ كبعض هذه الأمم التي وَصَفْتُ لَكُمْ أَمْرَهُمْ، وعقوبة الله -جلَّ وعزَّ- بكم نازلة على كفركم به، كنزوها [بهم]^(١)، إن لم تؤمنوا وتُنبوا^(٢).

قال قتادة: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ﴾: "فيمن مضى"^(٣).

قال عكرمة: يقول -جلَّ وعزَّ-: أكفاركم يا معشر قريش خير من أولئكم: "الذين مضوا"^(٤).

وقال ابن زيد: "أكفاركم خير من الكفار الذين عذبناهم على معاصي الله -جلَّ وعزَّ-؟! هؤلاء الكفار خير من أولئك؟! وقال: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ﴾ استفهاماً"^(٥).

قال أبو بكر: هذا لفظ الاستفهام، ومعناه التوقيف، كما حكى سيبويه: الشقاء أحب إليك أم السعادة؟^(٦)

وعن ابن عباس: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ يقول: "ليس كفاركم خيراً من قوم نوح وقوم لوط ﷺ"^(٧).

﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: أم لكم براءة من عذاب الله -معشر قريش- أن يصيبكم بكفركم، جاءكم به الوحي من الله -جلَّ وعزَّ- في الزُّبُرِ، وهي الكتب^(٨).

قال الضحاك: ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ "في الكتب"^(٩).

(١) في الأصل: (بكم)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٤/٢٢-١٥٥.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٥٥/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٥٥/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٥٥/٢٢.

(٦) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٠١/٤.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٥٦/٢٢.

(٨) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٦/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٥٦/٢٢.

وقال ابن زيد: ﴿أَمَرَ لَكُمْ بِرَأْيِهِ فِي الزُّبُرِ﴾ "في كتاب الله - جل ثناؤه - براءة مما تخافون" (١).

قال أبو بكر: **وقطع القارئ** على قوله ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ﴾ قطع كاف، والتمام عند أبي حاتم ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾، والتمام بعده عنده ﴿وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ (٢).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٥٦/٢٢.

(٢) القطع والائتناف، ٧٠٠.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿١١﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿١٢﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَىٰ وَآمُرٌ ﴿١٣﴾﴾

﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ ابتداء وخبر.

﴿مُنْتَصِرٌ﴾ نعت على اللفظ، ولو كان على المعنى قيل: منتصر.

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ اسم ما لم يسم فاعله.

﴿وَيُوَلُّونَ﴾ فعل، وضمير فاعلين.

﴿الدُّبُرَ﴾ مفعول ﴿وَيُوَلُّونَ﴾.

﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ ابتداء وخبر.

﴿وَالسَّاعَةُ أَذَىٰ وَآمُرٌ﴾ جملة معطوفة على الأولى، ﴿وَأَمُرٌ﴾ معطوف على ﴿أَذَىٰ﴾.

والمعنى -والله أعلم-:

«يقول هؤلاء الكفار من قريش: نحن جميع منتصر، مَن قصدنا بسوءٍ ومكروه، وأراد حربنا، وتفريق جمعنا.

قال / الله -جلّ وعزّ-: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ يعني جمع كفار قريش^(١).

﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ أي: ويولُّون^(٢) المؤمنين بالله عند انهزامهم عنهم^(٣).

قال أبو بكر: ثم أعلم الله -جلّ ثناؤه- أنه مهلكهم من الجهة التي يعدُّون الغلبة منها؛ فقال: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، وكانت هذه الهزيمة يوم بدر^(٤).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٦/٢٢.

(٢) في المصدر: (ويولُّون أدبارهم المؤمنين...).

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٦/٢٢-١٥٧.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٣٤٣/٧، بمعناه.

وقيل ﴿الدُّبْرُ﴾ فَوَحَّدَ، والمراد: الجمع، كما يقول: ضربنا منهم الرؤوس، والرأس، إذا كان الواحد يؤدي عن معنى جميعه، ثم إن الله -جلَّ وعزَّ- صدَّق المؤمنين به، فهزم الجميع -المشركين به من قريش- يوم بدر، ووَلَّوْهُم الدبر^(١).

روى معمر^(٢) عن أيوب^(٣) قال: لا أعلمه إلا عن عكرمة: أن عمر رضي الله عنه قال: "لما نزلت ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ جعلت أقول: أي جمع يُهزم؟، فلما كان يوم بدر: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثبت في الدرع، وهو يقول: ((﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبْرَ﴾))"^(٤).

وقال عكرمة: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ "يعني: جمع بدر، ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبْرَ﴾"^(٥).

وقال قتادة: "ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: "هَزُمُوا، وَوَلُّوا الدبر"^(٦).

وممن روي عنه يوم بدر: ابن عباس وابن زيد رضي الله عنهما^(٧).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالوا: ﴿تَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ فنزلت هذه الآية"^(٨).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٧/٢٢.

(٢) معمر بن راشد الإمام الحجة الأزدي مولاهم البصري، أبو عروة، أحد الأعلام وعالم اليمن، قال النسائي: ثقة (مأمون)، وذكره ابن حبان في (الثقات)، مات سنة ثلاث وخمسين ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ٣٠٣/٢٨، تذكرة الحفاظ، ١٤٢/١، تهذيب التهذيب، ٢١٨/١٠.

(٣) أيوب بن أبي تميمة كيسان السخيتي البصري أبو بكر، كان من سادات أهل البصرة وعباد أتباع التابعين وفقهائهم، وممن اشتهر بالفضل والعلم والنسك والصلابة في السنة والقمع لأهل البدع، مات يوم الجمعة في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين ومائة للهجرة، وله ثلاث وستون سنة. انظر: مشاهير علماء الأمصار، ٢٣٧، سير السلف الصالحين للأصبهاني، ٦٩٨، تاريخ الإسلام، ٦١٨/٣.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ١٤٥/٤، باختلاف يسير.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٥٧/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٥٨-١٥٧/٢٢.

(٧) أخرج الطبري أثرهما في تفسيره، (حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبْرَ﴾ [القمر: ٤٥] قال: "هذا يوم بدر". ١٥٨/٢٢. وأما الأثر عن ابن عباس رضي الله عنه فقد أورده الإمام فيما يلي.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٥٨/٢٢، وفي أوله ﴿﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبْرَ﴾﴾ [القمر: ٤٥] قال: "كان ذلك يوم يوم بدر..."

﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ فمن قال: (بل) لا يكون إلا بعد نفي؛ قال المعنى: ليس الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون: من أنهم لا يُبعثون بعد مماتهم، بل الساعة موعدهم للبعث والعقاب، والساعة أدهى وأمرٌ عليهم من الهزيمة التي هُزموا عند التقائهم مع المؤمنين بيدر^(١).

وقيل: المعنى: بل الساعة موعدهم، والساعة أشدُّ مما لحقهم من القتل والهزيمة، و﴿أَذْهَى﴾ من الداهية، ومعنى الداهية: الأمر العظيم الذي لا ينفع فيه دواء، و﴿وَأَمْرٌ﴾ من المراجعة^(٢).

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٠١/٤.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٠٤/٢٠.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ دُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿١٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿١٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾

﴿الْمَجْرِمِينَ﴾ في موضع نصب بـ ﴿إِنَّ﴾.

﴿فِي ضَلَالٍ﴾ خفض بـ ﴿فِي﴾، في موضع خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿وَسُعْرٍ﴾ معطوف على ﴿ضَلَالٍ﴾.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ ظرف مضاف إلى الفعل؛ إذا كان في معنى المصدر.

﴿فِي النَّارِ﴾ خفض بـ ﴿فِي﴾.

﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ خفض بـ ﴿عَلَى﴾.

﴿دُوقُوا﴾ فعل الأمر، وضمير فاعلين.

﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ مفعول ﴿دُوقُوا﴾. ﴿سَقَرَ﴾ غير مصروف^(١).

«﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ زعم سيبويه أن نصب ﴿كُلِّ﴾ لغة؛ على لغة من قال: زيداً ضربته. وفي نصبه قولان آخران:

أما الكوفيون، فقالوا: أن ﴿إِنَّا﴾ تطلب الفعل، والفعل أولى بها من الاسم، والمعنى: إنا خلقنا كل شيء خلقناه.

قالوا: وليس هذا مثل قولنا: زيداً ضربته؛ لأن (ليس) هاهنا حرف، هو بالفعل أولى.

والقول الثاني: أنه إنما جاء هذا بالنصب، وخالف (زيداً ضربته) ليدل ذلك على خلق الأشياء، ويكون فيه رد على من أنكر خلق الأفعال»^(٢).

(١) لأنها اسم لمؤنث معرفة. جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٩/٢٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس، ٢٠١/٤-٢٠٢.

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ﴾ ابتداء وخبر.

﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصْرِ﴾ الكاف في موضع رفع نعت لـ ﴿وَاحِدَةٌ﴾.

قال علي بن سليمان: "المعنى: إلا أمر واحدة"^(١).

وزعم الفراء أنه روي: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ بالنصب، كما يقال: ما فلان إلا ثيابه ودابته^(٢)، وكما حكى الكسائي: "ما فلان إلا عُمته"^{(٣)(٤)}.

ومعنى الآية -والله أعلم-:

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ عن الحق، [[وأخذ^(٥)] على غير هدى]^(٦)، ﴿وَسُعْرٍ﴾ أي: في احتراق من شدة العناء والنصب في الباطل^(٧).

قال قتادة: ﴿فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ قال: "في عناء"^(٨).

(١) لم أقف عليه، ومعناه مذكور في تفاسير كثيرة ومنها: النكت والعيون، ٤٢٠/٥، المحرر الوجيز، ٢٢١/٥.

(٢) أي: يتعهد ثيابه ودابته. كما في المصدر.

(٣) أي: يتعهد عُمته. كما في المصدر.

(٤) إعراب القرآن للنحاس، ٢٠٢/٤. ولم أجد القول في كتاب الفراء (معاني القرآن).

(٥) في الأصل: (واحد)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٦) هذه العبارة ساقطة من المتن، ومكتوبة في هامش الصفحة الأيسر، وقد وضع الناسخ علامة لموضع اللحق، (خط

صغير منحني) عند كلمة (ضلال)، إلا أن المثبت أنسب للسياق.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٩/٢٢. وقد أخرج الواحدي في أسباب النزول، ٤٠٠، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

جاءت قريش يختصمون في القدر، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ ٧٧ يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ

ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٧٧﴾ رواه مسلم.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٥٩/٢٢.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ أي: يوم يُسْحَب هؤلاء الجرمون في النار على وجوههم^(١).

روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الْقَدَرِيَّةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: الْحَيْرُ وَالشَّرُّ بِأَيْدِينَا، لَيْسَ لَهُمْ فِي شَفَاعَتِي نَصِيبٌ، وَلَا أَنَا مِنْهُمْ، وَلَا هُمْ مِنِّي))^(٢).

قال أبو جعفر محمد بن جرير: "وقد تأول بعضهم قوله ﴿فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ إلى النار"^(٣) (٤).

وقوله: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ يقول -جل ثناؤه-: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ يقال لهم:

[١٥٥/ب]

﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ وترك ذكر (يقال لهم) استغناءً / بدلالة الكلام عليه من ذكره^(٥).

وفي قراءة ابن مسعود: ﴿إِلَى النَّارِ﴾^(٦) وهذه قراءة على التفسير، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((يَحْضُرُ الْمَقْتُولُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقُولُ لَهُ: فِيمَ قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: فِيكَ، فَيَقُولُ: كَذَبْتَ، أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فَلَانَ شَجَاعٌ وَقَدْ قِيلَ، فَيُؤَمَّرَ بِهِ، فَيُسْحَبَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى النَّارِ))^(٧).

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لوددت لو أن عندي رجلاً من أهل القدر، فَوَجَّأَتْ رأسه، قيل: ولم ذاك؟، قال: لأن الله -جلَّ وعزَّ- خلق لوحًا محفوظًا من دُرَّةٍ بيضاء، دفنناه ياقوتة حمراء، قلمه ذهب، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر الله -عزَّ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٩/٢٢.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ١١٨٢/٦، وابن عدي في الكامل في الضعفاء، ٣٨٧/٣، والديلمي في الفردوس، ٤٧٠٦، واللفظ لهما، وابن الجوزي في العلال المتناهية، ٢٤٧، باختلافٍ يسير.

والقدرية: من الفرق الضالة، ينفون قدر الله تعالى، ويقولون: إن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد، ويجعلون العبد خالق فعل نفسه. ينظر: موسوعة الفرق والمذاهب، ٥٢١.

(٣) ساقطة من المتن.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٩/٢٢.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥٩/٢٢-١٦٠.

(٦) قراءة شاذة. ينظر: معجم القراءات، ٢٣٩/٩.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، رقم الحديث (١٥٢-١٩٠٥)، ١٥١٣/٣.

وجلّ- فيه كل يوم ستين وثلاثمائة نظرة، يخلق الله في كل نظرة، ويحيي ويميت، ويقدر ويَدّر، ويفعل ما يشاء^(١).

قال أبو بكر: «فإن قال قائل: كيف يُذاق مس سقر؟ أوله طعمٌ فيُذاق؟!»

ففي الجواب عن ذلك اختلاف:

فأحد الأجوبة: أن هذا على مجاز الكلام، كما يقال: كيف وجدتَ طعمَ الضرب؟ على المجاز، وقيل: ذلك كما يقال: وجدتُ مسَّ الحُمَّى؛ يُرادُ به أوله، ما نالني منها، وكذلك وجدت طعم عفوك.

وأما «سَقَرَ» فإنها اسم باب من أبواب جهنم، وتُرك صرفه؛ لأنه اسم لمؤنث معرفة.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ أي: إنا كل شيء خلقناه بمقدار قدرناه، وقضيناه.

وفي هذا بيان أن الله -جلّ وعزّز- توعد هؤلاء المجرمين على تكذيبهم بالقدر، مع كفرهم به^(٢).

رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: "إني أجد في كتاب الله قوماً يُسحبون في النار على وجوههم، يقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾؛ لأنهم كانوا يكذبون بالقدر، وإني [لا أراهم]^(٣)، فلا أدري أشيء كان قبلنا؟ أم شيء فيما بقي؟"^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: "أن مشركي قريش خاصمت النبي صلى الله عليه وسلم في القدر؛ فأنزل الله -جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾"^(٥).

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير برقم، ٢٦٠/١٠، والأصفهاني في حلية الأولياء، ٣٢٥/١. ذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ص ٢٣٢ باختلاف يسير.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٦٠/٢٢.

(٣) في الأصل: (لأراهم)، والمثبت موافق للمصدر، ومناسب للسياق.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٦٠/٢٢.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: كل شيء بقدر، رقم الحديث: ٢٦٥٦، ٢٠٤٦/٤.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: "لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ قال: قال رجل: يا رسول الله [ففيهم] ^(١) العمل؟ في شيء نستأنفه؟ أم في شيء قد فرغ منه؟، فقال: فقال رسول الله ﷺ: ((اعملوا، فكلُّ ميسرٌ؛ سنيسرُهُ لليسرِ، [و] سنيسرُهُ للعسرِ))" ^(٢).

وقال محمد بن كعب ^(٤) [القرظي] ^(٥): "لما تكلم الناس في [القدر] ^(٦)؛

نظرتُ فإذا [هذه] ^(٧) الآية أنزلت فيهم ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ إلى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾" ^(٨).

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ قال: "خلق الله - جلَّ وعزَّ - الخلق كلهم بقدر، وخلق لهم الخير والشر [بقدر] ^(٩)، فخير الخير: السعادة، وشر الشر: الشقاء، بئس الشر الشقاء" ^(١٠).

(١) في الأصل: (فقيم)، والمثبت موافق للمصدر، ومناسب للسياق.

(٢) في الأصل: (أو)، والمثبت موافق للمصدر.

(٣) هذا النص يشهد له ما ورد في صحيح البخاري في باب الرجل ينكت الشيء بيده في الأرض، رقم الحديث: ٦٢١٧، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُثُ بِهِ الْأَرْضَ، فَقَالَ: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَعَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَعَهُ مِنَ الْجَنَّةِ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: ((اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاةِ فَيُيسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاةِ))، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [البال: ٦- الآية].

(٤) محمد بن كعب بن سليم، أبو حمزة، حدث عن أبي أيوب الانصاري، وأبي هريرة، وابن عباس رضي الله عنه، وغيرهم، روى عنه أخوه عثمان، وأسامة الليثي، ومحمد بن رفاعة القرظي، وخلق كثير، توفي سنة ثمان ومائة، ينظر: الثقات لابن حبان، ٣٥١/٥، سير أعلام النبلاء، ٦٥/٥-٦٨، تهذيب التهذيب، ٤٢٠/٩-٤٢٢.

(٥) في الأصل: (القرظي)، والمثبت موافق للمصدر.

(٦) في الأصل: (القدر)، والمثبت موافق للمصدر، ومناسب للسياق.

(٧) في الأصل: (هي)، والمثبت موافق للمصدر.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٦٢/٢٢، وأخرجه الفريابي في القدر، مختصرًا، ١٩٥/١، وعبد الله بن أحمد في السنة، مختصرًا كذلك، ٤١٩/٢.

(٩) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٦٣/٢٢.

«وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ» أي: ما أمرنا للشيء إذا أمرناه، وأردناه أن نُكَوِّنَهُ إلا قولة واحدة: كن. فيكون، لا مراجعة فيها ولا مرادّة.

«كَلِمَجٍ بِالْبَصْرِ» فيوجد ما أمرناه، وقلنا له: كن. في سرعة اللحم بالبصر، لا يبطئ ولا يتأخر^(١).

وقطع القارئ على قوله «كَلِمَجٍ بِالْبَصْرِ» تمام عند أبي حاتم^(٢).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٦٤/٢٢.

(٢) ينظر: القطع والائتناف، ٧٠٠.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾
 ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا﴾ فعل، والنون والألف: ضمير اسم الله -جلّ وعزّ-.

﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾ مفعول ﴿أَهَلَكْنَا﴾.

﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ فهل من متعظ؟

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ ابتداء وخبر. وكذا ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾.
 ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ عطف جملة على جملة.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ اسم إن.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ في موضع الخبر.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ يجوز أن يكون بدلاً من خبر إن.

ومعنى الآية -والله أعلم-:

«أخا خطاب لمشركي قريش الذين كذبوا رسول الله محمداً ﷺ: ولقد أهلكنا أشياعكم^(١) من الأمم والقرون / الخالية، على مثل الذي أنتم عليه من الكفر بالله، وتكذيب رسله.

[١٥٦/أ]

﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي: فهل منكم متعظ يتعظ بذلك، فينزجر»^(٢).

قال ابن زيد: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ قال: "من أهل الكفر، والأمم

(١) الأشياع: الأمثال. وفي التنزيل: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِمَّنْ قَبْلُ﴾ [س:١٥٤؛ أي بأمثالهم من الأمم الماضية ومن كان مذهبه مذهبهم، ينظر: لسان العرب، مادة (شيع).

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٦٤/٢٢.

الماضية، فهل من مدكرٍ يدكر؟" (١).

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: وكل شيء فعله أشياعكم الذين مضوا قبلكم - معشر كفار قريش - ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ أي: في الكتب التي كتبها الحفظة عليهم، وقد يُحتمل أن يكون مرادًا به: في أم الكتاب (٢).

قال الضحاك: ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ "في الكتب" (٣).

وقال ابن زيد: ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ "في الكتاب" (٤).

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ﴾ أي: مثبتٌ في الكتاب، مكتوب (٥).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ﴾ أي: مستطر يقول: "مكتوب، فإذا أراد أن ينزل كتابا لنسخته السفرة" (٦).

وقال مجاهد: ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ "مكتوب" (٧).

وقال عكرمة: "مكتوب في كل سطر" (٨).

وقال قتادة: ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ "محفوظ، مكتوب" (٩).

وقال الضحاك: ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ "مكتوب" (١٠).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، بلفظ: (... فهل من أحدٍ يتدكر؟)، ١٦٤/٢٢.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٦٤/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٦٥/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٦٥/٢٢.

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٦٥/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، بلفظ: (...، فإذا أراد الله أن ينزل كتابًا نسخته السفرة)، ١٦٥/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٦٥/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٦٦/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٦٦/٢٢.

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٦٦/٢٢.

وقوله: ﴿إِنَّ الْمُنْتَفِيَتِ فِي جَنَّتِ وَنَهَرٍ﴾ أي: إن الذين اتقوا عقاب الله -جلَّ وعزَّ- بطاعته وأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، في بساتين يوم القيامة، ونهر^(١).

قال أبو إسحاق: ﴿وَنَهَرٍ﴾ "في معنى أنهار". قال: "وأنشد الخليل وسيبويه:
في حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا"^(٢)

قال أبو جعفر: في ﴿وَنَهَرٍ﴾ قولان:

أحدهما: أن نَهْرًا بمعنى أنهار، كما حكى الكسائي عن بعض العرب: أتينا فلائنا فكنا في لحمه وثريده؛ يريد الجمع.

والقول الآخر: أن المتقين في ضياء وسعة، يقال: أَنَهَرْتُ الشيء، إذا وَسَعْتُهُ، كما قال قيس بن الخطيم^(٣):

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَّهَا
يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا^(٤)

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٦٦/٢٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٩٣/٥. والمعنى: في حلوقكم عظام. والشطر بلا نسبة في كتاب سيبويه، ٢٠٩/١، وفي خزائن الأدب، ٥٥٩/٧، وشرح المفصل، ٣٢/٦، ولسان العرب، مادة: (نهر) و(سمع) و(أمم) و(مأى)، والمقتضب، ١٧٢/٢، ولطفيل في جمهرة اللغة، ١٠٤١، والمختص، ٨٧/٢. وقد ذكر المحقق عبد السلام هارون في تحقيقه لكتاب سيبويه: أنه للمسيب بن زيد مناة الغنوي.

وهو مع شطر قبله في الكتاب لسيبويه: لا تُنْكِرُوا الْقَتْلَ وَقَدْ سُبِينَا ... فِي حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا والمعنى: لا تنكروا قتلنا لكم وقد سببتم منا خلقًا، فقد شجيتم بقتلنا لكم، كما شجينا نحن من قبل بمن سببتم منا، فهذا بذلك. يقال: شجى بالعظم؛ إذا اعترض في حلقه وأغصه. وشاهده استعمال (حلوقكم) مفردًا مرادًا به الحلوق. ينظر: الكتاب لسيبويه، ٢٠٩/١.

(٣) قيس بن الخطيم واسمه ثابت بن عيدي بن عمرو بن سواد بن ظفر وهو كعب بن الخزرج، وقيس يكنى أبا يزيد، وقد قدم قيس على النبي ﷺ بمكة فعرض عليه الإسلام فقال: إني لأعلم أن الذي تأمرني به خير مما تأمرني به نفسي وفيها بقية من ذلك، فأذهب فاستمتع من النساء والخمر، وتقدم بلدنا فأتبعك. فقتل قبل أن يتبعه ﷺ. ينظر: طبقات فحول الشعراء، ٢٢٨/١، معجم الشعراء، ٣٢١.

(٤) ديوان قيس بن الخطيم، ٢٢.

(فَأَنْهَرْتُ) أي: وَسَعْتُ، يصف طعنته^(١).

وقرأ الأعمش: ﴿وَنَهَّرِ﴾ على أنه جمع نهار، كما يقال: [قَدَالٌ وَقُدَالٌ]^(٢).

قال الوليد بن مسلم^(٣) عن زهير بن محمد^(٤): "ليس في الجنة ليل، إنما هو نور كله، إنما يعرفون الليل بإغلاق الأبواب وإرخاء الستور، والنهار بفتح الأبواب ورفع الستور"^(٥).

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: في مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأثيم.

﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أي: عند ذي مُلْكٍ يقدر على كل ما يشاء^(٦).

وقطع القارئ على قوله ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ قطع تام. وكذا ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾. وكذا ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ﴾، ثم آخر السورة^(٧).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٦٦/٢٢، الجامع لأحكام القرآن، ١٠٨/٢٠-١٠٩.

(٢) في الأصل: (قدار وقدل)، والمثبت موافق لما في المصدر. ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٠٨/١١. والقذال: جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس. ينظر: لسان العرب، مادة: (قذل).

(٣) هو الوليد بن مسلم القرشي، أبو العباس الدمشقي، مولى بني أمية، عالم أهل الشام، قرأ القرآن على يحيى بن الحارث الذماري، وسعيد بن عبد العزيز، وحدث عنهما، وعن زهير بن محمد التميمي، حدث عنه: الليث بن سعد، وبقية بن الوليد - وهما من شيوخه - وعبد الله بن وهب، كان من أوعية العلم، ثقةً حافظاً، مات سنة خمس وتسعين ومائة، ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٢١١ / ٩، غاية النهاية لابن الجزري، ١٣٥٧/٣، تهذيب التهذيب لابن حجر، ١٥١/١١.

(٤) زهير بن محمد التميمي، أبو المنذر المروزي الحرقي الخراساني، حدث عن: موسى بن وردان المصري صاحب أبي هريرة رضي الله عنه، وابن أبي مليكة، وزيد بن أسلم، وعدة، وحدث عنه: الوليد بن مسلم، وعبد الرحمن بن مهدي، وروح ابن عباد، قال الذهبي: (ما هو بالقوي ولا بالمتقن)، مع أن أرباب الكتب الستة خرجوا له، وثقة بض العلماء، توفي سنة اثنتين وستين ومائة، ينظر: الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي، ٢٩٨/١، تاريخ دمشق لابن عساكر، ١١٦/١٩، سير أعلام النبلاء للذهبي، ١٨٧/٨.

(٥) ذكره مكِّي بن أبي طالب في تفسيره، ٧٢٠٩/١١.

(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٦٦/٢٢.

(٧) القطع والائتناف، ٧٠١.

قال أبو بكر: «في هذه السورة من ياءات الإضافة، سبع ياءات: قوله: ﴿أني مغلوب﴾، ﴿مُجمَع على إسكانها﴾، وكذا ﴿عذابي ونذري﴾، وكذا ﴿عذابي ونذر﴾، وكذا ﴿عذابي ونذري﴾، وكذا ﴿عذابي ونذري﴾^(١).

وُحذِف من هذه السورة، من ياءات الإضافة، ست ياءات: وهي أسماءٌ في موضع جر، اكتفاءً بالكسرة منها، وهن:

﴿وَنُذِر﴾ في قصة نوح ﷺ حرف، وفي قصة هود ﷺ حرف، وفي قصة صالح ﷺ حرف، وفي قصة لوط ﷺ حرفان:

فقرأهن بإثبات الياء في الوصل والوقف: سلام ويعقوب.

ووصلهن بالياء ووقف بغير الياء: الحسن في رواية إسماعيل عنه، وابن أبي اسحاق وعيسى الثقفي.

وأبو عمرو اختار الوقف ولم يختار الكسر بغير ياء.

ووصل نافع في رواية ورش الياء، ووقف بغير ياء.

وقياس رواية إسماعيل^(٢) وابن جهماز^(٣): الوصل بالياء.

وأما قالون والمسيبي فقالا: بغير ياء.

وقال أحمد بن صالح: قال قالون: ليس في القرآن كله بياء في وصل ولا وقف.

(١) الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليه، ٤٦١

(٢) إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري الزرقعي مولاهم، أبو إسحاق المدني، قارئ أهل المدينة، قال محمد بن سعد: ثقة، وهو من أهل المدينة، قدم ببغداد، فلم يزل بها حتى مات سنة ثمانين ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ٥٦/٣، غاية النهاية، ١٤٠.

(٣) سليمان بن مسلم بن جهماز وقيل: سليمان بن سالم بن جهماز، أبو الربيع الزهري مولاهم المدني، مقرئ جليل ضابط، عرض على أبي جعفر وشيبة ثم عرض على نافع وأقرأ بحرف أبي جعفر ونافع، عرض عليه إسماعيل بن جعفر وفتيبة بن مهران، مات بعد السبعين ومائة فيما أحسب. ينظر: غاية النهاية، ٣١٥.

وقرأ أهل الكوفة وابن كثير وأهل مكة وابن عامر وأهل الشام وأيوب بغير ياء في وصل ولا وقف»^(١).

«وحذف في هذه السورة من الياءات الأصلية ثلاث ياءات، اكتفاءً بالكسرة: قوله: ﴿فَمَا تُغْنِ الْتُّدْرُ﴾ حذفت ياءؤها، وهي لام من الفعل، في الوصل؛ إذا لقيها ساكن، وهي اللام من ﴿التُّدْرُ﴾ فكتبت على لفظ الوصل، وكتبت التي في سورة يونس على الوقف.

وقوله: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَاللُّدْرُ﴾. ولا سبيل إلى أن يُوصَلَ بياءٍ موجودة في اللفظ، / وإنما [١٥٦/ب] اختلِفَ الخطُ بهما، فكان سلام ويعقوب يقفان بياء، وغيرهما يقف بغير ياء.

﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾ حذف ياءؤها، وهي لام من الفعل، ولو أعربت كانت مضمومة، فقرأها بالياء في الوصل والوقف: سلام.

ويعقوب وصل بالياء ووقف بغير ياء أبو عمر الزهري.

فأما ابن كثير فذكر أبو بكر بن مجاهد: أنه قرأ على قبل: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾ بغير ياء، قال: أخبرني مضمهر عن البيهقي: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾ بالياء.

وكان إسماعيل بن جعفر وابن جمار يرويان عن نافع، في مثل هذا.

وأما ورش فروى عن نافع ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾ بياء في الوصل.

وقال قالون والمسيبي: ﴿الدَّاعُ﴾ بغير ياء في وصل ولا وقف.

وقال أحمد بن صالح: سمعت أبا بكر بن أبي أويس وقالون يقولون: ليست في ﴿الدَّاعُ﴾ ياء، في وصل ولا وقف.

قال أحمد: وكذا قرأت على ابن أبي أويس.

ووصلها أهل الكوفة والشام بغير ياء، ووقفوا كذلك.

(١) ينظر: معاني القراءات، ٤١/٣، المبسوط في القراءات العشر، ٤٢١، معجم القراءات، ٢٢٦/٩.

وقوله: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ حذفت أيضا ياؤها، وهي لام من الفعل، لو أعربت كانت مخفوضة، فوصلها يعقوب وسلام وابن كثير بالياء، وكذلك وقفوا.

ووصل نافع في رواية ورش، وقالون والمسيبي وأحمد عن أبي بكر عن نافع بياء، وهو مذهب إسماعيل وابن حمّاز، عن أبي جعفر وشيبة ونافع.

ووصل -أيضاً- أبو عمرو بياء، وكذلك الزهري.

وأما عاصم والكوفيون وابن عامر وأهل الشام فقرأوا بغير ياء في الوصل والوقف»^(١).

قال أبو بكر: وأجمع العادون على أن عددها خمس وخمسون آية^(٢).



(١) معجم القراءات، ٢١٥/٩-٢١٧.

(٢) ينظر: البيان في عد آي القرآن، ٢٣٦.

سورة الرحمن

وهي مكية^(١)

من ذلك قوله -جلَّ وعزَّ-:

﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾

﴿الرَّحْمَنُ﴾ رفع بالابتداء.

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ فعل ماضٍ، و﴿الْقُرْآنَ﴾ نصب بـ ﴿عَلَّمَ﴾، و﴿عَلَّمَ﴾ وما عمل فيه في موضع خبر

الابتداء.

﴿خَلَقَ﴾ فعل ماضٍ.

﴿الْإِنْسَانَ﴾، وكذا ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ مفعول بهما، وما عمل فيها في موضع الإخبار على ما

تقدم.

والمعنى -والله أعلم-:

الرحمنُ - أيُّها الناس - برحمته إياكم علِّمكم القرآن، وأنعم بذلك عليكم، إذ بصَّركم به الحلال والحرام؛ لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه، وتجنُّبكم ما يسخطه عليكم، فتستوجبوا بذلك جزيلَ ثوابه وتنجوا من أليم عقابه^(٢).

قال قتادة: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ "نعمةٌ والله عظيمه"^(٣).روى أبو الأشهب^(٤) عن الحسن قال: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ "اسم ممنوع، لا ينتحلُه أحد"^(٥).

(١) البيان في عد أي القرآن، ٢٣٧.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٦٨/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٦٨/٢٢.

(٤) جعفر بن حيان السعدي، أبو الأشهب العطاردي البصري الخراز الأعمى. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه: صدوق. قال أبو حاتم عن أحمد بن حنبل: من الثقات، مات في آخر يوم من شعبان سنة خمس وستين ومائة.

تهديب الكمال، ٢٢/٥، غاية النهاية، ١٩٢/١.

(٥) ينظر: النكت والعيون، ٤٢٢/٥.

وقال أبو إسحاق: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ اسمٌ من أسماء الله، لا يُقال لغيره، وهو في الكتب المتقدمة، ومعناه: الكثير الرحمة^(١).

ثم قال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ وهو خبر بعد خبر^(٢).

والمعنى: «ومن رحمته خلق الإنسان، علّمه البيان.

وفيه ثلاثة أقوال:

روى سعيد عن قتادة قال: "الإنسان هنا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ"^(٣)، وقيل: وهو محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل: الإنسان بمعنى الناس، كما قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣٠، ٣١]^(٤).

ثم قال: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ أي: علّمه الله - جلّ وعزّ - الإنسان البيان^(٥).

ثم اختلف أهل العلم في المعنى بالبيان، في هذا الموضع:

فقال بعضهم: عني به بيان الحلال والحرام^(٦).

روى ذلك سعيد عن قتادة: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾: علّم الله - جلّ وعزّ - بيان الدنيا والآخرة، بيّن حلاله وحرامه؛ ليحتج بذلك على خلقه^(٧).

وعنه^(٨): "بيّن له الخير والشر، وما يأتي، وما يدع"^(٩).

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٩٥/٥.

(٢) إعراب القرآن للنحاس، ٢٠٤/٤.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٦٨/٢٢.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٦٨/٢٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٩٥/٥، النكت والعيون، ٤٢٣/٥.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٦٩/٢٢.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٦٩/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٦٩/٢٢.

(٨) عن: قتادة، كما في الطبري، ١٦٩/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٦٩/٢٢.

وقال آخرون: عُني به الكلام أي: أن الله - جلَّ وعزَّ - علَّم الإنسان الكلام^(١).

روى ذلك ابن وهب عن ابن زيد: قال: "البيان: الكلام"^(٢).

وهذا على قول من جعل الإنسان بمعنى الناس، أي: جعله مميَّزًا، فصار مثل قوله: علَّم القرآن؛ لأن المعنى سهَّله عليه^(٣).

وكان محمد بن جرير يقول: الصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: أن الله - جلَّ وعزَّ - علَّم الإنسان بيان ما به الحاجة إليه، من أمر دينه ودنياه، من الحلال والحرام، [والمعاش / والمنطق]^(٤)، وغير ذلك، مما به الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه؛ لأنه - جلَّ وعزَّ - لم لم يَخْصُصْ بخبره ذلك أنه علَّمه من البيان بعضًا دون بعض، بل عمَّ، فقال: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ وهو كما عمَّ - جلَّ ثناؤه -^(٥).

قال أبو بكر: «وقطع القارئ على قوله: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ قطع كاف؛ إن ابتدأت الخبر بعده.

وقال يعقوب: ومن الوقف قول الله - جلَّ وعزَّ -: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ فهذا القطع الكافي، وهذا رأس آية فاصلة.

وقال أبو حاتم: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ تام^(٦).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٠/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٠/٢٢.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٩٥/٥.

(٤) في الأصل: (والمعاش والمنظر)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٠/٢٢.

(٦) القطع والائتناف، ٧٠٢.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾
 ﴿الشَّمْسُ﴾ رفع بالابتداء.

﴿وَالْقَمَرُ﴾ معطوف عليه، وفي خبر الابتداء تقديران:

أحدهما: أنه محذوف، والتقدير: يجريان بحسبان.

والقول الآخر: أن قوله ﴿مُحْسَبَانِ﴾ في موضع الخبر.

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ﴾ معطوف على المبتدأ الأول.

﴿يَسْجُدَانِ﴾ خبر الابتداء الثاني.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ نصب بإضمار فعل؛ ليعطف فعل ما عمل فيه الفعل على مثله.

﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ فعل ماضٍ، معطوف على ما تقدم. ﴿الْمِيزَانَ﴾ منصوب بـ ﴿وَوَضَعَ﴾.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ ﴿أَنَّ﴾ في موضع نصب، والمعنى: بأن لا تطغوا، ﴿تَطْغَوْا﴾ في موضع نصب بـ

(أن)، ويجوز أن يكون ﴿أَنَّ﴾ بمعنى أي، فلا يكون لها موضع من الإعراب، ويكون ﴿تَطْغَوْا﴾ في موضع جزم بالنهي.

قال أبو بكر: وهذا أولى؛ لأن بعده ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾.

وقرأ ابن أبي بردة: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ بفتح التاء، وهي لغة معروفة^(١).

قال أبو بكر: واختلف أهل العلم في تأويل قوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ﴾:

(١) قراءة شاذة. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنه، ٢/٣٠٣، معجم القراءات، ٢/٢٥٠.

[وقال بعضهم: الشمس والقمر بحسبان]^(١) ومنازل لهما يجريان، لا يَعْدُوَانَهَا^(٢).

روى ذلك عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ قال: "[بحساب]^(٣) ومنازل يُرسلان"^(٤).

ومن قال ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ بحساب ومنازل: أبو مالك^(٥).

وقتادة قال: "يجريان في حساب"^(٦).

قال ابن زيد: حسبانهم: "هم الدهر والزمان، لولا الليل والنهار، والشمس والقمر، لم يَدْرِ أحدٌ كيف يحسب شيئاً؟! لو كان الدهر ليلاً كله؛ كيف يحسب؟!"^(٧).

وقال قتادة: ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ "[وَأَجَلٍ]"^(٨).

وقال آخرون: معنى ذلك: يجريان بقدر^(٩).

رُوي ذلك عن الضحاك، في قوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ قال: "بقدرٍ يجريان"^(١٠).

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنما يدوران في مثل قُطْبِ الرِّحَاءِ^(١١).

(١) هذه العبارة ساقطة من المتن، ومكتوبة في هامش الصفحة، وقد وضع الناسخ علامة لموضع اللحق، (خط صغير منحني).

(٢) في الأصل: (لا يعدونها)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٣) في الأصل: (بحسبان)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٠/٢٢.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧١/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧١/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧١/٢٢.

(٨) في الأصل: (واحد)، والمثبت موافق لما في المصدر. وقد أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧١/٢٢.

(٩) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٢/٢٢.

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٢/٢٢.

(١١) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٢/٢٢. والرحى: معروفة التي يُطحن بها، وكل من مد قال رحاء ورحاءان وأرجية. ينظر: لسان العرب، مادة: (رحا).

روى ذلك ابن أبي نجیح عن مجاهد، في قوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ﴾ قال: "يدوران مثل قُطْبِ الرَّحَاءِ"^(١).

قال أبو بكر: «ورأيت بعض العلماء يختار قول من قال: الشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل؛ لأن الحسبان مصدر، من قول القائل: حسبت الشيء حسابًا، مثل قولهم: غفرته غفرانًا، وكفرته كفرانًا.

وقد قيل أنه جمع ﴿حَسَابٍ﴾، كما الشهبان جمع ﴿شَهَابٍ﴾.

وقال بعضهم: البيان يأتي على هذا ﴿حَمَمَةُ الْبَيَانِ﴾: أن الشمس والقمر بحسبان»^(٢).

قال أبو بكر: فعلى قول ابن عباس رضي الله عنه: يجريان في منازلهما بحساب^(٣).

وعلى قول الضحاك: إنما يدوران بحساب الليل والنهار والشهور والسنين^(٤).

واختلف أهل العلم في قوله: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ في هذا الموضع، مع إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق. وقال بعضهم: عُني بالنجم في هذا الموضع، من النبات: ما نجم من الأرض، فانبسط عليها، ولم يكن على ساق، مثل: البقل ونحوه^(٥).

روى علي وابن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ قال: "النجم ما انبسط على الأرض"^(٦).

وروى / جعفر عن سعيد قال: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ "كل شيء ذهب مع الأرض فَرَشًا"^(٧).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٢/٢٢.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٢/٢٢، الجامع لأحكام القرآن، ١١٤/٢٠.

(٣) ينظر: النكت والعيون، ٤٢٤/٥، الجامع لأحكام القرآن، ١١٤/٢٠.

(٤) يريد قوله: "يجريان بقدر"؛ يعني بحساب الليل والنهار والشهور والسنين، كما تقدّم في الأسطر السابقة.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٣/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، عن علي عن ابن عباس رضي الله عنه، ١٧٤/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٤/٢٢.

وقال السدي: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ "نبات الأرض"^(١).

وقال سفيان: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ قال: "النجم الذي ليس له ساق"^(٢).

وقال آخرون: عني بالنجم هنا: النجم الذي في السماء^(٣).

روى ابن أبي نجیح عن مجاهد: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ﴾ قال: "نجم السماء"^(٤).

وهو قول قتادة والحسن^(٥).

وقال بعض العلماء^(٦): «أولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: عني بالنجم: ما نجم من الأرض، من نَبَتٍ، واحتج لذلك فقال: لِعَطْفِ الشَّجَرِ عَلَيْهِ، فكان بأن يكون معناه بذلك ما قام على ساق، وما لا يقوم على ساق، يسجدان لله، مع أنه تسجد الأشياء المختلفة الهيئات من خلقه أشبه، وأولى بمعنى الكلام من غيره.

وأما قوله: ﴿وَالشَّجَرُ﴾ فإن الشجر: هو ما وُصِفَتْ صِفَتُهُ قَبْلَ، والذي قلناه مأخوذاً من قول المفسرين»^(٧).

روى علي عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: ﴿وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ قال: "ما نبت على ساق"^(٨).

وقال قتادة: ﴿وَالشَّجَرُ﴾ "شجر الأرض"^(٩). وهو ما قام على ساق.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٤/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٤/٢٢.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٤/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٤/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٥/٢٢.

(٦) الطبري، كما ذكر ذلك في تفسيره؛ حيث قال: (وأولى القولين عندي بالصواب قول من قال...)، جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٥/٢٢.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٥/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٥/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٦/٢٢.

وقال سفيان: ﴿وَالشَّجَرُ﴾ "الذي له سوق" (١).

وقال محمد بن جرير: وأما قوله: ﴿يَسْجُدَانِ﴾ فإنه عني به سجود ظلها، كما قال - عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْعُدْوِ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥] (٢).

رُوي عن أبي رزين (٣) وسعيد: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ قالوا: "ظُلُّهُمَا: سجودهما" (٤).

وقال قتادة: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ "لم يدع الله - جلَّ وعزَّ - شيئاً إلا عبَّده له" (٥).

وقال مجاهد: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ قال: "يسجد بكرةً وعشيّاً" (٦). يذهب مجاهد إلى أن أن سجوده دوران ظلها (٧).

وقال الحسن: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ "نجم السماء" (٨)، و﴿وَالشَّجَرُ﴾ كله يسجد لله - جلَّ وعزَّ (٩).

قال أبو بكر: أصل السجود في اللغة: الاستسلام، والانقياد لله - جلَّ وعزَّ - فهو من المَوَاتِ (١٠) كُلُّهَا استسلام لأمر الله - جلَّ وعزَّ -، وانقيادها له، ومن الحيوان كذا، ويكون من سجود الصلاة (١١).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٦/٢٢.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٦/٢٢.

(٣) مسعود بن مالك الأسدي أسد خزيمه أبو رزين، مولى أبي وائل الأسدي الكوفي، قال النسائي: مسعود بن مالك كوفي ثقة، وذكره ابن حبان في كتاب (الثقات)، توفي سنة خمس وثمانين. تهذيب التهذيب، ١٠٦/١٠، غاية النهاية، ٢/٢٩٦، تهذيب الكمال، ٤٧٧/٢٧.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٦/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٦/٢٢.

(٦) تفسير مجاهد، ٦٣٦، وأخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٧/٢٢.

(٧) وهو اختيار الطبري في تفسيره.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، بعد أن أخرج قول قتادة: أنه يعني نجم السماء، أردف قائلاً: "حدَّثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، نحوه"، ١٧٥/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، بعد أن أخرج قول قتادة: لم يدع الله شيئاً إلا عبَّده له، أردف قائلاً: "حدَّثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن"، ١٧٦/٢٢.

(١٠) الموات: الأرض التي لم تُزرع ولم تُعمر، ولا جرى عليها ملك أحد، والموات -أيضاً- ما لا روح فيه، مثل المواتان، والمواتان: ضد الحيوان، وما كان ذا روح فهو الحيوان. ينظر: لسان العرب، مادة: (موت).

(١١) ذكره القرطبي في تفسيره، ١١٦/٢٠، نقلاً عن النحاس، ولم أقف عليه في كتب النحاس.

وقال الفراء: سجودهما: أنهما يستقبلان الشمس إذا أشرقت، ثم يميلان معها، حين ينكسر الفَيء^(١).

وقيل في: ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾ [فثني]^(٢)، وهو خبر عن صنفين^(٣).

وقد زعم الفراء أن العرب إذا جمعت الجمعين، من غير الناس، مثل: السِّدْر والتَّخْل، جعلوا أصلهما واحداً، فيقولون: الشاة والبقر قد أقبل^(٤).

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ أي: رفعها فوق الأرض^(٥).

﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ روى ابن أبي نجیح عن مجاهد: ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ قال: "العدل"^(٦). وهو قول الفراء^(٧).

وقال غيرهما^(٨): هو الميزان الذي تزن به خلقه للتناصف بينهم^(٩).

وروي أن في قراءة عبدالله: ﴿وَحَفَّضَ الْمِيزَانَ﴾^(١٠)، والحفض والوضع واحد^(١١).

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ أن لا تظلموا، وتبخسوا في الوزن^(١٢).

(١) معاني القرآن للفراء، ١١٢/٣.

(٢) في الأصل: (شي)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، وفيه لفظ: (جمعين) بدل (صنفين)، ١٧٧/٢٢.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١١٢/٣.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٧/٢٢.

(٦) تفسير مجاهد، ٦٣٦.

(٧) معاني القرآن للفراء، ١١٣/٣.

(٨) الزجاج، كما ورد في كتابه معاني القرآن وإعرابه، ٩٦/٥.

(٩) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٩٦/٥.

(١٠) قراءة شاذة لابن مسعود رضي الله عنه. المحرر الوجيز لتفسير الكتاب العزيز، ٢٢٤/٥، معجم القراءات، ٢٤٩/٢.

(١١) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٧/٢٢، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب، ٢٢٤/٥، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ١٥٥/١٠.

(١٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٨/٢٢.

روى سعيد عن قتادة: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ "اعدل يا ابن آدم، كما تحب أن يُعدل عليك، وأوف كما تحب أن يُوف لك؛ فإن بالعدل صلاح الناس" (١).

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: "معشر الموالي، إنكم قد وُلِّيتُم أمرين، بما هلك من كان قبلكم، هذا المكيال والميزان" (٢).

وقال أبو المغيرة: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول في سوق المدينة: "يا معشر الموالي، إنكم قد بُلِّيتُم بأمرين، أُهلِكتُ فيهما أمتان من الأمم: الكيل والميزان" (٣).

رأى ابن عباس رضي الله عنهما رجلاً يَرِن، قد أرحج، فقال: "أقم اللسان، أقم اللسان، أليس قد قال الله: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩]" (٤).

«وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ أي: وأقيموا لسان الميزان بالعدل.

وقوله: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ أي: لا تُنقصوا الوزن إذا وزنتم الناس، وتظلموهم» (٥).

قال ابن زيد في قوله: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ قال: "نقصه، إذا نقصه فقد خسره، وتخسیره نقصه" (٦).

قال أبو بكر: **وقطع القارئ على ﴿يُحْسِبَانِ﴾ قطع كاف، وكذا ﴿يَسْجُدَانِ﴾. ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ ليس بقطع كاف؛ لأن ﴿أَنْ﴾ متعلقة بما قبلها، وكذا ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ إن جعلت ﴿لَا﴾ نهيًا، وجعلت ﴿تَطْغَوْا﴾ في موضع الجزم بالنهي. وإن جعلت ﴿تَطْغَوْا﴾ في موضع النصب، بـ ﴿أَنْ﴾ كفى الوقوف على ﴿الْمِيزَانَ﴾، ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ قطع كاف (٧).**

(١) أخرجه الطبري، ١٧٨/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري، ١٧٨/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري، ١٧٨/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٨/٢٢.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٩/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٩/٢٢.

(٧) القطع والانتساف، ٧٠٢.



[١٥٨/أ]

وقوله -جلّ وعزّ- :

﴿وَالْأَرْضَ وَصَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٥﴾ فِيهَا فَلَكَهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١٦﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٧﴾ فَيَأْتِي
ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾

﴿وَالْأَرْضَ﴾ منصوبة، بإضمار فعل.

﴿لِلْأَنَامِ﴾ خفض باللام.

﴿فِيهَا فَلَكَهَةٌ﴾ رفع بالابتداء، و﴿فِيهَا﴾ في موضع خبر الابتداء.

﴿وَالنَّخْلُ﴾ معطوف على ﴿فَلَكَهَةٌ﴾.

﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ نعت للنخل.

﴿وَالْحَبُّ﴾ معطوف أيضاً.

﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ نعت.

﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ اختلفت القراءة في نصب ﴿وَالْحَبُّ وَالرَّيْحَانُ﴾:

فقرأت الجماعة: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ بالرفع، على العطف على ما تقدم، إلا ابن عامر: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ بالنصب. واختلفوا أيضاً- في نون ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾:

فقرأ حمزة والكسائي: ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ بالخفض. وقرأ الباقر بالرفع.

قال أبو بكر: فمن قرأ بالرفع، عطف على ﴿فَلَكَهَةٌ﴾، ومن قرأ بالنصب، فالتقدير في قراءته: أنه معطوف على ﴿الْإِنْسَانَ﴾ أي: خلق الإنسان، وخلق الحبّ ذا العصف والريحان.

وقد كتبت في بعض المصاحف ﴿وَالْحَبُّ ذَا الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾^(١) فيحتمل ما ذكرناه من أنه بمعنى ﴿خَلَقَ﴾. ويجوز أن يكون كتب على هذا، والقراءة ﴿ذُو﴾ كما كتبت في موضع آخر: ﴿وَالْجَارَ

(١) ينظر: السبعة في القراءات، ٦١٩/١، معاني القراءات للأزهري، ٤٤/٢.

ذَا الْقُرْبَى ﴿النساء: ٣٦﴾، وإنما القراءة ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾، (ونظير هذا أنه روي أن علي بن أبي طالب عليه السلام كتب: وكتب علي بن أبي طالب بالواو)^(١).

ومن قرأ بخفض ﴿وَالرَّيْحَانِ﴾ فالتقدير في قراءته: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانِ﴾ فعطف على ﴿الْعَصْفِ﴾^(٢).

﴿فِي آيٍ﴾ خفض بالباء.

﴿ءِ الْآءِ﴾ خفض بإضافة [﴿آيٍ﴾] ^(٣) إليها.

﴿رَبِّكُمْ﴾ خفض بإضافة ﴿ءِ الْآءِ﴾ إليه.

﴿تُكَذِّبَانِ﴾ فعل مستقبل.

ومعنى الآيات - والله أعلم -:

والأرض [يطؤها] ^(٤) الخلق، وهم الأنام ^(٥).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لِلْأَنَامِ﴾: "الخلق" ^(٦).

وعنه: "كل شيء فيه الروح" ^(٧).

وقال الحسن: ﴿لِلْأَنَامِ﴾ "للخلق: الجن والإنس" ^(٨).

(١) قال الفراء في كتابه معاني القرآن، ١١٤/٣: (وبلغني: إن كتاب علي بن أبي طالب عليه السلام كان مكتوباً: هذا كتاب من علي بن أبو طالب، كتابها: أبو. في كل الجهات، وهي تُعرب في الكلام إذا قرئت).

(٢) ينظر: السبعة في القراءات، ٦١٩/١، الحجة للقراء السبعة، ٢٤٤/٦-٢٤٦.

(٣) ساقط من الأصل، والمثبت مناسب للسياق.

(٤) في الأصل: (يطاها)، وفي المصدر: (وطأها للخلق).

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٩/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٩/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٩/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٩/٢٢.

وقال مجاهد: "للخلائق"^(١).

وقال قتادة: "للخلق". قول ابن زيد^(٢).

وقال الضحاك: "لكل من دبَّ عليها"^(٣).

قال أبو بكر: وهذه الأقوال غير متناقضة؛ لأنه إذا جعلها للناس، فليس في هذا نفي لغيرهم.

«وقوله -جلَّ وعزَّ-: ﴿فِيهَا فَلَكَهَةٌ وَاللَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أي: في الأرض فاكهة، و﴿الْأَكْمَامِ﴾ جمع كم.

وقد اختلف أهل العلم في معنى ذلك:»^(٤)

القرطبي^(٥): "الطلع".

وقال الحسن وقتادة والضحاك: "﴿الْأَكْمَامِ﴾ الليف"^(٦).

قال أبو بكر: «كل شيء غطَّى شيئاً: فهو كُثمُه.

وقيل: كُثم القميص؛ لأنه يغطِّي اليد. وقيل للقلنسوة كُثمَّة»^(٧).

(١) تفسير مجاهد، ٦٣٦ . وفيه: (للخَلْق) . وأخرجه الطبري بلفظ: (الخلائق)، ١٧٩/٢٢ .

(٢) أخرجهما الطبري في تفسيره، ١٧٩/٢٢ .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره، ١١٨/٥ .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٨١/٢٢ .

(٥) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الإمام، العلامة، أبو عبد الله الأنصاري، الخزرجي، القرطبي. إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله، وقد سارت بتفسيره -العظيم الشأن- الركبان؛ وهو كامل في معناه. وله كتاب (الأسنى في الأسماء الحسنى)، وكتاب (التذكرة)، وأشياء تدل على إمامته وذكائه وكثرة اطلاعه. توفي سنة إحدى وسبعين وستمائة، ينظر: تاريخ الإسلام، ٢٢٩/١٥، طبقات المفسرين، ٦٩/٢ .

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، عن الحسن وقتادة، ١٨١/٢٢، وذكره مكِّي بن أبي طالب في تفسيره عن الضحاك، الضحاك، ٧٢١٥/١١ .

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١١٩/٥ .



﴿وَالْتَحَلُّ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ لما فيه من الليف والسعف^(١).

وقوله: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ أي: وفيها الحب وهو حب البر والشعير^(٢).

قال ابن عباس رضي الله عنه: "العصف: ورق الزرع الأخضر، الذي قلع رؤوسه، فهو يسمى العصف، إذا يبس"^(٣).

وعنه: "أنه التبن"^(٤).

وقال الضحاك: "﴿وَالْحَبُّ﴾ البر والشعير، و﴿الْعَصْفُ﴾ التبن"^(٥).

وقال أبو مالك: "الحب [أول]^(٦) ما ينبت"^(٧).

وقال مجاهد: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ قال: "ورق الحنطة"^(٨).

وقال بعضهم: "هو الحب من البر والشعير بعينه"^(٩).

قال عبيد: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾: "أما ﴿الْعَصْفُ﴾ فهو البر والشعير"، وأما ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ قال: "أهل العلم اختلفوا في معناه: قال بعضهم: هو [الرزق]^(١٠)^(١١)"، رواه عكرمة عن ابن عباس قال: "كل ريحان في القرآن فهو رزق"^(١٢). وممن

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٨٣/٢٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٩٧/٥.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٨٣/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، بلفظ: (قُطِع) بدل: (قُطِع)، ١٨٣/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٨٣/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٨٣/٢٢.

(٦) سقط حرف اللام في الأصل.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٨٤/٢٢.

(٨) تفسير مجاهد، ٦٣٦، وأخرجه الطبري في جامع البيان، ١٨٤/٢٢.

(٩) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٨٤/٢٢.

(١٠) في الأصل: (الورق)، والمثبت موافق للمصدر.

(١١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٨٥/٢٢.

(١٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٨٦/٢٢.

قال هو الرزق: مجاهد والضحاك^(١).

وقال آخرون: هو الريحان الذي يشم^(٢).

روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه - أيضًا - قال: ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ "ما أنبتت الأرض من الريحان"^(٣). وهو - أيضًا - مروى عن الضحاك^(٤).

قال الحسن: ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ "ريحانكم هذا"^(٥).

وقال ابن زيد: ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ "الرياحين التي يوجد ريحها"^(٦).

وقال آخرون: هو خضرة الزرع^(٧).

روي ذلك - أيضًا - عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ قال: "خضرة الزرع"^(٨).

وقال آخرون^(٩): هو ما قام / على ساق^(١٠).

[ب/١٥٨]

«وقال الفراء: قال بعضهم: ﴿الْعَصْفُ﴾ المأكول، و﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ الصحيح الذي [لم]^(١١) يؤكل.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، عنهما، ١٨٦/٢٢.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٨٦/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٨٧/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٨٧/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٨٧/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٨٧/٢٢.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٨٧/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٨٧/٢٢.

(٩) سعيد، أخرجه قوله الطبري في تفسيره، ١٨٨/٢٢.

(١٠) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٨٧/٢٢.

(١١) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

وقال الفراء: ﴿الْعَصْفِ﴾ بقل الزرع؛ لأن العرب تقول: خرجنا نعصف الزرع، إذا قطعوا منه شيئاً قبل أن يُدرك، فذلك العصف، والريحان: هو ورقه، والحب الذي يؤكل" (١).

قال أبو بكر: واختلف أهل العلم في المختار من هذه الأقوال:

فقال بعضهم (٢): «أولى هذه الأقوال بالصواب: قول من قال: عَنِيَّ به الرزق، وهو الحب الحب الذي يؤكل منه.

قال: وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال بالصواب؛ لأن الله -جلّ ثناؤه- أخبر عن الحب أنه ذو العصف، وذلك ما وصفنا من الورق الحادث منه، والتبن إذا يبس، فالذي هو أولى بالريحان؛ أن يكون حبه الحادث منه إذا كان جنس الشيء الذي منه العصف، ومسموع من العرب تقول: خرجنا نطلب ريحان الله ورزقه. ويقال: سبحانك وريحانك، أي: ورزقك.

ومنه قول النمر بن تولب (٣):

سَلَامٌ إِلَيْهِ وَرَيْحَانُهُ وَرَحْمَتُهُ وَسَمَاءٌ دَرَزٌ (٤)» (٥)

وقال بعضهم: ظاهر القرآن يدل على الريحان الطيب الرائحة. قال: وذلك أنه لما قال -جلّ ثناؤه-: ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ وَالتَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ (٦) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿ جمع مأكول من نبات الأرض، فلو كان الريحان هو الرزق كان الكلام مكرراً، ولا فائدة فيه، فكان الأولى حينئذ أن

(١) معاني القرآن للفراء، ١١٤/٣.

(٢) الطبري في تفسيره، ١٨٨/٢٢.

(٣) النمر بن تولب بن زهير بن أقيش العُكَلِي، شاعر مخضرم، عاش عمراً طويلاً في الجاهلية، وكان فيها شاعر الرياب، ولم يمدح أحداً ولا هجأ، وكان من ذوي النعمة والوجاهة، جواداً وهاباً لِمَالِهِ. يُشَبَّه شعره بشعر حاتم الطائي، أدرك الإسلام وهو كبير السن، مات في أيام أبي بكر (رضي الله عنه) أو بعده بقليل. ينظر: أسد الغابة، ٣٣٦/٥، الإصابة، ٣٧٠/٦.

وقد تكررت عبارة: (ومنه قول النمر) في هذا الموضع.

(٤) ديوان النمر بن تولب، ٦٣.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٨٨/٢٢.

يذكر بعد ذلك ما لم نذكره، فيكون بعد ذلك ذكره المشموم، مما يخرج من الأرض، ليتكامل التذكير بالنعمة. والريحان إذا أطلق فهو المشموم، وكذلك يعرفه الناس^(١).

وكان أبو جعفر شيخنا يقول: من قرأ بالرفع؛ فتُحتمل قراءته أن يكون للرزق، ولَمَّا يُشْمَمُ، ومن قرأ بالخفض؛ لم تُحتمل قراءته إلا أن يكون للرزق خاصة^(٢).

ووزن ريحان: فَيَعْلَان، من الرُّوح، وهو رِيَّوْحَان، فلما سبقت الياء الواو بالسكون، قُلبت الواو، ثم أُدغمت الياء في الياء، فصار رِيَّحَان بتشديد الياء، ثم خُففت، كما قيل: [هَيِّنَ وَلِيِّنَ] (٣) (٤).

﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما - يا معشر الجن والإنس - من هذه النعم تكذبان؟^(٥)

قال أبو بكر: و﴿آءِ الْآءِ﴾ النعم. روى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما الحسن^(٦).

وقال قتادة: "يقول للجن والإنس: فبأي نعم الله^(٧) تكذبان؟"^(٨).

وقال ابن زيد: "﴿آءِ الْآءِ﴾ القدرة. فبأي آلائه تُكذِّب؟. خلقكم كذا وكذا، فبأي قدرة الله تكذبان - أيها الثقلان الجن والإنس -؟"^(٩)

(١) لم أقف عليه، وبعض ما فيه ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه، ٩٨/٥، والماتردي في تفسيره، ٤٦٥/٩، وغيرهما.

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم رضي الله عنهم والريحان رفعا، وقرأ حمزة والكسائي رضي الله عنهم والريحان خفضا. السبعة في القراءات، ٦١٩. ولم أقف على قول أبي جعفر.

(٣) في الأصل: (ميت وميت)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٤) ينظر: البيان لابن الأنباري، ٤٠٨/٢، ومشكل إعراب القرآن لمكي، ٧٠٥/٢، الجامع لأحكام القرآن، ١٢١/١٧.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٨٩/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٨٩/٢٢.

(٧) تكررت هنا عبارتا: (قال أبو بكر: و﴿آءِ الْآءِ﴾ النعم. روى ذلك عن ابن عباس الحسن. وقال قتادة: يقول للجن والإنس: فبأي نعم الله).

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٩٠/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٩١/٢٢.

قال أبو بكر: يقال للنعمة (إِلَى) مثل: (مَعِيَ)، و(أَلَى) مثل: (عَصَا)^(١).

قال أبو بكر: «فإن قال قائل: إنما تقدّم ذِكْرُ الإنسان في أول السورة، فكيف وقعت المخاطبة لشيئين؟»

ففي هذا غير جواب:

منها: أن الأنام يدخل فيه الجن والإنس، فخطبوا على ذلك.

وجواب ثان أنه لما قال -جلّ وعزّ -: ﴿وَالْجَنَّ حَلَقَتَهُ﴾ [الحجر: ٢٧] وقد تقدّم ذِكْرُ الإنسان، فخطب الجميع.

وجواب ثالث: أجاز الفراء أن يكون على مخاطبة الواحد بفعل الاثنين، وحكي ذلك عن العرب، أنهم يقولون: ارحلا يا غلام^(٢).

وروى نافع عن عبد الله بن عمر^(٣): أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن، أو قرئت عنده، فقال: ((مَالِي أَسْمِعُ الْجِنَّ أَحْسَنَ جَوَابًا لِرَبِّهَا مِنْكُمْ؟!)) قالوا: وما ذلك يا رسول الله؟ قال: ((مَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ -جلّ وعزّ -: ﴿فِي أَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إِلَّا قَالَتِ الْجِنَّ: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّنَا نُكَذِّبُ))^(٤).

قال أبو بكر: وقطع القارئ على قوله: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ قطع كافٍ. ﴿وَالَّتِخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ ليس بكاف؛ لأن ﴿وَالْحَبُّ﴾ معطوف على ما قبله، إلا في قراءة ابن عامر، فإنه

(١) الجامع لأحكام القرآن، ١٧/١٢٣. وتماهه: (... وإِلَى وإِلَى أربع لغات حكاهما النحاس).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢٠٥.

(٣) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي، أبو عبد الرحمن، أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه ﷺ، روى الكثير من الأحاديث عن رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر ﷺ، وغيرهم، روى عنه: أسلم مولى أبيه، وبشر بن حرب، وثابت البناني، كان أكثر الصحابة اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ، توفي سنة سبع وخمسين، ينظر: الاستيعاب لمعرفة الأصحاب لابن عبد البر، ٣/٩٥٠، أسد الغابة لابن الأثير، ٣/٣٣٦، الإصابة لابن حجر، ٤/١٨١.

(٤) أخرجه البزار في مسنده البحر الزخار، ١٢/١٩٠. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٧/١١٧، رواه البزار عن شيخه عمرو بن مالك الراسبي، وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقيّة رجاله رجال الصحيح.



يكفيه الوقوف على ﴿الْأَكْمَامِ﴾؛ لأن التقدير وخلق الحب ذو العصف. والتمام ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾.
وكذا ﴿فَيَأْتِي / ءآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(١).

[١٥٩/أ]

(١) ينظر: القطع والانتشاف، ١/٧٠٣.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَيَأْتِيءَ آءِ الْآءِ رِيكْمًا يُكْدَبَانِ ﴿﴾

﴿خَلَقَ﴾ فعل ماضٍ.

﴿الْإِنْسَانَ﴾ مفعول ﴿خَلَقَ﴾.

﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾ خفض بـ ﴿مِنْ﴾.

﴿كَالْفَخَّارِ﴾ الكاف في موضع خفض نعت لـ ﴿صَلْصَلٍ﴾. و﴿الْفَخَّارِ﴾ خفض بالكاف.

و﴿خَلَقَ﴾ معطوف على الأول. و﴿الْجَانَّ﴾ مفعول ﴿خَلَقَ﴾ وشُدِّدَتِ النون من ﴿الْجَانَّ﴾؛ لأنها في موضع حرفين؛ لأن الأصل [الجانين] ^(١).

﴿مِنْ مَّارِجٍ﴾ خفض بـ ﴿مِنْ﴾.

﴿مِنْ نَّارٍ﴾ مثله.

﴿فَيَأْتِيءَ آءِ الْآءِ رِيكْمًا يُكْدَبَانِ﴾ إعرابه كإعراب ما تقدم ^(٢).

ومعنى الآية -والله أعلم-:

خلق الله -جلّ وعزّ- الإنسان؛ وهو آدم ﷺ ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾ وهو الطين اليابس الذي لم يُطْبَخْ، ففيه من يُبْسِه صلصلةٌ إذا حُرِّكَ وَنُقِرَ، ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ يعني أنه من يُبْسِه، وإن لم يكن مطبوخًا، كالذي قد طُبَخَ بالنار، فهو يصلصل كما يصلصل الفخار، وهو الذي قد طُبَخَ من الطين بالنار ^(٣).

(١) هكذا في الأصل، ولعله أراد (الجانن)؛ باعتبار أصل النون المشددة.

(٢) ينظر: الصفحة (٢٨٧) من هذه الرسالة.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٩١/٢٢-١٩٢. وينظر معنى الصلصال: لسان العرب، مادة: (صلل).

روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "خلق الله آدم عليه السلام من طين لازب، واللازب: اللزج الطيب^(١)، من بعد حمًا مسنون مُنْتِن، قال: وإنما كان حمًا مسنونًا بعد التراب، قال: فخلق منه آدم عليه السلام بيده، قال فمكث أربعين ليلةً جسدًا مُلْقَى، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصَلِّصِل، فيصوّت، قال: فهو قول الله -جلّ وعزّ- ﴿مِن صَلَصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ كالشيء المنفوخ الذي ليس بمُصْمَت"^(٢).

وقال عكرمة: ﴿مِن صَلَصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ "طين خُلِطَ برمل، فكان كالفخار"^(٣).

وقال قتادة: ﴿مِن صَلَصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ "والصلصال: التراب اليابس، الذي تُسمع له صَلَصَلَةٌ كالفخار، كما قال -جلّ وعزّ-"^(٤).

وقال ابن زيد: "بيس آدم عليه السلام في الطين في الجنة حتى صار كالصلصال"^(٥).

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِن صَلَصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ قال: "ما عُصِرَ فخرج من بين الأصابع"^(٦).

قال أبو جعفر محمد بن جرير: «ولو وَجَّهَ مُوجَّهٌ قَوْلَهُ ﴿صَلَصَلٍ﴾ إِلَى أَنَّهُ (فَعْلَال) مِنْ قَوْلِهِمْ: صَلَّ اللَّحْمُ، إِذَا أَتَتْهُ وَتَغَيَّرَتْ رِيحُهُ، كَمَا قِيلَ مِنْ: صَرَ الْبَابُ: صَرَصَرَ، وَكَبَّكَبَ، مِنْ كَبَّ، كَانَ وَجْهًا وَمَذْهَبًا.

وقوله: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ قال أبو بكر: المارج ما اختلط بعضه ببعض من بين أحمر وأصفر وأخضر، من قولهم: مَرَجَ أَمْرٌ الْقَوْمَ إِذَا اخْتَلَطَ»^(٧).

(١) ينظر: لسان العرب، مادة: (لزب).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٩٢/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٩٣/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٩٣/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٩٤/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٩٤/٢٢.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٩٤/٢٢.

روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: «مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ» قال: "من أوسطها وأحسنها"^(١).

«وعنه: "خلقه من لهب النار، من أحسن النار".

وعنه: «مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ» يقول: "خالص النار".

وعنه: "خلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا أُلْهِيتُ"^(٢).

وقال عكرمة: "المارج من حيث تلتهب النار"^(٣).

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: «مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ» قال: "اللهب الأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أُوقِدَتْ"^(٤).

«فِي أَيِّ ءَالَآءٍ رَّيَكُمَا تُكذِّبَانِ» أي: فبأي نعم ربكما تكذبان؟ يا معشر الثقلين من هذه النعم^(٥).

قال أبو بكر: **وقطع القارئ على قوله «مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ» تمام، وكذا «فِي أَيِّ ءَالَآءٍ رَّيَكُمَا تُكذِّبَانِ» إن رَفَعَتْ ما بعده بالابتداء، وإن رَفَعَتْهُ على إضمار مبتدأ أو نَصَبَتْهُ على المدح بما قبله كاف، وإن رَفَعَتْهُ على البدل مما في «خَلَقَ» أو خَفَضَتْهُ على البدل من «رَّيَكُمَا» لم يكف الوقوف على ما قبله^(٦).**

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٩٥/٢٢.

(٢) جميع هذه الآثار أخرجه الطبري في تفسيره، ١٩٥/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٩٥/٢٢-١٩٦.

(٤) تفسير مجاهد، ٦٣٧، و أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٩٦/٢٢.

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٩٦/٢٢.

(٦) القطع والائتناف، ٧٠٣/١.

وقوله - جلّ وعزّ -:

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ / فَبِأَيِّ آءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾

[ب/١٥٩]

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ في رفعه وجهان: أحدهما: أنه مرفوع على إضمار مبتدأ، على معنى: هو رب المشرقين ورب المغربين، ويجوز أن يكون بدلاً من المضمر الذي في ﴿خلق﴾، وفي رفعه وجه ثالث: وهو يجوز أن يكون رفعاً بالابتداء، أو يكون الخبر ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، ويجوز في النحو الخفض على معنى ﴿فَبِأَيِّ آءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾، ويجوز النصب على إضمار أعني^(١).

﴿الْمَشْرِقَيْنِ﴾ خفض بإضافة ﴿رَبُّ﴾ إليهما.

و﴿رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ معطوف على الأول.

﴿فَبِأَيِّ آءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ إعرابه كإعراب ما تقدم^(٢).

﴿مَرَجَ﴾ فعل ماض، أي: أرسل.

﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ من نصب مفعول بهما.

﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ فعل مستقبل، يجوز أن يكون في موضع الحال.

﴿بَيْنَهُمَا﴾ ظرف.

﴿بَرْزَخٌ﴾ رفع بالابتداء.

﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ فعل مستقبل منفي بـ ﴿لَّا﴾.

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١١٥/٣، إعراب القرآن للنحاس، ٣٣٨/٣.

(٢) ينظر: الصفحة (٢٨٧) من هذه الرسالة.

﴿فِي أَيِّ آءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وفي الرفع فيه على إضمار مبتدأ وجه غير ما ذكرنا: وهو أن يكون المعنى - والله أعلم -:

ريكم أيها الثقلان، رب المشرقين: مشرق الشمس في الشتاء ومشرقها في الصيف، ورب المغربين أي: ورب مغرب الشمس في الشتاء ومغربها في الصيف^(١).

روى جعفر عن ابن أبيزى^(٢) قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ قال: "مشارك الصيف ومغرب الصيف، مشرقان تجري فيهما الشمس ستين وثلاثمائة [يوم]^(٣) في ستين وثلاثمائة برج، لكل [يوم]^(٤) برج مَطْلَعٌ، لا تَطْلُعُ يومين في برج واحد، وفي المغرب ستون وثلاثمائة برج، لكل برج مغيب لا يغيب يومين في برج واحد"^(٥).

وقال مجاهد: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ "مشرق الشتاء ومغربه، ومشرق الصيف ومغربه". وكذا قال قتادة^(٦).

وقال ابن زيد: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ قال: "أقصر مشرق في السنة، وأطول مشرق في السنة، وأقصر مغرب في السنة، وأطول مغرب في السنة"^(٧).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٩٧/٢٢.

(٢) عبد الرحمن بن أبيزى الخزازي، مولى نافع بن عبد الحارث. مختلف في صحبته، سكن الكوفة، واستعمل عليها، وهو الذي استخلفه نافع بن عبد الحارث على أهل مكة، حين لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعسفان، وقال: إنه قارئ لكتاب الله، عالم بالفرائض. قال البخاري: له صحبة، وذكره غير واحد في الصحابة، سكن الكوفة، ونقل ابن الأثير في (تاريخه) أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه استعمل عبد الرحمن بن أبيزى على خُرَّاسَانَ. وَيُرْوَى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ابْنُ أَبِيزَى يَمُنُّ رَفَعَهُ اللهُ بِالْقُرْآنِ. عاش إلى سنة تَيْفٍ وسبعين. ينظر: تهذيب الكمال، ٥٠١/١٦، سير أعلام النبلاء، ٢٠١/٣، غاية النهاية، ٣٦١.

(٣) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) زائد في الأصل.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٩٨/٢٢.

(٦) أخرجهما الطبري في تفسيره، ١٩٨/٢٢-١٩٩.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٩٩/٢٢.

﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول: فبأي نعم ربكما - يا معشر الجن والإنس - من هذه النعم التي أنعم بها عليكم من تسخير الشمس لكم في هذين المشرقين والمغربين^(١).

قال أبو بكر: وليس قوله ﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بتكرير؛ لأنه إنما يأتي بعد نعم أخرى غير النعم المتقدمة؛ وإنما هو تنبيه على كل نعمة تأتي بعد نعمة^(٢).

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ أي: مرج رب المشرقين ورب المغربين البحرين يلتقيان، أي: أرسل وخلّى، ومنه قولهم: مرج فلان دابته؛ إذا خلّاها وتركها^(٣).

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ يقول: "أرسل"^(٤).

قال أبو بكر: واختلف أهل العلم في ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾، فقال بعضهم: هما بجران، أحدهما في السماء، والآخر في الأرض^(٥).

رُوي ذلك عن ابن أبيزى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ قال: "بجر في السماء وبجر في الأرض"^(٦).

وقال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ يعني: "بجر في السماء وبجر في الأرض، يلتقيان كل عام"^(٧).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٩٩/٢٢.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٠٦/٤.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٩٩/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٩٩/٢٢.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٩٩/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٩٩/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠٠/٢٢.

وقال آخرون: عُني به بحرُ فارس^(١) وبحرُ الروم^(٢)^(٣).

رُوي ذلك عن الحسن: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ قال: "بحر الروم وبحر فارس واليمن"^(٤).

وروى سعيد ومعمر عن قتادة: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ "بحر فارس وبحر الروم"^(٥).

قال أبو بكر: ورأيت بعض العلماء^(٦) يختار قول من قال: هو بحر السماء وبحر الأرض، قال: وذلك أن الله -جلّ ثناؤه-^(٧) قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالْمَرْجَانُ﴾، واللؤلؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض، عن قطر ماء السماء، فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء^(٨).

وقوله -جلّ وعزّ -: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ أي: حاجزٌ وبُعدٌ، لا يصيب أحدهما صاحبه، فيبغي بذلك عليه، وكل شيء كان بين شيئين فهو برزخ عند العرب، وما بين السماء والأرض برزخ^(٩).

(١) بحر فارس: هو شعبة من بحر الهند الأعظم، واسمه بالفارسية كما ذكره حمزة: زراه كامسير، وحدّه من التيز من نواحي مكران على سواحل بحر فارس إلى عبّادان، وهو فوهة دجلة التي تصبّ فيه، وأول سواحلها من جهة البصرة وعبّادان أنك تنحدر في دجلة من البصرة إلى بليدة تسمى المحرزة في طرف جزيرة عبّادان. ينظر: معجم البلدان، ١/٣٤٣.

(٢) بحر الروم: خليج من البحر المحيط بين الأندلس وبين البصرة من بلاد طنجة وبين طنجة وبين جزيرة جبل طارق من أرض الأندلس عرضه اثنا عشر ميلاً، ثم يتسع ويعرض فيمتدّ على سواحل المغرب فيما يلي شرقيّ هذا البحر حتى ينتهي إلى أرض مصر ويمتدّ على أراضي مصر حتى ينتهي إلى أرض الشام ممتدّاً عليها ثم يعطف بناحية الثغور فيدور على بلد الروم من انطاكية وما قاربها، ثم يصير غربيّ البحر إلى خليج القسطنطينية. ينظر: المسالك والممالك، ٦٨، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ٢٧.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٠٠.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٠٠.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٠٠-٢٠١.

(٦) الطبري، حيث ذكر هذا الاختيار في تفسيره، ٢٢/٢٠١.

(٧) حصل تكرار هنا للكلمات التالية: (قال واللؤلؤ والمرجان).

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٠١.

(٩) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، وفيه: (وما بين الدنيا والآخرة برزخ)، ٢٢/٢٠١.



قال ابن أبنى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ / قال: "بينهما بُعْدٌ، لا يبغى أحدهما على صاحبه"^(١).

وقال مجاهد: "بينهما حاجز من الله، لا يبغى أحدهما على الآخر"^(٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ قال: "حاجز"^(٣).

وقال قتادة: "والبرزخ هذه الجزيرة، هذا اليبس"^(٤).

وروى عنه معمر: "الذي بينهما: الأرض التي بينهما"^(٥).

وروى عنه أبو العوام^(٦): ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ قال: "حجز المالح عن العذب، والعذب عن المالح، والماء عن اليبس، واليبس عن الماء، فلا يبغى بعض على بعض، لِقْوَتَهُ وَلِطْفَهُ وَقَدْرَتَهُ"^(٧).

وقال ابن زيد: "منعهما أن يلتقيا بالبرزخ الذي جعل بينهما من الأرض"^(٨).

قال: "والبرزخ بُعْدُ الأرض الذي جعل بينهما"^(٩).

«واختلف أهل العلم في قوله: ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾:

فقال بعضهم: معنى ذلك: لا يبغى أحدهما على صاحبه.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠١/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠١/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠١/٢٢-٢٠٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠٢/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠٢/٢٢.

(٦) عمران بن داود أبو العوام القطان البصري، سمع الحسن وابن سيرين وقتادة، وسمع منه أبو عاصم وأبو داود، روى حماد بن مسعدة عن عمران العمي عن الحسن في الشفاعة. ذكره ابن حبان في (الثقات). ينظر: تهذيب التهذيب،

١٣٨/٨، التاريخ الكبير للبخاري، ٤/٦.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠٢/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠٢/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠٢/٢٢.

فمن زوي ذلك عنه مجاهد وابن أبزي وأبو العوام عن قتادة»^(١).

[وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهما لا يختلطان.

روى ذلك ابن أبي نجيح عن مجاهد]^(٢)^(٣).

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا يبغيان على الناس^(٤).

وروى ذلك سعيد عن قتادة قوله: "لا يبغيان على الناس، وما أخذ أحدهما من صاحبه فهو بغي"، يحجز أحدهما عن صاحبه بقدرته ولطفه وجلاله -تبارك وتعالى-"^(٥).

وقال الحسن: "لا يبغيان على الناس [فيغرقاهم]^(٦)^(٧). جعل بين الناس وبينهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا يبغيان أن يلتقيا^(٨).

قال ابن زيد: "لا يبغي أحدهما أن يلتقى صاحبه"^(٩).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٠٢/٢٢-٢٠٣. وقد أخرج آثارهم بنفس اللفظ في تفسيره.

(٢) في الأصل: ما بين المعكوفتين مكرر في هذا الموضع.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٠٢/٢٢. وقد أخرج أثره بنفس اللفظ في تفسيره.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٠٣/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠٣/٢٢.

(٦) في الأصل: (بغرقاهم)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور، بصيغة المخاطب بدل الغائب، وفي أوله زيادة: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ قال: (أنتم البرزخ ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ عليكم فيغرقانكم)، ٦٩٦/٧.

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٠٣/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠٤/٢٢.

وقد ذكر الطبري في تفسيره جامع البيان في تأويل القرآن أولى الأقوال بالصواب؛ بعد أن ذكرها، فقال: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف البحرين اللذنين ذكرهما في هذه الآية أنهما لا يبغيان، ولم يخصص وصفهما بذلك في شيءٍ دون شيء، بل عمَّ الخبرَ عنهما بذلك، فالصواب أن يُعمَّ كما عمَّ جل ثناؤه، فيقال: إنهما لا يبغيان على شيء، ولا يبغي أحدهما على صاحبه، ولا يتجاوزان حدَّ الله الذي حدَّ لهما). جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٠٤/٢٢.

وقوله: ﴿فَيَأْتِيءُ الْآءِ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ أي فبأي نعمة ربكما - يا معشر الجن والإنس - من هذه النعم التي أنعم عليكم - من مَرْجِه البحرين، حتى جعل لكم من ذلك حلية تلبسونها - تكذبان؟^(١)

قال أبو بكر: **وقطع القارئ على ﴿وَرَبُّ الْمَعْرِينِ﴾ قطع تام؛ إن لم يرفع بالابتداء، على أن الخبر ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾، وكذا ﴿تُكْذِبَانِ﴾. ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ قطع كاف؛ على أن يبتدئ الخبر، وكذا ﴿تُكْذِبَانِ﴾^(٢).**

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٠٤.

(٢) القطع والائتناف، ١/٧٠٣.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

قال أبو بكر: اختلفت القراءة في ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾:

فقرأ نافع وأبو عمرو: ﴿يُخْرِجُ﴾ بضم الياء وفتح الراء، و﴿اللُّؤْلُؤُ﴾ على هذه القراءة اسم ما لم يُسَم فاعله. وقرأ الباقون: ﴿يَخْرُجُ﴾ بفتح الياء وضم الراء، و﴿اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ على هذه القراءة في موضع رفع بفعالهم^(١).

وروى حسين عن أبي عمرو: و﴿يُخْرِجُ﴾ بضم الياء وكسر الراء، ﴿اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ بالنصب مفعول بهما، أي: يُخْرِجُ اللهُ -جلّ وعزّ- منهما اللؤلؤ والمرجان^(٢).

قال أبو بكر: رأيت أبا جعفر يختار قراءة نافع وأبي عمرو، قال: لأنه إنما يخرج.

واحتج غيره لغيره القراءة بقوله: ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَهَا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: ١٤] فهو مفعول به^(٣).

﴿فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إعرابه كما تقدم^(٤).

ومعنى الآية -والله أعلم-:

يخرج من هذين البحرين -الذين مَرَّجَهما اللهُ وَعَجَّلَ، وجعل بينهما برزخًا لا يبغيان- اللؤلؤ والمرجان^(٥).

واختلف أهل العلم في صفة اللؤلؤ والمرجان:

فقال بعضهم: اللؤلؤ: ما عَظُمَ من الدرّ، والمرجان: ما صَغُرَ منه^(٦).

(١) السبعة في القراءات، ٦١٩، حجة القراءات، ٦٩٠، التيسير في القراءات السبع، ٢٠٦.

(٢) معجم القراءات، ٢٥٦/٩.

(٣) السبعة في القراءات، ٦١٩، حجة القراءات، ٦٩٠، التيسير في القراءات السبع، ٢٠٦.

(٤) ينظر: الصفحة (٢٨٧).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٠٤/٢٢.

(٦) المرجع السابق، ٢٠٤/٢٢.



رُوي ذلك عن علي رضي الله عنه، قال: ﴿اللُّؤْلُؤُ﴾: "العِظَام"^(١).

وكذا رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه^(٢).

وقال قتادة: "أما اللُّؤْلُؤُ فِعِظَامُهُ، وأما المِرْجَانُ فِصِغَارُهُ"^(٣).

وهو قول الضحاك^(٤).

وقال آخرون: اللُّؤْلُؤُ صِغَارُهُ، والمِرْجَانُ كِبَارُهُ^(٥).

روى ذلك قيس بن وهب^(٦) عن مُرَّةَ^(٧) قال: ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾: "اللُّؤْلُؤُ العِظَام"^(٨).

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾: "ما عَظُمَ من اللُّؤْلُؤُ"^(٩).

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾: "ما عَظُمَ من اللُّؤْلُؤُ"^(١٠).

وقال آخرون: ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾: جَيْدُ اللُّؤْلُؤُ^(١١).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠٥/٢٢. والعِظَام: من (العِظَم) لا (العَظْم).

(٢) أخرج أثره الطبري في تفسيره، بنفس اللفظ، ٢٠٥/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠٥/٢٢.

(٤) أخرج أثره الطبري في تفسيره، بلفظ مختلف: (أما المِرْجَانُ فاللُّؤْلُؤُ الصِغَارُ، وأما اللُّؤْلُؤُ فما عَظُمَ منه)، ٢٠٥/٢٢.

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٠٦/٢٢.

(٦) قيس بن وهب الهمداني الكوفي، ذكره ابن حبان في (الثقات)، توفي سنة مائة واحد عشرون للهجرة. ينظر: رجال

صحيح مسلم، ١٤٥/٢، تهذيب التهذيب، ٤٠٥/٨.

(٧) مُرَّةُ بن شراحيل الهمداني البكليي، أبو إسماعيل الكوفي المعروف بمرة الطيب ومرة الخير، لُقِّبَ بذلك لعبادته، محمد بن

بن سعد: (ثقة)، توفي في زمن الحجاج بعد الجماجم. ينظر: تهذيب الكمال، ٣٧٩/٣٧، تهذيب التهذيب،

٨٨/١٠.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠٦/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠٧/٢٢.

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان، بلفظ مختلف (المِرْجَانُ عِظَامُ اللُّؤْلُؤُ)، ٢٠٧/٢٢-٢٠٦/٢٢.

(١١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٠٧/٢٢.

رواه موسى بن أبي عائشة^(١) قال: سألتُ مُرَّةً عن ﴿اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾، فقال: "المرجان جَيِّد اللُّؤْلُؤُ"^(٢).

وقال آخرون: المرجانُ حَجَرٌ^(٣).

رُوي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: "المرجان حَجَرٌ"^(٤).

وعنه رضي الله عنه بإسناد آخر: "المرجانُ خَرَزٌ أحمر"^(٥).

قال أبو جعفر: الذي حكاه أهل اللغة، منهم: أبو عبيدة قال: / المرجان: صغار اللؤلؤ، [ب/١٦٠] واحدته مرجانه. قال: وإنما يخرج اللؤلؤ من أحدهما. قال: فخرج مخرج قولك: أكلتُ خبزًا ولبنًا^(٦).

وكذا مذهب الفراء أنه يخرج من أحدهما^(٧)، وجعله مجازًا^(٨).

قال أبو جعفر: وفي هذا من البُعد ما لا خفاء به، أن يكون ﴿مِنْهُمَا﴾ من أحدهما^(٩).

وقال في كتاب المعاني: وقال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ على مذاهب العرب؛ لأنه إذا اجتمع الشيئان فأخبروا عنهما، وكان في أحدهما شيءٌ ليس في الآخر، نسبوه إليهما، فقليل: أن اللؤلؤ والمرجان

(١) موسى بن أبي عائشة، روى عن حفص بن أبي حفص، وسعيد بن جبير، وسليمان بن سرد وغيرهم. وروى عنه، إسرائيل بن يونس، وجرير بن عبد الحميد، والحسن بن صالح بن حَيٍّ وغيرهم، ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات).

ينظر: تهذيب الكمال، ٩٠/٢٩، تهذيب التهذيب، ٣٥٢/١٠.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠٧/٢٢.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٠٧/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠٧/٢٢.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره، عن إسرائيل، عن السُّدِّي، عن أبي مالك، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، ٢٦٧/٣.

(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٠٨/٢٢، وقول أبي عبيدة مذكور في كتابه مجاز القرآن، ٢٤٤/٢.

(٧) من الملح دون العذب، كما ذكره في معاني القرآن، ١١٥/٣.

(٨) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١١٥/٣.

(٩) إعراب القرآن للنحاس، ٢٠٧/٤.

يخرج من أحدهما. كما قال: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]، قال: وقيل: أنهما نهران، يخرج من أحدهما: اللؤلؤ، ومن الآخر: المرجان^(١).

وقيل: يخرج للمستقبل، فيقول: أنه إنما يخرج منهما، بعد هذا^(٢).

قال ابن جرير: نذكر هذا القول. وقد ذكر هذا القول، وليس هذا كما ذهب إليه، وذلك إنما يخرج من أصداف البحر، عن قطر السماء، فلذلك قيل: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ يعني به البحرين^(٣).

قال أبو بكر: والذي قاله محمد بن جرير، قد رواه عن ابن عباس رضي الله عنه سعيد بن جبير، قال: "إن السماء إذا أمطرت فتحت الأصداف أفواهاها، فما وقع فيها من مطر فهو لؤلؤ"^(٤).

قال أبو جعفر أحمد بن محمد: قيل إنما يخرج هذا الصدف الذي فيه الأشياء، من الموضع يجتمع فيه العذب والملح، نحو العيون^(٥).

﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما - يا معشر الثقلين - التي أنعم بها عليكم، فيما أخرج لكم من منافع هذين البحرين، تكذبان؟^(٦)

وقطع القارئ على قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ تمام. وكذا ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾^(٧).

تُكذِّبَانِ^(٧).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٢٩/٢٠.

(٢) إعراب القرآن للنحاس، ٢٠٧/٤.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٠٨/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٠٨/٢٢.

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٠٧/٤.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢١٠/٢٢.

(٧) القطع والانتشاف، ٧٠٣/١.

وقوله - جلّ وعزّ -:

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢١﴾ فَبِأَيِّ آيَاتٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

﴿الْجَوَارِ﴾ في موضع رفع بالابتداء.

﴿وَلَهُ﴾ في موضع الخبر.

﴿الْمُنشَآتُ﴾ نعت للجوّار. «وكتبت في السواد بغير ياء، على الوصل، وكان في الأصل: بياء مضمومة، إلا أن الضمة حُذفت من الياء؛ لثقلها، وحذف الياء بعيد عند النحويين، فمن حذفها، فمن حجته: أن الكسرة تدل عليها، وقد كانت تُحذف قبل دخول الألف واللام، ولا ينبغي أن يوقف عليه متعمداً؛ لأن الذي يوجبه اختيار أهل العربية أن يوقف بالياء، فإن وقف على اختيارهم زاد في السواد ما ليس فيه، وإن وقف بغير ياء وافق السواد، وأتى بلغة شاذة، فكيف أن الكاتب إنما كتبه في المصحف على الوصل، فأسقطها من الخط.

وأما أبو حاتم فقال: الوقف على الجوّاري بالياء، قال: ويجوز الحذف، ولا يعجبني.

وقال أبو جعفر: سبيل الياء أن تثبت مع الألف واللام؛ لأنها إنما تحذف لسكونها، وسكون التنوين بعدها، فلما زال التنوين ثبتت، بقول هذا القاضي والرامي، فإن لقيها ساكن حذفها في الوصل، فقلت: وله الجوّار المنشآت، فإذا وقفت وقفت بالياء، فقلت: وله الجوّاري، وقد يجوز حذف الياء، وأن يُبنى الاسم على ما كان قبل دخول الألف واللام، وعليها كتب في ﴿حَمَّ ١٠ عَسَقَ﴾ [الشورى: ٢-١]: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾ [الشورى: ٣٢]:^(١)

واختلفت القراءة في ﴿الْمُنشَآتُ﴾:

«فقرأت الجماعة: ﴿الْمُنشَآتُ﴾ بفتح الشين، إلا حمزة فإنه قرأ: ﴿الْمُنشَآتُ﴾ بكسر الشين.

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٠٧/٤، التحرير والتنوير، ٢٥١/٢٧،

واختلِفَ عن عاصم، فروى أبو بكر عن عاصم: الفتح، والكسر، وروى حفص عنه: فتح الشين. وروى عن عاصم الجحدري، أنه قرأ: ﴿الْمُنَشَّاتُ﴾ وهذه القراءة غير محفوظة؛ لأنه إن أبدل الهمزة، قال: ﴿الْمُنَشَّاتُ﴾، وإن خفضها، جعلها بين الهمزة والألف، فقال: ﴿الْمُنَشَّاتُ﴾، وهو المحفوظ من قراءته^(١).

قال أبو بكر: ومن قرأ ﴿الْمُنَشَّاتُ﴾ بالكسر، جعلها فاعلة، أي: المبتدئات في [السَّيْرِ]^(٢)، ومن قرأ بفتح الشين، جعلها مفعولاً بها، أي: المبتدأ بِهِنَّ في [السَّيْرِ]^(٣)^(٤).

وقوله: ﴿كَالْأَعْلَمِ﴾ في موضع نصب على الحال.

﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إعرابه كإعراب ما تقدم^(٥).

ومعنى الآية - والله أعلم -:

[١٦١/أ] وَلِزَبِّ الْمَشْرِقِينَ وَالْمَغْرِبِينَ الْجَوَارِي، وهي السفن الجارية في البحار. / وقوله: ﴿الْمُنَشَّاتُ فِي الْبَحْرِ﴾ روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله: ﴿الْمُنَشَّاتُ﴾ قال: "ما رُفِعَ قَلْعُهُ مِنَ السَّفْنِ، فهو منشآت، وما لم يُرْفَعِ قَلْعُهَا، فليست بمنشآت"^(٦).

وقال قتادة وابن زيد: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ "السفن"^(٧).

وقوله: ﴿كَالْأَعْلَمِ﴾ أي: كالجبال، فشبهه -جلَّ وعزَّ- السُّفْنَ بالجبال، والعرب تسمي كلَّ جبلٍ طويلٍ عَلَمًا^(٨)، ومنه قول جرير:

(١) ينظر: السبعة في القراءات، ٦١٩، الحجة للقراء السبعة، ٢٤٤/٦، إعراب القرآن للنحاس، ٢٠٧/٤.

(٢) في الأصل: (الشين)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) في الأصل: (الشين)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) ينظر: السبع في القراءات، ٦١٩، معاني القراءات للأزهري، ٤٤/٣، التيسير في القراءات السبع، ٢٠٦.

(٥) ينظر: الصفحة (٢٨٧) من هذه الرسالة.

(٦) تفسير مجاهد، ٦٣٦/١، وأخرجه الطبري في جامع البيان، ٢١٠/٢٢-٢١١. والقَلْعُ: شراع السفينة، لسان العرب، مادة: (قلع).

(٧) أخرجهما الطبري في تفسيره، ٢١١/٢٢.

إِذَا قَطَعْنَ [عَلَمًا بَدَا عَلَمٌ] ^(٢)
^(٣)

قال مجاهد: ﴿الْمُنَشَّاتُ﴾ "ما رُفِعَ قَلْعُهَا، وما لم يُرْفَع قَلْعُهَا فليست بمنشآت" ^(٤).

قال أبو بكر: وفي الحديث أن علياً عليه السلام رأى سفناً مقلعةً، فقال: "وَرَبُّ الْجَوَارِ الْمُنَشَّاتِ مَا [قَتَلْتُ] ^(٥) عَثْمَانَ، وَلَا مَالَأْتُ عَلَى [قَتَلَهُ] ^(٦)" ^(٧).

﴿فَيَأْتِيءَ آءِ الْآءِ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ﴾ أي: فبأي نِعَمٍ ريكما - يا معشر الجن والإنس - التي أنعمتُها عليكم - بإجرائه الجواري المنشآت في البحر، جاريةً لمنافعكم - تكذبان؟ ^(٨)

قال أبو بكر: وقطع القارئ على ﴿كَالْأَعْلَمِ﴾ تام، وكذا ﴿فَيَأْتِيءَ آءِ الْآءِ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ﴾ ^(٩).

=

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢١١.

(٢) في الأصل: (طَعْنَ)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٣) هذا صدر البيت كما في ديوان جرير، ٤٢٤، وقامه:

إِذَا قَطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمٌ ... فَهِنَّ بَحْتًا كَمُضِلَّاتِ الْحَدَمِ

(٤) سبق تخريجه في صفحة (٣١٠).

(٥) في الأصل: (قبلت)، والمثبت موافق لما في المصادر.

(٦) في الأصل: (قتله)، والمثبت موافق لما في المصادر.

(٧) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة، ٧٣٩، والبخاري في التاريخ الكبير، ٦٨/٧.

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢١١.

(٩) القطع والائتناف، ٧٠٤.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣١﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٢﴾ فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿كُلُّ﴾ رفع بالابتداء.

﴿مَنْ﴾ في موضع خفض بإضافة ﴿كُلُّ﴾ إليه، متصل بالابتداء.

﴿عَلَيْهَا﴾ الهاء والألف: ضمير مخفوض.

﴿فَانٍ﴾ في موضع رفع بخبر الابتداء، والأصل فيه: فاني، بإثبات الياء، وضمها، إلا أن العرب تستثقل الضمة في هذه الياء، فتحذفها، فتسكن الياء، ثم تحذف بسكونها، وسكون التنوين بعدها^(١).

﴿وَيَبْقَى﴾ فعل مستقبل.

﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾ رفع بفعله.

﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ نعت لـ ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾ خفض بإضافة ﴿ذُو﴾ إليه.

﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ عطف على ﴿الْجَلَالِ﴾.

قال أبو جعفر: المعنى: ويبقى ربك، كما تقول: هذا وجه [الأرض]^{(٢)(٣)}.

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٠٧/٤.

(٢) في الأصل: (الأمر)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ٢٠٧/٤. وقد تضمنت آية: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ إثبات صفة الوجه لله عزّ وجلّ، والنصوص في إثبات الوجه من الكتاب والسنة لا تُحصى كثرة، وكلها تنفي تأويل المعطّلة الذين يفسّرون الوجه بالجهة أو الثواب أو الذات، والذي عليه أهل الحق أن الوجه صفة غير الذات، ولا يقتضي إثباته كونه تعالى مركّباً من أعضاء، كما يقوله المجسّمة، بل هو صفة لله -عزّ وجلّ- على ما يليق به، فلا يشبه وجهها ولا يشبهه وجهه. ينظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس، ١١٤.

وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ بالياء^(١)، على أن يكون في موضع خفض على النعت لـ ﴿رَبِّكَ﴾.

ومعنى الآية -والله أعلم-:

كل من على ظهر الأرض -من جن وإنس- ﴿فَإِنْ﴾: هالك، ويبقى وجهه ربك -يا محمد- ذو الجلال والإكرام، فبأي آلاء ربكما تكذبان -يا معشر الثقلين- من هذه النعم؟^(٢)

قال أبو بكر: فأما وقف القارئ، فيروى عن الشعبي قال: إذا قرأت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ فلا تقف حتى تقول: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. وهو قول عيسى بن عمر^(٣).

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿بَسَّطَهُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ٢١ ﴿فَبِأَيِّ آءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

﴿بَسَّطَهُمْ﴾ فعل مستقبل، والهاء: ضمير اسم الله، في موضع نصب.

﴿مَنْ﴾ رفع بفعله.

﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ خفض بـ ﴿فِي﴾، في صلة ﴿مَنْ﴾.

﴿وَالْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾.

﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ ظرف.

﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ابتداء وخبر.

ومعنى الآية -والله أعلم-:

إليه يفزع بمسألته الحاجات، كل من في السماوات والأرض -من مَلَكٍ وإنسٍ وجنٍّ،

(١) قراءة شاذة، ينظر: معجم القراءات، ٢٦٠/٩.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢١١/٢٢-٢١٢.

(٣) القطع والائتناف، ٧٠٤.

وغيرهم - لا غنى لأحد منهم عنه^(١).

روى سعيد عن قتادة: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: "لا يستغني عنه أهل السماوات، ولا أهل الأرض، يُجِيبُ حَيًّا، ويميت ميتًا، ويربي صغيرًا، ويفك أسيرًا"^(٢).

وروى إسماعيل عن أبي صالح: "يسأله من في السماوات الرحمة، ويسأله من في الأرض المغفرة والرزق"^(٣).

وقال علي بن سلمان: "يسأله من في السماوات والأرض عن شأنه"^(٤).

ثم قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ روى مجاهد عن عبيد بن [عمير]^(٥): ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال: "يجيب داعيًا، ويعطي سائلًا، أو يفك عانيًا، ويشفي سقيمًا"^(٦).

وروى الأعمش عن مجاهد: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال: "من شأنه أن يعطي سائلًا، ويفك عانيًا، ويجيب داعيًا، ويشفي سقيمًا"^(٧).

وروى محمد بن عبدالرحمن بن البيلماني^(٨) عن أبيه^(٩) عن ابن عمر^(١٠)، رفعه إلى النبي ﷺ

عَلَيْهِ السَّلَامُ / فِي قَوْلِهِ - جَلَّ وَعَزَّ - ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: ((يَعْفِرُ ذُنُوبًا، وَيَكْشِفُ كَرْبًا، وَيُجِيبُ دَاعِيًا))^(١).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢١٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢١٢.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط، ٤/٢٢١، والقرطبي في تفسيره، ٢٠/١٣٤.

(٤) ذكره مكِّي بن أبي طالب في تفسيره، ١١/٧٢٢٤.

(٥) في الأصل: (عمر)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢١٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢١٣.

(٨) محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني الكوفي النحوي، مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال أبو حاتم، والبخاري، والنسائي:

والنسائي: (منكر الحديث). ينظر: تهذيب الكمال، ٢٥/٥٩٤، تاريخ الإسلام، ٤/٥٠٨.

(٩) عبد الرحمن بن البيلماني، والد محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني، مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ذكره ابن حبان في

كتاب (الثقات). ينظر: تهذيب الكمال، ١٧/٨، تهذيب التهذيب، ٦/١٤٩.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال: "إن لله - جل ثناؤه - لوجًا محفوظًا، ينظر فيه كل يوم ستين وثلاثمائة نظرة"^(٢). وذكر الحديث^(٣).

وقال عمرو بن ميمون^(٤): ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ "من شأنه، أن يميت حيًا، ويقتر في الأرحام ما يشاء، ويعز ذليلاً، ويذل عزيزًا"^(٥).

وقال أبو جعفر أحمد بن محمد: مذهب قتادة، وليس بنصّ قوله: يفرع إليه أهل السماوات وأهل الأرض في حاجاتهم، لا غنى بهم عنه، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أي: في شأنهم، وصلاتهم، وتدبير أمورهم^(٦).

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما - معشر الجن والإنس - التي أنعم عليكم، من صرفه إياكم في مصالحكم، وما هو أعلم به منكم، من [تقليبه]^(٧) إياكم، فيما هو أنفع لكم، تكذبان؟^(٨)

قال أبو بكر: واختلف في قطع القارئ من هذه الآيتين:

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي الدرداء، باب فيما أنكرت الجهمية، ٧٣/١ باختلاف. قال الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، ١٢٧/٢: صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ١٠/٢٦٠. ودُكر في تحقيق شرح العقيدة الطحاوية، ٢٦٣، أنه ضعيف، وفيه زياد بن عبد الله وهو البكائي عن ليث وهو ابن أبي سليم وكلاهما ضعيف، وقد رواه من طريق أخرى، بنحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا عليه، وإسناده يحتمل التحسين، فإن رجاله كلهم ثقات غير بكير بن شهاب وهو الكوفي، قال فيه أبو حاتم: شيخ، وذكره ابن حبان في (الثقات)، ٣٢/٢.

(٣) حديث ابن عمر رضي الله عنهما، المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، المذكور سابقًا.

(٤) عمرو بن ميمون الأودي، أبو عبد الله، ويقال: أبو يحيى الكوفي من أود بن صعيب بن سعد العشيرة من مذحج، أدرك الجاهلية ولم يلق النبي صلى الله عليه وسلم. روى عن عمر وعبد الله رضي الله عنهما، وسمع من معاذ رضي الله عنه باليمن في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عن أبي مسعود الأنصاري وعبد الله بن عمرو وسلمان بن ربيعة والربيع بن خيثم، مات سنة أربع وسبعين.

الطبقات الكبرى، ١٧٢/٦، تهذيب الكمال، ٢٦١/٢٢.

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره، ١٣٥/٢٠.

(٦) إعراب القرآن للنحاس، ٢٠٨/٤.

(٧) في الأصل: (تغليبه)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢١٥/٢٢.

«فقال أبو حاتم: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تام. ثم قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، وكذا روي عن نافع.

وقال يعقوب: ومن الوقف: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ﴾ فهذا الوقف التمام.

وقال أبو جعفر: أما قول يعقوب، يقول: مخالف لقول الذين شاهدوا التنزيل؛ لأن ابن عباس رضي الله عنه قال: "إن لله لوحًا محفوظًا، ينظر فيه كل يوم ستين وثلاثمائة نظرة".

وقد روي هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم^(١)، وعن ابن عباس رضي الله عنه بزيادة: "يعز مع كل نظرة من شاء، ويدل من شاء، ويغي من شاء، ويفقر من يشاء". فهذا يدل على أن التقدير: كل يوم هو في شأن. غير أن قول يعقوب، قد روي نحوه عن أبي هنيئ رضي الله عنه^(٢): قال: "يسأله كل من في السماوات السماوات والأرض، كل يوم وربنا في شأن".

وأما قول الأخفش^(٣) فصحيح، على قراءة من قرأ بالنون. ومن قرأ بالياء، فالكلام عنده متصل^(٤).

(١) أخرج الطبراني في المعجم الكبير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لَوْحًا مَحْفُوظًا مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ صَفْحَاتِهَا مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، فَلَمُّهُ نُورٌ، لِلَّهِ فِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ سِتُونَ وَثَلَاثُمِائَةَ حُطَّةٍ، يَخْلُقُ وَيَزُوقُ وَيُمِيتُ وَيُحْيِي وَيُعْزُّ وَيُذِلُّ وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ». ذكر هذا الحديث الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ٢٣٢.

(٢) أبو هنيئ الأزدي البصري القارئ، اسمه عثمان بن هنيئ، صاحب القراءات، يختلف إلى خراسان، روى عن ابن عباس، وعمرو بن أخطب رضي الله عنه، روى عنه: قتادة، وزباد بن سعد، قال ابن حجر: (ثقة من الثالثة). يُنظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ١٧١/٦، تاريخ الإسلام، ١٩٨/٣، تهذيب التهذيب، ١٥٧/٧.

(٣) سعيد بن مسعدة، أبو الحسن، الأخفش الأوسط، وهو أحد الأخفش الثلاثة المشهورين، قرأ النحو على سيبويه، حَدَّثَ عن الكلبي، والنخعي، روى عنه أبو حاتم السجستاني، وأبو عثمان المازني، وكان معتزليًا، وقال المبرد: (أحفظ من أخذ عن سيبويه: الأخفش)، صَنَّفَ: (معاني القرآن)، (المقاييس في النحو)، (الاشتقاق)، توفي سنة خمس عشرة ومائتين. ينظر: سير أعلام النبلاء، ١٠ / ١٠٦، بغية الوعاة، ٥٩٠/١، طبقات المفسرين للأدنه وي، ٣١.

(٤) القطع والانتساف، ٧٠٤_٧٠٥.

وقوله -جلّ وعزّ:-

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

﴿سَنَفْرُغُ﴾ فعل مستقبل.

﴿لَكُمْ﴾ الكاف والميم: خفض باللام.

﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ نعت لـ ﴿أَيُّ﴾.

واختلفت القراءة في ﴿سَنَفْرُغُ﴾:

فقرأ حمزة والكسائي ﴿سَيَفْرُغُ﴾ بياء مفتوحة. وقرأ الباقون: بالنون^(١).

﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ قد ذكرناه في سورة النور^(٢).

وقرأ عبد الرحمن الأعرج^(٣) وقتادة: ﴿سَنَفْرُغُ﴾ بفتح النون والراء^(٤).

وقرأ عيسى: ﴿سَنَفْرُغُ﴾ بكسر النون وفتح الراء^(٥).

وحكى الفراء أنه يقرأ: ﴿سَيَفْرُغُ لَكُمْ﴾ بضم الياء وفتح [الراء]^(٦).

وروى حسين عن أبي عمرو ﴿سَيَفْرُغُ﴾ بالياء، وفتح الياء والراء^(٧).

(١) ينظر: السبعة في القراءات، ٦١٩، الحجة للقراء السبعة، ٢٤٤/٦، المبسوط في القراءات العشر، ٤٢٣.

(٢) ينظر: الأصل، المجلد السادس/اللوحة ٦٥، سورة النور.

(٣) أبو داود: عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني، مولى محمد بن ربيعة، تابعي جليل، كان يكتب المصاحف، وكان أعلم الناس بأنساب قريش، توفي سنة سبعة عشر ومائة، وقيل سنة تسعة عشر ومائة. ينظر: معرفة القراء الكبار، ١/٧٧، غاية النهاية، ١/٣٨١.

(٤) معجم القراءات، ٩/٢٦٢.

(٥) ينظر: معجم القراءات، ٩/٢٦٣.

(٦) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصادر. ينظر: معاني القرآن للقراء، ٣/١١٦، المحتسب في تبيين وجوه شواذ شواذ القراءات، ٢/٣٠٢، معجم القراءات، ٩/٢٦٣.

(٧) ينظر: السبعة في القراءات، ٦٢٠، معاني القراءات، ٣/٤٤، ٦/٢٤٤.

قال أبو بكر: والحجة لمن قرأ بالنون: ما أتى في القرآن من إسناد الأفعال إلى الله - جلَّ وعزَّ - بلفظ الجمع، ونسبته به، قوله - عز وجل -: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَبَعَلْنَاَهُ هَبَاءً مَّنشُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]؛ لأن معنى ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ نتعمد، ونقصد قصدكم، ومعنى ﴿وَقَدِمْنَا﴾ وعهدنا، وهما متفقان^(١).

وعلة من قرأ بالياء: أنه أتى عقيب ذكر الله - جلَّ وعزَّ - بلفظ التوحيد، وهو قوله - جلَّ وعزَّ -: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فأجرى الفعل بعده، على لفظ ما تقدمه، إذ كان في سياقته، ليألف الكلام على نظام واحد، وقيل: هو رد على قوله: ﴿يَسْأَلُهُ﴾ ولم يقل ﴿يسألنا﴾.

وأما قراءة من قرأ ﴿سَنَفْرُغُ﴾ بفتح الراء فإنها من: فرغ يفرغ، الماضي والمستقبل بالفتح، وليس هذا البناء بأصل في الأفعال، وإنما الأصل: فرغ يفرغ، على: فَعَلَ يَفْعُلُ، مثل: دخل يدخل.

وحكى أبو عبيد: أن هذه اللغة لغة أهل الحجاز وتامة، وأما الفتح فإنما جاز؛ لأن لام الفعل حرف من حروف الحلق، وحروف الحلق يأتي منها فَعَلَ يَفْعُلُ كثيرا، نحو: ذهب يذهب، وصنع يصنع، ويأتي ما فيه لغتان: نحو صنع يصنع، ورعف يرعف، ويرعف يرعف، ويأتي بالألا يكاد يُفتح، نحو: نُحِبُّ يُحِبُّ، وإنما يرجع في هذا إلى اللغة^(٢).

وحكى أبو عبيد: أن المفتوح لغة أهل نجد.

ومعنى الآية - والله أعلم -:

وهو قول ابن جرير: «أنها وعيد / من الله - جلَّ وعزَّ - لعباده، وتهدُّد، كقول القائل

[١٦٢/أ]

(١) ينظر: حجة القراءات، ٦٩٢.

(٢) ينظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ٣٠٤/٢، معجم القراءات، ٢٦٢/٩.

الذي يتهدد [غيره]^(١) ويتوعده، ولا شغل له يَشغله عن عقابه: لأتفرغَنَّ لك، وسأتفرغ لك، بمعنى: سأخذ في أمرك، وأعاقبك.

قال محمد بن جرير: وقد يقول القائل [للذي]^(٢) لا شغل له: قد فرغت لي، وقد فرغت [لشتمني]^(٣)، أي: أخذت فيه، وأقبلت عليه، قال: فكذلك قوله - جلَّ وعزَّ -: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ سنحاسبكم، ونأخذ في أمركم - أيُّها الجن والإنس - فنعاقب أهل المعاصي، [ونثيب]^(٤) أهل الطاعة^(٥).

قال أبو بكر: وما قاله محمد بن جرير، من أن في الكلام معنى الوعيد، قد جاء عن أهل العلم.

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ قال: "وعيد من الله - جلَّ وعزَّ - للعباد، وليس بالله - جلَّ ثناؤه - شغل، وهو فارغ"^(٦).

وتلى قتادة الآية، فقال: "قد دنا من الله - جلَّ وعزَّ - الفراغ لخلقه"^(٧).

وقال الضحاك: "وعيد من الله - جلَّ وعزَّ -"^(٨).

وقال محمد بن جرير: وقد يحتمل معنى ذلك، أي: سنفرغ لكم، من وعدكم ما وعدناكم، من الثواب والعقاب^(٩).

(١) في الأصل: (عبده)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) في الأصل: (الذي)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) هكذا في الأصل، وفي المصدر: (لشتمني).

(٤) في الأصل: (ونثبت)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢١٦.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢١٦.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢١٦-٢١٧.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢١٧.

(٩) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢١٧.

قال أبو بكر: والفراغ في اللغة على وجهين:

أحدهما: الفراغ من الشغل.

وآخر: القصد إلى الشيء، يقول: سأفرغ لك أي: سأقصد إليك^(١)، كما قال جرير:

فَرَعْتُ إِلَى الْعَبْدِ الْمُقَيَّدِ فِي الْحِجْلِ^(٢)

وقال أبو عبيدة: سنحاسبكم^(٣).

﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما - يا معشر الثقلين - التي أنعم بها عليكم،

من [ثوابه]^(٤) أهل الطاعة وعقابه أهل [معصيته]^(٥)، تكذبان؟^(٦)

قال أبو بكر: وقطع القارئ على ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ قطع صالح، وكذا ﴿تُكَذِّبَانِ﴾^(٧).

وقوله - جلّ وعزّ -:

﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْطَعْتُمْ أَنْ تَفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَآنَفُوا لَا تَفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ

﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

قوله - جلّ وعزّ -: ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ نداء مضاف، ﴿وَالْإِنْسِ﴾ معطوف على ﴿الْجِنِّ﴾.

﴿إِنْ أَسْطَعْتُمْ﴾ فعل ماضٍ، في معنى مستقبل. و﴿إِنْ﴾ حرف من حروف الشرط. والتاء

والميم من ﴿أَسْطَعْتُمْ﴾ اسم الفاعلين.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٩٩/٥.

(٢) ديوان جرير، ٣٧٢، وتامه: ولما أتقى القيرن العراقيّ بأسّته فرغت إلى العبد المقيّد في الحجل

(٣) مجاز القرآن، لأبي عبيدة، ٢٤٤/٢.

(٤) في الأصل: (قوله)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٥) في الأصل: (معصيه)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢١٧/٢٢.

(٧) القطع والانتشاف، ٧٠٥.

﴿أَنْ تَفْعُدُوا﴾ في موضع نصب بأن. و﴿أَنْ﴾ في موضع نصب مفعول ﴿إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ﴾.

﴿مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ﴾ خفض بـ ﴿مِنْ﴾. و﴿السَّمَوَاتِ﴾ خفض بإضافة ﴿أَقْطَارِ﴾ إليها.

﴿وَالْأَرْضِ﴾ معطوفة على ﴿السَّمَوَاتِ﴾.

﴿فَأَنْفَعُوا﴾ الفاء وما بعدها، وهو أمر، في موضع جواب الشرط.

﴿لَا تَفْعُدُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ أي: فليس تنفذون إلا بسُلطان.

وقد ذكرنا إعراب ﴿فَيَأْتِيءَ آءِآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(١).

قال أبو بكر: واختلف أهل العلم في تأويل قوله: ﴿إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَفْعُدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنْفَعُوا لَا تَفْعُدُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾:

فقال بعضهم: المعنى: إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السماوات والأرض، فتعجزوا ربكم، حتى لا يثدّر عليكم، فجوزوا ذلك، فإنكم لا تجوزونه إلا بسُلطان من ربكم، قالوا: وإنما هذا يقال لهم يوم القيامة، قالوا: ومعنى الكلام: سنفرغ لكم -أيها الثقلان-، فيقال لكم: يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض، فانفذوا، لا تنفذون^(٢).

روى ذلك أبو أسامة^(٣) عن الأجلح^(٤) قال: سمعت الضحاك بن مزاحم قال: "إذا كان

(١) ينظر: الصفحة (٢٨٧) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢١٧.

(٣) حماد بن أسامة بن زيد القرشي، أبو أسامة الكوفي، مولى بني هاشم، روى عن: أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفزاري، الفزاري، والأجلح بن عبد الله الكندي، والأحوص بن حكيم الشامي وغيرهم، روى عنه: إبراهيم بن سعيد الجوهري، وأحمد بن إبراهيم الدورقي، وأحمد بن أبي رجاء الهروي، مات في ذي القعدة سنة إحدى ومائتين، وهو ابن ثمانين سنة. ينظر: تهذيب الكمال، ٧/٢١٧، تقريب التهذيب، ١٧٧.

(٤) الأجلح بن عبد الله بن حجية الكندي أبو حجية الكوفي، سمع عبد الله بن أبي الهذيل وابن بريدة والشَّعْبِيَّ وعكرمة، وعكرمة، روى عنه الثوري وابن المبارك، ويقال: الأجلح اسمه يحيى. روى عن: حبيب بن أبي ثابت، والحكم بن عتيبة، وزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وغيرهم، روى عنه: جعفر بن عون، والحسن بن صالح بن حي،

يوم القيامة أمر الله -جلّ وعزّ- السماء الدنيا [فَتَشَقَّقَتْ] ^(١) بأهلها، [ونزل] ^(٢) من فيها من الملائكة، فأحاطوا بالأرض، وَمَنْ عَلَيْهَا، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فضُفُّوا صَفًّا دون صفٍّ، ثم ينزل الملك الأعلى، على جَنَّبَيْهِ اليسرى جهنم، فإذا رآها أهلُ الأرض نُدُّوا ^(٣)، فلا يأتون قُطْرًا من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة / [١٦٢/ب] صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله -جلّ وعزّ-: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿١٧﴾ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدْبِرِينَ﴾ [غافر: ٢٢-٢٣]. وذلك قوله -جلّ وعزّ-: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿١٨﴾ وَجِئَتْ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [النحر: ٢٢، ٢٣]. وقوله: ﴿بِمَعَشَرِ الْإِنسِ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾. وذلك قوله: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٩﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ [الحاقة: ١٦-١٧] ^(٤).

وقال آخرون: معنى ذلك: إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض، فانفذوا هارين من الموت، فإن الموت مُدْرِكُكُمْ، ولا ينفَعُكُمْ هَرَبُكُمْ منه ^(٥).

قال: زوي -أيضًا- هذا القول عن الضحاك، بغير الإسناد الأول: ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾. الآية، يعني: "أنهم لا يجيرهم أحد من الموت، وأنهم ميتون، لا يستطيعون فرارًا منه، ولا محيصًا، ولو نفذوا أقطار السماوات والأرض، كانوا في سلطان الله -جلّ وعزّ- ولأَخَذَهُمُ الموت" ^(٦).

وقال آخرون: إن استطعتم أن تعلموا ما في السماوات والأرض، فاعلموا ^(٧).

وأبو أسامة حماد بن أسامة وغيرهم، قال أحمد بن عبد الله العجلي: (كوفي، تابعي، ثقة)، وكان مفتي الكوفة قبل حماد بن أبي سلمة. مات سنة تسع عشرة ومائة. ينظر: الطبقات الكبرى، ٣٣٦/٦، التاريخ الكبير، ٦٨/٢، تهذيب الكمال، ٢٧٥/٢.

(١) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) شردوا وتفرقوا. ينظر: لسان العرب، مادة: (ندد).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢١٧-٢١٨.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢١٨.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢١٨.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢١٩.

رُوي هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما، في الآية: "إن [استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموه، ولن] ^(١) تعلموه إلا بسطان، يعني البينة من الله جلَّ وعزَّ" ^(٢).

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿لَا تَتَفُدُّونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ لا يخرجون من سلطاني ^(٣).

رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: ﴿لَا تَتَفُدُّونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾، قال: "يقول: لا تخرجون من سلطاني" ^(٤).

قال أبو بكر: وأما الأقطار: فهو جمع قُطْر، وهي الأطراف، والنواحي ^(٥).

روى مهرا عن سفيان: ﴿إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَتَفُدُّوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: "من أطرافها" ^(٦).

وقوله: ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ قال: من أطرافها ^(٧).

وقال بعض أهل اللغة: الأقطار والأنفار: النواحي.

وأما قوله: ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [فاختلف] ^(٨) أهل العلم في معناه -أيضًا-، فقال عكرمة: "وكل سلطان في القرآن فهو حجة" ^(٩).

(١) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومُتِمَّ للمعنى.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢١٩.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢١٩.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢١٩.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢١٩. وينظر معنى قُطْر: لسان العرب، مادة: (قطر).

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٢٠.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٢٠.

(٨) في الأصل: (واختلف)، والمثبت مناسب للسياق.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٢٠.

وقال مجاهد: "إلا بحجة"^(١).

وقال قتادة: "لا تنفذون إلا بملك، وليس لكم ملك"^(٢).

وعنه: "إلا بملك من الله جلّ وعزّ"^(٣).

قال أبو بكر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: إلا بحجة ويئنه؛ لأن ذلك هو معنى السلطان في كلام العرب، وقد يدخل المُلْك في ذلك؛ لأن المُلْك حُجَّة^(٤).

وقوله: ﴿فِي أَيِّ آءِآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ فبأي نعم ربكما تكذبان - يا معشر الثقلين - التي أنعم عليكم، من التسوية بين جميعكم؛ لأن جميعكم لا يقدرّون على خلاف أمرٍ أراد بهكم؟ أي: جعل الحكم واحدًا في المنع من النفوذ، ولم يخصّ بذلك أحدًا دون أحد^(٥).

قال أبو بكر: **وقطع القارئ على قول أبي حاتم، على قوله: ﴿فَأَنفُذُوا﴾ قطع تام.** ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ كاف، والتمام عنده ﴿فَلَا تَنصَرِنِ﴾^(٦).

(١) تفسير مجاهد، ٦٣٨، وأخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢٠/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢١/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢١/٢٢.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢١/٢٢.

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢١/٢٢.

(٦) القطع والانتشاف، ٧٠٥.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿يُرْسَلُ﴾ فعل مستقبل، لما لم يُسَمَّ فاعله.

﴿شُوَاظٌ﴾ اسم ما لم يُسَمَّ فاعله.

وقرأت الجماعة: ﴿شُوَاظٌ﴾ بضم الشين، إلا ابن كثير: فإنه قرأ بكسرها، وهي -أيضاً- مروية عن الحسن وابن أبي اسحاق^(١).

والفراء يذهب إلى أنهما لغتان بمعنى واحد، كما يقال صُورٌ وصِوَارٌ^(٢).

﴿مِّن نَّارٍ﴾ خفض بـ ﴿مِّن﴾.

﴿وَنُحَاسٌ﴾ اختلفت القراءة -أيضاً- في قراءته:

فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿وَنُحَاسٌ﴾ بالخفض. وقرأ الباقون: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ بالرفع^(٣).

فمن قرأ بالرفع: عطف على قوله ﴿شُوَاظٌ﴾، ومن قرأ بالكسر: عطفه على ﴿نَّارٍ﴾ وهي -أيضاً- قراءة ابن أبي إسحاق. وقرأ مجاهد: ﴿وَنِحَاسٍ﴾ بكسر النون والسين. وقرأ مسلم بن جندب^(٤): ﴿وَنُحَسٌ﴾ بغير ألف وبالرفع^(٥).

(١) ينظر: السبعة في القراءات، ٦١٩، المبسوط في القراءات العشر، ٤٢٣، حجة القراءات، ٦٩٠.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١١٧/٣، إعراب القرآن للنحاس، ٢٠٩/٤. ويقال لجماعة البقر صوار. ينظر: لسان العرب، مادة: (صور).

(٣) ينظر: السبعة في القراءات، ٦١٩، المبسوط في القراءات العشر، ٤٢٣، حجة القراءات، ٦٩٠.

(٤) مسلم بن جندب الهذلي، أبو عبد الله القاضي، ذكره ابن حبان في (الثقات)، وقال: مات سنة ست ومائة. ينظر: غاية النهاية، ٢٩٧/٢، تهذيب التهذيب، ١٢٤/١٠.

(٥) (ونُحَس) قراءة شاذة. ينظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ٣٠٤/٢، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، ٨٦.



قال أبو بكر: « وقراءة من قرأ بالرفع أْبِيُّ في العربية؛ لأنها لا إشكال فيها، يكون معطوفاً على ﴿شَوْاطٍ﴾، فإن خُفِضَتْ عَطَفَتْ على ﴿نَّارٍ﴾ واحتاج إلى احتيال، وذلك أن أكثر أهل / [١٦٣/أ] التفسير، منهم ابن عباس رضي الله عنه، يقولون: الشواظ: اللهب، والنحاس: الدخان، فإذا خفِضت، فالتقدير: شواظ من نار ومن نحاس، فالشواظ لا يكون من النحاس، كما أن اللهب لا يكون من الدخان، إلا على حيلة واعتذار، والذي في ذلك من الحيلة، وهو قول أبي العباس محمد بن يزيد: أنه لما كان اللهب والدخان جميعاً من النار، كان كل واحد منهما مشتقاً على الآخر.

وأنشد الفرزدق^(١):

[وَبِتُّ أَقْدُ] ^(٢) الزَّادَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَلَى ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانٍ ^(٣)

فعطف (ودخان) على (ضوء نار) وليس للدخان ضوء؛ لأن الضوء والدخان من النار، وإن عطف (ودخان) على (ضوء) لم يحتج إلى احتيال.

وأنشد غيره في هذا بعينه:

شَرَّابُ الْأَبَانِ وَتَمْرٍ وَأَقِطٍ ^(٤)

وإنما المشروب: الألبان، ولكن الحلق يشتمل على هذه الأشياء.

وقال آخر في مثله:

يَا لَيْتَ زَوْجَكَ [قَدْ عَدَا] ^(٥) مُتَقَلِّدًا سَائِفًا وَرُوحًا ^(٦)

(١) همام بن غالب بن صعصعة الجاشعي، أبو فراس، سُمِّيَ بالفرزدق؛ لأنه شُبِّهَ وجهه بالخبزة وهي فرزدقة، كان الفرزدق شاعراً بارعاً، ذاع شِعْرُهُ فِي الْأَقْطَارِ، وَجُمِعَ فِي دِيْوَانٍ خَاصٍ، تَوَفِيَ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَةٍ. ينظر: طبقات فحول الشعراء للحمحي، ٢/٢٩٨، معجم الشعراء المرزباني، ٤٨٦، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/٥٩٠.

(٢) في الأصل: (قتت اقل)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٣) ديوان الفرزدق، ٦٢٨.

(٤) الرَّجَزُ رَوْتُهُ كَتَبَ اللُّغَةَ مِنْ غَيْرِ عَزْوٍ. ينظر: شرح شواهد الشعرية، ٢/٥٢.

(٥) في الأصل: (في الوغى)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٦) هذا البيت ينسب إلى عبد الله بن الزبيرى كما جاء في كتاب شعر عبد الله بن الزبيرى، ينظر: إيضاح شواهد الإيضاح، ١/٢٤٥.

لأنهما محمولان»^(١).

وقال الآخر:

إِذَا مَا الْعَانِيَاتُ [بِرَزْنٍ]^(٢) يَوْمًا [وَرَجْحَنَ]^(٣) الْحَوَاجِبَ وَالْعَيْونَا^(٤)

وقال الآخر:

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى شَتَّتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا^(٥)

قال أبو بكر: وقد ذكر اليزيدي علة أبي عمرو، فقال: أي: ومن النحاس^(٦).

وقال يونس النحوي^(٧) كان أبو عمرو يقول: «لا يكون الشواظ إلا من النار والنحاس جميعا، فيكون معناه: يرسل عليكما دخان يتشعب من نار ونحاس.

قال أبو بكر: ويجوز أن يكون النحاس معطوفاً على الشواظ، ويُخَفَضُ للمجاورة، والاشتراك في المعنى»^(٨).

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢١٠/٤.

(٢) في الأصل: (يزرن)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٣) في الأصل: (ورجحن)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٤) هذا البيت ينسب للراعي النميري كما جاء في ديوانه، ٢٣٢.

(٥) (هذا رجز مشهور بين القوم، لم أر أحداً عزاه إلى راجزه) كما قال العيني في الكبرى، وشتت: يروى بدله بدت. ومعناها واحد. وهمالة: من هملت العين، يعني صبت دمعها. ونصبه على التمييز. شرح شواهد المغني، ٩٢٩/٢.

(٦) ينظر: فتح القدير، ١٦٥/٥.

(٧) يونس النحوي: يونس بن حبيب أبو عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الضبي، إمام نخاة البصرة في عصره، ومرجع الأدباء والنحويين في المشكلات. كانت حلقة مجمع فصحاء الأعراب وأهل العلم والأدب سمع من العرب كما سمع من قبله، وأخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه سيبويه وروى عنه في كتابه، وأخذ عنه أيضا أبو الحسن الكسائي وأبو زكريا الفراء وأبو عبيدة معمر بن المثنى وخلف الأحمر وأبو زيد الأنصاري وغيرهم من الأئمة. وكان له في العربية مذاهب وأقيسة يتفرد بها، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة. معجم الأدباء، ٢٨٥٠/٦، طبقات النحويين واللغويين، ٥١.

(٨) ينظر: التفسير الوسيط، ٢٢٣/٤.

ومعنى الآية - والله أعلم -:

يرسل عليكما -أيُّها الثقلان- يوم القيامة، شواظ من نار، وهو لهبُها، من حيث تشتعل، وتتأجج من غير دخان^(١)، وأنشد أبو عبيدة قول رؤبة:

إِنَّ لَهُمْ مِنْ وَقَعِنَا [أَقْيَاطًا]^(٢) وَنَارُ حَرْبٍ تُسْعِرُ [الشُّوَاطَا]^(٣)

قال أبو عبيدة: ونُحَاس ونُحَاس بمعنى واحد، وهو الدخان، وأنشد قول الجعدي^(٤):

يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيِّ — طِ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسًا^(٥)(٦)

ومن قال: الشواظ: اللهب، من العلماء: ابن عباس رضي الله عنه، قال: "لهب النار"^(٧). وهو قول قول مجاهد قال: "اللهب المنقطع"^(٨).

وقال سفيان: "اللهب الأحمر المنقطع"^(٩).

وقال الضحاك وقتادة وابن زيد: "الشواظ: اللهب"^(١٠).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٢١.

(٢) في الأصل: (إيقاظ)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٣) في الأصل: (الشواطنا)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٤) قيس بن عبد الله بن عُذْس بن ربيعة الجعدي العامري، أبو ليلى: شاعر مُفَلَّقٌ، صحابي رضي الله عنه، من المعمرين، اشتهر في الجاهلية، وسمي: (النابعة)؛ لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله، وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر، قبل ظهور الإسلام. ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، وأدرك صفين، فشهداها مع علي رضي الله عنه، ثم سكن الكوفة، فسيرته معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها، فمات فيها وقد كُفَّ بصره، وجاوز المائة، وعاش إلى أيام ابن الزبير. ينظر: أسد الغابة، ٤/١٣٥، الإصابة، ٦/٣٠٨.

(٥) ديوان النابعة الجعدي، ١٠٠.

(٦) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٢/٢٤٤-٢٤٥.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٢٢.

(٨) تفسير مجاهد، ٦٣٨، وأخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٢٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، بلفظ: (اللهب الأخضر المنقطع من النار)، ٢٢/٢٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٢٢-٢٢٣.

وقال آخرون: الشواظ: هو الدخان الذي يخرج من اللهب^(١).

روى عبيد عن الضحاك في قوله: ﴿شَوَاطٍ مِّن نَّارٍ﴾ "الدخان الذي يخرج من اللهب، ليس بدخان الحطب"^(٢).

وأما قوله: ﴿وَنُحَّاسٌ﴾ فاختلف فيه -أيضًا- أهل العلم^(٣).

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿وَنُحَّاسٌ﴾: قال: "النحاس دخان النار"^(٤).

وقال آخرون: عُني بالنحاس في هذا الموضع: الصُّفْرُ^(٥).

رُوي ذلك أيضًا عن ابن عباس بغير الإسناد الأول، قوله: ﴿وَنُحَّاسٌ﴾ قال: "الصُّفْرُ يُعَدَّبُونَ به"^(٦).

وروى منصور عن مجاهد قال: "يذاب الصُّفْرُ"^(٧).

وعن سفيان -أيضًا-: "فَيُصَّبَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ"^(٨).

وقال قتادة: ﴿وَنُحَّاسٌ﴾ "توعدهما بالصُّفْرُ/ كما تسمعون أن تعذيبهما به"^(٩). [١٦٣/ب]

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢٣/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢٣/٢٢.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢٤/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢٤/٢٢.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢٤/٢٢. والصُّفْرُ ضَرْبٌ مِنَ النُّحَّاسِ، وَقِيلَ: هُوَ مَا صُفِّرَ مِنْهُ، يَنْظُرُ: لِسَانَ الْعَرَبِ،

العرب، مادة: (صفر).

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢٥/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، بزيادة في آخره، ٢٢٥/٢٢.

(٨) أخرجه هناد في الزهد، بزيادة في أوله، ١٨١/١.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢٥/٢٢.

وعنه: "يحرقهم [بالنار]"^(١) والنحاس"^(٢). وهو -أيضاً- قول الحسن^(٣).

وقوله: ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ أي: فلا تنتصران -أيُّها الجن والإنس- منه، إذ هو عاقبهما هذه العقوبة، فلا يُستنقذان منه^(٤).

قال قتادة: ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾: "يعني الجن والإنس"^(٥).

(١) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، بلفظ: (يخوفهم)، ٢٢٥/٢٢.

(٣) يقول الطبري في تفسيره، ٢٢٥/٢٢-٢٢٦، بعد نقل هذين القولين: (وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُني بالنحاس: الدخان، وذلك أنه جل ثناؤه ذكر أنه يرسل على هذين الحيين شواظ من نار، وهو النار المحضة التي لا يخلطها دخان والذي هو أولى بالكلام أنه توعدهم بنار هذه صفتها أن يتبع ذلك الوعد بما هو خلافها من نوعها من العذاب دون ما هو من غير جنسها، وذلك هو الدخان، والعرب تسمي الدخان نُحَاسًا بضم النون، ونُحَاسًا بكسرهما، والقراءة مجمعة على ضمهما، ومن النحاس بمعنى الدخان، قول نابغة بني جعدة:

يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيِّ طِمْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسًا يعني: دخانا).

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢٦/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢٦/٢٢.

وقوله -جلّ وعزّ:-

﴿إِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءِ رِيًّا تُكْذِبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمِذٍ لَا يُسْتَلْعَن دُنْيَاهُ إِلَّا نَسٌّ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءِ رِيًّا تُكْذِبَانِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِذَا﴾ ظرف.

﴿إِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ فعل ماضٍ، ﴿السَّمَاءُ﴾ رفع بفعلها.

﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ خبر كان، واسمها مضمرة فيها، وهو ضمير السماء.

﴿كَالدِّهَانِ﴾ الكاف: في موضع نصب، ﴿الدِّهَانُ﴾ خفض بالكاف.

﴿فَيَأْتِيءُ الْآءِ رِيًّا تُكْذِبَانِ﴾ قد ذكرنا إعرابه^(١).

ومعنى الآية -والله أعلم:-

فإذا انشقت السماء وتفطرت، وذلك يوم القيامة، فكان لونها لون البردوان: الورد الأحمر^(٢). روى قابوس^(٣) عن أبيه^(٤) عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ قال: "كالفرس الورد"^(٥).

(١) ينظر: الصفحة (٢٨٧) من هذه الرسالة.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٢٦-١١٧.

(٣) قابوس بن أبي المخارق، ويقال: ابن المخارق بن سليم الشيباني الكوفي. روى عن: أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أم الفضل لبابة بنت الحارث رضي الله عنها، وقيل: عن أبيه عنها. روى عنه: سماك بن حرب. قال النسائي: ليس به بأس وذكره بن حبان في (الثقات)، روى له أبو داود، والنسائي، وابن ماجه. ينظر: تهذيب الكمال، ٢٣/٣٣٠، تقريب التهذيب، ٤٤٩.

(٤) مخارق بن عبد الله الشيباني، وهو والد قابوس. ويقال: ابن سليم الشيباني، يكتنأ بأبا قابوس يعدّ في الكوفيين. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن ابن مسعود، وأم الفضل بنت الحارث رضي الله عنها، وغيرهما. روى عنه ابنه قابوس، وعبد الله، وحديثه عند النسائي من رواية أبي الأحوص، عن سماك بن حرب، عن قابوس، عن أبيه، وله في مسند الحسين بن سفيان من طريق أبي بكر النهشلي عن سماك، عن قابوس بن أبي المخارق، عن أبيه. وأخرجه أبو نعيم في الكنى في أبي المخارق. ينظر: أسد الغابة، ٥/١١٥، الإصابة في تمييز الصحابة، ٦/٣٨.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٢٧.

وقال أبو صالح: "كَلَوْنِ الْبِرْدُونَ: الْوَرْدُ، ثُمَّ كَانَتْ بَعْدَ كَالِدَّهَانَ"^(١).

وقال الضحاك: "تتغير السماء فيصير لونها كَلَوْنِ الدَّابَّةِ"^(٢) الْوَرْدَةَ"^(٣).

وقال قتادة: "هي اليوم خضراء كما ترون، ولونها يوم القيامة لون آخر"^(٤).

واختلفوا في معنى قوله: ﴿كَالِدَّهَانَ﴾ فقال بعضهم: كالدُّهْنِ صافية"^(٥).

وقال مجاهد: ﴿كَالِدَّهَانَ﴾: "كالدُّهْنِ"^(٦).

وقال الضحاك: ﴿كَالِدَّهَانَ﴾: "خالصة"^(٧).

وقال أبو الجوزاء"^(٨): "تكون كعصف الدهن"^(٩).

وقال زيد بن أسلم: "تكون كعكر الزيت"^(١٠).

وقال أبو بكر: قيل تمر وتجيء"^(١١)، كما قال -جلّ وعزّـ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ

مَوْرًا﴾ [الطور: ٩].

وقيل: في أملاس الدهن. وهذا كله يرجع إلى أن الدَّهَانَ جمع دهن"^(١٢).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٢٧.

(٢) الفرس، كما في معاني القرآن للفراء، ٣/١١٧.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٢٧-٢٢٨.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٢٨.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٢٨.

(٦) تفسير مجاهد، ٢/٦٤٢، وأخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٢٨-٢٢٩.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٢٩.

(٨) أوس بن عبد الله الربيعي البصري، من كبار العلماء وكان أحد العباد الذين قاموا على الحجاج، توفي سنة ثلاث

وثمانين. ينظر: تهذيب التهذيب، ١/٣٨٣، تقريب التهذيب، ١١٦.

(٩) لم أقف عليه، وذكر القرطبي في تفسيره قول الحسن: "كالدَّهَانَ: أي: كَصَبِّ الدَّهْنِ؛ فَإِنَّكَ إِذَا صَبَبْتَهُ تَرَى فِيهِ

أَلْوَانًا". ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/١٤٤.

(١٠) ذكره القرطبي في تفسيره، ٢٠/١٤٤.

(١١) الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/١٤٤. وفيه: المعنى أنها تمرٌ وتجيء.

(١٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢١٠.

وقيل: الدهان: الجلد الأحمر^(١).

قال أبو بكر: يقال: للكميت وَرْدًا، إذا كان يتلون بألوان مختلفة^(٢).

وقال أبو جعفر بن جرير: يختار قول من قال: عني به الدهن في إشراق لونه؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب^(٣).

﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي قدرة ربكما - معشر الجن والإنس - على ما أخبركم أنه فاعل بكم تكذبان؟^(٤)

﴿فَيَوْمَئِذٍ ظَرْفٌ﴾. ﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

﴿لَا يُسْتَعْلَى﴾ فعل مستقبل.

﴿عَنْ ذُنُوبِهِمْ﴾ خفض بـ ﴿عَنْ﴾.

و﴿إِنْسٌ﴾ اسم ما لم يُسَمَّ فاعله.

﴿وَلَا جَانٌّ﴾ معطوف على ﴿إِنْسٌ﴾.

والمعنى: فيومئذ لا يسأل الملائكةُ الجرمين عن ذنوبهم؛ لأن الله - جل ثناؤه - قد حفظها عليهم^(٥)، فلا يسأل بعضهم عن ذنوب بعضهم^(٦).

(١) لم أفد عليه، وفي النكت والعيون، ٤٣٦/٥: الدهان أديم الأرض الأحمر، قاله ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنه: الفرس الورد، في الربيع كُمت أصفر، وفي أول الشتاء كُمت أحمر، فإذا اشتد الشتاء كان كُمتا كُمتا أغبر. الجامع لأحكام القرآن، ١٤٤/٢٠. وفيه -أيضاً- فشبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢٩/٢٢. وقد ذكر الماوردي في تفسيره فائدة لطيفة: (وزعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة، وأنها لكثرة الحوائل وبعد المسافة تُرى بهذا اللون الأزرق، وشبهوا ذلك بعروق البدن، وهي حمراء كحمرة الدم وتُرى بالحائل زرقاء، فإن كان هذا صحيحاً فإن السماء لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز تُرى حمراء، لأنه أصل لونها. والله أعلم. النكت والعيون، ٤٣٦/٥.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢٩/٢٢.

(٥) في الأصل: (عليهما)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢٩/٢٢.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ "يقول -جلّ ثناؤه-: ولا أسألهم عن أعمالهم، ولا أسأل بعضهم عن بعض، مثل قوله: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]، ومثل قوله لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]"^(١).

وقال قتادة في الآية: "حفظ الله -جلّ وعزّز- عليهم أعمالهم"^(٢).

وقال مجاهد: "لا تسأل الملائكة عن المجرمين، يُعرفون بسيماهم"^(٣).

وقال قتادة -أيضاً-: "كانت مسألة، ثم خُتم على السنة القوم، فتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون"^(٤).

قال أبو بكر: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ جواب ﴿فَإِذَا أَنشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾^(٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما -أيضاً-: "لا يُسألون سؤال [اختبار]"^(٦)؛ لأن الله -جلّ ثناؤه- قد حفظ عليهم أعمالهم"^(٧).

وعن قتادة -أيضاً-: "معروفون بسواد الوجوه وُزرق العيون"^(٨). ويدل على هذا أن بعده ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾، والسِّيما: العلامة^(٩). وهو -أيضاً- قول الحسن^(١٠).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٣٠/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٣٠/٢٢.

(٣) تفسير مجاهد، ٦٣٨، وأخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٣٠/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٣٠/٢٢.

(٥) إعراب القرآن للنحاس، ٢١٠/٤.

(٦) في الأصل: (اختيار)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٧) ذكره النحاس في إعراب القرآن، ٢١٠/٤.

(٨) ذكره النحاس في إعراب القرآن، ٢١٠/٤، وأخرجه الطبري في جامع البيان، بتقديم وتأخير في اللفظ، ٢٣١/٢٢.

(٩) إعراب القرآن، للنحاس، ٢١٠/٤. والسِّيما: ياؤها في الأصل واو، وهي العلامة، يُعرف بها الخير والشر. لسان العرب، مادة: (سوم).

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٣١/٢٢.

﴿فَبِأَيِّ آءِآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما - معشر الثقلين - التي أنعم الله عليكم - من عدله فيكم، أنه لم يعاقب منكم إلا مجرمًا - تكذبان؟^(١)

قال أبو بكر: **وليس قطع القارئ / على قوله: ﴿وَرَدَدَهُ كَالِدِهَانَ﴾ كافيًا؛ لأن جواب ﴿إِذَا﴾ [أ/١٦٤]** ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ فهذا كافٍ، وكذا: ﴿تُكَذِّبَانِ﴾^(٢).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٣١/٢٢.

(٢) ينظر: القطع والانتشاف، ٧٠٥.

وقوله - جلّ وعزّ -:

﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٥١﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

و﴿الْمَجْرُمُونَ﴾ رفع بما لم يُسَمَّ فاعله.

﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ خفض بالباء، إلا أنه مقصور.

﴿فَيُؤْخَذُ﴾ فعل مستقبل لما لم يُسَمَّ فاعله.

﴿بِالنَّوَصِي﴾ خفض بالباء، ولا يتبين في لفظه إعراب؛ لاستثاقهم الكسرة على الياء، والياء وما عملت فيه في موضع رفع اسم ما لم يُسَمَّ فاعله، ويجوز أن يكون مضمراً^(١).

﴿وَالْأَقْدَامِ﴾ معطوف على ﴿النَّوَصِي﴾، وإذا قدرت العائد مذكوراً، كان المعنى: يعرف الملائكة الجرمين بعلاماتهم وسيماهم التي يُسَوِّمُهُمُ اللهُ -عزّ وجلّ- بها، من اسوداد الوجوه وازرقاق العيون^(٢).

قال الحسن: "يعرفون باسوداد الوجوه، وزرق العيون"^(٣).

وقال قتادة: "زرق العيون، سُود الوجوه"^(٤).

وقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ أي: فتأخذهم الزبانية بنواصيهم وأقدامهم، فتسحبهم إلى نار جهنم، وتقذفهم فيها^(٥).

قال الضحاك: "فيؤخذ برجلي الرجل فيجمع بينها، وبين ناصيته، حتى يندق ظهره، ثم يُلقى في النار"^(٦).

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢١٠/٤.

(٢) المعنى من جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٣١/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٣١/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٣١/٢٢.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٣١/٢٢.

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره، ١٤٧/٢٠.

وقيل: يُفعل به ذلك؛ ليكون أشدَّ لعذابه، وأكثرَ لِتَشْوِيهِهِ^(١).

قال أبو بكر: **ووقف القارئ على قوله: ﴿فِيؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ قطع صالح، وكذا: ﴿تُكذَّبَانِ﴾^(٢).**

﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما - يا معشر الجن والإنس - التي أنعم بها عليكم - من تعريفه ملائكته أهل الإجمام منكم، من أهل الطاعة منكم، بشيء خُصُّوا بالإذلال والإهانة دون غيرهم - تُكذَّبَانِ؟^(٣)

(١) الجامع لأحكام القرآن، ١٤٧/٢٠.

(٢) القطع والائتناف، ٧٠٥.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٣١/٢٢.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذَّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَإِنْ ﴿٤٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿هَذِهِ﴾ ابتداء.

﴿جَهَنَّمُ﴾ خبر الابتداء.

﴿الَّتِي﴾ من نعت ﴿جَهَنَّمُ﴾.

﴿يُكَذَّبُ﴾ فعل مستقبل، وضمير فاعلين، في صلة ﴿الَّتِي﴾.

﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ رفع بفعلهم.

﴿يَطُوفُونَ﴾ فعل مستقبل، وضمير فاعلين، وهي الواو.

﴿بَيْنَهَا﴾ ظرف.

﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ معطوف. ﴿حَمِيمٍ﴾ خفض بـ ﴿بَيْنَ﴾.

﴿ءَإِنْ﴾ من نعت ﴿حَمِيمٍ﴾.

والمعنى -والله أعلم-:

«يقال لهؤلاء المجرمين الذين أخبر الله -جلّ وعزّ ثناؤه- أنهم يُعرفون يوم القيامة بسِيماهم: هذه جهنم التي يُكذَّب بها المجرمون، فترك ذكر (يُقَال) اكتفاءً بدلالة الكلام عليه منه.

وذكر أن في قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ: (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبَانِ [تَصْلِيًا هَا] ^(١) لَا تَمُوتَانِ فِيهَا وَلَا تَحْيَاانِ) ^(٢).

(١) في الأصل: (فصلنا بها)، والمثبت موافق لما في المصدر ومناسب للسياق.

(٢) قراءة شاذة. معجم القراءات، ٢٧٢/٩.

«وقوله: ﴿يَطُوفُونَ بِيَدَيْهَا﴾ أي: يطوف هؤلاء المجرمون في جهنم بين أطباقها، ﴿وَيَبِّئَنَّا حَمِيمٍ إِنْ﴾ أي: وبين ما قد أسخن وأغلي، حتى انتهى حرُّه. وكل شيء قد أدرك وبلغ فقد أنى، ومنه قوله - جلَّ وعزَّ - ﴿عَبَّرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] أي: إدراكه وبلوغه، كما قال نابغة بني ذبيان:

وَتُخَضَّبُ لِحْيَةُ عَادِرَتْ وَحَانَتْ بِأَحْمَرٍ مِنْ بَجِيعٍ ^(١) الْجُوفِ آِنْ ^(٢) ^(٣)

قال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿وَيَبِّئَنَّا حَمِيمٍ إِنْ﴾: "قد انتهى حرُّه" ^(٤).

وقال مجاهد: "بلغ إناه" ^(٥).

وقال الضحاك: "هو الذي انتهى [عَلَيْهِ] ^(٦) ^(٧)".

وقال الضحاك: ويقال: قد انتهى نضجه منذ خلق الله - جلَّ وعزَّ - السماوات والأرض ^(٨).

وقال ابن زيد: "الآني: الحاضر" ^(٩).

وقال الحسن: "ما ظنك بأقوام وقفوا في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فلما تقطعت أعناقهم وأجوافهم من العطش والجوع أمر بهم إلى نار جهنم، قد انتهى حرُّه ونضجُه؟" ^(١٠)

(١) الدم، وقيل: دم الجوف خاصة. لسان العرب، مادة: (نجع).

(٢) ديوانه، ١٤٩.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٣٢. وينظر لمعنى (آن): لسان العرب، مادة: (أني).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٣٢.

(٥) تفسير مجاهد، ٦٣٨، وأخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٣٢.

(٦) في الأصل: (عليه)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٣٤.

(٨) ذكره مكِّي بن أبي طالب في تفسيره، ١١/٧٢٣٢، وأخرجه الطبري في جامع البيان، عن قتادة، باختلاف في لفظ:

(انتهى نضجه): (أنى طبخه)، ٢٢/٢٣٤.

(٩) ذكره النحاس في إعراب القرآن، ٤/٢١٠.

(١٠) ذكره مكِّي بن أبي طالب في تفسيره، ١١/٧٢٣٢، بدون آخره (قد انتهى حره ونضجه؟).

فبأي آلاء ربكما - معشر الجن والإنس - التي أنعمها عليكم /- بعقوبته أهل الكفر به، [١٦٤/ب] وتكريمه أهل الإيمان به - تكذبان؟^(١)

قال أبو بكر: **وقطع القارئ على قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَيَمِينًا حَمِيمًا﴾** تمام، وكذا ﴿تُكذِّبَانِ﴾^(٢).

وقوله - جلّ وعزّ -:

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فِي أَيِّ آءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فِي أَيِّ آءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾

﴿وَلَمَنْ﴾ من: في موضع خفض باللام.

و﴿خَافَ﴾ فعل ماضٍ، في صلة (مَنْ).

﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾ مفعول ﴿خَافَ﴾.

﴿جَنَّاتٍ﴾ رفع بالابتداء.

و﴿لَمَنْ﴾ مع صلته في موضع خبر الابتداء، وقد يجوز أن يكون في موضع رفع بإضمار فعل، بمعنى: يجب، أو [يستقر]^{(٣)(٤)}.

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ نعتٌ لِجَنَّاتٍ.

﴿فِي أَيِّ آءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾.

ومعنى الآية - والله أعلم -:

ولمن اتقى الله - جلّ وعزّ - من عباده، فخاف مقامه بين يديه، فأطاعه، بأداء فرائضه،

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٣٤-٢٣٥.

(٢) القطع والائتناف، ٧٠٥.

(٣) في الأصل: (يستقره)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢١١.

واجتناب معاصيه؛ ﴿جَتَّانٍ﴾ أي: بستنان^(١). والجنة عند العرب البستان^(٢).

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَتَّانٍ﴾ قال: وعد الله -جلّ ثناؤه- المؤمنين الذين خافوا مقامه، فأدوا فرائضه: الجنة^(٣).

وروى الأعمش عن مجاهد: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَتَّانٍ﴾ قال: "هو الرجل يهتّم بالذنب، فيذكر مقام ربه فيزع"^(٤).

وعنه قال: "خاف مقام الله عليه في الدنيا، إذا همّ بمعصية أن يعملها، تركها"^(٥).

وقال قتادة: "خاف المؤمن مقام ربه، فعمل لله بالليل والنهار"^(٦).

وقال إبراهيم: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَتَّانٍ﴾ قال: "إذا أراد أن يذنب، [ذَكَرَ] أمسك مخافة مخافة الله جلّ وعزّ"^(٨).

قال سعيد عن قتادة: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَتَّانٍ﴾ "أن المؤمنين خافوا ذلكم المقام، فعملوا لله، وداؤوا له، وتعبدوا بالليل والنهار"^(٩).

وعنه -أيضاً- في الآية: "أن لله مقاماً قد خافه المؤمنون"^(١٠).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٣٥/٢٢.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة: (جنة).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٣٥/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٣٥/٢٢-٢٣٦. ومعنى: (يزع): يكف النفس عن هواها. ينظر: لسان العرب، مادة: (وزع).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، بتقديم وتأخير في بعض ألفاظه، ٢٣٦/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، بمعناه، ٢٣٧/٢٢.

(٧) زائد في الأصل.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٣٧/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٣٧/٢٢.

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٣٧/٢٢.

وقال عطاء بن يسار^(١): أخبرني أبو الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يوماً هذه الآية: ((وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ))، فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ قال: ((وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ)) قال: فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ قال: ((وإن رَغِمَ أنفُ أبي الدرداء))^(٢).

وقال ابن زيد: ((وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ)) قال: "مقامه حين يقوم العباد يوم القيامة، وقرأ: ((يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)) [المطففين: ٦]، وقال: ذلك مقام ربك"^(٣).

قال الفراء: وقد تكون (جَنَّة) مُثْنِي فِي الشَّعْر^(٤). وهذا القول من أعظم الغلط على كتاب الله - جلَّ وعزَّ -، يقول الله - جلَّ ثناؤه - : ((جَنَّاتٍ)) ويصفهما بقوله: ((فِيهِمَا)) فيدع الظاهر، ويقول: يجوز أن تكون الجنة، ويحتج بالشعر^(٥).

((فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبانِ)) أي: فبأي [آء] ^(٦) نعم ربكما تكذبان؟ بإثابة المحسن منكم ما وَصَفَهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ تَكذِّبان؟^(٧)

وقوله: ((ذَوَاتَا أَفْتَانٍ)) أي: ذواتا ألوان^(٨).

(١) عطاء بن يسار، أبو محمد الهلالي المدني القاص، مولى ميمونة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، أدرك زمن عثمان رضي الله عنه وهو صغير، وروى عن مولاته وأبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، روى عنه زيد بن أسلم وشريك بن عبد الله بن أبي نمر، ومات سنة ثلاث أو اثنتين ومائة. ينظر: غاية النهاية، ٥١٣، وتهذيب الكمال، ١١٧/٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٣١١/١٤. قال شعيب الأرنؤوط في تخريج العواصم من القواصم، ١٧٧/٩: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٣٩/٢٢.

(٤) معاني القرآن للفراء، ١١٨/٣.

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره نقلاً عن النحاس، ١٥٠/٢٠.

(٦) ساقط من المتن، ومكتوب في هامش الصفحة، وقد وضع الناسخ علامة لموضع اللحق، (خط صغير منحني).

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٣٩/٢٢.

(٨) المرجع السابق، ٢٣٩/٢٢.

قال أبو بكر: روى ذلك سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ أي: "ذواتا ألوان"^(١).

وقال عكرمة: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾: "ظل الأغصان على الحيطان"^(٢). وهو قول مجاهد والضحاك. وقال الضحاك: "ذواتا ألوان من الفواكه"^(٣).

وقال آخرون: المعنى: ذواتا أغصان^(٤).

رُوي هذا القول أيضًا عن مجاهد^(٥).

وقال آخرون: معنى ذلك: ذواتا أطراف أغصان الشجر^(٦).

يُروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه بغير الإسناد الأول: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ يقول: "تمسُّ أطرافِ شجرها، يقول: يمسُّ بعضها بعضًا، [كالمعروشات^(٧)]"^(٨).

ويقال: / ذوات [فضول]^(٩) عن كل شيء. وقال آخرون: بل عني بذلك [فضلهما]^(١٠)، [١٦٥/أ] وسعتهما على ما سواهما^(١١).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٣٩-٢٤٠.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٤٠.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٤٠.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٤٠.

(٥) أخرجه أثره الطبري في تفسيره، ٢٢/٢٤١.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٤١.

(٧) في الأصل: (كالعروشات)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٤١.

(٩) في الأصل: (فضول)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(١٠) في الأصل: (فضلهما)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(١١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٤١.

رَوَى ذَلِكَ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ يَعْنِي "فَضْلَهُمَا" (١) وَسَعَتُهُمَا عَلَى مَا سَوَاهُمَا" (٢).

وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنْهُ "﴿ذَوَاتَا﴾ [فَضْلٌ] (٣) عَلَى مَا سَوَاهُمَا" (٤).

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَوْلُ عِكْرَمَةَ أَوْلَى بِالصَّوَابِ، وَالوَاحِدُ عَلَى قَوْلِهِ فَتَنٌ، وَهُوَ الْغَصْنُ الْوَاحِدُ عَلَى قَوْلِ الضَّحَّاكِ: فَتَنٌ. وَإِنَّمَا قُلْنَا أَنَّ الْأَوَّلَ أَوْلَى بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَجْمَعُ فَتَنٌ عَلَى فُتُونٍ، فَيَسْتَعْنِي بِجَمْعِهِ الْكَثِيرِ، كَمَا يُقَالُ شَسَعٌ وَشُسُوعٌ. وَمِنْهُ: أَخَذَ فُلَانٌ فِي فُتُونٍ مِنَ الْحَدِيثِ (٥).

وَقَوْلُهُ: ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ أَي: فَبِأَيِّ نَعْمٍ رَبِّكُمَا - يَا مَعْشَرَ الثَّقَلَيْنِ - الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمَا بِإِثَابَتِهِ هَذَا الثَّوَابِ أَهْلُ طَاعَتِهِ، تَكْذِبَانِ؟ (٦)

وَاخْتِلَافٌ فِي وَقْفِ الْقَارِي: «فَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: لَا اسْتَحْسَنَ أَنْ أَقِفَ عَلَى ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ حَتَّى أَقُولَ: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَصَفَهُمَا بِذَلِكَ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ، وَلَيْسَ قَوْلٌ مِنْ قَالٍ: كُلُّ مَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ تَمَامًا، وَمَا قَبْلَهُ تَمَامًا لَشَيْءٍ.

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ قَطَعَ كَافٌ إِنْ ابْتَدَأَتْ الْخَبْرَ بَعْدَهُ. وَكَذَا ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾. وَكَذَا ﴿تُكَذَّبَانِ﴾ (٧).

(١) فِي الْأَصْلِ: (فَضْلَهُمَا)، وَالْمُثَبِّتُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي الْمَصْدَرِ، وَمُنَاسِبٌ لِلسِّيَاقِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي جَامِعِ الْبَيَانِ، ٢٤١/٢٢.

(٣) فِي الْأَصْلِ: (فَضْلٌ)، وَالْمُثَبِّتُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي الْمَصْدَرِ، وَمُنَاسِبٌ لِلسِّيَاقِ.

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي جَامِعِ الْبَيَانِ، ٢٤١/٢٢.

(٥) يَنْظُرُ: الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، ١٥٠/٢٠.

(٦) جَامِعِ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، ٢٤٢/٢٢.

(٧) الْقَطْعُ وَالِاتِّسَافُ، ٧٠٥-٧٠٦.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَلَكَهَةِ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِبَانِ﴾

قال أبو بكر: ﴿عَيْنَانِ﴾ رفع بالابتداء.

﴿تَجْرِيَانِ﴾ فعل مستقبل في موضع نعت لعينين، أي: عينان جاريتان.

وقوله: ﴿فِيهِمَا﴾ في موضع خبر الابتداء.

وكذا ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَلَكَهَةِ زَوْجَانِ﴾.

ومعنى الآية -والله أعلم-:

في هاتين الجنتين عينان تجريان في خلالهما، ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَلَكَهَةِ زَوْجَانِ﴾ أي: من كل نوع من الفاكهة ضربان. ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما التي أنعم بها على أهل طاعته من ذلك تكذبان؟^(١)

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٤٢.

وقوله -جل ثناؤه-:

﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رِيكَمَا تَكْدِبَانِ ﴿٦﴾﴾

قال أبو بكر: قوله: ﴿مُتَّكِنِينَ﴾ نصب على الحال، والعامل فيه من غامض النحو، قال أبو بكر: وما علمت أحداً من النحويين ذكره، إلا محمد بن جرير، فإنه قال: هو محمول على المعنى: ينعمون متكئين، وجعل ما قبله يدل على المحذوف^(١).

قال أبو بكر: ويجوز أن يكون بغير حذف، ويكون راجعاً إلى قوله: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ ﴿مُتَّكِنِينَ﴾ كما يقول: لفلان تجارة حاضرًا، في هذا الحال، ومتكئين على معنى (مَنْ)، ولو كان على اللفظ لكان متكئاً^(٢).

وقوله -جل ثناؤه-: ﴿بَطَّائِنُهَا﴾ ابتداء.

﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ خفض بـ ﴿مِنْ﴾، و﴿مِنْ﴾ وما عملت فيه من موضع خبر الابتداء.

﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ رفع بالابتداء، إلا أنه مقصور لا يتبين في لفظه إعراب.

﴿دَانٍ﴾ في موضع خبر الابتداء، وهو اسم مُعتل، يكون في الرفع والجر على لفظ واحد، [لثقل] ^(٣) الضمة والكسرة على هذه الياء، ويكون في موضع النصب مفتوحاً منوناً، والأصل فيه إذا مثلته بالسالم من الفعل: داني، بياء مضمومة منونة فحذفت الضمة؛ لثقلها، وحذفت الياء لسكونها وسكون التنوين، فحذفت الياء؛ لأن الكسرة تدل عليها، وأقر التنوين؛ لأنه دليل الصرف.

ومعنى الآية -والله أعلم-:

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ يتنعمون فيها، متكئين. قال محمد بن جرير: ﴿وَلَمَنْ خَافَ

مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ يتنعمون فيها.

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٢١١/٤.

(٢) المرجع السابق، ٢١١/٤.

(٣) في الأصل: (لنقل)، والمثبت مناسب للسياق.



[١٦٥/ب]

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ / إِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: بطائن هذه الفرش من استبرق»^(١).

روى قتادة عن عكرمة: ﴿بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ قال: "الديباج الغليظ"^(٢).

قال ابن أبي إسحاق: "قال [لي]^(٣) سالم بن عبد الله: ما الإستبرق؟ قلت: ما عَلَطَ من الديباج، و[خَشْنٌ]^(٤) منه"^(٥).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "قد أُخْبِرْتُمْ بالبطائن، فكيف لو أُخْبِرْتُمْ بالظواهر؟"^(٦)

وروى جعفر عن سعيد قال: "قيل له هذه البطائن من استبرق، فما الظواهر؟. قال: هذا مما قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]"^(٧).

قال أبو بكر: العرب تستعمل الاستبرق لما صُفِّق من الديباج، نحو الذي يعلو على الكعبة^(٨).

وزعم سيبويه أن تصغير استبرق: [أبيرق]^(٩)؛ لأن السين والتاء زائدات والألف بمنزلة ميم مستفعل؛ لأن الألف لا يُدخِلها على بنات الأربعة والخمسة، إنما يُدخِلها على بنات الثلاثة، فتُحذف السين والتاء؛ لأنهما زائدتان، ويترك الألف؛ لأنها بمنزلة ميم مستفعل^(١٠).

وزعم الفراء أن تصغيره: تَبِيرِق، بحذف السين والألف وبترك التاء. والأجود قول سيبويه، ألا ترى أن القراءة بقطع الألف من قوله: ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾. وقال الفراء -أيضاً-: تكون البطائن

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٤٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٤٣.

(٣) في الأصل: (ابي)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٤) في الأصل: (حسن)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٤٣.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٤٣.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٤٤.

(٨) ينظر: معاني القرآن للزجاج، ٥/١٠٤.

(٩) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(١٠) ينظر: الكتاب لسيبويه، ٣/٤٣١.

ظواهر، والظواهر بطائن، وذلك أن كل واحد منهما قد يكون وجهًا، وقد تقول العرب: هذا ظهر السماء، وهذا بطن السماء، فظاهرها الذي تراه^(١).

وكان أبو جعفر يقول: هذا غلط قبيح، ولا يجوز أن يكون قد تعارف الناس على خلافه، فإذا قلت باطن الفراش، [لم يَجْزُ أن يكون إلا لما يظهر ويبدو]^(٢). قال: وإنما غلط الفراء؛ لأن العرب تقول لما وَلَيْنَا من السماء: ظاهرٌ وباطنٌ. والفرق بين هذا وذاك: أن ما وَلَيْنَا من السماء ظاهرٌ لنا، وباطنٌ لما فوقنا، وكذلك لو كان بينك وبين رجلٍ حائطٌ: لكان ما يليك باطنًا لهم، وظاهرًا لك، فهذا فرقٌ بيِّن، ويزيدك وضوحًا: قولُ الجملةِ من أهلِ التفسير، منهم عبدالله بن مسعود^(٣): "قد أُخبرنا بالبطائن فكيف بالظاهر؟"^(٤). وفي الحديث: ((ظَوَاهِرُهَا نُورٌ يَتَلَاوَأُ))^(٥).

وقوله: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ أي: وثمر الجنتين الذي يُجْتَنَى قريبٌ منهم؛ لأنهم لا يتعبون بصعود نخلها وشجرها، لاجتناء ثمرها، ولكنهم يجتنونها من قعودٍ بغيرِ عَنَاءٍ^(٦).

وروى سعيد عن قتادة: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ "ثمارهم دانية، لا يَرُدُّ أَيْدِيَهُمْ عنه بُعْدٌ ولا شَوْكٌ"^(٧). ذُكِرَ لنا أن نبي الله ﷺ قال: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقْطَعُ رَجُلٌ ثَمْرَةً مِنَ الْجَنَّةِ فَتَصِلَ إِلَى فِيهِ، حَتَّى يُبَدَّلَ اللَّهُ - جَلَّ تَنَاوُهُ - مَكَانَهَا خَيْرًا مِنْهَا))^(٨).

وقال ابن عباس^(٩): ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ ثمارها دانية^(١٠).

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١١٨/٣، جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٤٤/٢٢.

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الأصح أن تكون: (لم يَجْزُ أن يكون لما يظهر ويبدو).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٥٣/٢٠ - ١٥٤.

(٤) أخرجه الأصبهاني بسنده في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٢٨٥/٤، بلفظ: (ظَوَاهِرُهَا مِنْ نُورٍ جَامِدٍ).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٤٤/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٤٤/٢٢.

(٧) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، ١٠٢/٢، والأصبهاني في صفة الجنة، ١٦١/٢.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٤٥/٢٢.

وجماعة القراء يقفون على ﴿وَجَنَى﴾ بالفتح، إلا حمزة والكسائي، فإنهما يميلان^(١).
 وقوله: ﴿فَيَأْتِيءُ الْآءَ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ﴾ أي: فبأي آلاء ربكما - معشر الثقلين - التي أنعم الله عليكم - مِنْ [أَنْ] ^(٢) أثاب أهل طاعته منكم هذا الثواب، وأكرمهم هذه الكرامة - يكذبان؟^(٣)
 يكذبان؟^(٣)
 قال أبو بكر: «وقطع القارئ على ﴿رَوَّجَانِ﴾ كاف. وكذا ﴿تُكْذِبَانِ﴾ إن نُصِبَتْ ﴿مُتَّكِبِينَ﴾
 بمعنى يتنعمون متكئين.
 وقال أبو حاتم: ﴿بَطَّابُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ كاف.
 ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ كاف، والتمام عنده: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾^(٤).

(١) معجم القراءات، ٢٧٧/٩.

(٢) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٤٥/٢٢.

(٤) القطع والائتناف، ٧٠٦.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿فِيهِنَّ قَصِرَتْ الظُّرُفُ لَمْ يَطْمِئُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٦٦﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ﴾

﴿فِيهِنَّ قَصِرَتْ الظُّرُفُ﴾ رفع بالابتداء، و﴿فِيهِنَّ﴾ الخبر، أي: فيهن حورٌ قاصراتُ الظُّرُفِ، ثم أقيمت الصفة مقام الموصوف.

﴿لَمْ يَطْمِئُنَّ﴾ جزم بـ ﴿لَمْ﴾.

واختلفت القراءة في ضمّ الميم وكسرها من ﴿يَطْمِئُنَّ﴾:

فقراءة الجماعة: ﴿لَمْ يَطْمِئُنَّ﴾ بكسر الميم في الموضعين، إلا الكسائي، فإن أبي عمرو حكى عنه أنه إذا ضَمَّ الأولى كَسَرَ الثانية، وإذا كَسَرَ الأولى ضَمَّ الثانية^(١).

قال أبو بكر بن مجاهد: / وقرأ الكسائي وحده: ﴿لَمْ يَطْمِئُنَّ﴾ بضم الميم في الحرف الأول وكسرها في الثاني. قال: كذلك أخبرني الكسائي عن أبي الحارث عنه^(٢).

وقال أبو عبيد: كان الكسائي يرى الضم فيهما والكسر، وربما كسر أحدهما وضم الأخرى. قال ابن مجاهد: وأخبرني أحمد بن يحيى ثعلب^(٣) عن سلمة بن عاصم^(٤) عن أبي

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١١٩/٣. والموضعان ﴿لَمْ يَطْمِئُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ في سورة الرحمن، الآية: ٥٦-٧٤.

(٢) ينظر: السبعة في القراءات، ٦١٩، السبعة للفراء، ٦٢١.

(٣) أحمد بن يحيى ثعلب هو أحمد بن يحيى النحوي بن يزيد، مولى بني شيبان، المعروف بثعلب. فاق من تقدّم من الكوفيين وأهل عصره منهم، وكان قد ناظر أصحاب الفراء وساواهم. توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين. ينظر: تذكرة الحفاظ، ٥٠، طبقات النحويين واللغويين، ١٤١.

(٤) سلمة بن عاصم أبو محمد البغدادي النحوي، صاحب الفراء، قال ابن الأنباري: (كتاب سلمة في معاني القرآن للفراء أجود الكتب؛ لأن سلمة كان عالماً وكان يراجع الفراء فيما عليه ويرجع عنه)، توفي بعد السبعين ومائتين. ينظر: غاية النهاية، ٣١١، وفيات المشاهير والأعلام، ٨٢٨/٥.

الحارث الليثي بن خالد^(١) عن الكسائي: ﴿لَمْ يَطْمِئْتُنَّ﴾ فقرأها بالضم والكسر جميعاً، لا يبالي كيف قرأهما. والباقون: يكسرون الميم فيهما^(٢).

قال أبو بكر: فمن قرأ بكسر الميم، قال: هما لغتان معروفتان، إلا أن الأصل فيهما المكسورة؛ لأنه أصل يفعل في السالم^(٣).

وأما اختلاف الكسائي في قراءته الواحدة مرفوعة والأخرى مكسورة: فالحجة في ذلك ما رواه أبو عمرو الدوري قال: قال الكسائي: كان عَلِيٌّ وَأَصْحَابُهُ يَقْرَءُونَ ﴿لَمْ يَطْمِئْتُنَّ﴾ بالرفع^(٤).

وكان عبدالله وأصحابه يقرءون بالكسر، فأردت أن لا أخرج من الروايتين. قال أبو بكر: والهاء والنون من قوله ﴿لَمْ يَطْمِئْتُنَّ﴾ ضمير منصوب، وشددت النون؛ لأنها بإزاء حرفين من المذكر^(٥).

﴿إِنْسٌ﴾ رفع بفعلهم.

﴿قَبَاهُمْ﴾ ظرف.

﴿وَلَا جَانٌّ﴾ معطوف على ﴿إِنْسٌ﴾.

قال أبو بكر: «ومما يُسأل عنه: قوله ﴿فِيهِنَّ﴾ ولم يقل فيهما، وإنما تقدّم ضمير الجنس؟ ففي ذلك أجوبة: أحدها: أن المعنى في الجنس وفيما أعد له فقال فيهم على هذا، وقيل: التثنية جمع، وجواب ثالث: ذكره محمد بن جرير، قال: فيهم في الفرش. قال أبو بكر: يكون معنى فيهن عليهم، كما قال: ﴿وَلَا صُلْبَتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾.

(١) الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي، ثقة معروف حاذق ضابط، عرض على الكسائي، وهو من جلة أصحابه، توفي سنة مائتين. ينظر: معرفة القراء الكبار، ١٢٤، غاية النهاية، ٣٢/٢.

(٢) السبعة للقراء، ٦٢١، الحجة للقراء السبعة، ٢٥٢/٦.

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢١١/٤.

(٤) ينظر: معاني القرآن للقراء، ١١٩/٣.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ١١٩/٣.

و﴿فِيهِنَّ قَصِيْرَاتٌ أَلْطَّرِفُ﴾ النساء اللاتي قد قُصِرَ طَرْفُهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فلا [ينظرن] ^(١) غيرهم من الرجال» ^(٢).

قال مجاهد: "قُصِرَ طَرْفُهُنَّ، فلا [ينظرن] ^(٣) إلا إلى أزواجهن" ^(٤).

وقال قتادة: "قُصِرَ طَرْفُهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فلا يُرَدْنَ غَيْرَهُمْ" ^(٥).

وقال ابن زيد: "لا [ينظرن] ^(٦) إلا إلى أزواجهن، تقول: وعزّة ربي وجلاله وجماله، إني أرى أرى في الجنة أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجك" ^(٧).

قال أبو بكر: يقال قَصَرَهُ: إذا حسنه، ومنه ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَاوِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، ومنه تسمي العرب الحَجَلَةَ: مقصورة ^(٨).

وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِئْتُهُنَّ إِنْسٌ﴾ أي: لم يَمَسَّهِنَّ إِنْسٌ قَبْلَ هَؤُلَاءِ، الذين وصف الله -جلّ وعزّز- صفتهم، وهم الذين قال -جلّ وعزّز- فيهم: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ ^(٩).

قال الفراء: "إنما يقال طمئتها، وأن ذلك لا يكون إلا [بِتَدْمِيَةٍ]" ^(١٠). قال: "ومنه قيل: امرأة طامث، أي: حائض" ^(١١).

(١) في الأصل: (ينظرون)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٤٥/٢٢، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٧/١٨٠.

(٣) في الأصل: (ينظرون)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٤٥/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٤٦/٢٢.

(٦) في الأصل: (ينظر)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٤٧/٢٢. وذكره الثعلبي في تفسيره، ١٩١/٩، بلفظ: (تقول لزوجها: وعزّة ربي ما

ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك...)، وفي الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٣٨/١١، مثله، ولعله الأصح معنى. والله

تعالى أعلم.

(٨) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٣٨/١١، لسان العرب، مادة (قصر).

(٩) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٤٥/٢٢.

(١٠) في الأصل: (بتدسته)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(١١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٣٩/١١.

وغير الفراء: خالفه في هذا، ويقول: طمّثها، بمعنى: وطّؤها على أي الوجوه كان^(١). واحتج واحتج بما رواه مغيرة بن مسلم^(٢) عن عكرمة في قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ قال عكرمة: "ولا تقولوا طمّث المرأة، فإن الطمّث الجماع"^(٣).

قال أبو بكر: وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ قال: "لم يُدْمِهِنَّ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ"^(٤)، فهذا يدل على قول الفراء.

وقال ابن زيد: "لم يمسهنَّ شيءٌ: إِنْسٌ وَلَا غَيْرُهُ"^(٥).

وروى مروان بن معاوية^(٦) عن عاصم^(٧) قال: "قلت لأبي العالية^(٨): امرأة طامث، قال ما ما طامث؟ فقال رجل: حائض، فقال أبو العالية: حائض؟! أليس الله -جلّ وعزّ ثناؤه- يقول: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾؟"^(٩)

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٣٩/١١.

(٢) المغيرة بن مسلم القسملّي، أبو سلمة السراج، أخو عبد العزيز بن مسلم، وكان الأكبر، وُلد بِمَرُو وسكن المدائن. ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات)، توفي: في حدود الستين ومائة. ينظر: التاريخ الكبير للبخاري، ٣٢٤/٧، تهذيب الكمال، ٣٩٥/٢٨.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٤٥/٢٢.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٤٧/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٤٧/٢٢.

(٦) مروان بن معاوية بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، أبو عبد الله الكوفي، سكن مكة ثم صار إلى دمشق فسكنها، ومات بها، قال أبو حاتم: صدوق لا يدفع عن صدق، وتكثر روايته عن الشيوخ المجهولين. مات سنة ثلاث وتسعين ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ٤٠٣/٢٧.

(٧) عاصم بن سليمان الأحول، أبو عبد الرحمن البصري، مولى بني تميم، قال محمد بن سعد: كان ثقة، وكان من أهل البصرة، وكان يتولى الولايات، وكان بالكوفة على الحسبة في المكايل والأوزان، وكان قاضيا بالمدائن لأبي جعفر عن ابن المبارك، عن سفيان: حفاظ البصرة ثلاثة: سليمان التيمي، عاصم الأحول، وداد بن أبي هند. مات سنة اثنتين وأربعين ومائة. تهذيب الكمال، ٤٩١/١٣، تهذيب التهذيب، ٤٢/٥.

(٨) رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي البصري أدرك الجاهلية، وأسلم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين، ودخل على أبي بكر بكر الصديق رضي الله عنه، وصلى خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مات يوم الاثنين الثالث من شوال سنة تسعين. تهذيب الكمال، ٢١٤/٩.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٤٧/٢٢.

قال أبو بكر: فإن قال قائل: وهل تجامع الجنُّ النساء، فيقال: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ؟!!﴾؛ فالجواب عن ذلك: ما رواه عثمان بن الأسود^(١) عن مجاهد قال: "إذا جامع الرجل ولم يُسَمِّ، انطوى الجان على إحليله فجامع معه، فذلك قوله: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ؟﴾". فكان بعض العلماء يستدل بهذه الآية على أن الجن يدخلون الجنة^(٢).

قال أربطة بن المنذر^(٣): "سألتُ ضَمْرَةَ بن حبيب^(٤): هل للجن من ثواب؟ قال: نعم، ثم ثم يدعو بهذه الآية: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ؟﴾ [فالإنسيات]^(٥) للإنس [والجننيات]^(٦) للجن"^(٧).

[ب/١٦٦]

قال أبو بكر: وكان أبو جعفر يستدل / بهذه الآية على أن الجن يطؤون^(٨).

فبأي آلاء ربكما - معشر الجن والإنس - من هذه النعم التي أنعم على أهل طاعته تكذبان؟^(٩)

(١) عثمان بن الأسود بن موسى المكي الحمصي، ثقة كثير الحديث، حَدَّثَ عن: طاووس، ومجاهد، وعطاء، وحَدَّثَ عنه: عنه: الثوري، وابن المبارك، ويحيى القطان، توفي سنة خمسين ومائة، ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٣٧/٦، الثقات للعجلي، ٣٢٦/١، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/٣٣٩.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٤٨.

(٣) أربطة بن المنذر بن الأسود بن ثابت الألهاني السكوني، أبو عدي الشامي الحمصي، أدرك ثوبان مولى رسول الله ﷺ، وأبا أمامة الباهلي، وعبد الله بن بسر المازني، مات سنة ثلاث وستين ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ٣١١/٢، تقريب التهذيب، ٩٧.

(٤) ضمرة بن حبيب بن صهيب الزبيدي، أبو عتبة الشامي الحمصي، والد عتبة بن ضمرة بن حبيب، وأخو المهاجر بن حبيب، ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات)، مات سنة ثلاثين ومائة. تهذيب الكمال، ٣١٤/١٣، تهذيب التهذيب، ٤٥٩/٤.

(٥) في الأصل: (اللاسيات)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٦) في الأصل: (الحسنات)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٤٨.

(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/١٥٦.

(٩) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٤٨.

وقوله -جلّ ثناؤه-:

﴿كَانَ هُنَّ أَلْيَافُوتٌ وَالمَرَجَانُ ﴿٥٨﴾ فَيَأْتِيءَ الآءِ رِيكَمَا تُكَدِّبَانِ﴾

قال أبو جعفر أحمد بن محمد: أن من قوله ﴿كَانَ هُنَّ أَلْيَافُوتٌ وَالمَرَجَانُ﴾ ﴿كَانَ هُنَّ﴾ في موضع خفض بالكاف، والكاف في موضع رفع بالابتداء، والخبر محذوف، و(هُنَّ) في موضع نصب اسم (أَنَّ)، وشددت النون من (هُنَّ)؛ لأنها بمنزلة حرفين في المذكر^(١).

﴿أَلْيَافُوتٌ﴾ خبر (أَنَّ).

﴿وَالمَرَجَانُ﴾ معطوف عليه^(٢).

والمعنى -والله أعلم-:

كأن هؤلاء القاصرات الطرف -اللواتي هُنَّ في هاتين الجنتين- في صفاتهن: الياقوت الذي يُرى السِّلْكُ الذي فيه من ورائه، وكذلك يُرى مُخُّ سُوْقِهِنَّ من وراء أجسامهن، وفي حُسنهن: المَرجان^(٣).

وما قلناه مأخوذ من الأثر عن رسول الله ﷺ، وروى عمر بن ميمون عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ المَرْأَةَ فِي الحِنَّةِ لَيُرَى بَيَاضُ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً مِنْ حَرِيرٍ، وَحُحُّهَا، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- قَالَ: ﴿كَانَ هُنَّ أَلْيَافُوتٌ وَالمَرَجَانُ﴾ ، فَأَمَّا أَلْيَافُوتٌ: فَإِنَّكَ لَوْ أَدْخَلْتَ فِيهِ سِلْكَاً لَرَأَيْتَهُ مِنْ وَرَائِهِ))^(٤).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه -غير مرفوع- قال: "إِنَّ المَرْأَةَ مِنْ أَهْلِ الجِنَّةِ لَتَلْبَسُ سَبْعِينَ حُلَّةً مِنْ حَرِيرٍ، يُرَى بَيَاضُ سَاقِهَا، وَحُسْنُ سَاقِهَا مِنْ وَرَائِهِنَّ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- يَقُولُ:

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٢١١/٤.

(٢) المرجع السابق، ٢١١/٤.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٤٩/٢٢.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، باب في صفة نساء أهل الجنة، ٦٧٦/٤، ذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته،

﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ألا وإنما الياقوت: حجر، فلو جعلت فيه سلكاً، لنظرت إلى السلك من وراء الحجر" (١).

وقال الحسن: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال: "صفاء الياقوت في بياض المرجان" (٢).

ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: ((مَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَلَهُ فِيهَا زَوْجَتَانِ، سَيَّرَى مَخَّ سَوْفَهَا مِنْ وَرَاءِ ثِيَابِهَا)) (٣).

وقال قتادة: "يُسَبَّهُ بِهِنَّ صَفَاءُ الْيَاقُوتِ فِي بَيَاضِ الْمَرْجَانِ" (٤).

وقال ابن زيد: "كأنهن الياقوت في الصفاء، والمرجان في البياض، الصفاء: صفاء الياقوت، والبياض: بياض اللؤلؤ" (٥).

وقال سفيان: "صفاء الياقوت، وبياض المرجان" (٦).

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فبأي نعم ربكما، التي أنعم عليكم - معشر الثقلين - من إثابته أهل طاعته منكم، بما وصف في هذه الآيات، تكذبان؟ (٧)

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٥١/٢٢.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره، ١٥٧/٢٠، بلفظ: (هن في صفاء الياقوت، وبياض المرجان).

(٣) أورده مكِّي بن أبي طالب في تفسيره، ٧٢٤٠/١١.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٤٩/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٥١/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٥١/٢٢.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٥١/٢٢.

وقوله -جلّ ثناؤه-:

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦١﴾ فَيَأْتِيءَ آءَاءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾

قال أبو بكر: إعراب قوله: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ ابتداء وخبر^(١).

والمعنى -والله أعلم-:

«هل جزاء خوف مقام الله -جلّ ثناؤه- لمن خاف مقامه، فأحسن في الدنيا عمله، وأطاع ربه، إلا أن يُحسِنَ إليه في الآخرة ربه، بأن يجازيه على اجتناب ذلك في الدنيا، ما وصف في هذه الآيات: من قوله: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِتَانًا﴾ إلى قوله ﴿كَانَ هُنَّ أَلْيَافُوتٌ وَالْمَرْجَانُ﴾.

ومعنى ما قلناه مأخوذ من قول العلماء، وإن اختلفت ألفاظهم»^(٢).

روى أبو العوام عن قتادة: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ قال: "عملوا خيراً، فجزؤوا خيراً"^(٣).

وقال محمد بن المنكدر^(٤): ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ "هل جزاء من أنعمت عليه بالإسلام إلا الجنة"^(٥).

وقال ابن زيد: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ قال: "ألا تراه ذكرهم ومنزلهم وأزواجهم والأَنْهَارُ التي أُعدت لهم، ثم هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، حين أحسنوا في هذه الدنيا، أحسنًا إليهم: أدخلناهم الجنة"^(٦).

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٢١١/٤.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٥٢/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٥٢/٢٢.

(٤) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهُدَيْرِ (بالتصغير) التيمي المدني، ثقة، قال إسحاق بن راهويه عن سفيان بن عيينة: عيينة: (كان من معادن الصدق)، مات سنة ثلاثين أو بعدها. ينظر: تهذيب الكمال، ٥٠٣/٢٦، تقريب التهذيب، ٥٠٨.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٥٢/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٥٢/٢٢.



[أ/١٦٧]

وقال عكرمة: "هل جزاء [إلا جزاء] ^(١) من قال: لا إله / إلا الله، إلا الجنة" ^(٢).

قال أبو جعفر: هل جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يُحَسَّنَ إليه في الآخرة ^(٣).

﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما - معشر الثقلين - التي أنعم عليكم من [إثابته] ^(٤) المحسن منكم بإحسانه، تكذبان؟

(١) هكذا في الأصل.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ١٧/١٨٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢١٢.

(٤) في الأصل: (آياته)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٦﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ مَدَاهِمَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ جَنَّتَانِ ﴿٦٦﴾ رَفَعَ بِالْإِبْتِدَاءِ.

﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ خفض بـ ﴿مِنْ﴾، وهي في موضع [الابتداء] ^(١).
 ﴿مَدَاهِمَتَانِ﴾ من نعت الجنتين. وكذا ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ﴾ رفع بالابتداء.
 ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ نعت، و﴿فِيهِمَا﴾ في موضع الخبر.

﴿فَيَأْتِيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

ومعنى الآية -والله أعلم-:

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ هاتين الجنتين اللتين ذكرناهما ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾، ثم اختلف في معنى قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ في هذا الموضع: فقال بعضهم: معنى ذلك: ومن دونهما في الدَّرَجِ ^(٢).

روى سعيد بن جبر عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَكَاثَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود:٧] قال: "كان عرشه على الماء، ثم اتخذ لنفسه جنة، ثم اتخذ دونها أخرى، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة". قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ قال: "وهي التي لا تعلم"، أو قال: "وهي التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قُرّة أعين، جزاء بما كانوا يعملون". قال: "وهي التي لا تعلم الخلائق ما فيها، يأتيهم كل يوم منها نُحْفَةٌ" ^(٣).

(١) هكذا في الأصل، ولعل الأصح: (خبر الابتداء).

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٥٣، إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢١٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٥٣. وفي عظم عرشه سبحانه وتعالى؛ قال مجاهد: "مَا أَخَذَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مِنَ الْعَرْشِ إِلَّا كَمَا تَأْخُذُ الْخَلْقَةُ مِنَ الْأَرْضِ الْفَلَاةُ"، ينظر: العظمة لأبي الشيخ، ٢/٥٧٨.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ومن دونهما في الفضل^(١).

روى ذلك ابن وهب عن ابن زيد: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾: "هما أدنى من هاتين، لأصحاب اليمين"^(٢)، والتقدير في العربية: له من دونهما جنتان، أي: ولمن خاف مقام ربه.

﴿فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ﴾ والتقدير: فبأي نعم ربكما التي أنعم عليكما - بإثابة أهل الإحسان بما وصف من هاتين الجنتين - تكذبان؟^(٣)

وقوله: ﴿مُدَّهَامَتَانِ﴾ قال: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: "خضراوان"^(٤)، أي: من الرّي.

وقال [حارثة بن سليمان]^(٥): سمعت ابن [الزبير]^(٦)، وهو يفسر هذه الآية على المنبر، وهو يقول: "هل تدرّون ما مدهامتان؟ خضراوان من الرّي". وهو قول [ابن جبير]^(٧) وأبي صالح^(٨).

وقد روي عن سعيد بن جبير بغير الإسناد الأول: قال: "علاهما الرّي من السّواد والحُضرة"^(٩).

وقال مجاهد: ﴿مُدَّهَامَتَانِ﴾ "مسودّتان"^(١٠).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٥٣/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٥٣/٢٢.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٥٣/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٥٥/٢٢.

(٥) في الأصل: (جارية بن سليم)، والمثبت موافق لما في المصدر. حارثة بن سليمان، السلمي، من الثالثة. المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، ١٠١/١.

(٦) في الأصل: (جبير)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٧) في الأصل: (ابن الزبير)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره، بأسانيد مختلفة، ٢٥٥/٢٢-٢٥٦.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٥٦/٢٢.

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٥٧/٢٢.

وقال قتادة: "خضراوان من الرِّي، ناعمتان"^(١).

وقال ابن زيد: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ قال: "جنتا السابقين، يعني ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾، وقرأ حتى بلغ: ﴿كَانَهُنَّ أَلْيَافُوتٌ وَالْمَرْجَانُ﴾ ثم رجع إلى (أصحاب اليمين) فقال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانٍ﴾ فذكر فضلها، وما فيهما، قال: ﴿مُدَّهَامَتَانٍ﴾ من الخُضرة، من شدة خُضرتهما، حتى كادتَا تكونان سَوْدَاوِينَ"^(٢).

وقوله: ﴿فِيآيٍ آءِآءٍ رَبِّكَمَا تُكَدِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم الله التي أنعم بها عليكم - من إثابة أهل الإحسان بما وصف في هاتين الجنتين - تكذبان؟^(٣)

قال أبو بكر: والدُّهْمَة عند العرب: السواد، ومنه دابة أَدْهَم، وليل أَدْهَم، ودَهْمُهُم الأمر: أي: غَطَّاهُمْ، وقيل للقيد: أَدْهَم؛ لشدة سواد الحديد، وإذا كان النبت أخضر، فتمام خَضِرِهِ وَرَبِّهِ أَنْ يَصْرَفَ إِلَى السَّوَادِ، فعلى هذا ﴿مُدَّهَامَتَانٍ﴾^(٤).

قال أبو حاتم: ويجوز في الكلام [مُدَّهَمَّتَانِ]^(٥)؛ لأنه يقال: ادْهَمَّ، [وَاذْهَمَّ]^(٦)^(٧).

وقوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ أي: في هاتين الجنتين اللتين من دون الجنتين - التي لمن خاف مقامَ رَبِّهِ - عينان من ماء، نضاختان، يعني: فَوَارَتَيْنِ^(٨).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٥٧/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٥٧/٢٢.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٥٧/٢٢-٢٥٨.

(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٤٢/١١، الجامع لأحكام القرآن، ١٦٠/٢٠-١٦١، روح البيان، ٣١١/٩.

(٥) في الأصل: (مدهامتان)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٦) في الأصل: (وارم) بنبرة مقلوبة، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٧) إعراب القرآن للنحاس، ٢١٢/٤.

(٨) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٥٨/٢٢.

قال أبو بكر: الذي يُعرف في كلام العرب أن النضخ أكثر من [النضح]^(١)، ولم يُسمع منه بفعل^(٢).

قال أبو بكر: واختلف أهل العلم في المعنى الذي تنضحان به، فقال / بعضهم: تنضحان بالماء^(٣).

وهو قول عكرمة وابن زيد^(٤).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "فائضتان".

وقال آخرون: معنى ذلك ممتلئتان^(٥).

قال الضحاك: ﴿نَضَّاحَتَانِ﴾ ممتلئتان، لا تنقطعان^(٦).

وقال آخرون: نضاختان بالماء والفاكهة^(٧).

روى ذلك جعفر عن سعيد: "نضاختان بالماء والفاكهة"^(٨).

وعنه: "نضاختان بألوان الفاكهة"^(٩).

وقال آخرون: نضاختان بالخير^(١٠).

(١) في الأصل: (النضخ)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٢) ينظر: بحر العلوم، ٣/٣٨٨.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٥٨.

(٤) أخرجهما الطبري في تفسيره، ٢٢/٢٥٨.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٥٩.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٥٩.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٥٩.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٥٩.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٥٩.

(١٠) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٥٩.

رُوي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما بخلاف الإسناد الأول^(١) ، وهو قول قتادة.

قال أبو بكر: «الأولى في اللغة: أن يكونا نضاحتين بالماء؛ لأن ذلك هو المعروف من العيون، إذا كانت عيون ماء.

﴿فَبِأَيِّ آءِآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما التي أنعم عليكم - بإثابته محسنكم من الثواب الجزيل - تكذبان؟»^(٢)

قال أبو بكر: «وليس وقف القارئ على قوله ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾، ولكن إن شئت ﴿مُدَّهَامَّتَانِ﴾ و﴿تُكذِّبَانِ﴾ على أن يكون ما بعده خبراً بعد خبر ولا يكون نعتاً.

وتقف على رؤوس الآيات إلى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ فإنه ليس بكاف؛ لأن ما بعده صفة لخيرات أو بدل، وهو ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾، وهذا كاف.

وكذا ﴿تُكذِّبَانِ﴾ إن جعلت ما بعده خبر ابتداء»^(٣).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢٠/٢٢.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢٠/٢٢.

(٣) القطع والائتناف، ٧٠٧.

وقوله - جلّ وعزّ ثناؤه-:

﴿فِيهِمَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنٌ ﴿٧٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧١﴾﴾

﴿فَكِهَةٌ﴾ رفع بالابتداء.

و﴿فِيهِمَا﴾ في موضع الخبر.

﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ معطوف على فاكهة.

وكذا ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ﴾. ﴿حَسَنٌ﴾ من نعت ﴿خَيْرَاتٌ﴾.

وحكى الفراء: خَيْرَاتٌ وخَيْرَاتٌ، فأما البصريون فقالوا: خَيْرَةٌ، بمعنى: خَيْرَةٌ، فخُفِّفَ، كما قيل مَيْتٌ ومَيْتٌ. وقيل: ﴿خَيْرَاتٌ﴾: جمع خَيْرٍ، على معنى دَوَاتٍ خَيْرٍ، وقيل: خَيْرَاتٌ، بمعنى: خَيْرَاتٌ، وهذا أولى^(١).

وقد قرأ [بكر]^(٢) بن حبيب السهمي^(٣): ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ﴾ بتشديد الياء^(٤)، والعرب تقول: خَيْرٌ، وخَيْرٌ، وهَيْنٌ، وهَيْنٌ، وكَيْسٌ، وكَيْسٌ^(٥).

والمعنى:

«في هاتين الجنتين: فاكهة ونخل ورمان.

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ١١٩/٣، إعراب القرآن للنحاس، ٢١٣/٤، الجامع لأحكام القرآن، ١٦٥-١٦٤/٢٠، غريب القرآن لابن قتيبة، ٤٤٣.

(٢) في الأصل: (نصر)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٣) بكر بن حبيب السهمي وألده عبد الله بن بكر المحدث ذكره الزبيدي وغيره في النحويين. الوافي بالوفيات، ١٢٨/١٠، بغية الوعاة، ٤٦٢/١.

(٤) قراءة شاذة، معجم القراءات، ٢٨١/٩.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١٢٠/٣.

واختلف أهل العلم في المعنى الذي من أجله أُعيد ذِكْرُ النخل والرمان، وقد ذُكِرَ قَبْلُ أن فيهم الفاكهة، فقال بعضهم: أُعيد ذلك؛ لأن النخل والرمان ليستا من الفاكهة. وقال آخرون: هما من الفاكهة، وأصلهما من الفاكهة؛ لأن العرب تجعلهما من الفاكهة. فإن قيل لنا: فكيف أُعيد، وقد مضى ذِكْرُهُمَا، مع ذِكْرِ سائر الفواكه؟ قلنا: ذلك كقوله: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فقد أمرهم بالمحافظة على كل صلاة، ثم أعاد العصر؛ تشديداً لها، كذلك أُعيد النخل والرمان؛ ترغيباً لأهل الجنة، وذلك كقوله -جلّ ثناؤه-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الحج: ١٨]، ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ وقد ذكروهم في أول الكلام، في قوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(١).

وقال أحمد بن محمد: هما من الفاكهة، ولكن أُعيد إشارة بذكرهما؛ لفضلهما^(٢).

وقيل: العرب تعيد الشيء بواو العطف اتساعاً لا تفضيل، والقرآن نزل بلغتهم^(٣).

وقال يونس: العرب إذا أرادت تفضيل شيء أعادت ذكره. ومنه قول الله -جلّ وعزّز-: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٩٨] ثم قال: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾.

روى معمر عن رجل^(٤) عن سعيد قال: نخل الجنة جذوعها من ذهب، وكرانيفها^(٥) زمرد، زمرد، وسعفها كسوة لأهل الجنة، ورطبها كالدلاء، أشد بياضاً من اللبن، وألين من الزبد، وأحلى من العسل، ليس له عَجَم^(٦).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٦٠-٢٦١، وينظر: معاني القرآن للفراء، ٣/١٢٠، إعراب القرآن للنحاس،

٤/٢١٢. والعجم: الواحدة: عَجَمَة، وهي نوى التمر، ينظر: لسان العرب، مادة: (عجم).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢١٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ٤/٢١٢.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) جمع كرناف (بالضم والكسر)، الواحدة: كرنافة، وهي أصول سعف النخل تبقى بالجذع بعد قطع السعف من

النخلة، ينظر: لسان العرب، مادة: (كرنف).

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٦١.



[أ/١٦٨] وروى معمر عن زيد بن أسلم عن وهب الدماري قال: بلغنا أن في الجنة / نخلا، جذوعها من ذهب، وكرانيفها من ذهب، وجريدها من ذهب، وسعفها كسوة لأهل الجنة، كأحسن حُللٍ رآها الناس قط، وثماريخها^(١) من ذهب، وعراجينها من ذهب، ورطبها أمثال القلال^(٢)، أشد بياض من اللبن والفضة، وأحلى من العسل والسكر، وألين من السمن والزبد^(٣).

﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما التي أنعم عليكم - بهذه الكرامة التي أكرم بها محسنكم - تكذبان؟.

﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ أي: في هذه الجنات الأربع - اللواتي اثنتان منهن لمن خاف مقام ربه، والأخريان من دونهما - خيرات الأخلاق، حسان الوجوه^(٤).

قال قتادة: "خيرات الأخلاق حسان الوجوه"^(٥).

وقال مسروق: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ "في كل خيمة زوجة"^(٦).

وقالت أم سلمة^(٧) رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله: أخبرني عن قوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾، قال: ((خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ، حِسَانُ الْوُجُوهِ))^(٨).

فبأي نعم ربكم التي أنعم عليكم - بما ذكر - تكذبان؟^(٩)

(١) الشمراخ والشمروخ: العذق الذي عليه البسر (التمر قبل أن يربط لغضاضته). ينظر: لسان العرب، مادة: (شمرخ).

(٢) جمع قُلَّة، وهي الجرة العظيمة. ينظر: لسان العرب، مادة: (قلل).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٦١.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء، ٣/١٢٠.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٦٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٦٢.

(٧) أم المؤمنين هند بنت سهيل المعروف بأبي أمية بن المغيرة، رضي الله عنها القرشية المخزومية، إحدى زوجات النبي ﷺ، تزوجها

تزوجها في السنة الرابعة للهجرة، وكانت من أكمل النساء عقلاً وخلقاً. وهي قديمة الإسلام، وكان لها (يوم الحديبية)

رأي أشارت به على النبي ﷺ، ذلَّ على وفور عقلها. توفيت بالمدينة سنة تسع وخمسين. انظر: معرفة الصحابة لابن

مند، ٩٥٦، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٤/١٩٤٠، أسد الغابة، ٧/٣٢٩.

(٨) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط، ٣/٢٧٨، وفي معجمه الكبير، ٢٣/٣٦٧، والبغوي في شرح السنة باب: صفة

الجنة وأهلها وما أعد الله للصالحين فيها، ١٥/٢١١.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٧/١١٩: وفيه سليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبو حاتم وابن عدي.

(٩) جامع البيان في تفسير القرآن، ٢٢/٢٦٣.

وقوله -جلّ وعزّ ثناؤه-:

﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٦﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِنَّسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٨﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٩﴾ مُتَّكِعِينَ عَلَى رَفْوفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٨٠﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨١﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٨٢﴾﴾

قال أبو بكر: ﴿حُورٌ﴾ بدل من ﴿خَيْرَاتٌ﴾، وإن شئت كان نعتاً^(١).

﴿مَّقْصُورَاتٌ﴾ من نعت ﴿حُورٌ﴾.

﴿فِي الْخِيَامِ﴾ خفض بـ ﴿فِي﴾.

﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ﴾ جزم بـ ﴿لَمْ﴾.

﴿إِنَّسٌ﴾ رفع بفعلهم.

﴿قَبْلَهُمْ﴾ ظرف.

﴿وَلَا جَانٌّ﴾ معطوف.

﴿فَيَأْتِيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿مُتَّكِعِينَ﴾ نصب على الحال.

﴿عَلَى رَفْوفٍ﴾ خفض بـ ﴿عَلَى﴾.

﴿خُضِرَ﴾ نعت له، و﴿عَبَقَرِيٍّ﴾ جمع أخضر.

﴿وَرَفْوفٍ﴾ لفظه لفظ واحد، نُعِتَ بجمع؛ لأنه اسم للجمع، كما تقول: مررت برَهْطٍ^(٢)

كيرام، وقوم لئام، وهذه إبل حسان، وغنم صغار.

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٢١٣/٤.

(٢) رهط الرجل: قومه وقبيلته. والرهط: عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة، وبعض يقول من سبعة إلى عشرة، وقيل: الرهط

ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة. ينظر: لسان العرب، مادة: (رهط).

﴿وَعَبْقَرِيٍّ﴾ مثله، غير أنه يجوز أن يكون جمع عبقرية»^(١).

وقد قرأ عاصم الجحدري^(٢): ﴿مُتَّكِّينَ عَلَى زَفَارِفِ خُضْرٍ وَعَبَاقِرِيٍّ حِسَانٍ﴾^(٣)، «وقد روى بعضهم هذه القراءة عن عاصم الجحدري عن النبي ﷺ وإسناده ليس بالصحيح.

وزعم أبو عبيد أنها لو صحت لكانت وعباقري، بغير إجراء، وزعم أنه هكذا يجب في العربية.

وقال أبو جعفر: وهذا غلط بيّن عند جميع النحويين؛ لأنهم قد أجمعوا جميعاً أنه يقال: مدائني بالصرف، وإنما توهم أنه جمع، وليس في كلام العرب جمع بعد ألفه أربعة أحرف، ولا اختلاف بينهم أنك لو جمعت عبقر لقلت عباقر، ويجوز على بعد عباقير، ويجوز عباقرة، وأما عباقري في الجمع فمحال، وأما العلة في امتناع جواز عباقري؛ أنه لا تخلو من أن يكون منسوباً إلى عبقر، فيقال عبقري، كذا شرط النحويين جميعاً في النسب إلى الجمع: أنك نسبت إلى واحدة، فتقول في النسب إلى المساجد مسجديّ، وإلى العلوم علميّ، وإلى الفرائض فرضيّ، فإن قال قائل فما يمنع أن يكون عباقر [ماتر]^(٤) اسم موضع يُنسب إليه، كما يقال: معافري؟ قيل له: أن كتاب الله -جلّ وعزّز- لا يُحمل على ما لا يُعرف، وتترك حجة الإجماع»^(٥).

وقوله -جلّ وعزّز-: ﴿تَبَرَّكَ﴾ فعل ماض.

﴿أَسْمُ رَيْكٍ﴾ رفع بفعله.

﴿ذِي الْجَلَلِ﴾ نعت لـ ﴿رَيْكٍ﴾.

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٢١٣/٤.

(٢) عاصم بن أبي الصباح العجاج، وقيل ميمون أبو الجشّور الجحدري البصري، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قتّة عن ابن عباس ؓ، توفي سنة ثمان وعشرين ومائة. ينظر: غاية النهاية، ٣٤٩/١.

(٣) قراءة شاذة. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ٣٠٥/٢، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، ٨٦.

(٤) زائد في الأصل.

(٥) إعراب القرآن للنحاس، ٢١٣/٤.

﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ عطف على ﴿الْجَلَالِ﴾.

وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمر وعاصم وحزمة والكسائي، وكذلك هو في مصاحف أهل الحجاز والعراق. وقرأ ابن عامر وحده بترك ﴿أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ بالرفع نعت ﴿أَسْمُ رَبِّكَ﴾. / وكذلك هي في مصاحف أهل الشام بالواو^(١).

[١٦٨/ب]

ومعنى الآية - والله أعلم -:

أن الله - جلَّ وعزَّ - أخبر عن الخيرات الحسان، ومعنى ﴿حُورٌ﴾ بيضٌ، وهو جمع حَوْرَاءَ، والحوراء: البيضاء^(٢). وقد بيَّنا معنى الحُور في ما مضى، بما أغنى عن إعادته^(٣).

قال ابن عباس ومجاهد: ﴿حُورٌ﴾ "بيض"^(٤).

وقال الضحاك: "الحوراء: العيناء الحسنة"^(٥).

وأما قوله: ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ فإن أهل العلم اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معناه أنَّهُنَّ قُصِرْنَ على أزواجهن، فلا يبيغن لهم بدلاً، ولا يرفعن طرفهنَّ إلى غيرهم من الرجال^(٦).

وقال مجاهد: ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ "قُصِرَ طَرْفُهُنَّ وَأَنْفُسُهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ"^(٧). فلا يُرَدَّنَ غيرهم. وهو قول الربيع^(٨).

وقال آخرون: عني بذلك أنهم محبوسات في الحِجَالِ والخيام^(٩).

(١) السبعة في القراءات، ٦١٩، الحجة في القراءات، ٣٣٨، معاني القراءات، ٤٤/٣.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٦٣/٢٢.

(٣) ينظر: الأصل، المجلد السابع/اللوحة ٤٥، سورة الدخان.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٦٣/٢٢، بسندين منفصلين.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٦٤/٢٢.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٦٤/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٦٥/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٦٥/٢٢.

(٩) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٦٤/٢٢.

قال أبو العالية: "محبوسات في الخيام"^(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَقَّصُورَاتٌ﴾ "محبوسات"^(٢).

وقال محمد بن كعب القرظي^(٣): "محبوسات في الحِجَال"^(٤).

وقال أبو صالح: ﴿مَقَّصُورَاتٌ﴾ "عذارى الجنة"^(٥).

وقال: "محبوسات ليس بطَوَافَاتٍ في الطَّرْق"^(٦).

وقوله: ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ يعني بالخيام: البيوت، وقد تُسَمَّى العربُ هَوَادِجَ النِّسَاءِ: خِيَامًا^(٧).

قال جرير [الخطفي]^(٨):

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ سُقِيَتِ الْعَيْثُ أَيُّهَا الْخِيَامُ^(٩)

ومنه قول لُبَيْدٍ^(١٠):

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٦٦.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٦٦.

(٣) محمد بن كعب بن حَبَّانَ الْقُرْظِيُّ، ويكنى أبا حمزة، مدني، تابعي، كان ثقةً عالِمًا بالقرآن، كثير الحديث، ورعًا، كان أبوه من سَيِّبِ بَنِي قُرَيْظَةَ، روى عن: علي وابن مسعود وأبي الدرداء وأبي هريرة وغيرهم، وعنه: محمد بن المنكدر، وزيد بن أسلم، والحكم بن عتيبة وآخرون. مات سنة ثمان ومائة. ينظر: الطبقات الكبرى، ٧/٤١٩-٤٢٠. الثقات للعجلي، ٢/٢٥١. تاريخ الإسلام، ٣/١٦٠.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٦٦.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٦٧.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، عن الحسن، ٢٢/٢٦٧.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٦٧.

(٨) في الأصل: (الخطفي)، والمثبت موافق لما في المصدر. وهو: جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، من تميم، أشعر أهل عصره. ولد ومات في اليمامة. وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم - وكان هجاءً مرًا - فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل. ينظر: طبقات فحول الشعراء، ٢/٢٩٧، الأعلام، ٢/١١٩.

(٩) ديوان جرير الخطفي، ٤١٦.

(١٠) هو لبيد بن ربيعة العامري الشاعر: لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، أبو عُقَيْلٍ، قدم على النَّبِيِّ ﷺ سنة وَفَدَّ قَوْمُهُ بنو جعفر بن كلاب بن ربيعة، فأسلم وحسن إسلامه. روى

شَاقَتَكَ ظُعْنُ الْحَيِّ حِينَ تَحْمَلُوا [فَتَكْنَسُوا فُطْنًا] ^(١) تَصِرُّ حَيَامُهَا ^(٢)

قال أبو بكر: وأما في الآية: فإنها البيوت ^(٣).

روى هشام عن محمد عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ قال: "الخيمة: لؤلؤة واحدة، أربعة فراسخ في أربعة فراسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب" ^(٤).

وقال أبو الأخص ^(٥): "قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أتدرون ما ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾؟ الخيام: دُرٌّ مُجَوَّفٌ" ^(٦).

وقال سعيد بن جبير: "﴿الْخِيَامِ﴾ دُرٌّ مُجَوَّفٌ". وهو قول مجاهد وعمر وميمون والضحاك وقتادة ^(٧).

كان يقال: مسكن المؤمن في الجنة، يسير الراكب الجاد فيه ثلاث ليال، وأنهار جناته، وما أعد الله له من الكرامة ^(٨).

وقال ابن زيد: "يقال: خيامهم في الجنة من لؤلؤ" ^(٩).

عبد الملك بن عمير، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ: كَلِمَةُ لُبَيْدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ)). الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٣٣٥/٣، أسد الغابة، ٢١٤/٤. والحديث متفق عليه.

(١) في الأصل: (فتكسبوا قطبا)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة، ١٠٨. وفي حاشيته: شاقتك: من الشوق، أي أثار شوقك. الظعن: إبل الهوادج. تكنسوا:

أي دخلوا في الكناس. المُطْن: جمع: قطين، وهم الجماعة من الجيران وساكني الديار ونحوهم.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٦٧/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٦٨/٢٢.

(٥) عوف بن مالك بن نضلة الأشجعي، أبو الأخص الكوفي، من بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن. قال إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين: ثقة. وذكره ابن حبان في كتاب (الثقات). وقال غيره: قتله الخوارج في أيام

الحجاج بن يوسف. تهذيب الكمال، ٤٤٥/٢٢، تهذيب التهذيب، ١٦٩/٨.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٦٨/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٦٩/٢٢.

(٨) ذكره الطبري في تفسيره عن قتادة، ٢٧١/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٧١/٢٢.

وعن [أبي مجلز] ^(١): أن رسول الله ﷺ قال في قول الله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾
الْخِيَامِ﴾ قال: ((دُرٌّ مَجْجُوفٌ)) ^(٢).

وقوله -جلّ وعزّ-: ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما التي أنعم عليكم -من إكرامه محسنكم بهذه الكرامة- تكذبان؟ ^(٣)

وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِئْتُنَّ إِِنَّسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ أي: لم يمسسهنّ بنكاح فيدمهنّ إنسٌ قبلهم ولا جان ^(٤).

فبأي نعم ربكم التي أنعم عليكم بها -مما وصف- تكذبان؟ ^(٥)

«مَتَّكِينٍ عَلَى رَفْرِفِ خُضْرٍ﴾ أي: هؤلاء الذين أكرمهم هذه الكرامة التي وصفتها في الجنة، متكئين على رفرف خضري.

واختلف أهل العلم في معنى الرفرف ^(٦): فقال بعضهم: هي رياض الجنة، وهي جمع رُفْرَفَةٍ ^(٧).

(١) في الأصل: (ابن مجلد)، والمثبت موافق لما في المصدر. وأبو مجلز اسمه: لاحق بن حميد بن سعيد ويقال شعبة بن خالد خالد بن كثير بن حبيش بن عبد الله بن سدوس السدوسي، قدم خراسان، روى عن أبي موسى الأشعري والحسن بن علي ومعاوية وعمران بن حصين وسمرة بن جندب وابن عباس والمغيرة بن شعبة وحفصة وأم سلمة وأنس رضي الله عنه، مات سنة مائة. تهذيب الكمال، ١٧٦/٣١، تهذيب التهذيب، ١٧١/١١.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٧١/٢٢. وهناك أثر أخرجه ابن كثير في كتابه (مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم)، ٦٢/١: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أتدرون ما ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾؟ دُرٌّ مَجْجُوفٌ.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٧١/٢٢.

(٤) المرجع السابق، ٢٧٢/٢٢.

(٥) المرجع السابق، ٢٧٣/٢٢.

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة: (رفف)، فقد ذُكرت المعاني التي أوردتها الإمام رحمته الله.

(٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٧٣/٢٢.

فمَنَّ رُوي ذلك عنه مجاهد، قال: ﴿رَفَّيْ حُضْرٍ﴾: "رياض الجنة". وهو قول سعيد بن جبير^(١).

وقال آخرون: هي المحابس^(٢).

رَوَى ذلك علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مُتَّكِعِينَ عَلَى رَفَّي حُضْرٍ﴾ قال: "المحابس"^(٣).

وعنه بغير هذا الإسناد، قال: الرَّفَّي [فضول]^(٤) [المحابس]^(٥)، والبُسْط^(٦).

وقال الحسن: "هي البُسْط. أهل المدينة^(٧) يقولون هي البُسْط"^(٨).

والرُفْرَف: المجالس. وهو قول الضحاك وابن زيد^(٩).

وقال آخرون: بل هي المُرَافِق^(١٠).

رَوَى ذلك قتادة عن الحسن: "الرُفْرَف: مَرَافِقُ حُضْرٍ"^(١١).

قال أبو جعفر: الرُفْرَف مشتق من رَفَّ يَرِفُّ إذا ارتفع^(١٢).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٧٣.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٧٤.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٧٣.

(٤) في الأصل: (فصول)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٥) في الأصل: (المجالس)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٧٣.

(٧) وقع هنا تكرار (البسط).

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٧٤.

(٩) أخرجه الطبري أثر كلٍّ منهما منفصلاً في تفسيره، ٢٢/٢٧٥.

(١٠) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٧٥.

(١١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٧٦.

(١٢) الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/١٧٠.



ومن قال: هي الفُرْش، احتجَّ بقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ﴾، إلا أنه ليس يُمتنع أن يخبرنا -جلَّ ثناؤه- أنهم متكئين على فُرْشٍ، وعلى غيرها؛ لأن اللغة تطلق أن يقال لها رُفْرَفٌ؛ لارتفاعها. وأما العبقرى فإنها الطنافس^(١) الثخان، وهي جمع عبقرية. / وقد ذُكر عن العرب أنها تسمى كل كل شيء من البُسْط عبقريةً^(٢).

[١٦٩/أ]

فأما المفسرون فنذكر قولهم: روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿وَعَبَقْرِي حِسَانٍ﴾ قال: "الزرابي"^(٣).

وقال سعيد بن جبیر: "العبقري عِتاق الزرابي"^(٤).

وقال سعيد بن جبیر وقتادة: "هي الزرابي"^(٥).

وقال ابن زيد: "هي الطنافس"^(٦).

وقال آخرون: العبقرى: الديباج. وهذا القول رواه سفيان عن مجاهد^(٧).

قال أبو بكر: «وعبقر-أيضاً- موضع معروف باليمن، يُنسج فيه الوشي^(٨)».

قال الأصمعي: العرب إذا استحسنت الشيء، واستجادثه قالت: عبقرى.

وواحد الزرابي: زريبة وزرْبِي.

(١) جمع (طَنْفُسَة)، وهي: النمرقة فوق الرَّحْل، وقيل: هي البساط الذي له خمل رقيق. ينظر: لسان العرب، مادة: (طنفس).

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٢٢/٢٧٦، معاني القرآن للفراء، ٣/١٢٠.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٧٦. والزَّرَابِي: البُسْط، وقيل: كل ما بُسِط وأُتْكِيء عليه. ينظر: لسان العرب، العرب، مادة: (زرَب).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٧٦.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٧٦.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٧٦.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٧٧.

(٨) معجم البلدان، ٤/٧٩.

وقال غيره: وأصل هذا أن عَبَّقرَ موضع يوجد فيه الوشي»^(١).

وسئل أبو عمرو بن العلاء عن قوله ﷺ في عمر رضي الله عنه: ((فَلَمْ أَرِ عَبَّقرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّتَهُ))^(٢)، فقال: "رئيس القوم وجليلهم"^(٣).

وقال زهير:

بِحَيْلٍ عَلَيْهِا جِنَّةٌ عَبَّقرِيَّةٌ جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا فَيَسْتَعْلُوا^(٤)
يعني: رجالٌ لهم فضل.

﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما التي أنعم عليكم - من إكرامه أهل الطاعة منكم هذه الكرامة - تكذبان؟^(٥)

وقوله - تبارك وتعالى -: ﴿بَبَرِّكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أي: تبارك ربك - يا محمد - ذي الجلال، أي: ذي العظمة والإكرام، أي: ومن له الإكرام من جميع خلقه^(٦).

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ يقول: "ذي العظمة والكبرياء"^(٧).

قال أبو بكر: ﴿تَبَرَّكَ﴾ تفاعل من البركة، أي: التبرك في اسمه. والبركة في اللغة: بقاء النعمة وثباتها. فحَضَّهم بذلك على أن يكثرُوا ذكر اسمه ودعائه، وأن يذكروه بالإخلاص والإجلال

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٠٥/٥، الجامع لأحكام القرآن، ١٧١/٢٠ - ١٧٢.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في باب مناقب عمر رضي الله عنه، رقم الحديث: ٣٦٨٢، ١٠/٥، ومسلم في صحيحه، باب فضائل عمر رضي الله عنه، رقم الحديث: ٢٣٩٣، ٤/١٨٦٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ١٧٢/٢٠.

(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى، ٨٤. وحنة: جمع جن. كما في شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ١٠٣.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٧٨.

(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٧٨.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٧٨.

والتعظيم له، فقال -جلَّ وعزَّ-: ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أي: الجليل الكريم. وفي الحديث: ((أَلْظُوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ))^(١).

قال أبو بكر: وليس في هذه السورة ياء إضافة، وحذفت منها ياء واحدة، في موضع اللام من الفعل، وهي قوله: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ﴾ وهي لو أعربت مرفوعة، وإنما كتبت بغير ياء، على الوصل، ولا ينبغي أن يُتعمد الوقف عليها^(٢).

وقال أبو بكر: «قوله: ﴿وَلَا جَانُّ﴾ قطع كاف، وكذلك: ﴿تُكَذِّبَانِ﴾».

قال أبو حاتم: ﴿وَعَبَقَرِيَّ حِسَانٍ﴾ جيد، والتمام آخر السورة^(٣).

وقال أبو بكر: «واختلف العادون في عدد آيها:

فعدّها المدنيان والمكي: سبعين وسبع آيات. وعدّها الكوفي والشامي: ثمانياً. وعدّها البصري: ستاً.

اختلافها: أربع آيات: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ كوفي وشامي.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ كوفي وبصري وشامي.

﴿سُوَّاطٍ مِّن نَّارٍ﴾ مدنيان ومكي.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أسقطها البصري^(٤).

هذا آخر الجزء من كتاب الاستغناء بالتمام والكمال

والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

وسلم تسليمًا كثيرًا أبدًا دائمًا إلى يوم الدين.

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢١٣/٤. والحديث أخرجه الترمذي في سننه، ٤٢٥/٥، والنسائي في سننه، كتاب

النوع، ١٤٨/٧. وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، ٢٦٩/١.

(٢) ينظر: جامع البيان في القراءات السبع، ١٦١٩/٤.

(٣) القطع والائتناف، ٧٠٧.

(٤) ينظر: البيان في عد آي القرآن، ٢٣٧، حسن المدد في فن العدد، ١٣٠.

[١٦٩/ب]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ /

سورة الواقعة

وهي مكية^(١)

قوله - جلّ وعزّ -:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۝ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۝﴾

قال أبو بكر: ﴿إِذَا﴾ في موضع نصب؛ لأنه ظرف زمان، والعامل فيه: ﴿وَقَعَتِ﴾؛ لأنها تشبه حرف الشرط، وإنما يعمل فيها ما بعدها، وقد حكى سيبويه بها^(٢).

قال أبو بكر: وشبّهها بحروف الشرط متمكّن قوي؛ وذلك أنها تقلب الماضي إلى المستقبل، وتحتاج إلى جواب، غير أنه لا يجازي به إلا في الشعر، وأما مخالفتها حروف المجازاة: فإن ما بعدها يكون مجردًا، يقول: [أحيئك] ^(٣) إذا احمرّ البسر^(٤)، ولا يجوز هاهنا (إن)^(٥).

﴿وَقَعَتِ﴾ فعل ماض، وحرف، وهي التاء، وكُسرت لالتقاء الساكنين؛ لأنها حرف، فحُفّتها أن تكون ساكنة.

﴿الْوَاقِعَةُ﴾ رفع بفعلها.

﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا﴾ خفض باللام.

﴿كَاذِبَةٌ﴾ اسم ليس. ولم يقل ليست؛ لأنها بمعنى الكذب، أي: ليس لوقعتها كذب^(٦).

(١) البيان في عد أي القرآن، ٢٣٩.

(٢) الكتاب لسيبويه، ٦٧/٣.

(٣) في الأصل: (احبك)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٤) البسر: التمر قبل أن يربط لغضاضته، واحدته بسرة. لسان العرب، مادة: (بسر).

(٥) إعراب القرآن للنحاس، ٢١٥/٤.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ٢١٥/٤.

قال الفراء: مثل: [عافية]^(١).

«خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ» مرفوعة على إضمار مبتدأ، والتقدير في العربية: [الواقعة]^(٢) خافضة رافعة^(٣).

ويروى عن اليزيدي أنه قرأ «خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ» بالنصب^(٤)، وهذه القراءة شاذة، متروكة من غير جهة، منها: أن الجماعة الذين تقوم بهم الحجة على خلافها، ومنها أن المعنى على خلافها قول أهل التفسير والمحققين من أهل العربية؛ فأما أهل التفسير: فابن عباس رضي الله عنه منهم، يقول: خفضت أناسًا، ورفعت آخرين، فعلى هذا لا يجوز إلا الرفع؛ لأن المعنى: خفضت قومًا، كانوا عزًّا في الدنيا إلى النار. ورفعت آخرين، كانوا ذلًّا في الدنيا إلى الجنة، فإذا نُصبت على الحال يجوز أن يكون الأمر على غير ذلك، كما أنك إذا قلت: جاء زيد مسرعًا، فقد كان يجوز أن يجيء على خلاف هذه الحال.

وقال عكرمة والضحاك: «خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ» "خفضت فأسمعت الأدنى، ورفعت فأسمعت الأقصى، فصار الناس سواء"^(٥).

وأما أهل العربية: فقد تكلم منهم جماعة في النصب، فقال محمد بن يزيد: لا يجوز.

وقال الفراء: يجوز بمعنى: إذا وقعت الواقعة؛ وقعت خافضة رافعة، فأضمر (وقعت)، وهو عنده وعند غيره من النحويين بعيد، لو قلت: إذا جئت زائرًا، يريد: إذا جئت زائرًا، لم يجز هذا الإضمار؛ لأنه لا يعرف معناه، وقد يتوهم السامع، مع أنه قد بقي من الكلام شيء^(٦).

(١) في الأصل: (مافية)، والمثبت موافق لما في المصدر. وفيه: (ليس لها مردودة ولا رد، فالكاذبة هاهنا مصدر مثل: العاقبة، والعافية). معاني القرآن للفراء، ١٢١/٣.

(٢) في الأصل: (الوا)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢١٥/٤.

(٤) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ٣٠٧/٢، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليه، ٦٤٤.

(٥) ذكر أثرهما النحاس في إعراب القرآن، ٢١٦/٤، وأخرجهما الطبري في تفسيره، ٢٨١/٢٢، باختلاف يسير في آخرهما.

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١٢١/٣.

وأجاز أبو إسحاق: النصب، على أن يعمل في الحال (وقعت)^(١).

قال أبو بكر: وقد بيّنا فسادَه، على أن كل من أجازَه، فإنما يحمله على الشذوذ، وهذه تكفي في تركه»^(٢).

وقوله -جلّ وعزّ-: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ في موضع النصب. قال أبو إسحاق: المعنى: إذا وقعت الواقعة في هذا الوقت. و﴿رَجًا﴾ مصدر^(٣).

وكذلك ﴿وَيُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾. والأرض والجبال مرفوعة؛ لأنها اسم ما لم يُسمَّ فاعله.

﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ هَبَاءً ﴿خبر كان. ﴿مُنْبَثًا﴾ من نعته^(٤).

ومعنى الآية -والله أعلم-:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ إذا نزلت صيحة القيامة، وذلك حين ينفخ في الصور^(٥)، لقيام الساعة^(٦).

روى علي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ "﴿الوَاقِعَةُ﴾ و﴿الطَّامَّةُ﴾ [النازعات: ٣٤] و﴿الصَّاحَّةُ﴾ [عبس: ٣٣] ونحو هذا، من أسماء يوم القيامة"^(٧).

وقال الضحاك /: ﴿الوَاقِعَةُ﴾ "الصيحة"^(٨).

[١٧٠/أ]

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٠٧/٥.

(٢) إعراب القرآن للنحاس، ٢١٥/٤-٢١٦.

(٣) المرجع السابق، ٢١٦/٤.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١٢١/٣.

(٥) والصور: القرن، وبه فسر المفسرون قوله تعالى: ﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ ونحوه، وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدْ التَّقَمَهُ وَحَتَّى جَبْهَتُهُ وَأَصْعَى سَمْعُهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ؟)) قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: ((قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)). ينظر: لسان العرب، ٤٧٥/٤-٤٧٦.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٧٩/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٧٩/٢٢، بزيادة (عَظَّمَهُ اللَّهُ، وَحَدَّرَهُ عِبَادَهُ).

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٧٩/٢٢.

وقال عطية: ﴿الْوَاقِعَةُ﴾ "الساعة"^(١).

وقال الحسن: "هي القيامة"^(٢).

وقوله: ﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي: للوقعة الواقعة تكذيب^(٣). وفي معنى قوله: ﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ ثلاث أقوال:

قال الحسن وقتادة: "ليس لوقعتها مثنوية ولا رجعة"^(٤).

وقال سفيان: "ليس لوقعتها أحد يكذب بها"^(٥).

والقول الثالث: أن المعنى: ليس في الأخبار بأنها تكون كذب^(٦).

قال أبو جعفر: أثبتها القول الأول، ومعناه: ليس لوقعتها رد. كما تقول: جهل فلان لا يكذب، أي: لا يرده شيء^(٧).

ومعنى قول سفيان: أنها إذا وقعت جاءت المعاينة، فلم يكذب بها أحد^(٨).

«وقول: ﴿كَاذِبَةٌ﴾ مصدر مثل: عاقبة، ويجوز أن يكون نعتًا، بمعنى جماعة كاذبة، أو رجال كاذبة، أي: ذات كذب.

ثم قال -جلّ وعزّز-: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ قال: الساعة خفضت أعداء الله إلى النار، ورفعت أولياء الله إلى الجنة^(٩).

(١) ذكره مكّي بن أبي طالب في تفسيره، ٤٤٥/٥، عن السدي.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٥٣/١١.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٨٠/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٨٠/٢٢، عن قتادة، وذكره مكّي بن أبي طالب في تفسيره، ٧٢٥٣/١١، عن الحسن.

(٥) ذكره مكّي بن أبي طالب في تفسيره، ٧٢٥٣/١١، وعبد الرزاق في تفسيره، ٣٤١/٥.

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٥٣/١١.

(٧) لم أفهم عليه، لكن معناه قد ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه، ١٠٧/٥، حيث قال: ﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي لا يردها شيء.

(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٧٧/٢٠.

(٩) الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٥٤/١١.

وروى سعيد عن قتادة: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ يقول: "تخلّلت كلّ سهّل وجبل، حتى أسمعت القريب والبعيد، ثم رفعت أقوامًا في كرامة الله، وخفضت أقوامًا في عذاب الله" (١).

وقال عكرمة: "خفضت فأسمعت الأذن، ورفعت فأسمعت الأقصى، قال: وكان القريب والبعيد من الله سواء" (٢).

وقول الضحاك (٣) كقول عكرمة.

وقوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ أي: إذا زلزلت الأرض، فحُرِّكَتْ تحريكًا، من قولهم: السهم يترجرج في القرطاس، بمعنى يهتز ويضطرب (٤)، وما قلناه مأخوذ من قول العلماء:

روى علي عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ [زُلْزَلًا] (٥).

وقال مجاهد: "زُلْزِلَتْ" (٦).

وقال قتادة: "زُلْزِلَتْ زُلْزَلَةً" (٧).

وقال أبو بكر: ﴿رَجًا﴾ يدل على تكرير الزلزلة. ويروى أنها تُزْلزل حتى ينهدم كل ما فوقها (٨).

وقوله: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ أي: وفتتت الجبال فتًا، وصارت كالدقيق المَبسوس، وهو المبلول، كما قال -جل ثناؤه- ﴿وَكَاذِبَاتِ الْجِبَالِ كَيْبًا مَّهِيلاً﴾، والبَسِيسَة عند العرب: الدقيق أو السويق يُلْت، ويُتَّخَذُ زَادًا (٩). وما قلناه مأخوذٌ معناه عن العلماء:

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٨٠.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٨١.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٨١.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٨١.

(٥) في الأصل: (هول زلزلها)، والمثبت موافق لما في المصدر، وقد أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٨٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٨٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٨٢.

(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/١٧٨.

(٩) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٨٢. وينظر معنى الدقيق المَبسوس في لسان العرب، مادة: (بسس).

قال: "فُتِّتْ فَتًّا"^(١).

وقال مجاهد: "كما يُبَسُّ السَّوِيقُ"^(٢).

وقال السدي وأبو صالح: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ قال: "وَفُتِّتْ فَتًّا"^(٣).

وقال قتادة: "كما يُبَسُّ الشجر تذرؤه الرياح يميناً وشمالاً"^(٤).

ورأيت أبا جعفر يستحسن قول قتادة، قال: ومعناه: تحيد وتسير، ويدل عليه: ﴿وَبُسَّتِ

الْجِبَالُ﴾، ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ﴾ الطور: ١٠^(٥).

وفي الحديث عن النبي ﷺ: ((جَاءَكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ [يُبْسُونَ عِيَالَهُمْ]^(٦)))^(٧).

والعرب تقول: جيء به من حسك وبسك. من حيث يبلغه [مسيرك]^(٨).

وقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ **اختلف أهل العلم في معنى الهباء:**

فقال بعضهم: هو شعاع الشمس الذي يدخل من الكوة، كهيئة الغبار^(٩).

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٨٣/٢٢، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) تفسير مجاهد، ٦٤٠، وأخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٨٣/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٨٤/٢٢.

(٤) ذكره مكي بن أبي طالب في تفسيره، ٧٢٥٥/١١. وأخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٨٢/٢٢، عند تفسيره لقوله

تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾، بلفظ: (كبييس الشجر...).

(٥) لم أقف عليه، وقد ذكر معناه الزجاج في معاني القرآن وإعرابه، ١٠٨/٥.

(٦) في الأصل: (يلبسون عبالاتهم)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٧) ذكر هذا الحديث القرطبي في تفسيره، ١٩٧/١٧، وجدت نصاً في صحيح البخاري، في باب من رغب عن المدينة،

٢١/٣، بلفظ: (تُفْتَحُ الْيَمَنُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبْسُونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ...) وفي مسلم في صحيحه، في

باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار، ١٠٠٩/٢. بلفظ: (تُمُّ تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ

يُبْسُونَ...).

(٨) في الأصل: (مسرك)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق. ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٩٧/٢٠.

(٩) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٨٤/٢٢.

روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿هَبَاءٌ مُنْبَثًا﴾ قال: "هو شعاع الشمس"^(١).

وقال عطاء عن سعيد: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ قال: "هو شعاع الشمس، حين يدخل من الكوة". وكذا روى منصور عن مجاهد^(٢).

وقال آخرون: هو رَهَج^(٣) الدَّوَابِ^(٤).

روي ذلك أبو إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه: ﴿هَبَاءٌ مُنْبَثًا﴾ قال: "رَهَج الدَّوَابِ"^(٥).

وقال آخرون: هو ما تطاير من شرر النار^(٦).

رُوي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما -أيضاً- بغير الإسناد الأول: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ قال: "الهباء الذي يطير من النار، إذا أُضرمت، يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن [شيئاً]"^(٧)^(٨).

وقال آخرون: هو [بييس]^(٩) الشجر، تذرؤه الرياح^(١٠).

روي ذلك سعيد عن قتادة: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ "[بييس]^(١١) الشجر، تذرؤه الرياح يميناً وشمالاً"^(١٢).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٨٤/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٨٤/٢٢.

(٣) الرهج: الغبار. لسان العرب، مادة: (رهج).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٨٥/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٨٥/٢٢.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٨٥/٢٢.

(٧) في الأصل: (منبثا)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٨٥/٢٢.

(٩) في الأصل: (بييس)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(١٠) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٨٥/٢٢.

(١١) في الأصل: (بييس)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(١٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٨٥/٢٢.

وأما قوله -جلّ وعزّ-: ﴿مُنْبِتًا﴾ فإنه يعني متفرقاً^(١).

قال أبو بكر: وأما وقف القارئ، «فقال يعقوب: ومن الوقف قول الله -جلّ وعزّ- ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كاذِبَةٌ ۝﴾ ثم قال -جلّ وعزّ-: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾، [أي: هي خافضة رافعة]^(٢). وهذا قول أبي حاتم، على قراءة من قرأ: ﴿خَافِضَةٌ / رَّافِعَةٌ﴾ بالرفع، ومن نصب فوقه ﴿رَّافِعَةٌ﴾.

قال أبو بكر: وقد [خولف] ^(٣) في هذا. فقال أبو إسحاق: إن ﴿إِذَا﴾ الثانية في موضع نصب، أي: إذا وقعت في ذلك الوقت.

والوقف على قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾، هذا إذا جعل ﴿لَيْسَ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ الأولى، فإن جعلت الجواب ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ فلا يتم الكلام دون الجواب.

وعن نافع: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾، تمّ، ولم يذكر فيها تمامًا، سوى هذا^(٤).

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ ۷ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ ۸ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾

التاء والميم من ﴿وَكُنْتُمْ﴾ اسم كان.

﴿أَزْوَاجًا﴾ خبر كان.

﴿ثَلَاثَةً﴾ نعت لـ ﴿أَزْوَاجًا﴾.

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٨٥.

(٢) هذه العبارة ساقطة من المتن، ومكتوبة في هامش الصفحة، وقد وضع الناسخ علامة لموضع اللحق، (خط صغير منحنى).

(٣) في الأصل: (حولها)، والمتنبت موافق لما في المصدر.

(٤) القطع والائتناف، ٧٠٨.

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾، ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ رفع بالابتداء. ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ مبتدأ وخبر، في موضع خبر الأول، وقيل التقدير: ما هم؛ فلذلك صلح أن يكون خبراً عن الأول، لمّا عاد عليه ذكره. وكذا ﴿الْقَارِعَةُ﴾ [الواقعة: ١] مظهر الاسم على سبيل التعظيم والتشديد، وهذا قولٌ حسن؛ لأن إعادة الاسم فيه معنى التعظيم له. وكذا ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ فأجاز أبو حاتم أن يكون ﴿مَا﴾ ههنا صلة، ويكون المعنى: أصحاب الميمنة أصحاب الميمنة، كما قال: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]. وغلط أبو حاتم في هذا، والغلط فيه بيّن؛ لأنه يقول: الكلام لا فائدة فيه؛ لأنه علم أن أصحاب الميمنة هم أصحاب الميمنة، وليس مثل هذا قوله: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]؛ لأن المعنى: والسابقون إلى طاعة الله، السابقون إلى رحمته، ويجوز أن يكون الخبر ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١١]^(١).

ومعنى الآية - والله أعلم -:

وكنتم - أيها الناس - أنواعاً ثلاثة وضروباً^(٢).

قال أبو إسحاق: يقال للأصناف التي بعضها مع بعض: أزواج، واحدها زوج، كما يقال زوج من الخفاف؛ لأحد الحُفَّين^(٣).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ قال: "أصنافاً ثلاثة"^(٤).

وروى معمر عن قتادة: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ قال: "منازل الناس يوم القيمة"^(٥).

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ هذا بيان من الله - جلّ وعزّ - عن الأزواج الثلاثة، والتقدير: وكنتم أزواجاً ثلاثة: أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسابقون، فجعل الخبر

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢١٦-٢١٧.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٨٦.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٥/١٠٨.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره، ٦/٨.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٨٦.

عنهم مُغْنِيًا عن البيان عنهم؛ لدلالة الكلام على معناه، فقال: وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، يُعَجِّبُ نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا ﷺ، فقال: ما أصحاب الميمنة؟!^(١)

وفي معنى تسميتهم أصحاب الميمنة، ثلاثة أقوال:

أحدها: لأنه أخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وهذا علامة في القيامة لمن بُجَّاه.

وقيل: لأنهم أعطوا كتبهم بأيمانهم.

وقيل: أن الجنة عن يمين الناس يوم القيامة.

وعلى هذا: ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، والعرب تقول لليد الشمال: الشُّؤْمَى، وللجانب الأيسر: الأشْأَمُ، ومنه: اليُمن والشُّؤْمُ، واليُمن: ما جاء عن اليمين، والشُّؤْمُ: ما جاء عن الشمال^(٢).

وقال أبو جعفر: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾: ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾^(٣).

قال أبو بكر: **وقطع القارئ على قوله: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾** قطع كاف؛ لما ذكرناه من معنى التعظيم، وكذا ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾^(٤).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٨٦/٢٢.

(٢) ينظر: النكت والعيون، ٤٤٨/٥، زاد المسير في علم التفسير، ٢١٩/٤، الجامع لأحكام القرآن، ١٨١/٢٠.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٧٦/٢٠.

(٤) القطع والائتناف، ٧٠٨.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الْمَقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ۝ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْأَخِيرِينَ ۝ عَلَىٰ سُرْرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ﴾

قال أبو بكر: وأبو إسحاق يُقدِّر فيه تقديرين في العربية:

أحدهما: أن يكون ﴿السَّيِّئُونَ﴾ / الأول مرفوعًا بالابتداء، والثاني من صفته، وخبر الابتداء: [١/١٧١] ﴿أُولَٰئِكَ الْمَقَرَّبُونَ﴾.

ويجوز أن يكون ﴿السَّيِّئُونَ﴾ الأول مرفوعًا بالابتداء، و﴿السَّيِّئُونَ﴾ الثاني خبره، وتقديره: السابقون إلى طاعة الله -جلّ وعزّ- هم السابقون إلى رحمة الله -جلّ وعزّ-، قال: ﴿أُولَٰئِكَ الْمَقَرَّبُونَ﴾ صفة^(١).

قال أبو جعفر: قوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ صفة، غلطٌ عندي؛ لأن ما فيه الألف واللام لا يُوصَف بالمبهم، لا يجوز عند سيبويه: مررت بالرجل ذلك، ولا مررت بالرجل هذا على النعت، والعلة فيه: أن المبهم أعرف مما فيه الألف واللام، وإنما يُنعت الشيء عند الخليل وسيبويه، بما هو دونه في التعريف، ولكن يكن ﴿أُولَٰئِكَ﴾ بدلًا، أو خبرًا بعد خبر^(٢).

﴿فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ من صلة المقربين، أو خبرًا آخر مثله.

﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ رفع على إضمار مبتدأ.

قال أبو إسحاق: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْأَخِيرِينَ﴾ عطف عليه.

﴿عَلَىٰ سُرْرٍ﴾ خفض بـ ﴿عَلَىٰ﴾، وهو الجمع الكثير، ومن العرب من يقول: ﴿عَلَىٰ سُرْرٍ﴾ بفتح الراء الأولى؛ لثقل الضمة، وتكرير الحرف، وفي الراء تكرير أيضًا^(٣).

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٠٩/٥.

(٢) إعراب القرآن للنحاس، ٢١٧/٤، وينظر: الكتاب لسيبويه، ٥٣/٢.

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢١٧/٤.

﴿مَوْضُونَةٍ﴾ نعت لـ ﴿سُرْرِ﴾.

﴿مُتَّكِبِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ﴾ قال أبو إسحاق: هما منصوبان على الحال^(١).

ومعنى الآية -والله أعلم-:

على قول محمد بن جرير: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾ وهم الزوج الثالث، وهم الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله ﷺ، وهم المهاجرون الأولون^(٢).

وذكر ما روي عن [عبيد الله^(٣) عن عثمان بن عبد الله بن سراقه^(٤)]^(٥): ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ "اثان في الجنة، وواحد في النار، يقول: الحور العين للسابقين، والعُزْبُ الأتراب لأصحاب اليمين"^(٦).

وقال قتادة: ﴿أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ "منازل الناس يوم القيامة"^(٧).

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٠٩/٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٨٧/٢٢.

(٣) عبيد الله بن عبد الله، أبو المنيب العتكي المروزي السنجي. قيل: إنه رأى أنس بن مالك ﷺ. قال عثمان بن سعيد الدارمي، وعبد الله بن الدورقي، والمفضل بن غسان الغلابي عن يحيى بن معين: (ثقة)، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: (هو صالح)، وأنكر على البخاري إدخاله في كتاب (الضعفاء)، وقال: يحول منه، توفي ما بين ١٥١-١٦٠هـ. ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٢٦٧/٤، تهذيب الكمال، ٨٠/١٩، تهذيب التهذيب، ٢٦/٧.

(٤) عثمان بن عبد الله بن سراقه بن المعتمر بن أنس بن أذاة بن رياح بن عبد الله بن فُرْطِ بْنِ رَزَّاحِ بن عدي القرشي العدوي، أبو عبد الله المدني، وهو عثمان بن عبد الله بن سراقه، أمه زينب بنت عمر بن الخطاب ﷺ، وكانت أصغر ولد عمر ﷺ، وأمها فكيهة أم ولد، وكان والي مكة. رأى أبا أسيد الساعدي، وأبا قتادة الأنصاري، وأبا هريرة ﷺ، قال أبو زرعة والنسائي: (ثقة). وذكره ابن حبان في كتاب (الثقات). قال الواقدي: توفي سنة ثمان عشرة ومائة، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. ينظر: تهذيب الكمال، ٤١٥/١٩، تهذيب التهذيب، ١٢٩/٧.

(٥) في الأصل: (عبد الله بن عثمان بن سراقه)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٨٧/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٨٧/٢٢.

وروى عوف^(١) عن الحسن في قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۗ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۗ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۗ وَالسَّيِّدُونَ لِّلسَّيِّدُونَ ۗ وَالسَّيِّدُ الْمَقْرُونُ ۗ﴾ قال: "ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۗ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۗ" [الواقعة: ٣٩-٤٠] ^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: ((مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ مِنَ الْأُمَّمِ الْمَاضِيَةِ، وَمِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ مِنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَكَانُوا السَّابِقُونَ مِنَ الْأَوَّلِينَ أَكْثَرَ مِنْ سَابِقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ)) ^(٣).

وروى سعيد عن قتادة: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ "أي: ماذا لهم؟ وماذا أُعِدَّ لهم؟" ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ "ماذا لهم؟ وماذا أُعِدَّ لهم؟" ﴿وَالسَّيِّدُونَ لِّلسَّيِّدُونَ﴾ "أي: من كل أمة" ^(٤).

واختلف أهل العلم في قوله: ﴿وَالسَّيِّدُونَ لِّلسَّيِّدُونَ﴾:

فقال بعضهم: هم الذين صلُّوا القبلتين ^(٥).

وهذا قول ابن سيرين ^(٦). كذا روى أصحاب الحديث. والصواب: صلُّوا إلى القبلتين ^(٧).

وقال مجاهد: "هم السابقون إلى الجهاد في سبيل الله ﷻ" ^(٨).

(١) عَوْفُ بْنُ أَبِي جَمِيلَةَ الْعَبْدِيُّ الْهَجْرِيُّ، أَبُو سَهْلٍ الْبَصْرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْأَعْرَابِيِّ، وَلَمْ يَكُنْ أَعْرَابِيًّا، رَوَى عَنْ: إِسْحَاقَ بْنِ سُوَيْدٍ الْعَدَوِيِّ، وَأَنْسَ بْنِ سَيْرِينَ، وَثَمَامَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنْسَ بْنِ مَالِكٍ، وَغَيْرِهِمْ، رَوَى عَنْهُ: إِسْحَاقُ بْنُ يُونُسَ الْأَزْرَقِ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيَّةٍ، وَبِشْرُ بْنُ الْمُفْضَلِ، وَغَيْرِهِمْ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، عَنْ أَبِيهِ: (ثِقَّةٌ، صَالِحٌ الْحَدِيثِ). مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةً. يَنْظُرُ: تَهْذِيبُ الْكَمَالِ، ٤٣٧/٢٢، تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ، ١٦٦/٨.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي جَامِعِ الْبَيَانِ، ٢٢/٢٨٦-٢٨٧.

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي جَامِعِ الْبَيَانِ، ٢٢/٢٨٨، وَجَعَلَهُ مَتَمًّا لِأَثَرِ الْحَسَنِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَفِيهِ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((سَوَى بَيْنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ مِنَ الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ، وَبَيْنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ مِنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَكَانَ السَّابِقُونَ مِنَ الْأُمَّمِ أَكْثَرُ مِنْ سَابِقِي هَذِهِ الْأُمَّةِ)).

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي جَامِعِ الْبَيَانِ، ٢٢/٢٨٨.

(٥) جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، ٢٢/٢٩٠.

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي جَامِعِ الْبَيَانِ، ٢٢/٢٩٠.

(٧) يَنْظُرُ: الْهُدَايَةُ إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ، ١١/٧٢٥٩، رُوحُ الْمَعَانِي، ١٤/١٣٢.

(٨) ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، ٢٠/١٨٣.

وقال عثمان بن أبي سودة^(١): ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾ "أولهم رَوَاحًا إلى المساجد، وأسرعهم خفوقًا في سبيل الله"^(٢).

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: الذين يقربهم الله -جل ثناؤه- منه يوم القيامة، إذا أدخلهم الجنة. ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ أي: في بساتين النعيم الدائم. ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى﴾ أي: جماعة من الأمم الماضية. وقليل من أمة محمد ﷺ، وهم ﴿الْآخِرِينَ﴾، وقيل لهم: ﴿الْآخِرِينَ﴾؛ لأنهم آخر الأمم^(٣).

وقد اختلف العلماء في معناه:

فقال الحسن: "ثلاثة ممن مضى قبل هذه الأمة، وقليل من أصحاب محمد ﷺ"^(٤).

وقال مجاهد: "كل من هذه الأمة"^(٥).

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ قال: ((الثلاثان جميعًا من أمّتي))^(٦)، يعني: "ثلاثة من الأولين^(٧) وثلاثة من الآخرين"^(٧).

قال أبو جعفر: أكثر أهل العربية تقول: الثلاثة الجماعة، فعلى قول الحسن، وعلى أن الثلاثة الجماعة، تحتل معنيين: أحدهما: جماعة ممن قد آمن بالأنبياء ﷺ، قبل محمد ﷺ

(١) عثمان بن أبي سودة المقدسي، وكان أبوه مولى لعبد الله بن عمر ؓ، وأمه مولاة لعبادة بن الصامت ؓ، روى عن أبي الدرداء وأبي هريرة وميمونة مولاة النبي ﷺ وأم الدرداء ؓ وغيرهم. ذكره ابن حبان في (الثقات). ينظر: تهذيب الكمال، ٣٨٦/١٩، تهذيب التهذيب، ١٢٠/٧.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٩٠/٢٢.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٩٠/٢٢-٢٩١.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره، ١٨٤/٢٠.

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره، ١٨٥/٢٠.

(٦) أورده مكي بن أبي طالب في تفسيره، ٧٢٥٩/١١، وأخرجه ابن بشران بسنده في أماليه، ٢٩٨، بلفظ: ((هُمَا جَمِيعًا مِنْ أُمَّتِي)). حكم عليه السيوطي في الدر المنثور، ١٩/٨: بالضعف.

(٧) ذكره القرطبي في تفسيره، ١٨٥/٢٠.

نحو قوم يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويكون أولئك أكثر، ويجوز أن يكون قيل لهم: ﴿قَلِيلٌ﴾ لهم، بالإضافة إلى من كان قبلهم من المؤمنين والكافرين^(١).

[١٧١/ب] / ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ أي: فوق [سُرُرٍ]^(٢) منسوجة، قد أُدخِلَ بعضها في بعض، كما يُوضنُ حَلْقُ الدَّرْعِ بعضها فوق بعضٍ مُضاعفة^(٣). ومنه قول الأعشى:

وَمِنْ نَسَجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةً [تَسَاقُ]^(٤) مَعَ الْحَيِّ عَيْرًا فَعَيْرًا^(٥)
قال أبو عبيدة: «والوضين: البطان من السُّيور، إذا نُسِجَ بعضُه على بعض، مُضاعفة، كحلق الدَّرْعِ، فهو وَضِينٌ، في معنى: مَوْضُونٌ، كما تقول: قَتِيلٌ، في معنى: مَقْتُولٌ^(٦)، قال الراجز^(٧):

إِلَيْكَ تَعْدُو قَلَقًا وَضِينَهَا
مُعْتَرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِينَهَا
مُخَالِفًا دِينَ النصارى دينها^(٨)

(١) لم أقف عليه، وبعضه مذكور في: الهداية إلى بلوغ النهاية، ١١/٧٢٥٩-٧٢٦٠، والنكت والعيون، ٥/٤٤٩-٤٥٠.

(٢) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٩١.

(٤) في الأصل: (كساق)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٥) ديوان الأعشى، ٩٩.

(٦) ينظر معنى (وضين) في لسان العرب، مادة: (وضن).

(٧) الرَّجَزُ بلا نسبة، كما جاء في المصدر.

(٨) المعجم المفصل في شواهد العربية، ١٢/٢٥٧.

قال أبو عبيدة: وليس لها دين، إنما هو دينه^(١). و[هو قول]^(٢) رَجُلٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَالَ ابْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه «فِي الْإِسْلَامِ»^(٣).

وقال المثقب^(٤) :

تَقُولُ إِذَا ذَرَأْتُ لَهَا وَضِيئِي أَهَذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينِي^(٥)

وقد اختلف العلماء في معنى ﴿مَوْضُونَةٍ﴾ مع ذكر ما أصلها في اللغة:

فَرَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه : ﴿عَلَى سُرْرِ مَوْضُونَةٍ﴾ قَالَ : "مَصْفُوفَةٌ"^(٦).

وقال مجاهد وعكرمة: "الموضونة: المرمولة بالذهب"^(٧).

وقال قتادة: "الموضونة المرمولة المشبكة"^(٨).

وعن ابن عباس رضي الله عنه -أيضاً- الموضونة: "المُرْمَلَةُ"^(٩).

وعن عكرمة -أيضاً- : "مُشَبَّكَةٌ بِالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ"^(١٠).

(١) في حاشية المصدر: (قال أبو عبيدة: أراد دينه؛ لأن الناقه لا دين لها).

(٢) في الأصل: (قال)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٢/٢٤٨. وفي حاشيته: (قال أبو عبيدة: وهذه الأبيات يُروى أن ابن عمر رضي الله عنه أنشدها لما اندفع من جمع).

(٤) المثقب العَبْدِيُّ العَائِذُ بن محصن بن ثعلبة، من بني عبد القيس، من ربيعة: شاعر جاهلي، من أهل البحرين. معجم الشعراء، ص ٣٠٣، الأعلام، ٣/٢٣٩.

(٥) الكامل في اللغة والأدب، ١/٢٦٠.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٩٤.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٩٢، عن مجاهد.

(٨) ذكره عبد الرزاق في تفسيره، ٣/٢٧٦، بلفظ: (مرملة مشبكة).

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٩٢.

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٩٢.

قال أبو جعفر: وقيل: السرير الموضون: الذي سطحه بمنزلة المنسوج، وذلك ألين من الخشب. وقيل: هي تشبه بعضها بعضاً^(١).

قال أبو بكر: وهذه الأقوال متقاربة لما كان يقال. وضنت الشيء بمعنى: نسجته وضمته^(٢).

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "مصنوفة"^(٣). معناه: قد ضُم بعضها إلى بعض^(٤).

ويجوز أن يكون مع ذلك مرمولاً، أي: منسوجاً كنسج الدروع. ومنه قيل للحزام إذا كان منسوجاً: وضين^(٥).

وقال أبو إسحاق: الثلاثة من ثلث الشيء: إذا قَطَعَهُ، فمعنى ثلثة كمعنى فرقة، فالمعنى: فرقة من الأولين، وفرقة من الآخرين؛ لأن الكفار أكثر عددًا^(٦).

﴿مُتَّكِلِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ﴾ أي: وَجْهَهُ بَعْضُهُمْ حَذَاءَ وَجْهِ بَعْضٍ، لا ينظر بعضهم في قفي صاحبه، فوصفهم بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق، كما قال -جلّ وعزّز-: ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَّقِلِينَ﴾ وقيل: المؤمن وزوجته يتكئان على هذه الأسرة، ويقابل بعضهم بعضاً^(٧).

قال أبو بكر: «وقطع القارئ على ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾ كافٍ، وكذا ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ فإن قَدَرْتَ ﴿فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ متصلاً بالمقرَّبين، دخل في الصلة، وكان الوقوف ﴿فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿وَقِيلُ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ قطع كافٍ، إن لم تجعل ما بعده متصلاً به.

﴿مُتَّكِلِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ﴾ قطع كافٍ، إن ابتدأت بما بعده^(٨).

(١) لم أرف عليه، وبعضه مذكور في الجامع لأحكام القرآن، ١٨٦/٢٠.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة: (وضن).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٩٤/٢٢.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٩١/٢٢.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٠٧/٥.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ١٠٩/٥.

(٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٩٤/٢٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١١٠/٥.

(٨) القطع والائتناف، ٧٠٩.

وقوله - جلّ وعزّ ثناؤه-:

﴿يُطَوِّفُ عَلَيْهِمْ وَيَلِدُنُّ فُجْدَانًا﴾ ١٧ ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ ١٨ ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ ١٩ ﴿وَفَكَهَةَ﴾
﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ ٢٠ ﴿وَلِحَمِّ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ٢١ ﴿وَحُورٍ عِينٌ﴾ ٢٢ ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ ٢٣ ﴿جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

﴿يُطَوِّفُ﴾ فعل مستقبل.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ الهاء والميم: ضمير مخفوض.

﴿وَيَلِدُنُّ﴾ رفع بفعلهم.

﴿فُجْدَانًا﴾ من نعت ﴿وَيَلِدُنُّ﴾.

﴿بِأَكْوَابٍ﴾ خفض بالباء.

﴿وَأَبَارِيقَ﴾ عطف، إلا أنه لا ينصرف.

﴿وَكَأْسٍ﴾ معطوفة أيضاً.

/﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ خفض بـ ﴿مِّن﴾.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ﴾ فعل مستقبل، وضمير ما لم يُسمَّ فاعله، وهو الواو. وكذا ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾.

﴿وَفَكَهَةَ﴾ معطوفة أيضاً.

﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ ﴿مَّا﴾ خفض بـ ﴿مِّن﴾، فعل مستقبل، وضمير فاعلين، في صلة ﴿مَّا﴾. وكذا

﴿وَلِحَمِّ طَيْرٍ﴾ معطوف أيضاً.

﴿مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ كإعراب ﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾.

﴿وَحُورٍ عِينٌ﴾ اختلف القراء في قراءته، وكذا في قوله: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾:

فقرأ أهل الحرمين وأبو عمرو وابن عامر ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾ بفتح الزاي^(١).

وقرأ الكوفيون ﴿يُزْفُونَ﴾ بكسر الزاي^(٢).

وقرأ حمزة والكسائي ﴿وَحُورٍ عَيْنٍ﴾ بالجر^(٣).

والباقون ﴿وَحُورٍ عَيْنٌ﴾ بالرفع.

وحكى سيبويه والفراء أن في قراءة أبي: ﴿وَحُورًا عَيْنًا﴾ بالنصب^(٤).

قال أبو بكر: فمن قرأ ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾ بفتح الزاي، فمعناه: لا تذهب عقولهم^(٥).

ومن قرأ: ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾ بكسر الزاي، فمعناه: لا [ينفد]^(٦) شرايهم، وهو قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه^(٧).

قال أبو بكر: «ومن قرأ ﴿وَحُورٍ عَيْنٌ﴾ بالرفع، ففي قراءته تقديران:

يجوز أن يكون مرفوعًا، بمعنى: وحوور عينٌ لهم فيها، ويطوف عليهم ولدانٌ مخلدون، ويطوف حورٌ عينٌ، هذا قول اليزيدي، وزعم سيبويه أن الرفع محمولٌ على المعنى؛ لأن المعنى: فيها أكواب وأباريق، وكأس من معين، وفاكهة وطيور وحوور، أي: ولهم، وأنشد:

بَادَتْ وَعَيَّرَ آيَهُنَّ مَعَ الْبَلَى إِلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءً
وَمُشَجَّحٍ^(٨) أَمَّا سَوَاءٌ [قَدَالِهِ]^(٩) فَبَدَا وَعَيَّرَ سَارَهُ الْمَعْرَاءُ^(١٠)

(١) ينظر: السبعة في القراءات، ٥٤٧، الحجة للقراء السبعة، ٢٥٥/٦، المبسوط في القراءات العشر، ٤٢٦.

(٢) ينظر: السبعة في القراءات، ٥٤٧، المبسوط في القراءات العشر، ٤٢٦، التيسير في القراءات السبع، ٢٠٧.

(٣) ينظر: السبعة في القراءات، ٥٤٧، الحجة للقراء السبعة، ٢٥٥/٦، المبسوط في القراءات العشر، ٤٢٦.

(٤) قراءة شاذة. زاد المسير في علم التفسير، ٢٢١/٤ البحر المحيط، ٨١/١٠، معجم القراءات، ٢٩٧/٩.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١٢٣/٣.

(٦) في الأصل: (تنفذ)، والمثبت موافق لمعنى ما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٧) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١٢٣/٣.

(٨) في الأصل: (مشحج)، وكذا في الموضعين التاليين، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٩) في الأصل: قداله، والمثبت موافق لما في المصدر.

(١٠) هذان البيتان للشماخ بن ضرار الديباني، كما جاء في ديوانه، ٤٢٧.



رفع (ومشحج) لأن المعنى: وبها رواكد، وبها مشحج.

وقال أبو بكر: والقراءة بالرفع اختيار أبي عبيد؛ لأن الحور لا يُطاف بهن.

واختيار الفراء [الخفض]^(١)، واحتج بأن الفاكهة واللحم -أيضاً- لا يُطاف بهما، وإنما يطاف بالخمير^(٢).

قال أبو جعفر: وهذا الاحتجاج لا ندري كيف هو، إذا كان القراءة قد أجمعوا على القراءة بالخفض في قوله -جلّ وعزّ-: ﴿وَفَلَكِهَةٌ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٣١﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾، فمن أين له أنه لا يُطاف بهذه الأشياء [التي]^(٣) ادّعى أنه لا يُطاف بها؟ وإنما يُسلّم في هذا بحجة قاطعة، أو خيرٍ يجب التسليم له، واختلفوا في ﴿وَحُورٍ عِينٌ﴾ كما ذكرت^(٤).

«وأما قراءة الكسائي فروى عنه أبو عمرو، أنه يقال من خفض، فعلى قوله: في جنات النعيم، وفي فاكهة، ولحم طير، وفي حور عين، قال: وليس الخفض بأبعد الوجهين، في قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٢﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ فجعل الفرش نشينا، فجعل الكسائي الخفض في ﴿وَحُورٍ عِينٌ﴾ معطوفا على قوله: ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ثم اعترض بين ذلك وبين قوله: ﴿وَفَلَكِهَةٌ﴾ وما بعدها، ثم اعترض به من الكلام ثم أعيد العطف على الجنات المذكورة من فاكهة ولحم طير وحور عين، واستشهد على صحة ذلك بقوله: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ وما ذكره بعده إلى أن ينتهي إلى قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾، ثم قال: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ وكفى عن الحور، ولم يجزّ هُنَّ ذكْرٌ من لدن قوله: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾.

وقوله: بادت، أي: هلكت، ويريد بها المنازل. وآيهن: علامتهنّ. والرواكد: أحجار الأنثية. وهبا الرماد يهبو، إذا اختلط بالتراب. ومشحج: المراد به وتد الخباء الذي شجّ رأسه من الدقّ. وساره: بقيته. وسواء قذاله: وسطه. والمعزاء: الأرض الصلبة ذات الحصى. يقول: لم يبق من آثار منازل الأحباب سوى أحجار الأنثى ورمادها المختلط بالتراب وتود الخباء المكسور الرأس، المتغير بطول بقائه في الأرض. شرح الشواهد الشعرية، ٨٢/١.

(١) في الأصل: (الرفع)، والمثبت موافق لما في المصادر، ومناسب للسياق.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢١٩/٤، الكتاب لسيبويه، ١٧٣/١، معاني القرآن للفراء، ١٢٣/٣.

(٣) في الأصل: (انه)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) إعراب القرآن للنحاس، ٢١٩/٤.

قال أبو بكر: المعنى -والله أعلم- أنه لما قال: ﴿وَفُؤْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ اكتفى بذكر الفُرش، من ذكر مُفْتَرِشَاتِهَا من الحور العين، ثم أخرج الكناية عنهن للمعنى المفهوم في الكلام. وكان الكسائي أشار بقوله الذي ذكرناه عنه إلى هذا المعنى الذي شرحناه»^(١).

قال أبو بكر: «فكيف يقال على هذا الجواب في: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قيل: حكى الفراء عن العرب أنهم يقولون: كنا في خبزه ولبنه ولحمه ونبيده، وعلى ذلك قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ وما ذكر معه، فكذلك في جنات النعيم، وفي حور عين، وهو قول أبي حاتم.

قال أبو بكر: وخالف الفراء الكسائي، وزعم أن الخفض على أن يتبع آخر الكلام أوله وإن لم يحسن فيه ما حسن في أوله. وقال: أنشدني بعض العرب:

[ب/١٧٢]

إِذَا مَا الْعَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا وَرَجَّحْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعِيُونََا^(٢)

قال: والعين لا تُزَجَّج، إنما تُكَحَّل، فرده على الحواجب؛ لأن المعنى يعرف. قال: وأنشدني آخر:

وَأَفَيْتُ زَوْجَكَ فِي الْوَعَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمَحًا^(٣)

والرمح لا يتقلد، فرده على السيف. وقال آخر:

تَسْمَعُ لِلْحَشَى مِنْهُ لَغَطًا وَلِلْيَدَيْنِ جُسَاءً وَبَدَدًا^(٤)

والمعنى: وترى لليدين والجسأة غلظٌ ويؤوسَةٌ، وهي لا تسمع. قال: وأنشدني بعض بني دبير^(٥):

وَعَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى شَنَنْتَ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا^(٦)

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ١١/٧٢٦٥-٧٢٦٦.

(٢) سبقت الإشارة إليه في الصفحة (٣٢٧).

(٣) سبقت الإشارة إليه في الصفحة (٣٢٦).

(٤) البيت بلا نسبة كما جاء في معجم المفصل للشواهد العربية، ٩/٣٧١ وصحته:

تسمع للأحشاء منه لغطا ولليدين جسأة وبددا

(٥) هكذا في المصدر.

(٦) سبقت الإشارة إليه في الصفحة (٣٢٧).

والماء لا يعتلف، إنما يشرب، فجعله تابعاً للتبن.

قال الفراء: وقد كان ينبغي لمن قرأ ﴿وَحُورٍ عِينٍ﴾ بالرفع؛ لأنه -زعم- لا يُطاف بهن، أن يقرأ ﴿وَفَلَكَهَاتِ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ بالرفع؛ لأن اللحم والفاكهة لا يُطاف بهما، ليس يطاف إلا بالخمر وحدها. قال: ففي ذلك بيان لأن الخفض وجه الكلام^(١).

وزعم أبو علي قطرب^(٢): أن الخفض على الباء، ويجوز، وهو عنده معطوف على الأكواب والأباريق، فجعل الحور يُطاف بهنَّ عليهم^(٣).

ورأيت بعض أهل العلم يقول: وهذا الوجه وإن كان أبعد الوجوه متناولاً؛ فليس هو عندي خطأ، قال: وذلك أن الله -جلَّ ثناؤه- لم يُطْلَعْنَا على جميع ما أعدَّه لأهل الجنة من كرامته، بل قال -جلَّ وعزَّ-: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، ولسنا نبعد أن يكون لأهل الجنة لذة في التطواف عليهم [بالحور العين]^(٤)، وقرّة عين قد أعدها الله -جلَّ وعزَّ- لهم^(٥).

وقال أبو جعفر أحمد بن محمد: في القراءة -أيضاً-: والجر جائز على أن يُجْمَل على المعنى -أيضاً-؛ لأن المعنى يتنعمون بهذه الأشياء، ويتنعمون بحور عين، وهذا جائز في العربية، واستشهد بالأبيات^(٦) التي ذكرناها عن الفراء^(٧).

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء، ٣/١٢٣-١٢٤.

(٢) هو محمد بن المُسْتَنبِر أبو علي فُطْرُب النَّحْوِي، المعروف بقطرب، لازم سيبويه، وأخذ عن عيسى بن عمر، روى عنه محمد بن الجهم السَّمُرِيُّ، وكان يرى رأي المعتزلة النظامية فأخذ عن النظام مذهبه، له من المصنفات: (المثلث)، و(النوادر)، و(الأضداد)، توفي سنة ست ومائتين، ينظر: طبقات النحويين للزبيدي، ٩٩، إنباه الرواة للقفطي، ٣/٢١٩، بغية الوعاة للسيوطي، ١/٢٤٢.

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ١١/٧٢٦٦.

(٤) في الأصل: (الحور العين)، والمثبت مناسب للسياق.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/١٩٠، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ٢٥/٤٣٩.

(٦) ينظر: الصفحتان (٣٢٦-٣٢٧) من هذه الرسالة.

(٧) إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢١٩.

قال أبو بكر: وأما من قرأ ﴿وَحُورًا عِينًا﴾^(١) بالنصب، فهو -أيضًا- محمولٌ على المعنى؛ لأن معنى الأول: يُعْطُونَ هذا ويُعْطُونَ حورًا عِينًا، كما قال^(٢):

[جِنِّي]^(٣) بِمِثْلِ بَنِي بَدْرِ لِقَوْمِهِمْ أَوْ مِثْلَ أُسْرَةِ مَنْظُورِ بْنِ سَيَّارٍ
أَوْ عَامِرِ بْنِ طُفَيْلٍ فِي مَرْكَبِهِ أَوْ حَارِثًا يَوْمَ نَادَى الْقَوْمُ يَا حَارِ^(٤)

فقال في أول البيت: جئني بمثل، فخفض مثلاً بالباء، ثم قال: أو مثل أسرة، فنصب مثلها الثانية، بإضمار فعل في معنى الأول يتعدى بغير حرف جر؛ لأنه لما قال: جئني كأنه قال: أعطني، فحمل أو مثل أسرة منظور بن سيار على معنى أعطي مثل بدر، وكذا: أو عامر بن طفيل معطوف على أو مثل أسرة، والتقدير عند أبي حاتم: ويُروِّجون حورًا عِينًا^(٥).

وقوله: ﴿كَأَمْثِلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ في موضع الكاف من الإعراب تقديرات على اختلاف القراءة:

فمن قرأ ﴿وَحُورٌ﴾ بالرفع، كانت الكاف في موضع رفع على النعت، كأنه قال: وهور عين مثل اللؤلؤ المكنون. ومن قرأ بالجر، كانت في موضع جر. ومن قرأ بالنصب، كانت في موضع نصب على النعت أيضًا.

﴿كَأَمْثِلِ﴾ خفض بالكاف.

﴿اللُّؤْلُؤِ﴾ خفض بإضافة ﴿أَمْثَالِ﴾ إليه.

(١) ينظر: الحجة للقراء السبعة، ٤/٣٦٥، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ٢/٣٠٩.
(٢) جرير بن عطية بن الخطفي، واسم الخطفي: حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يزيوع، كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل، كانت وفاة جرير في سنة إحدى عشرة ومائة، وكانت وفاته باليمامة، وعمره نيفًا وثمانين سنة. طبقات فحول الشعراء، ٢/٢٩٧، وفيات الأعيان، ١/٣٢١.

(٣) في الأصل: (حسي)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٤) ديوان جرير، ٢٣٧.

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢١٩، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/١٩٠.

﴿الْمَكُونُ﴾ من نعته.

﴿جَزَاءً﴾ مصدر.

﴿بِمَا﴾ خفض بالباء.

﴿كَأَنَّهُ﴾ فعل ماضٍ، والواو اسم كان.

﴿بِعَمَلُونَ﴾ فعل مستقبل في موضع خبر كان.

ومعنى هذه الآيات -والله أعلم-:

يطوف على هؤلاء السابقين الذين قرَّبهم الله -جلَّ وعزَّ- في جنات النعيم ولدانٌ مخلدون.

واختلف أهل العلم في معنى قوله ﴿وَلِدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾:

فقال بعضهم: عني بذلك أنهم على سِنِّ واحدٍ، لا يتغيرون ولا يموتون^(١).

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ قال: "لا يموتون"^(٢).

وقال آخرون عني بذلك أنهم [مُقَرَّرُونَ مُسَوَّرُونَ]^(٣).

قال / قتادة: "الولدان الأطفال"^(٤).

وقيل: هم الذين على سِنِّ واحدٍ، كانت ولادتهم في وقتٍ واحدٍ^(٥).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٩٤.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٩٥.

(٣) في الأصل: (مقرطون مسرورون)، والمثبت موافق لما في المصدر. جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٩٥.

(٤) لم أقف عليه، وقد ذكره القرطبي في تفسيره، ٢٠/١٨٧، عن الحسن البصري وسلمان الفارسي، بتفصيلٍ في حال هؤلاء الأطفال.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء، ٣/١٢٢.



قال أبو بكر: وأولى القولين في مخلدين أنه [البقاء]^(١).

وقوله: ﴿يَاكُوبُ﴾ وهو جمع كوب، وهو من الأباريق ما اتسع رأسه، ولم يكن له خرطوم^(٢)، وقد اختلفت ألفاظ المفسرين في الأكواب:

فروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "الأكواب: الجرار من الفضة"^(٣).

وقال مجاهد: "الأباريق ما كان لها آذان، والأكواب ما ليس لها آذان"^(٤).

وعنه: "الأكواب ليس لها عُرَى ولا آذان"^(٥).

وقال قتادة: "الأكواب دون الأباريق، ليس لها عُرَى"^(٦).

وقال الضحاك: "الأكواب جِرار ليست لها عُرَى"^(٧).

وقال أبو صالح: "الأكواب التي ليست لها عُرَى، المستديرة أفواهها، والأباريق التي لها خراطيم"^(٨).

وقال الفراء: كل ما لا عُرْوَة له ولا أذن فهو كوب، وما كان له عُرْوَة أو آذان فهو إبريق^(٩).

(١) في الأصل: (اكفما)، والمثبت موافق لمعنى ما في المصدر، ومناسب للسياق. ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٩٥/٢٢.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٩٥/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٩٥/٢٢-٢٩٦.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٩٦/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٩٦/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٩٧/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٩٧/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٩٦/٢٢.

(٩) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١٢٣/٣.

وقوله: ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ الكأس: القدح الذي فيه الخمر، لا يقال له كأس حتى يكون فيه الخمر. ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ أي: من عيون جارية^(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ أي: "من خمر جارية، تُرى بالعيون"^(٢).

وقال الضحاك: "الكأس: الخمر، كل كأس في القرآن فهو خمر"^(٣).

وقوله: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ أي: لا تُصَدَّعُ رؤوسهم من شربها ولا تشتكي^(٤).

روى سالم عن سعيد: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي "لا تُصَدَّعُ رؤوسهم"^(٥).

وقول قتادة كذلك والضحاك^(٦).

قال أبو بكر: فنفي عن خمر الجنة ما يلحق من آفاتهما من السكر والصداع^(٧).

قال أبو جعفر: وقيل: يصدعون: لا يتفرقون عن قلبي^(٨).

ومعنى ﴿وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ لا تُنْزِفُ عقولهم^(٩). وهو قول مجاهد^(١٠).

وقال قتادة: ﴿وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ "لا يغلب أحد على عقله"^(١١).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٩٧، معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١١٠/٥.

(٢) لم أفد عليه بهذا اللفظ، وقد أخرج الطبري في تفسيره، ٢٢/٢٩٧، عن ابن عباس رضي الله عنهما: (الخمر)، وعن قتادة: (أي: من خمر جارية).

(٣) أخرج الطبري جزأه الأول في تفسيره، ٢٢/٢٩٨، وذكر النحاس جزأه الثاني في إعراب القرآن، ٤/٢١٨.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٩٨.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٢٩٨.

(٦) أخرجهما الطبري في تفسيره، ٢٢/٢٩٩، ولفظ: (يعني: وجع الرأس) عن الضحاك.

(٧) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢١٨.

(٨) المرجع السابق، ٤/٢١٨.

(٩) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٢٩٩.

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٣٠٠.

(١١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٣٠٠.

قال أبو عبيدة: «لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا» من الصُّدَاعِ فِي الرَّأْسِ، «وَلَا يُنْزِفُونَ» لَا يَسْكُرُونَ. قَالَ الْأَبِيرِدُ الرِّيَاحِي: (١)

لِعَمْرِي لَيْسَ أَنْزِفْتُمْ أَوْ [صَحْوْتُمْ] (٢) لَيْسَ النَّدَامَى كُنْتُمْ آلَ أَبَجْرَا (٣)
قال أبو عبيدة: وقوم يجعلون المترف المقطوع مثل المنزوف الذي قد نُزِفَ دُمُهُ» (٤).

وقوله: «وَفَاكِهِةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ» أَي: وَيَطُوفُ هَؤُلَاءِ [الولدان المخلدون على هؤلاء] (٥)
السابقين بفاكهة من الفواكه التي يتخيرونها لأنفسهم من الجنة وتشتهيها أنفسهم، والتقدير في العربية: مما يتخيرونها.

«وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ» أَي: وَيَطُوفُونَ - أَيْضًا - عَلَيْهِمْ بِلَحْمِ طَيْرٍ مِنَ الطَّيْرِ الَّتِي تَشْتَهِيهِمْ نَفْسُهُمْ» (٦).

قال أبو جعفر: أهل التفسير منهم من يقول: يخلق الله - جلَّ وعزَّ - لحمًا على ما يشتهونه من شواء وطبيخ من جنس الطير، ومنهم من يقول: هو لحم طير على الحقيقة. وبهذا القول جاء الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَشْتَهِيَ الطَّائِرُ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ يَطِيرُ، فَيَقَعُ بَيْنَ يَدَيْكَ مَشْوِيًّا)) (٧). والطير جمع طائر، وقد يجوز أن يكون واحدًا (٨).

(١) الأبيرد بن المعذر بن عبد قيس الرياحي اليربوعي، من تميم: شاعر فصيح بدوي، لم يكن مكثراً ولا مداحاً. وكان هجاءً، جيد الرثاء. أدرك دولة بني أمية. ينظر: الوافي بالوفيات، ١٢٣/٦، الأعلام للزركلي، ١/٨٢.

(٢) في الأصل: (ضجرتوا)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٣) خزنة الأدب والبلاغة لعبد القادر البغدادي، ٣٨٨/٩.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٢/٢٤٩.

(٥) ساقطة من الأصل، وأثبتها لموافقتهما لما في المصدر، ومناسبتها للسياق.

(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٠١/٢٢.

(٧) أخرجه عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد والرفائق باب فضل ذكر الله، برقم، ٥١٠، وأبي نعيم الأصبهاني في صفة الجنة، ١٨٢/٢، والبيهقي في البعث والنشور، باب: ما جاء في طعام شراب أهل الجنة وشرابهم وفاكهتهم وما ترجع إليه أطعمتهم، ٢٠٤. ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، ٦٤٠/١٤.

(٨) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢١٨/٤.

قال أبو بكر: والحُور: جماعة حوراء، وهي النقية بياض العين، الشديدة سوادها، والعين: جمع عيناء، وهي النجلاء العين في حسن البياض، ومنه الحوري، والعين: جمع عيناء^(١).

وقوله: ﴿كَأَمْثَلِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ ﴿أَمْثَالِ﴾ خفض بالكاف، و﴿الْمَكْنُونِ﴾ من نعت اللؤلؤ.

والمعنى: «أنهن في بياضهن وحسنهن كاللؤلؤ المكنون، الذي قد صينَ في كِنٍ»^(٢).

وقوله - عز وجل - : ﴿جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: ثواباً لهم من الله - جل ثناؤه - بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا، وعوضاً من طاعتهم إياه»^(٣).

قال الحسن: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قال: "شديدة السواد: سواد العين، وشديدة البياض: بياض العين"^(٤).

وقال الضحاك: ﴿وَحُورٌ﴾ "بيضٌ" ﴿عِينٌ﴾ "عِظَامُ الْأَعْيُنِ"^(٥).

وروى عطاء الخراساني^(٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "الحور: سُودُ الْحَدَقِ"^(٧).

وقال الحسن: "الحور: صوالح نساء بني آدم"^(٨).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٠٢/٢٢.

(٢) كل شيء وقى شيئاً فهو كئنه وكنانه. لسان العرب، مادة: (كنن).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٠٢/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٠٢/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٠٣/٢٢.

(٦) هو عطاء بن أبي مسلم الخراساني، المحدث الواعظ، نزيل دمشق، روى عن: ابن المسيب، وعمرو بن شعيب، وعطاء بن أبي رباح، وغيرهم، وأرسل عن: ابن عباس رضي الله عنهما، ولم تثبت رؤيته له رضي الله عنهما، روى عنه: معمر، وشعبة، وسفيان، وغيرهم، وثقه بعض العلماء، وضعفه البخاري، وابن حبان، مات سنة خمس وثلاثين ومائة، ينظر: الكامل في ضعفاء

الرجال، ٦٨/٧، سير أعلام النبلاء، ١٤٠/٦، تهذيب التهذيب، ٢١٢/٧.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٠٣/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٠٣/٢٢.

وقال الليث بن أبي سليم^(١): "بلغني أن الحُور العين خُلِقْنَ من الرِّعْفَران"^(٢).

وكذا روى الليث عن مجاهد^(٣).

وقال آخرون: / إنما قيل لهن: حور [لا]^(٤) عين: يَحَارُّ فِيهِنَّ الطَّرْفُ^(٥). أُدِّيَ هذا القول [ب/١٧٣] عن مجاهد^(٦).

وقوله: ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكْنُونِ﴾ جاء الأثر عن رسول الله ﷺ، رواه هشام [بن]^(٧) حسان^(٨) عن أبيه^(٩) عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: أخبرني عن قول الله -جلَّ وعزَّ-: ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكْنُونِ﴾، قال رضي الله عنه: ((صَفَاؤُهُنَّ كَصَفَاءِ الدَّرِّ الَّذِي فِي الْأَصْدَافِ، الَّذِي لَا تَمَسُّهُ الْأَيْدِي))^(١٠).

(١) ليث بن أبي سليم بن زعيم القرشي مولاهم، يكنى بأبي بكر، ويقال أبو بكر الكوفي، قال معاوية بن صالح عن ابن معين: (ضعيف إلا أنه يُكْتَبُ حديثه)، مات سنة ثمان وأربعين ومائة. تهذيب الكمال، ٢٧٩/٢٤، تهذيب التهذيب، ٤٦٥/٨.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٠٣/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٠٣/٢٢.

(٤) زائدة في الأصل.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٠٤/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٠٤/٢٢.

(٧) في الأصل: (عن)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٨) هشام بن حسان الأزدي الْقُرْدُوسِيّ، أبو عبد الله البصري، روى عن: أنس بن سيرين، وأيوب بن موسى القرشي، والحسن البصري، وغيرهم، روى عنه: إبراهيم بن طهمان، وأسباط بن محمد القرشي، وإسماعيل بن عليّة وغيرهم، عن نعيم بن حماد عن سفيان بن عيينة: (كان هشام أعلم الناس بحديث الحسن). مات أول يوم من صفر سنة ثمان وأربعين ومائة. تهذيب الكمال، ١٨١/٣، تقريب التهذيب، ٥٧٢.

(٩) لم أقف على ترجمته.

(١٠) أخرجه الطبراني، ٨٧٠، وفي الأوسط، ٣١٤١، مطوّلًا، وابن عدي، ١١١٢/٣، مختصرًا من طريق عمرو بن هاشم به، وقال: وهذا أيضًا منكر. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٤١٨/١٠: في إسناد سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف.

قال أبو بكر: ورأيت أبا جعفر يستحسن، ويقول: هذا أحسن ما قيل في معناه^(١).

قال أبو بكر: والخور: البياض، على وزن فعلى، مثل: حمراء وحمرا، إلا أن (العَيْن) من (عَيْن) كُسِرَتْ لَأَنَّهَا تَنْقَلِبُ الْيَاءَ وَآوًا [فِي شَكْلِ] ^(٢) بَدَوَاتِ الْوَاوِ ^(٣).

وقد حكى الفراء أن من العرب من يقول: حور عين على الاتباع^(٤).

﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال أبو إسحاق: نصب ﴿جَزَاءٌ﴾ مفعول له، أي: لجزاء أعمالهم. قال: ويجوز أن يكون مصدرًا لأن معنى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِنَّ وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ يجزيهم ذلك جزاءً لأعمالهم^(٥).

قال أبو بكر: «وليس قطع القارئ على قوله: ﴿وَلَحْمَ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ كافيًا، على قراءة من خفض ﴿وَحُورٍ عَيْنٍ﴾؛ لأنه معطوف، وأما على قراءة من قرأ بالنصب فإنه يقف على ﴿يَشْتَهُونَ﴾، وأما من قرأ بالرفع فوقفه الكافي على ﴿يَشْتَهُونَ﴾.

﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قطع صالح^(٦).

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٠/٤، وقد قال هذه العبارة بعد ذكره لقول الحسن البصري: (الخور: الشديداً سوادٍ سوادِ العين).

(٢) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٠/٤.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١٢٣/٣.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١١١/٥-١١٢.

(٦) القطع والائتناف، ٧٠٨.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا ۗ إِلَّا قِيْلًا سَلْمًا سَلْمًا﴾

﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ فعل، وضمير فاعلين، منفي بـ ﴿لَا﴾.

﴿فِيهَا﴾ الهاء والألف ضمير مخفوض.

﴿لَغْوًا﴾ مفعول ﴿يَسْمَعُونَ﴾.

﴿وَلَا تَأْتِيَمًا﴾ معطوف على قوله: ﴿لَغْوًا﴾.

﴿إِلَّا قِيْلًا﴾ قال أبو إسحاق: ﴿إِلَّا قِيْلًا﴾ منصوب ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أي: لا يسمعون إلا قِيْلًا.

وقال غيره: منصوب على الاستثناء.

﴿سَلْمًا سَلْمًا﴾ يكون نعت لـ (قيل)، أي: إلا قِيْلًا يسلم فيه من الصياح والصخب، وما يؤثم فيه. ويجوز أن يكون منصوبًا بـ (قيل)، ويكون معنى قيل: أن يقولوا. وأجاز الكسائي والفراء الرفع في قوله: ﴿سَلْمًا سَلْمًا﴾ بمعنى: قوله السلام عليكم، وأنشد الفراء:

فَقُلْنَا السَّلَامَ فَاتَّقَتْ مِنْ أَمِيرِهَا فَمَا كَانَ إِلَّا وَمُرْهُهَا^(١) بِالْحَوَاجِبِ^(٢)(٣)

ومعنى الآية -والله أعلم-:

لا يسمعون فيها باطلاً من القول، ولا يأتئهم، أي: وليس فيها ما يؤثم^(٤).

وقيل: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ اللغو ما لغوي، على معناه. لا يسمعون فيها فحشًا ولا ضجرًا ولا صياحًا، فنفى الله -جلّ وعزّ- عن أهل الجنة ما كان يلحق الناس في الدنيا في نعيمهم من

(١) وَمَأً إِلَيْهِ يَمَأً وَمَأً: أشار، مثل أَوْمَأً. لسان العرب، مادة: (ومأ).

(٢) البيت لأبي الطيب المُنْتَبِي كما جاء في كتاب شرح ديوان المتنبي للعكبري، ٥٠/٣، وفيه:

وَقَفْنَا فُقُلْنَا إِيَّاهُ سَلْمًا فَسَلَّمَتْ ... فَمَا كَانَ إِلَّا وَمُرْهُهَا بِالْحَوَاجِبِ

(٣) معاني القرآن للفراء، ١٢٤/٣.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٠٥/٢٢.

الضجر، وكل ما يلحق في معاشهم وعزائمهم من الآفات والغناء والتعب في المأكل والمشروب. وفي هذا الحديث: ((مَنْ دَاوَمَ قِرَاءَةَ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ كُلَّ يَوْمٍ لَمْ يَفْتَقِرْ أَبَدًا))^(١).

وكان أبو عبيدة يقول: قيل: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا﴾ والتأثيم لا يُسمع،^(٢) إنما يُسمع اللُّغُو، كما يقال: أكلتُ خبزًا ولبنًا، واللبن لا يُؤكل، فجازت إذا كان معه شيء [لا]^(٣) يُؤكل^(٤).

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾ أي: لا يسمعون فيها من القول إلا سلامًا، أي: أسلم مما يكره، ويجوز أن يكون المعنى إلا قِيلًا يَسَلَمُ فيه من الصياح والصخب وما يؤثم فيه^(٥).

قال أبو بكر: وقطع القارئ على قوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾ قطع صالح^(٦).

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٠/٤، والحديث أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، ٦٨٠، والبيهقي في شعب الإيمان، ١١٩/٤، كلاهما بلفظ مقارب. وذكر الحديث بلفظ مقارب الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ٨٣٢.

(٢) وقع هنا تكرار: (وكان أبو عبيدة يقول: قيل: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا﴾ والتأثيم لا يسمع).

(٣) زائد في الأصل.

(٤) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٢٤٩/٢..

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٠٥/٢٢، إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٠/٤.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٢٤٩/٢.

وقوله - جلّ وعزّ - ثناؤه:

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَلَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ / وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾

قال أبو بكر: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ ابتداء.

﴿مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ ابتداء ثاني، وخبر في موضع خبر الابتداء الأول. وقال الفراء: ﴿أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين.

﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ خفض بـ ﴿فِي﴾. ﴿مَخْضُودٍ﴾ من نعته.

﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَلَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾﴾ كل هذا معطوف على ما تقدم، وما بعده في موضع النعت. وكذا ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ نعت -أيضاً- ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ معطوف، وجاز أن يُفَرَّقَ بين النعت والمنعوت بقولك: لا، [لكثرة] ^(١) تصرفها، وأنها تقع زائدة ^(٢).

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ معطوف على ما عملت فيه.

﴿إِنَّا﴾ الأصل: إننا، حذف النون لاجتماع النونات.

﴿أَنْشَأْنَهُنَّ﴾ فعل ماضٍ، والنون والألف ضمير اسم الله، والهاء والنون ضمير الحور، في موضع نصب.

﴿إِنِشَاءً﴾ مصدر.

﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ مفعولان.

﴿عُرُبًا﴾ نعت لـ ﴿أَبْكَارًا﴾. وكذا ﴿أَتْرَابًا﴾.

(١) في الأصل: (كثيرة)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢٢١.

﴿لَأَصْحَابٍ خَفِضَ بِاللَّامِ﴾.

﴿الْيَمِينِ﴾ خَفِضَ بِإِضَافَةِ أَصْحَابٍ إِلَيْهِمْ.

ومعنى الآية-والله أعلم-:

أن الله -جل ثناؤه- يقول لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾.

قال أبو بكر: وقد اختلف في ﴿أَصْحَابٍ﴾:

ف قيل: هم الذين يُؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين. وقيل: الذين أُعطوا كتبهم بأيمانهم.
وقيل: هم الذين أقسم الله -جل وعزّ- أن يدخلهم الجنة، يا محمد^(١).

﴿مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ أي شيء بهم وماذا لهم وماذا أعد لهم من الخير؟^(٢)

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام وأبو عمر: "هم أطفال المؤمنين"^(٣).

وقال قتادة: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ أي "ماذا لهم وماذا أُعدَّ لهم؟" قال أبو بكر: ثم
ابتدأ الخبر عمّا أُعدَّ لهم في الجنة؟ وكيف يكون حالهم إذا هم دخلوها؟ فقال: ﴿فِي سِدْرٍ
مَخْضُودٍ﴾ أي: "في ثمر سدرٍ موقرٍ"^(٤) من حمّله، قد ذهب شوكة"^(٥).

قد اختلف أهل العلم في معنى قوله: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ فقال بعضهم: يعني الذي خُضدَ من
الشوك، فلا شوك فيه^(٦).

فمن قال: هو الذي لا شوك فيه، ابن عباس عليه السلام، قال: "خضدُهُ وَقَرُّهُ مِنَ الْحَمَلِ، وقال:

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٠٥/٢٢، إعراب القرآن للنحاس، ٢٢١/٤.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٠٥/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٠٦/٢٢.

(٤) أوقرت النخلة أي كثر حملها. لسان العرب، مادة: (وقر).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٠٦/٢٢.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٠٦/٢٢.

﴿مَحْضُودٍ﴾ لاشوك فيه^(١). وهو قول أبي [الأحوص]^(٢).

وقال قتادة: "وكنا نُحَدِّثُ أنه الموقر الذي لاشوك فيه"^(٣). وهو قول أبي [الأحوص]^(٤).

وقال آخرون: بل عُنيَ به أنه الموقر^(٥).

ممن روى ذلك ابن أبي نجیح عن مجاهد، قال: "يقولون: هو الموقر حَمَلًا"^(٦).

وقال الضحاك: ﴿فِي سِدْرٍ مَّحْضُودٍ﴾ "موقر"^(٧).

وقال سعيد بن جبیر: ﴿فِي سِدْرٍ مَّحْضُودٍ﴾ "ثمرها أعظم من القلال"^(٨).

قال أبو بكر: أصح ما فيه أنه الذي قد خُضِدَ شوْكه. وقيل: هو مخلوق هكذا^(٩).

وقوله: ﴿وَطَلِحَ مَنصُودٍ﴾ زوي عن علي عليه السلام أنه كان يقرأ: ﴿وَطَلِحَ﴾ بالعين^(١٠).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٠٧/٢٢.

(٢) في الأصل: (الأحوص)، والمثبت موافق لما في المصدر. وأبو الأحوص هو سَلَامُ بن سُلَيْمِ الحنفي، مولاهم، أبو الأحوص الكوفي. قال أبو بكر بن أبي خيشمة عن يحيى بن معين: (ثقة متقن). مات سنة تسع وسبعين ومائة. تهذيب الكمال، ٢٨٥/١٢، تهذيب التهذيب، ٢٨٢/٤. وقد أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٠٨/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٠٨/٢٢.

(٤) في الأصل: (الأحوص)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٠٨/٢٢.

(٦) تفسير مجاهد، ٦٤١.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٠٩/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٠٩/٢٢.

(٩) إعراب القرآن للنحاس، ٢٢١/٤.

(١٠) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٠٩/٢٢. قراءة (طلع) قراءة شاذة كما جاء عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما. الجامع لأحكام القرآن، ٢٠٨/١٧، معجم القراءات، ٢٩٩/٩.

قال أبو بكر: وذكر أبو عبيدة: أن الطلح عند العرب شجر عظام، كثير الشوك^(١)، وأنشد للحادي^(٢):

[بَشَّرَهَا] ^(٣) دَلِيلُهَا وَقَالَ ^(٤) غَدًا [تَرِين] ^(٥) الطَّلْحَ وَالْحِيَالَ

قال أبو بكر: والطلح عند العرب: شجر عظام، كثير الشوك^(٦).

قال أبو إسحاق: يجوز أن يكون في الجنة، وقد أزيل شوكة^(٧).

وأهل التفسير يقولون: أن الطلح الموز^(٨).

قال أبو جعفر: وسمعت علي بن سليمان يقول: يجوز أن يكون هذا مما لم ينقله أصحاب الغريب، وأسماء النَّبْت كثيرة حتى أن أهل اللغة يقولون: لا يُعَاب علي من صَحَّفَ في أسماء النَّبْت؛ لكثرتها^(٩).

قال أبو بكر: وأما أهل التفسير فيقولون: هو الموز. فممن قال: علي بن أبي طالب / وابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن زيد، وهو -أيضاً- قول أبي هريرة رضي الله عنه وأبي سعيد^(١٠).

(١) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٢٥٠/٢.

(٢) في جامع البيان في تأويل القرآن: (وأنشد لبعض الخداة...)، ٣٠٩/٢٢. والحادي: خدَا الإِبِلَ وَخَدَا بِهَا يَخْدُو وَخَدُوًا وَخَدَاء: زَجَرَهَا خَلَقَهَا وَسَاقَهَا. ينظر: لسان العرب، مادة: (خدا).

(٣) في الأصل: (سوها)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٤) في الأصل: (تزين)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٠٩/٢٢، من غير نسبة، وهو منسوب في النكت والعيون، ٤٥٤/٥، والجامع لأحكام القرآن، ١٩٤/٢٠_١٩٥، للجعدي. ولم أقف عليه في ديوانه.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٠٩/٢٢.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١١٢/٥.

(٨) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٠٩/٢٢.

(٩) إعراب القرآن للنحاس، ٢٢١/٤.

(١٠) أخرجها الطبري في تفسيره، ٣٠٩/٢٢_٣١٢، بأسانيد منفصلة.

وعن مجاهد قول آخر: "وهو أنهم تَعَجَّبُوا من طَلْحٍ وَجَّ^(١)، فأعلمهم الله -جلّ ثناؤه- أن في الجنة طلحًا"^(٢).

قال أبو بكر: وهذا مسلّم؛ لأن التفسير بأنه الموز؛ لأنه يجوز أن يكون لم يبلغ أهل اللغة إلا من التفسير، ولا ينكر مثل هذا في أسماء النبات؛ لكثرتها، على أنه روي عن علي رضي الله عنه أنه قرأ: ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ وجعله مثل قوله: ﴿لَهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ ومعنى نضيد ومنضود واحد، أي: قد ضُمَّ بعضه إلى بعض، أي: قد ضَمَّه بالحمل والوَرَق^(٣).

قال ابن عباس: ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ "بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ"^(٤).

وقال قتادة: "شجر الجنة موقر بالحمل من أسفله إلى أعلاه"^(٥).

﴿وَزَيْلٍ مَّمدُودٍ﴾ أي: دائم لا تَنْسُخُهُ الشمسُ فْتُدْهِبُهُ، وكلُّ ما لا انقطاع له فهو ممدود^(٦).

وروى أبو إسحاق: ومنه قول لبيد:

غَلَبَ البَقَاءُ وَكُنْتُ غَيْرَ مُعَلَّبٍ دَهْرٌ طَوِيلٌ دَائِمٌ مَّمدُودٌ^(٧)

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: (هو الطائف)، ٣٦١/٥، والطائف الآن مدينة مشهورة من مدن المملكة العربية السعودية، ووَجَّ: وادٍ مشهور فيها، وكانت بلاد ثقيف قديمًا. وما زال بعضهم فيها. ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد، ٩٨، المعالم الأثرية في السنة والسير، ٢٩٥.

(٢) ينظر: تفسير مجاهد، ٦٤٢.

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٧٢/١١.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣١٢/٢٢.

(٥) لم أفد عليه، وقد ذكر القرطبي في تفسيره، ١٩٦/٢٠، والبغوي في تفسيره، ١٢/٨، أثرًا لمسروق، في معناه.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣١٣/٢٢.

(٧) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ٣٣.

وروى أبو إسحاق^(١) عن عمرو بن ميمون: ﴿وِظِلِّ مَمْدُودٍ﴾ قال: "خمس مئة ألف سنة"^(٢).

وعن أبي هريرة قال: "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة سنة، أقرأوا إن شئتم ﴿وِظِلِّ مَمْدُودٍ﴾"، فبلغ ذلك كعباً، فقال: "صَدَقَ والذي أنزل التوراة على لسان موسى ﷺ والفرقان على محمد ﷺ؛ لو أن رجلاً ركب حِجَّةً^(٣) أو جَدَعَةً^(٤) ثم دار بأصل تلك الشجرة ما قطعها حتى يسقط هَرَمًا، إن الله -جلّ ثناؤه- غرسها بيده، ونفخ فيها من روحه، وإن أفنانها لمن وراء [سور]^(٥) الجنة، وما في الجنة نُحْرٌ إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة"^(٦).

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: ((في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة، لا يقطعها، أقرأوا إن شئتم ﴿وِظِلِّ مَمْدُودٍ﴾))^(٧).

(١) عمرو بن عبد الله بن عُبيد، ويُقال: عمرو بن عبد الله بن علي، ويُقال: عمرو بن عبد الله بن أبي شعيرة، واسمه ذو يحمّد الهمداني، أبو إسحاق السبيعي الكوفي، من أكابر حفاظ مدينة الكوفة في العراق، ومن أعظم علمائها الذين رووا الحديث، وأفنوا أعمارهم في سبيله. قال أحمد بن عبد الله العجلي: كوفي، تابعي، ثقة، سمع ثمانية وثلاثين من أصحاب النبي ﷺ، كانت وفاته سنة سبع وعشرين ومائة. تهذيب الكمال، ١٠٢/٢٢، تهذيب التهذيب، ٦٣/٨.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣١٣/٢٢.

(٣) الحِقُّ من أولاد الإبل: الذي بلغ أن يُركب ويُحمل عليه ويُضرب. لسان العرب، مادة: (حقق).

(٤) الجذع يختلف في أسنان الإبل والحيل والبقر والشاء، والذكر جذع، والأنثى جذعة، فأما البعير فإنه يجذع؛ لاستكمالها أربعة أعوام ودخوله في السنة الخامسة، وأما الجذع في الحيل إذا استتم الفرس سنتين ودخل في الثالثة فهو جذع. ينظر: لسان العرب، مادة: (جذع).

(٥) في الأصل: (سؤ)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٠٩/٢٢.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه رقم الحديث: ٣٢٥٢، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ١١٩/٤، ومسلم في صحيحه رقم الحديث: ٢٨٢٦، باب: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، ٢١٧٥/٤.

وقوله: ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ أي: وفيها -أيضاً- ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ أي: مصبوب سائل، في غير أحدود، لا يُتعب في استقائه^(١).

قال سفيان: ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ "تجري في غير أحدود"^(٢).

﴿وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ۖ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي: لا ينقطع عنهم شيءٌ منها أرادوه في وقت من الأوقات، كما تنقطع فواكه الصيف في الشتاء في الدنيا، ولا يمنعهم منها، ولا يحول بينهم وبينها شوك على أشجارها، أو بعدها منهم، كما تُمنع فواكه الدنيا عن كثير ممن أرادها بعدها على الشجر، أو بما على شجرها من الشوك، ولكنها إذا اشتهاها أحدُهم وقعت على فيه، أو دنت منه، حتى تناولها بيده^(٣).

قال قتاده: "لا يمنعهم منها شوك ولا بُعد"^(٤).

قال أبو جعفر: لا يخطر عليها كما يخطر على بساتين الدنيا^(٥).

وقوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ أي: ولهم فيها فرش مرفوعة أي: طويلة بعضها فوق بعض، كما يقال: [بناء] مرفوع. روى أبو سعيد الخدري^(٦) عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ قال:

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣١٨/٢٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١١٢/٥.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣١٨/٢٢.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣١٨/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣١٨/٢٢.

(٥) لم أفق عليه، ومعناه مذكور في تأويلات أهل السنة، ٤٩٤/٩.

(٦) في الأصل: (انا)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٧) سعد بن مالك بن سنان بن الأبحر، أبو سعيد الخدري، صحابيٌّ جليل، كان من نجباء الأنصار وعلمائهم، وفضلائهم، حدّث عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر، وعمر ﷺ، حدّث عنه: ابن عمر، وجابر، وأنس ﷺ، وجماعة من

أقرانه، توفي سنة أربع وسبعين، ينظر: الاستيعاب، ٦٠٢/٢، أسد الغابة، ٤٥١/٢، الإصابة، ٧٨/٣.

((إِنَّ اِرْتِفَاعَهَا لَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَإِنَّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَمَسِيرَةٌ خَمْسِمِائَةَ عَامٍ))^(١).

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ أي: خلقناهن خلقًا وأوجدناهن^(٢).

قال أبو عبيدة في الضمير الذي في ﴿أَنْشَأْنَهُنَّ﴾ أنه يعود على: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾^(٣).

وقال الأخفش سعيد: هو ضمير لم يُجَزَّ له ذكر؛ لأنه قد عُرفَ معناه؛ لأنها محل النشأة^(٤).

وقال قتادة: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ قال: "خلقناهن خلقًا"^(٥).

روى سلمة بن يزيد^(٦) عن رسول الله ﷺ في هذه الآية: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ قال: ((مِنْ الثَّيِّبِ وَالْأَبْكَارِ))^(٧).

روى أنس بن مالك عن النبي ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ قال: ((نَشَأً عَجَائِرُكُنَّ فِي الدُّنْيَا عُمُشًا^(٨) رُمُصًا))^(٩).

(١) أخرجه الترمذي في سننه، باب: ما جاء في ثياب أهل الجنة، ٦٧٩/٤. ذكره الألباني في ضعيف الجامع وزيادته، ٨٨٢.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣١٩/٢٢.

(٣) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٢٥١/٢.

(٤) ينظر: معاني القرآن للأخفش، ٥٣٢/٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٢٠/٢٢.

(٦) سلمة بن يزيد بن مشجعة بن الجمع بن مالك بن كعب بن سعد بن عوف بن حريم بن جعفي الجعفي وفد إلى النبي ﷺ، روى عنه علقمة بن قيس وعلقمة بن وائل بن حجر الحضرمي، ويزيد بن مرة الجعفي. أسد الغابة، ٥٣٢/٢، الإصابة، ١٣١/٣.

(٧) أخرجه الطيالسي في مسنده، ٦٤٢/٢، بلفظ: (مِنْ الثَّيِّبِ وَعَجَيْرِ الثَّيِّبِ)، والطبراني في معجم الكبير، ٤٠/٧، مرة بلفظ (مِنْ الثَّيِّبِ وَعَجَيْرِ الثَّيِّبِ)، ولفظ: (يَعْنِي: الثَّيِّبِ، وَأَبْكَارًا: اللَّائِي كُنَّ فِي الدُّنْيَا).

(٨) الأعمش: الفاسد العين الذي تغسق عيناه، ومثله الأرمض. لسان العرب، مادة: (عمش).

(٩) أخرجه الترمذي في سننه، باب: (ومن سورة الواقعة)، ٤٠٢/٥، باختلاف يسير في بعض ألفاظه. وقال (هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ، وَمُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ وَيَزِيدُ بْنُ أَبَانَ الرَّقَاشِيُّ يُضَعَّفَانِ فِي الْحَدِيثِ).

وعنه عليه السلام أنه قال: ((مِنْهُنَّ الْعَجَائِزُ))^(١).

وروي عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أنها قالت: قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله -جلَّ وعزَّ-: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۝٣٥ / فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ قال: ((هُنَّ اللَّوَاتِي قُبِضْنَ فِي الدُّنْيَا عَجَائِزٌ رُمِصًا شَمَطًا^(٢)، فَخَلَقَهُنَّ اللَّهُ -جَلَّ وَعَزَّ- بَعْدَ الْكِبَرِ فَجَعَلَهُنَّ عَدَارِي))^(٣).

[١٧٥/أ]

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ قال: "هُنَّ مِنْ بَنِي آدَمَ، نَسَاءٌ كُنَّ فِي الدُّنْيَا، يَنْشِئُهُنَّ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- أَبْكَارًا عَدَارِي عُرُبًا"^(٤).

وقال مجاهد: "خلقهن من زعفران"^(٥).

وقال أبو اسحاق: "إنشاءً من غير ولادة"^(٦).

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ قال أبو بكر: أي: [فصيرناهن] ^(٧) عَدَارِي^(٨).

قال الضحاك: ﴿أَبْكَارًا﴾ يقول: "عَدَارِي"^(٩).

=

والرمص في العين: كالغمص وهو قذى تلفظ به. لسان العرب، مادة: (رمص).

(١) أخرجه أبو النعيم الأصبهاني في نعيم الجنة، باب: (ذكر نساء أهل الجنة)، ٢/٢٢١.

(٢) الشمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده. لسان العرب، مادة: (شمط).

(٣) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب، ٤/٢٩٩.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٣٠٩.

(٥) ذكره النحاس في إعراب القرآن، ٤/٢٢١، بلفظ: (خُلِقْنَ...).

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٥/١١٢، بلفظ: (يعني الحور، أنشئن لأولياء الله عزَّ وجلَّ، لئيس ممن وقعت عليه ولادة)، وذكره النحاس في إعراب القرآن، ٤/٢٢١.

(٧) في الأصل: (قصرناهن)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٣٢٠.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٣٢٢.

وقوله: ﴿عُرْبًا﴾ جمع، واحده: عُرُوب، كما كان واحد الرُّسُلِ رَسُولًا^(١).

قال لبيد:

وَفِي [الْحُدُوجِ]^(٢) عُرُوبٌ عَيْرٌ فَاحِشَةٌ رِيًّا الرَّوَادِفِ [يَعْشَى]^(٣) دُونَهَا
الْبَصْرُ^(٤)

قال أبو بكر: ولغة تميم ونجد: عُرْبًا بتسكين [الراء]^(٥)، حُذفت الضمة لثقلها^(٦).

وقال أبو جعفر: في قوله: ﴿أَنْشَأْنَهُنَّ إِنِّشَاءً﴾ قولان: أحدهما: أنه يُراد به الحواري لم يولدن، والقول الآخر: أنه يراد به بنات آدم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أي: أنشأنا الصَّبِيَّةَ والعجوزَ إِنِّشَاءً واحدًا^(٧).

قال أبو بكر: وأهل التفسير على هذا القول. وقد ذكرنا ما رُوي فيه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٨).

واختلف أهل العلم في معنى العُرْبِ: فقال مجاهد والحسن وقتادة: "العُرْبُ المتحبيبات إلى أزواجهن"^(٩).

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "يقال للناقة عُرْبِيَّة: تشتهي الفحل"^(١٠).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢٣/٢٢.

(٢) في الأصل: (الحدوج)، والمثبت موافق لما في المصدر.

والحدوج والأخداج والحدائج: مراكب النساء، واحدها حِدْج وحِداجة. لسان العرب، مادة: (حجج).

(٣) في الأصل: (يعشى)، والمثبت موافق لما في المصدر.

وقيل: العشى يكون سوء البصر من غير عمى، ويكون الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار. لسان العرب، مادة: (عشا).

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ٣٨.

(٥) في الأصل: (التا)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٦) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٢/٤.

(٧) لم أفق عليه، ومعناه مذكور في معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١١٢/٥، ومعاني القرآن للفراء، ١٢٥/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٧٧/١١.

(٨) ينظر: الصفحتان (٤١٦-٤١٧) من هذه الرسالة.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٢٦/٢٢-٣٢٧، بأسانيد منفصلة، واختلاف في بعض ألفاظه.

(١٠) ذكره السيوطي في تفسيره، ١٦/٨-١٧.

وقال عكرمة: "العُروب الغنجة"^(١).

وقال أبو صالح: "الشكيلة"^(٢).

قال زيد بن أسلم: "هي الحسنة الكلام"^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنه -أيضاً- قال: "الملقة". وعنه رضي الله عنه -أيضاً- "عواشق"^(٤).

وعن الحسن: "هي العاشق"^(٥).

قال أبو بكر: القول الأول هو أعرفها، على أن الأقوال متقاربة. والعرب إذا مدحت المرأة قالوا: هي عروب^(٦)، كما قال الشاعر^(٧):

[آنسة تُصبي^(٨) الحليم عروب^(٩)]

وأصل هذا من قولهم: أعرب، إذا بيّن، والمعنى: أنها تبين محبتها لزوجها بعُججٍ وشكّلٍ وحُسنٍ كلام^(١٠).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٢٤/٢٢، بلفظ: (غنجات)، و(هي المغنوجة)، في سنيين منفصلين.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٢٤/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٢٤/٢٢، بلفظ: (حسنات الكلام).

(٤) أخرجهما الطبري في تفسيره، ٣٢٣/٢٢.

(٥) ذكره مكّي بن أبي طالب في تفسيره، ٧٢٧٧/١١، بلفظ: (العائق).

(٦) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ١٧/٨.

(٧) أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شريح: شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها. في نسبه اختلاف بعد أبيه حجر. وهو زوج أمّ زهير بن أبي سلمى. كان كثير الأسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند، في الحيرة. عمّر طويلاً، ولم يدرك الإسلام. في شعره حكمة ورقة، وكانت تميم تقدّمه على سائر شعراء العرب. قال الأصمعي: أوس أشعر من زهير، إلا أن النابغة طأطأ منه. وهو صاحب الأبيات المشهورة التي أولها: (أيتها النفس أجمل جرعاً). الأعلام للزركلي، ٣١/٢.

(٨) في الأصل: (واضحة تضي)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٩) ديوان أوس بن حجر، ٢٠.

(١٠) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٧٧/١١، الجامع لأحكام القرآن، ١٩٩/٢٠.

وقوله: ﴿أَتْرَابًا﴾ قال الحسن وقتادة محمد بن كعب: ﴿أَتْرَابًا﴾ "على سِنٍّ واحد" (١).

وقال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد: هي الأمثال (٢).

قال أبو بكر: القولان واحد، يقال فلان تَرَبَّ فلان، أي: على سِنِّه، كأنما خُلِقَا من تُرْبَةٍ واحدة، وقيل أتراب: أشكال لأزواجهن في الجسم والمقدار (٣).

واختلفت القراءة في التخفيف والتثقيل من قوله: ﴿عُرْبًا﴾: فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ﴿عُرْبًا﴾ بالتثقيل، وكذلك قرأ الكسائي وعاصم في رواية حفص، واختلف عن أبي بكر فقال أبو هشام وحسين العجلي (٤) عن يحيى (٥) قال: قال أبو بكر: كأني أسمع عاصمًا الساعة يقرأها ﴿عُرْبًا﴾ زاد أبو هشام عن يحيى حقيقة، وروى خلف (٦) وابن المنكر وضرار (٧) عن يحيى

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٢٩/٢٢، عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٢٩/٢٢، عن مجاهد.

(٣) ينظر: النكت والعيون، ٤٥٦/٥.

(٤) الحسين بن علي بن الأسود العجلي، أبو عبد الله الكوفي، نزيل بغداد، وقد يُنسب إلى جدّه. روى عن: حسين بن علي الجعفي، وأبي أسامة حماد بن أسامة، وزيد بن الحباب، وغيرهم، روى عنه: أبو داود، والترمذي، وإبراهيم بن علي الدُّهليّ النيسابوري، وغيرهم. قال أبو حاتم: صدوق. وذكره ابن حبان في (الثقات). وأما ابن عدي فقال: (كان يسرق الحديث، وأحاديثه لا يتابع عليها). توفي سنة أربع وخمسين ومائتين. ينظر: تهذيب الكمال، ٣٩١/٦، تقريب التهذيب، ١٦٧.

(٥) يحيى بن آدم بن سليمان القرشي الأموي، أبو زكريا الكوفي، مولى خالد بن خالد بن عقبة بن أبي معيط. مات سنة ثلاث ومائتين. ينظر: تهذيب الكمال، ١٨٨/٣١، تقريب التهذيب، ٥٨٧.

(٦) خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب بن هشيم بن ثعلب بن داود بن مقسم بن غالب أبو محمد الأسدي ويقال خلف بن هشام بن طالب بن غراب، الإمام العلّم أبو محمد البزار البغدادي، أحد القراء العشرة وأحد الرواة عن سليم عن حمزة، وُلد سنة خمسين ومائة، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، مات في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد. ينظر: معرفة القراء، ١٢٣، غاية النهاية، ٢٧٢/١.

(٧) ضرار بن مرد التيمي، أبو نعيم الطحان الكوفي. وكان متعبداً. رَوَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، وَحَاتِمِ بْنِ وَرْدَانَ، وَحَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ وَسَفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَأَبِي الْجَهْمِ سَلِيمِ بْنِ عَيْسَى الْمَقْرِيِّ وَغَيْرِهِمْ، قَالَ الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ: (متروك الحديث).

مات في ذي الحجة سنة تسع وعشرين ومائتين. ينظر: الطبقات الكبرى، ٣٧٨/٦، تهذيب الكمال، ٣٠٣/١٣.

﴿عُرْبًا﴾ -أيضًا- بسكون الراء، وروى أحمد بن عثمان بن حكيم^(١) قال: حدثنا عبد الجبار العطاردي^(٢) عن أبي بكر عن عاصم: أنه قرأ ﴿عُرْبًا﴾ مخففة، وقد قال: ﴿عُرْبًا﴾ مرّةً مثقل، وقال ابن أبي أمية -أيضًا- بالتخفيف، وقال الكسائي والأعمش وابن نعيم^(٣) وأبو المعاني^(٤) وحسين الجعفي في حكاية خلاد^(٥) وهارون^(٦) عنه عن أبي بكر^(٧) عن عاصم: ﴿عُرْبًا﴾ مثقلا، وكذلك روى المنذر عن هارون عن أبي بكر عن عاصم، واختلف عن نافع: فروى ورش وقالون والمسيبي^(٨) عنه: التثقيب، وروى إسماعيل عنه ﴿عُرْبًا﴾ مخففة، وقال أبو عبيدة: اختلف فيها أبو

(١) أحمد بن عثمان بن حكيم الكوفي بن ذبيان الأودي، روى القراءة عن عبد الجبار بن محمد العطاردي وميمون بن صالح الدارمي صاحبي أبي بكر بن عياش، روى القراءة عنه علي بن العباس المقانعي ومحمد بن الفتح الخراز. قال أبو حاتم: (صدوق). ينظر: تهذيب الكمال، ٤٠٤/١، غاية النهاية، ٨٠/١.

(٢) عبد الجبار بن محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة العطاردي، ويقال الدارمي الكوفي، روى الحروف عن أبي بكر بن عياش، روى عنه الحروف أحمد وزيد ابنا عثمان بن حكيم ونعيم بن حذيفة. ينظر: غاية النهاية، ٣٥٨/١، تراجم رجال الدارقطني في سننه الذين لم يُترجم لهم في التقريب ولا في رجال الحاكم، ٢٧٠.

(٣) عبيد بن نعيم بن يحيى أبو عمر السعدي الكوفي، أخذ القراءة عن أبيه عن عاصم وأبي عمرو بن العلاء وحمزة الزيات وأبي بكر بن عياش وأبي يوسف الأعشى، روى القراءة عنه أحمد بن محمد بن مصرف اليامي ونسبه وكناه ومحمد بن عبد الرحمن الدهقان. ينظر: الجرح والتعديل، ٤/٦، غاية النهاية، ٤٩٨/١.

(٤) بريد بن عبد الواحد أبو المعاني الضرير مقرر، روى القراءة عن أبي بكر بن عياش وإسماعيل بن جعفر ومحمد بن الفضل بن علي، روى القراءة عنه سليمان بن داود الزهراني وحمزة بن القاسم أبو عمارة ومحمد بن يحيى القطعي، مات في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، عن ثمان وسبعين سنة. غاية النهاية، ١٧٦/١.

(٥) خلاد بن خالد أبو عيسى وقيل أبو عبد الله الشيباني مولاهم الصيرفي الكوفي، إمام في القراءة، ثقة عارف محقق أستاذ، توفي سنة عشرين ومائتين. ينظر: معرفة القراء، ١٢٤، غاية النهاية، ٢٧٤/١.

(٦) هارون بن عباد الأزدي، أبو موسى المصيصي الأنطاكي. توفي ما بين مائتين وإحدى وثلاثين ومائتين وأربعين. ينظر: تهذيب الكمال، ٩٦/٣٠، تاريخ الإسلام، ٩٤٩/٥.

(٧) أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحناط المقرر، ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات)، توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ١٢٩/٦٣، غاية النهاية، ٨٠/١.

(٨) إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن أبو محمد المسيبي المخزومي، المدني المقرر، قرأ على نافع بن أبي نعيم، وهو من جلة أصحابه المحققين. توفي سنة ست ومائتين. ينظر: تهذيب الكمال، ٤٧٣/٢، معرفة القراء الكبار، ٨٨.

جعفر ونافع: فقرأها أحدهما بالتخفيف، وثقلها الآخر، فكأنه لم يضبط ذلك، وقرأها حمزة بالتخفيف^(١).

وقوله -جلّ وعزّ-: ﴿لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: أنشأ هؤلاء اللواتي وصّف -جلّ ثناؤه- صفتهم من الأبرار، لأصحاب اليمين الذين يؤخذ بهم ذات اليمين من موقف الحساب إلى الجنة^(٢). [١٧٥/ب]

قال أبو بكر: «وقطع القارئ على قوله -جلّ وعزّ-: ﴿مَا أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ قطع كاف؛ إن جعلت ﴿مَا أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ في موضع التعظيم لأمرهم، وكذا إن جعلت ﴿أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ هم الذين أقسم الله -جلّ وعزّ- أن يدخلهم الجنة، فيكون المعنى: والذين أقسم الله -جلّ وعزّ- أنهم في الجنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين. وإن جعلت ﴿فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ الخبر؛ فالكلام متصل إلى ﴿وَفُؤْشِ مَرْفُوعَةٍ﴾ فيكون ها هنا الوقف.

وقال الأخفش: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾، والتمام ﴿عُرْيًا أْتْرَابًا﴾، وخالفه أبو حاتم فجعل الوقف ﴿لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾.

قال أبو بكر: شرح هذا من العربية: أنك إن جعلت التقدير: لأصحاب اليمين ثلثة؛ فالوقف ﴿عُرْيًا أْتْرَابًا﴾، وإن جعلت المعنى: هما ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين، أو جعلت المعنى: الذين وصفهم الله -جلّ وعزّ- بهذا النعيم هؤلاء؛ وقفت على ﴿لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾^(٣).

(١) ينظر: السبعة في القراءات، ٦٢٢، المبسوط في القراءات العشر، ٤٢٧، حجة القراءات، ٦٩٥.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٢٩/٢٢.

(٣) القطع والائتناف، ٧١٠-٧١١.

وقوله - جلّ وعزّ -:

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٣٨﴾ مَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٣٩﴾ فِي سَمُورٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٠﴾
وظِلٍّ مِّن يَحْمُورٍ ﴿٤١﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٢﴾

قال أبو بكر: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٧﴾ رفع بإضمار مبتدأ، والتقدير: هما ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين، فيجوز أن يكون مرفوعا بالابتداء، والخبر ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، وهذا قول الفراء، قال: ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٧﴾^(١).

وقال محمد بن جرير: الذين لهم هذه الكرامة التي وصفت صفتها في هذه الآيات ثلثان، وهما جماعتان وأمتان وفرقتان: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: جماعة من الذين مضوا قبل أمة محمد ﷺ، ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ يقول: جماعة من أمة محمد ﷺ^(٢).

قال أبو بكر: ونذكر ما روي عن العلماء المتقدمين: روى سفيان عن الحسن: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ قال: "من الأمم"، ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ "من أمة محمد ﷺ"^(٣).

وروى عثمان بن حفص^(٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: تحدثنا عند رسول الله ﷺ ذات ليلة، حتى أكثرنا الحديث، ثم رجعنا إلى أهلنا، فلما أصبحنا [غدونا]^(٥) على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ اللَّيْلَةَ وَأَتْبَاعَهَا مِنْ أُمَّتِهَا، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجِيءُ مَعَهُ الثَّلَاثَةُ مِنْ أُمَّتِهِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الْعِصَابَةُ مِنْ أُمَّتِهِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ النَّفَرُ مِنْ أُمَّتِهِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِهِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ، حَتَّى أَتَى عَلَيَّ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كَبْكَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبُونِي فَقُلْتُ: أَيُّ رَبِّي مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: هَذَا أَخُوكَ

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١٢٦/٣.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٣٠/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٣٠/٢٢.

(٤) عثمان بن حفص بن عمر بن خلدة الأنصاري الزرقي، روى عن جده عمر بن خلدة ومعوية، روى عنه مالك وعبد العزيز بن أبي سلمة، وكان رجلاً صالحاً، ولي قضاء المدينة في خلافة عبد الملك، وذكره ابن حبان في (الثقات). ينظر:

تعجيل المنفعة لابن حجر، ١/٨٦٤، التحفة اللطيفة، ٢/٢٤٢.

(٥) في الأصل: (عدونا)، والمثبت موافق لما في المصدر.

مُوسَىٰ بُنِ عِمْرَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقُلْتُ: رَبِّ فَأَيْنَ أُمَّتِي؟ قِيلَ: انْظُرْ عَنْ يَمِينِكَ، فَإِذَا [ظُرَابٌ] ^(١) مَكَّةَ قَدْ سُدَّ بِوُجُوهِ الرِّجَالِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ فَقِيلَ: رَضِيتَ؟ فَقُلْتُ: رَبِّ رَضِيتُ، قِيلَ: انْظُرْ عَنْ يَسَارِكَ، فَإِذَا الْأُفُقُ قَدْ سُدَّ بِوُجُوهِ الرِّجَالِ فَقُلْتُ: رَبِّ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ فَقِيلَ: رَضِيتَ؟ فَقُلْتُ: رَبِّ رَضِيتُ. فَقِيلَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِكَ، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ))، قَالَ: فَأَنْشَأَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنِ ^(٢) -رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ- فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ: ادْعُ رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، ثُمَّ أَنْشَأَ رَجُلٌ آخَرَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ: ادْعُ رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فقال: ((سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ))، فقال رسول الله ﷺ: ((فِدَاكُمْ أَبِي وَأُمِّي، إِنْ اسْتَطَعْتُمْ/ أَنْ تَكُونُوا مِنَ السَّبْعِينَ فَكُونُوا فَإِنْ عَجَزْتُمْ وَقَصُرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الظُّرَابِ فَإِنْ عَجَزْتُمْ وَقَصُرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْأُفُقِ فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ يَوْمَ [أُنَاسًا] ^(٣) يَتَهَاوِشُونَ))، وَقَالَ: فَتَرَجَعَ الْمُؤْمِنُونَ، أَوْ قَالَ: فَتَرَجَعْنَا عَنْ هَؤُلَاءِ السَّبْعِينَ، فَصَارُوا مِنْ أَمْرِهِمْ أَنْ قَالُوا: نَرَاهُمْ أُنَاسًا وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَزَالُوا يَعْمَلُونَ حَتَّى مَاتُوا عَلَيْهِ، فَنَمَى حَدِيثُهُمْ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فقال: ((لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتُوبُونَ وَلَا يَنْطَلِقُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ))، ذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَنْ يَتَّبِعُنِي مِنْ أُمَّتِي رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ))، فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: ((إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا الشُّطْرَ))، قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ تَلَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ((ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ)) ^(٤).

قال أبو جعفر أحمد بن محمد: قدره الفراء: لأصحاب اليمين ثلثة من الأولين، وقدره غيره ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: جماعة ممن تقدم قبل مبعث النبي ﷺ، وجماعة من أتباع النبي ﷺ قال،

(١) في الأصل: (اطراف)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٢) عكاشة بن محصن بن حريث بن قيس بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه الأسدي، حليف بني عبد شمس، يكنى أبا محصن، كان من سادات الصحابة رضي الله عنه وفضلائهم، هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا وأحداً، والحنديق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وبشره رسول الله ﷺ أنه ممن يدخل الجنة بغير حساب، استشهد عكاشة في قتال أهل الردة. ينظر: أسد الغابة، ٦٤/٤، الإصابة، ٤٤٠/٤.

(٣) في الأصل: (انشاء)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٤) جزء من حديث أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، ٣٢٠/١، وابن حبان في صحيحه، ٣٤٢/١٤، بزيادة ((إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا الثُّلُثَ)) فكَبَّرْنَا. وكذلك الحاكم في مستدرکه على الصحيحين، ٦٢١/٤، بنفس الزيادة، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال صاحب هذا القول: إنما قيل في الأول: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ وفي الثاني: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾؛ لأن الأول للسابقين إلى أتباع الأنبياء ﷺ، والسابقون إلى أتباعهم قبل النبي ﷺ أكثر من السابقين إلى أتباع النبي ﷺ، يدل ذلك على صحة هذا أن قوم يونس ﷺ آمنوا وهم مائة ألف أو يزيدون، والسحرة اتبعوا موسى ﷺ وهم فيما يروون أكثر من هؤلاء، فلهذا قيل: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، والثلة الثانية لأصحاب اليمين وليست للسابقين، وأصحاب اليمين يدخل فيهم المسلمون إلى يوم القيامة، هذا على هذا القول^(١).

قال أبو بكر: وقد روي عن النبي ﷺ حديث، رأيت بعض أصحاب الحديث يقول: هو من وجه غير صحيح، رواه سفيان عن أبان بن أبي عياش^(٢) عن سعيد عن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ قال: قال النبي ﷺ: ((هُمَا جَمِيعًا مِنْ أُمَّتِي))^(٣).

قال أبو بكر: يعني في الثاني في قوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ﴾ ابتداء وخبر، ويجوز أن يكون الخبر ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾.

﴿وَوَظَلٌّ مِّنْ يَّحْمُومٍ﴾ معطوف على ما عملت فيه، وكذا ﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾، ولم تُفَرِّقْ (لا) بين الخافض والمخفوض لتصرفها.

﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ معطوف، وأجاز النحويون الرفع على معنى: هو لا بارد ولا كريم^(٤)، كما قال الشاعر^(٥):

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٢/٤.

(٢) أبان بن أبي عياش فيروز أو دينار، العبدي ولاء، أبو إسماعيل البصري، عن أنس وسعيد بن جبير، وعنه عمران القطان وفضيل بن عياض وغيرهما، قال أحمد والفلاس وابن معين: (متروك)، له في السنن فرد حديث في رواية ابن الأعرابي عن الرواس، مات في حدود الأربعين ومائة. ينظر: خلاصة تذهيب تذهيب الكمال، ١٥، تذهيب التهذيب، ٩٦/١.

(٣) أخرجه ابن بشران البغدادي في أماليه، ٢٩٨.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٣/٤.

(٥) ربيع بن مالك بن ربيعة بن عوف السعدي، أبو يزيد، من بني أنف الناقة، من تميم: شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام. هاجر إلى البصرة، وعمر طويلاً. قال الجمحي: له شعر كثير جيد، هجا به الزبرقان وغيره، وكان يمدح بني قريع ويذكر أيام بني سعد، ومات في خلافة عمر أو عثمان رضي الله عنه. الأعلام للزركلي، ١٥/٣.

وَتُرِيكَ وَجْهَهَا كَالصَّحِيفَةِ لَا ظَمَانَ مُخْتَلَجٍ وَلَا جَهْمًا^(١)

﴿يَحْمُورٌ﴾ ينصرف في المعرفة والنكرة؛ لأنه ليس في الأفعال (يَفْعُول).

ومعنى الآية - والله أعلم -:

أن الله - جل ثناؤه - يقول معجَّباً نبيّه محمداً ﷺ من أهل النار: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ الذين يؤخذ بهم ذات الشمال، من موقف الحساب إلى النار، وقيل: الذين أعطوا كتبهم في شمائلهم. ﴿مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ قال قتادة: "ماذا لهم وما أعد لهم؟"^(٢). ﴿فِي سَمُورٍ وَحَمِيمٍ﴾ أي: في سموم جهنم وحميمها^(٣).

﴿وِظَلٍ مِّنْ يَّحْمُورٍ﴾ أي: وظلٌّ من دخانٍ شديدٍ السواد، والعرب تقول لكل شيء وصفته بشدة السواد: [أسود]^(٤) محموم^(٥). وأكثر أهل التفسير على أن اليمحوم ظل الدخان، روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة ومجاهد قال: "دخان جهنم". وهو قول قتادة وابن زيد^(٦).

وقال الضحاك: "النار سوداء وأهلها سود وكل ما فيها أسود"^(٧).

﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ أي: ليس ذلك الظل ببارد كبرد ظلال سائر الأشياء، ولكنه حار؛ لأنه دخان من سعير جهنم، وليس بكريم؛ لأنه مؤلم من استظل فيه، والعرب تبتع كل شيء /منعت عنه صفة محمودة بنفي الكرم، تقول: ما هذا الطعام بطيب ولا كريم، وما هذا اللحم [ب/١٧٦] بسمين ولا كريم، وما هذه الدار بنظيفة ولا كريمة^(٨)، وما قلناه مأخوذ من قول العلماء.

(١) المُفَضَّلِيَّات، ١١٥.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٣٤/٢٢.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٣٤/٢٢.

(٤) في الأصل: (سوم)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٣٤/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٣٥/٢٢-٣٣٧، بأسانيد منفصلة.

(٧) أخرجه القرطبي في تفسيره ٢١٣/١٧.

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٣٧/٢٢.

قال الضحاك في قوله: ﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾ قال: "كل شراب ليس بعذبٍ فليس بكريم" (١).

وقال قتادة: ﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾ "لا بارد المنزل ولا كريم المنظر" (٢).

«قال أبو حاتم: يقف على ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾، وقد غلط في هذا؛ لأن الثاني معطوف عليه، ولو قلت: (هما زيد وعمرو) لم يكن لوقفك على (زيد) معنى. ﴿وَتُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ قطع كاف.

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ قطع كاف إلا أن يجعل الخبر في ﴿سَمُورٍ وَحَمِيرٍ﴾؛ فيكون الوقف ﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾» (٣).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٣٧/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٣٧/٢٢.

(٣) القطع والائتناف، ٧١١.

وقوله -جلّ وعزّ ثناؤه-:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَّابًا أَوْنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ﴾ الهاء والميم اسم إن.

﴿كَانُوا﴾ الواو اسم كان.

﴿قَبْلَ ذَلِكَ﴾ ظرف.

﴿مُتْرَفِينَ﴾ خبر (كان). و(كان) واسمها وخبرها في موضع خبر (إن).

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿يُصِرُّونَ﴾ فعل مستقبل، وهو وما اتصل به في موضع خبر كان. وهي معطوفة على كان الأول، وكذا ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ﴾.

﴿أَيُّدَا مِتْنَا﴾ ظرف. و﴿مِتْنَا﴾ فعل ماضٍ، وفاعلين.

﴿وَكُنَّا﴾ النون المتحركة والألف اسم (كان).

﴿تُرَابًا﴾ خبر (كان).

﴿وَعِظْمًا﴾ معطوف على تراب.

﴿إِذْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ اسم (إن) وخبرها.

﴿أَوَّابًا أَوْنَا الْأَوَّلُونَ﴾ هذه واو العطف. ﴿أَبَاؤُنَا﴾ في موضع رفع معطوف على الموضع، ويجوز أن يكون معطوفاً على المضمرة المرفوع، والمعنى: أنهم تعجبوا من هذا، فلذلك جاء بالاستفهام.

قال أبو بكر: من قرأ ﴿إِذَا﴾ جاء بالهمزة الثانية بين بين، وهي متحركة، كما كانت قبل التخفيف، وهكذا قال محمد بن يزيد. وقال أحمد بن يحيى: بهمزة بين بين لا متحركة ولا

ساكنة. قال أبو بكر: فأما كتابها فبالألف لا غير؛ لأنها مبتدأه، ثم دخلت عليها ألف الاستفهام قبل فعل الأمر»^(١).

﴿إِنَّ الْأَوَّلِينَ﴾ نصب بـ ﴿إِنَّ﴾، ووقعت ﴿إِنَّ﴾ مكسورة؛ لأنها بعد القول.

﴿وَالْآخِرِينَ﴾ معطوف على ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ خبر (إن)، واللام لام توكيد.

﴿إِلَى مِيقَاتٍ﴾ خفض بإضافة ﴿مِيقَاتٍ﴾ إليه.

﴿مَعْلُومٍ﴾ من نعت ﴿يَوْمٍ﴾.

و﴿إِلَى﴾ مع ما بعدها متعلق بخبر (إن).

قال أبو بكر: و﴿إِذَا﴾ ظرف في موضع نصب، ولا يجوز أن يعمل فيه ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾؛ لأنه خبر (إن)، فلا يعمل فيما قبله، والعامل فيه ﴿مِتْنًا﴾^(٢).

وفي ﴿مِتْنًا﴾ [لغتان]^(٣) مقروء بهما: يقال: مُتْنَا ومِتْنَا: فمن ضم الميم فيصرف الفعل منه: مات يموت، ومن قرأ متنا فهو على لغة من قال: مات يمات، مثل: خاف يخاف، وقد قيل: هو على فعل يفعل، جاء شاذًا. قال أبو بكر: وإنما قالوا ﴿إِذَا مِتْنَا﴾ تعجبًا من هذا، فلذلك جاء بألف الاستفهام^(٤).

و﴿الْأَوَّلُونَ﴾ واحدهم الأول، حكى سيبويه عن العرب سماعًا: أدخلوا الأول فالأول، وزعم أنه منصوب على الحال، وفيه الألف واللام، قال ابن كيسان: لا نعلم شيئًا يصح في كلام العرب منصوبًا على الحال وفيه الألف واللام إلا هذا؛ والعلة فيه: أنه وقع فرقًا بين معنيين؛

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٣/٤.

(٢) المرجع السابق، ٢٢٣/٤.

(٣) في الأصل: (نعتان)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٢/٤.



لأنك إذا قلت: ادخلوا أولاً فأولاً، فمعناه: ادخلوا متفرقين، وإذا / قلت: دخلوا الأول فالأول، فمعناه: تعرفهم بالأول فالأول، قال محمد بن يزيد: التعريف إنما وقع بعد؛ فلذلك جيء بالألف واللام زائدتين كسائر الزوائد، وحكى سيبويه عن عيسى بن عمر: ادخلوا الأول فالأول، وحمله على الموضع، وخطأه سيبويه بأنه لا يجوز: دخل الأول فالأول، أي: إنما يقال باللام، واحتج غيره لعيسى بأنه محمول على المعنى، كما زوي عن أبي بن كعب^(١) أنه قرأ: ﴿فَإِذَا لَمْ تَلْفَوْا فَمُنَادٍ﴾ وكان يجب أن ينطق بفعل؛ لأنه بمنزلة الأفضل، ولكن ترك ذلك؛ لأن فاءه وعينه من موضع واحد، ولا يوجد في كلام العرب فعل هكذا، وهو في الأسماء قليل، قالوا: كوكب لمعظم الشيء، وقالوا: للهو واللعب: دد وdda وددن، وقالوا: للسيف الكليل ددان، لا يعرف في الدال غير هذا، وفي الحديث عن عمر رضي الله عنه حتى يصير الناس بيئاتاً^(٢) واحداً، أي: شيئاً واحداً، وبيّة لقب، ولا يعرف غير هذين في كلام العرب في الباء، وأما قولهم في الطائر: ببغاء، وللسبع: ببر: فأعجميان، ولا يكاد يُعرف ذلك في غير هذه الحروف إلا يسيراً، وحكى سيبويه أن أول يجوز أن يصرف على أنه اسم غير نعت، كما يقال: ما ترك له أولاً ولا آخرًا، وحكى ترك الصرف على أنه نعت^(٣).

(١) أبي بن كعب بن قيس بن عُبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري، الخزرجي، أبو المنذر رضي الله عنه، ويكنى أبا الطفيل أيضاً، سيد قراء الصحابة رضي الله عنه، ومن فضلائهم، اختلّف في سنة موته اختلافاً كثيراً، قيل: سنة تسعة عشر، وقيل: اثنتين وثلاثين، وقيل غير ذلك. الاستيعاب، ١/١٦٥، أسد الغابة لابن الأثير، ١/١٦٩، والإصابة، ١/١٨٠.

(٢) لسان العرب، مادة: (بب).

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢٢٣-٢٢٤.

ومعنى الآية - والله أعلم -:

«أن هؤلاء الذين وصف صفتهم من أصحاب الشمال كانوا - قبل أن يصيبهم من عقاب الله ما أصابهم في الدنيا - مُتْرَفِينَ، يعني: مُنْعَمِينَ.

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ قال: "منعمين" ^(١).

قال أبو بكر: أي: منعمين بالحرام.

﴿وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْحَنْثِ الْعَظِيمِ﴾ أي: يقيمون.

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْحَنْثِ الْعَظِيمِ﴾ قال: "يدمنون" ^(٢).

وقال ابن زيد: ﴿يُصْرُونَ﴾ "لا [يتوبون]" ^(٣) ولا يستغفرون" ^(٤).

قال أبو بكر: والإصرار على الذنب عند العرب: الإقامة عليه، وترك الإقلاع عنه.

وقوله: ﴿عَلَى الْحَنْثِ الْعَظِيمِ﴾ أي: على الذنب العظيم" ^(٥).

وقد اختلفت ألفاظ العلماء في ذلك: فقال مجاهد: "على الذنب" ^(٦).

وقال قتادة والضحاك: ﴿عَلَى الْحَنْثِ الْعَظِيمِ﴾ قالوا: "الشرك" ^(٧).

وعن قتادة -أيضاً- "الذنب العظيم" ^(٨).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٣٧/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٣٨/٢٢.

(٣) في الأصل: (يقولون)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٣٩/٢٢.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٣٧/٢٢_٣٣٩.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٣٨/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٣٩/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٣٩/٢٢.

وقال ابن زيد: ﴿الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ "الذنب العظيم، والذنب العظيم: الشرك الذي لا يتوبون ولا يستغفرون"^(١).

قال أبو بكر: الحنث في اللغة: الذنب، والشرك أكبر من الذنوب^(٢).

وقال ابن الأعرابي: الحنث: الشرك. وهو قول الفراء^(٣).

«وقيل: الحنث مبيِّنٌ في قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨]، وكانوا يقولون - كفرًا منهم بالبعث وإنكارًا لإحياء الله - جلَّ ثناؤه - خلقه من بعد مماتهم -: أئذا متنا وكنا ترابًا في قبورنا من بعد مماتنا، وعظامنا نخرة، أئنا لمبعوثون منها أحياء كما كنَّا قبل الممات؟!»

﴿أَوَّابًاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ أي: إنا لمبعوثون؟ أو يُبعث أبأؤنا الذين كانوا قبلنا وهم الأولون؟!»

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤١﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: قل - يا محمد - إن الأولين من آبائكم والآخريين منكم ومن غيركم مجموعون إلى ميقات يوم معلوم، وذلك يوم القيامة^(٤).

قال أبو بكر: «وقطع القارئ على ﴿أَوَّابًاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ وقف.

وقال يعقوب: ومن الوقف قول الله - جلَّ وعزَّ -: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ﴾ فهذا الوقف التام، وهو رأس آية فاصلة، ثم قال: ﴿إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

وخالفه أبو حاتم، والوقف عنده: ﴿إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

قال أبو بكر: والذي قاله يعقوب غلط؛ لأن حروف الجر لا بد أن تتعلق بشيء، والكلام متصل، ولم يعدّها آية إلا [المدني]^(٥) الأخير والشامي^(٦).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٣٩/٢٢.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة: (حنث).

(٣) معاني القرآن للفراء، ١٢٧/٣.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٤٠/٢٢.

(٥) في الأصل: (المزني)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٦) القطع والائتناف، ٧١١.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿ثُمَّ إِنَّا نَكَّرْنَا لَهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكُونَنَّ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُفْرٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالُونَ / مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنْ
الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزُّهُمَّ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف، يعطف الأسماء على الأسماء، والأفعال على الأفعال، والجمل على الجمل.

﴿إِنَّا﴾ مكسورة، مستأنفة بعد ﴿ثُمَّ﴾. الكاف والميم اسم إن.

﴿أَنَّهَا﴾ نداء مفرد، وهاء تنبيه.

﴿الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ﴾ نعت ل (أي).

﴿لَأَكُونَنَّ﴾ خبر إن.

﴿مِنْ شَجَرٍ﴾ خفض ب ﴿مِنْ﴾. وكذا ﴿مِنْ زُفْرٍ﴾.

﴿فَمَالُونَ﴾ معطوف على ﴿لَأَكُونَنَّ﴾.

﴿مِنْهَا﴾ الهاء والألف خفض ب ﴿مِنْ﴾، وهي ضمير الشجر.

﴿الْبُطُونَ﴾ مفعول بها، وهو جمع بطن، والبطن مذكر، فأما قول الشاعر^(١):

[وَأَنَّ كِلَابًا] ^(٢) هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِّنْ قَبَائِلِهَا الْعَشْرُ ^(٣)

فمؤنث بتأنيث القبيلة، محمول على المعنى، ولو ذكر على اللفظ لجاز^(٤).

(١) الشاعر هو نوح الكلابي لم أقف على ترجمته.

(٢) في الأصل: (فإن كلاما)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٣) المعجم المفصل في شواهد العربية، ٤٩٣/٣.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٤/٤.

واختلف النحويون في تأنيث الشجر، من قوله: ﴿فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾: فقال بعضهم: ﴿فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ من الشجر، ﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي: على الشجر -أيضاً-؛ لأن الشجر يذكر ويؤنث، فأُنث لأنه حمله على الشجرة؛ ولأن الشجرة قد تدل على الجمع، تقول العرب: ثبتت قبلنا شجرة مرة وبقلة ردية، وهم يعنون الجمع، وقال بعض الكوفيين: لا كلون من شجرة من زقوم، وفي قراءة عبد الله: ﴿لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرَةٍ مِّنْ زُقُومٍ﴾ على واحدة، فمعنى شجر وشجرة واحد^(١).

ثم قال: ﴿فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ يريد من الشجرة، ولو قال منه إذا ذُكِرَ الشجرُ كان صواباً، يذهب إلى الشجر في (منه)، ويؤنث الشجرة فيكون (منها) كناية عن الشجر، والشجر يُذكَرُ ويؤنث مثل الثمر يُذكَرُ ويؤنث^(٢).

وقال أبو جعفر: ﴿فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ على تأنيث الجماعة، ولو كان منه على تذكير الجمع لجاز^(٣).

﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنْ الْحَمِيرِ﴾ يجوز أن يكون على الشجر على تذكير الجمع، ويجوز أن يكون على الأكل^(٤).

وقوله: ﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنْ الْحَمِيرِ﴾ عطف -أيضاً-، وكذا ﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾ «اختلفت القراءة في (شرب) و(شرب): فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي: ﴿شَرِبَ الْهَيْمِ﴾ بفتح الشين، وقرأ نافع وعاصم وحمزة ﴿شُرْبَ الْهَيْمِ﴾ بضم الشين^(٥)، وزعم أبو عبيدة أن الفتح لغة النبي ﷺ.

قال أبو جعفر: فقال بعض العلماء: قوله لغة النبي ﷺ كلامٌ هائل، لا ينبغي لأحد أن يقوله إلا بتيقن، والحديث الذي رواه أصحاب الحديث عن النبي ﷺ والناقلون له، يقولون فيه:

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١٢٧/٣.

(٢) معاني القرآن للفراء، ١٢٧/٣.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٤/٤.

(٤) معاني القرآن للفراء، ١٢٧/٣.

(٥) السبعة في القراءات، ٦٢٣، المبسوط في القراءات العشر، ٤٢٧، حجة القراءات، ٦٩٥.

((إِنَّهَا أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشُرْبٍ))^(١) بضم الشين سواه، أو من قال منهم. ونظير هذا قوله لغة النبي ﷺ: ((الْحَرْبُ خُدَعَةٌ))^(٢). وقد سُمِعَ خُدَعَةٌ وَخُدَعَةٌ»^(٣).

والقول في هذا على قول الخليل وسيبويه: أن شَرَبًا بفتح الشين مصدر، وشَرَبًا بضمها اسم للمصدر، إلا أن اسم المصدر مستعمل هاهنا أكثر، ويستعمل شرب في جمع شارب، كما قال الشاعر:

فَقُلْتُ لِلشَّرْبِ فِي دُرْزَا وَقَدْ تَمَلُّوا شِيمُوا وَكَيْفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمَلُ^{(٤)(٥)}
ومعنى الآية -والله أعلم-:

فشاربون أصحاب الشمال على الشجر من الزقوم -إذا أكلوه وملئوا منه بطونهم- من الحميم الذي انتهى حره وغليته، وأما الهيم فإنه جمع أَهْيِمَ، والأنتى هَيْمَاءٌ، وهو على فعل بضم أوله إلا أنه كسر أوله؛ لثلا تنقلب ياءه واوًا. واختلف العلماء في الهيم: فقال بعضهم: الهيم: الإبل يصيبها داء، فلا تُرَوَى من الماء، ومن العرب من يقول: الهيم: جمع هائم وهائمة^(٦).

ونذكر قول العلماء في ذلك -إن شاء الله-: روى علي عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَشَكَرُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾ قال: "شرب الإبل العطاش"^(٧).

وقال عكرمة: "هي الإبل المراض، تُمَصُّ من الماء مَصًّا ولا تُرَوَى"^(٨).

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٢٨٥/٢، والنسائي في السنن الكبرى، ٢٤٤/٣، وابن خزيمة في صحيحه، ٣١٠/٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم الحديث: ٣٠٣٠، باب: الحرب خدعة، ٦٤/٤، ومسلم في صحيحه رقم الحديث: ٢٨٢٦، باب: جواز الخداع في الحرب، ٣١٦١/٣٤.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٥/٤.

(٤) ديوان الأعشى، ١٠٧.

(٥) إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٥/٤.

(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٤٢/٢٢-٣٤٣، إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٥/٤.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٤٣/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٤٣/٢٢.

وعنه -أيضاً- : "هي الإبل يأخذها العطاش فلا تزال تشرب حتى تهلك"^(١).

/ وقال الضحاك: "الهي: الإبل العطاش تشرب فلا تُروى، أخذها داءً يقال له: الهيام"^(٢).

وقال قتادة: "داءً يأخذ الإبل فلا تُروى معه"^(٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما -أيضاً- : "الهي: الهيام من الأرض، يعني: الرمل"^(٤).

﴿هَذَا نُزُلُهُمْ﴾ ابتداءً وخبره.

﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ ظرف زمان.

والمعنى -والله أعلم-:

هذا الذي وصف الله -جلَّ وعزَّ- أن هؤلاء المكذبين الضالين يأكلون من شجرٍ من زقوم، ويشربون عليه من الحميم، نُزُلُهُم الذي يُنزلُهُم ربُّهم يوم الدين، إلى يوم المجازاة، يوم يدينُ الله -جلَّ وعزَّ- عباده، وهو يوم القيامة. ومعنى نزولهم: رزقهم وطعامهم^(٥).

قال أبو بكر: **وقطع القارئ على ﴿نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قطع صالح^(٦).**

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٤٣/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٤٤/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٤٤/٢٢.

(٤) ذكره مكي بن أبي طالب في تفسيره، ٧٢٨٢/١١.

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٤٥/٢٢، الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٨٢/١١.

(٦) القطع والائتناف، ٧١٢.

وقوله -جلّ وعزّ ثناؤه-:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾

﴿نَحْنُ﴾ ابتداء.

﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ فعل ماضٍ، والنون والألف ضمير اسم الله -جلّ وعزّ- في موضع رفع بفعله، والكاف والميم ضمير مفعولين، وهذا كله في موضع خبر الابتداء.

﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ ومعنى (لولا) هاهنا معنى: هَلَّا، وإذا كانت بمعنى هَلَّا، لم يَلِها إلا الفعل مُضمراً أو مُظهراً.

والمعنى -والله أعلم-:

أن هذا القول لكفار قريش والمكذبين بالبعث: نحن خلقناكم ولم تكونوا شيئاً، فأوجدناكم، فَهَلَّا تُصَدِّقُونَ من فعل ذلك بكم، في قوله: أنه يبعثكم بعد إحيائه إياكم؟^(١)

قال أبو بكر: وقطع القارئ على قوله: ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ تمام^(٢).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٤٥/٢٢.

(٢) القطع والائتناف، ٧١٢.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ فعل، وضمير فاعلين.

﴿مَا﴾ في موضع نصب مفعول.

﴿تُمْنُونَ﴾ فعل مستقبل، وضمير فاعل، في صلة ﴿مَا﴾.

﴿ءَأَنْتُمْ﴾ ابتداء.

﴿تَخْلُقُونَهُ﴾ فعل مستقبل في موضع خبر الابتداء، والهاء مفعول بها، واللفظ لفظ الاستفهام، ومعناه: التقدير.

﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ ابتداء وخبر، جملة معطوفة على جملة.

﴿نَحْنُ﴾ ابتداء.

﴿قَدَرْنَا﴾ فعل ماض، والألف والنون ضمير اسم الله.

﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف.

﴿الْمَوْتَ﴾ مفعول ﴿قَدَرْنَا﴾.

﴿وَمَا نَحْنُ﴾ اسم.

﴿بِمَسْبُوقِينَ﴾ خفض بالباء، في موضع خبر ﴿مَا﴾.

وقرأت الجماعة ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا﴾ مشددة الدال، إلا ابن كثير: فإنه قرأ ﴿قَدَرْنَا﴾ بالتحفيف^(١).
يقال: قَدَّرَ وقَدَّرَ بمعنى.

(١) السبعة في القراءات، ٦٢٣.

﴿عَلَىٰ أَنْ﴾ ﴿أَنَّ﴾ خفض بـ ﴿عَلَىٰ﴾، ﴿تُبَدَّلُ﴾ [نصب] ^(١) بـ ﴿أَنَّ﴾.

﴿أَمْثَلَكُمْ﴾ مفعول ﴿تُبَدَّلُ﴾.

﴿وَنُنشِئُكُمْ﴾ معطوف على ﴿أَنَّ تَبَدَّلَ﴾.

﴿فِي مَا﴾ خفض بـ ﴿فِي﴾.

﴿لَا تَعْمُونَ﴾ في صلة ﴿مَا﴾.

والمعنى في الآية - والله أعلم -:

أن الله - جلَّ وعزَّ - يقول لهؤلاء المكذبين بالبعث.

قال محمد بن جرير: المعنى: أفرأيتم أيها المكذبون بالبعث المنكرون قدرة الله - جلَّ وعزَّ - على إحيائكم من بعد مماتكم، التطف التي تُمنون في أرحام نساءكم؟ ^(٢)

قال الفراء: يقال أَمِنِي وَمَنِي، وَأَمِنِي أَكْثَرُ ^(٣).

﴿ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ أي: تخلقون ذلك المني حتى يصير فيه الروح؟ ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾.

﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: نحن قدرنا بينكم - أيها الناس - الموت، فجعلناه لبعضكم، وأخرناه عن بعضٍ إلى أجلٍ مسمى ^(٤).

روى ابن أبي نجیح عن مجاهد: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ "المستأخر والمعجل" ^(٥).

وقال غيره: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ فمنكم قريب الأجل ومنكم بعيدة، كل ذلك بِقَدَرٍ ^(٦).

(١) في الأصل: (خفض)، والمثبت هو الصحيح نحويًا.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٤٥/٢٢.

(٣) معاني القرآن للفراء، ١٢٨/٣.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٤٥/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٤٥/٢٢.

(٦) النحاس في إعراب القرآن، ٢٢٦/٤.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ في آجالكم، وما يُعتاب علينا فيها في الأمر الذي قَدَرْنَا لها من حياة وموت، بل لا يتقدم شيء منها أجله ولا يتأخر عنه، بل هي على ما قَدَرْنَا^(١).

﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ﴾ قال محمد بن / جرير: يقول: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ ﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ﴾ بعد مهلككم فَنَجِيءَ بآخرين من جنسكم^(٢).

ورأيت أبا جعفر يستحسن هذا القول^(٣).

وقال أحمد بن محمد في معنى الآية: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ﴾ أي: إن أردنا أن نبدل منكم غيركم، لم يسبقنا إلى ذلك سابق^(٤).

﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ اختلف أهل العلم في معناه: فروى ابن أبي نجیح عن مجاهد: "في أي خلقٍ [شئنا]"^(٥)^(٦).

وقيل: ﴿في ما لا تَعْلَمُونَ﴾ قرده وخنازير^(٧).

وقيل: نخلق لهم أبداناً للبقاء؛ لأن هذه للفناء. وفي عالم لا يعلمون، أو في مكان لا تعلمون، و﴿مَا﴾ لشيء آخر إما عالم وإما مكان^(٨).

ورأيت أبا جعفر قد ذكر في معناها قولاً، وأستحسنه: وننشئكم في غير هذه الصُّور فينشئ الله -جلّ وعزّز- المؤمنين يوم القيامة في أحسن الصُّور، وإن كانوا في الدنيا قُبْحَاءَ، وينشئ الكافرين والفاستقين في أقبح الصور، وإن كانوا في الدنيا نبلاء^(٩).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٤٦/٢٢.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٤٦/٢٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٦/٤.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١١٤/٥. ودُكر شيءٌ من معناه في إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٦/٤.

(٥) في الأصل: (يشنا)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٦) تفسير مجاهد، ٦٤٤.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١١٤/٥.

(٨) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٨٤/١١.

(٩) إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٦/٤.

وفي قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ قال: ﴿ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ أي: نحن خلقناكم، وخلقنا ما خلقناكم منه، فكيف تعجزوننا أن نبعثكم؟! قال: ثم زاد في الاحتجاج عليهم فقال: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ أي: ولم تعجزوننا أن نميتكم، فإن كنتم صادقين أنكم تعجزوننا أن نبعثكم فاعجزونا أن نخرج أنفسكم وأنتم تنظرون. قال: وهذا شرح لقوله -جلّ وعزّ-: ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١).

قال أبو بكر: **وقطع القارئ على قوله:** ﴿ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ قطع كاف. وكذا ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/٢٠٨.

(٢) القطع والائتناف، ٧١٢.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾

﴿النَّشَأَ﴾ منصوبة بـ ﴿عَلَّمْتُمْ﴾.

﴿الْأُولَىٰ﴾ من نعتها.

﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بمعنى: فهلاً، وشدّدت الذا؛ لأن التاء مدغمة فيها، والتقدير: يتذكرون، وشدّدت الكاف؛ لبناء بتفعلون^(١).

والمعنى -والله أعلم-:

ولقد علمتم الإحداثة الأولى التي أحدثناكموها، ولم تكونوا قبل ذلك شيئاً^(٢).

قال مجاهد: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ﴾ قال: "إذ لم تكونوا شيئاً"^(٣).

وقال قتادة: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ﴾ يعني: "خلق آدم ﷺ؛ لست سائلاً أحداً من الناس إلا أنبأك أن الله -عزّ وجلّ- خلق آدم من طين"^(٤).

وقوله: ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فهلاً تذكرون؟! تعلمون أن الذي فعل ذلك قادر على إحيائكم؟!، أي: ولقد علمتم أنا خلقناكم ولم تكونوا شيئاً؛ فلم تنكروا أن تُعادوا؟!^(٥)

قال أبو بكر: وقطع القارئ على ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تمام^(٦).

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٦/٤.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٤٧/٢٢.

(٣) تفسير مجاهد، ٦٤٤.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٤٧/٢٢.

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٤٨/٢٢.

(٦) القطع والانتناف، ٧١٢.

وقوله - جلّ وعزّ -:

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ٦٥ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٦﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُوتَ ﴿٦٧﴾
 إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٩﴾

﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ فعل، وضمير فاعلين.

﴿مَا تَحْرُثُونَ﴾ ﴿مَا﴾ مع ﴿تَحْرُثُونَ﴾ بمنزلة المصدر، أي: حرثكم، ويجوز أن يكون بمعنى (الذي)،
 والتقدير: أفرايتم الحرث الذي تحرثونه؟

﴿ءَأَنْتُمْ﴾ هذه ألف التقدير دخلت على أنتم: فمن العرب من يخففها، ومنهم من يحقق
 الأولى ويخفف الثانية، وبكلّ قرأت القراءة^(١).

﴿تَزْرَعُونَهُ﴾ فعل مستقبل، وضمير مفعول.

﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ ابتداء وخبر، جملة معطوفة على جملة.

﴿لَوْ نَشَاءُ﴾ فعل مستقبل.

﴿لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ مفعولاً (جعل)، و﴿لَجَعَلْنَاهُ﴾ جواب ﴿لَوْ﴾.

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُوتَ﴾ ويُروى أنها في قراءة عبد الله: ﴿فَظَلْتُمْ﴾^(٢) بكسر الظاء، والأصل:
 ظَلَلْتُ، كما قال^(٣):

ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكَي وَأَبْكَي إِلَى الْعَدِ^(٤)

(١) التيسير في القراءات السبع، ٣١.

(٢) قراءة شاذة، البحر المحيط في التفسير، ٨٩/١٠، معجم القراء، ٣١٢/٩.

(٣) القائل هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمرو: شاعر، جاهلي، من الطبقة الأولى. وُلد في
 بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد. واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه. قتله المكعب، شاباً، في (هجر)
 وهو ابن عشرين عاماً. الأعلام للزركلي، ٢٢٥/٣.

(٤) هذا عجز بيت كما في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ١٣٢، وتمامه:

فمن قال: / ظَلُّمٌ؛ حذف اللام المكسورة تخفيفًا، ومن قال: ظِلُّمٌ؛ ألقى حركة اللام على الظاء بعد حذفها^(١).

وقرأت الجماعة: ﴿ظَلُّمٌ تَفَكَّهُونَ﴾ بفتح الظاء، إلا ما رواه المنذر عن هارون بن حاتم قال: حدثنا أبو بكر عن عاصم: ﴿فَظَلُّمٌ﴾ مكسورة، وخالفه الكسائي ويحيى والأعشى وإبراهيم ويحيى بن سليمان وابن أبي أمية؛ فرووه عنه: بفتح الظاء، وكذلك رواه حفص عن عاصم^(٢).

﴿تَفَكَّهُونَ﴾ فعل مستقبل في موضع خبر (ظل)، والأصل: يتفكّهون.

﴿إِنَّا لَمَعْرُومُونَ﴾ خبر إن.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ابتداء وخبر.

ومعنى الآية - والله أعلم -:

«أفرايتم أيها الناس الحرث الذي تحرثونه؟ أنتم تزرعونه؟ أي: تُصَيِّرُونَهُ زرعًا، أم نحن نجعله كذلك؟!»

وبهذا جاء الحديث عن النبي ﷺ رواه هشام عن محمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: ((لَا تُقُلْ: زَرَعْتُ، وَلَكِنْ قُلْ: حَرَثْتُ))، ثم تلا أبو هريرة ﷺ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ٦٣ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزْرَعُونَ^(٣).

لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِرُقَّةٍ تُهَمِّدُ ... ظَلِلْتُ بِهَا أُبْكِي وَأُبْكِي إِلَى الْعَدِ

وجاء فيه: قال هشام الكلبي: حولة: امرأة من كلب. و (الأطال): واحدها طلل. والطلل: كل شخص من آثار الدار

والبرقاء والأبرق: رابية فيها رمل وطنين، أو طين وحجارة يختلطان. و (تهمد): موضع.

وفي ديوان طرفة بن المعبد، ٩: لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِرُقَّةٍ تُهَمِّدُ ... وَقَفْتُ بِهَا أُبْكِي وَأُبْكِي إِلَى الْعَدِ

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٧/٤.

(٢) معجم القراء، ٣١٢/٩.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: ٥٧٢٣، ٣٠/١٣، والهشيمي في موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، باب النهي

أن يقول الرجل: زرعت، برقم، ١١٣٥، ١٦/٤. قال الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز

سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، ٢٢٧/٨: صحيح.

لو نشاء لجعلنا الزرع الذي زرناه حطامًا، يعني: هشيماً لا يُنتفع به في مطعم ولا غذاء.

وقوله: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُوتَ﴾ اختلف أهل العلم في معناه: فقال بعضهم: فظلمت تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم من المصيبة باحتراقه وتلافه. فمن زوي عنه ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُوتَ﴾ بمعنى: "تعجبون": ابن عباس ومجاهد وقتادة^(١).

وقال آخرون: معناه: فظلمت تلامون بينكم في تفریطكم في طاعة ربكم، حتى نالكم ما نالكم من إهلاك زرعكم، فمن زوي ذلك عنه: ﴿تَفَكَّهُوتَ﴾: "تلامون": عكرمة^(٢).

وقال آخرون: المعنى: فظلمت تتدمون على ما سلف منكم من معصية الله -جلّ وعزّ- التي أوجب لكم عقوبته حتى نالكم في زرعكم ما نالكم، زوي ذلك عن الحسن: ﴿تَفَكَّهُوتَ﴾: "تتدمون"^(٣).

وكذلك روى سعيد عن قتادة^(٤).

وقال آخرون: بل معناه: فظلمت تفجعون، روى ذلك ابن وهب عن ابن زيد: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُوتَ﴾: "تفجعون حين صنع بحرثكم ما صنع، وقرأ: ﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٣١]"^(٥).

وقيل: ﴿تَفَكَّهُوتَ﴾: تتعمون، فيكون التقدير على هذا: أفرايتم ما تحرثون؟! فظلمت به تفكهون^(٦).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٤٩/٢٢، وعبد الرزاق في تفسيره، ٢٧٢/٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٤٩/٢٢، والبعوي في تفسيره، ٢٠/٨.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٥٠/٢٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور، ١٦١/٦.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٥٠/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٥١-٣٥٠/٢٢.

(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٥١-٣٤٩/٢٢.

قال أبو جعفر أحمد بن محمد: وأولى الأقوال ما قاله مجاهد، أي: تعجّبون، يُعجّبُ بعضُكم بعضًا مما نزل به، وأصله: من [تفكّه] ^(١) القوم بالحديث إذا عَجَبَ بعضهم بعضًا منه ^(٢).

ومعنى ﴿فَظَلْتُمْ﴾: فأقمتم ^(٣).

«وقوله: ﴿إِنَّا لَمُعْرُمُونَ﴾ اختلف أهل العلم في معناه: فقال بعضهم: إنا لمُوعَّجٌ بنا، روى ذلك يزيد النحوي ^(٤) عن عكرمة، وكذا رواه مَعْمَرٌ عن مجاهد ^(٥)، وقال آخرون: إنا لمعدّبون، رواه سعيد عن قتادة ^(٦)، وقال آخرون: لمُلَقَّونٌ لِلشَّرِّ.

رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿لَمُعْرُمُونَ﴾: "المُلَقَّونُ لِلشَّرِّ" ^(٧).

قال أبو بكر: وأولى الأقوال بالصواب: قول من قال: إنا لمعدّبون؛ وذلك أن الغرام عند العرب: الهلاك والعذاب ^(٨)، ومنه قول الأعشى:

إِنْ يُعَاقِبَ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُعْ — طِ جَزِيلًا فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي ^(٩)

(١) في الأصل: (تفكر)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٧/٤.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٥٠/٢٢.

(٤) يزيد بن أبي سعيد النحوي، أبو الحسن القرشي، مولاهم، المروزي. روى عن: سليمان بن بريدة، وأخيه عبد الله بن بريدة، وعكرمة مولى ابن عباس، ومجاهد بن جبر المكي. روى عنه: الحسن بن رشيد العبدي، والحسين بن واقد، وعبد الله بن سعد الدشتكي الرازي، ومحمد بن بشار، وأبو عصمة نوح بن أبي مريم، ويسار المعلم وذكره ابن حبان في كتاب "الثقات"، وقال: كان متقنا من العباد، تقيا من الرفعاء، تاليا لكتاب الله، عالما بما فيه جهده، قتله أبو مسلم سنة إحدى وثلاثين ومئة لأمره إياه بالمعروف. تهذيب الكمال، ١٤٤/٣٢، تهذيب التهذيب، ٣٣٢/١١.

(٥) أخرجهما الطبري في تفسيره، ٣٥١/٢٢، بسندين منفصلين.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٥٢/٢٢.

(٧) تفسير مجاهد، ٦٤٤.

(٨) ينظر لمعنى الغرام: لسان العرب، مادة: (غرم).

(٩) جمهرة أشعار العرب، ٢١٨.

وقال بشر بن أبي حازم^(١):

وَيَوْمُ النَّسَارِ وَيَوْمُ الْجِفَارِ كَانَا عَذَابًا وَكَانَا غَرَامًا^(٢)
يعني بقوله: يكن غرامًا: يكن هلاكًا وعذابًا. وفي الكلام متروك، استغنى بدلالة الكلام عليه منه، وهو: فظلمتم تفكّهون يقولون: إنا لمغرمون، فترك يقولون؛ لما وصفنا.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: يقولون: ما هلك زرعنا وأصبنا به من أجل إنا لمغرمون، ولكننا قوم محرومون، يعنون: أنهم محدودون ليس لهم جد^(٣).

قال قتادة: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ "مُحَارِفُونَ"^(٤).

وقال مجاهد: "محدودون"^(٥).

قال أبو بكر: وقرأت الجماعة: ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾ على الخبر، إلا عاصمًا في رواية / أبي [١٧٩/ب] بكر، فإنه قرأها بهمزتين، على الاستفهام^(٦).

وقطع القارئ على قوله: ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّرْعُوتُ﴾ كاف، والتمام ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾^(٧).

(١) بشر بن أبي حازم عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل، شاعر جاهلي فحل، من الشجعان من أهل نجد، من بني أسد بن خزيمه. وله قصائد في الفخر والحماسة جيدة. توفي قتيلاً في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية. ينظر: الأعلام للزركلي، ٥٤/٢.

(٢) ديوان بشر بن أبي حازم، ١٩٠. وفيه:

وَيَوْمُ الْجِفَارِ وَيَوْمُ النَّسَارِ كَانَا عَذَابًا وَكَانَا غَرَامَا

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٥١/٢٢-٣٥٣. والجد: البخت والحظوة والحظ والرزق. ينظر: لسان العرب، مادة: (جدد).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٥٣/٢٢. والرجل محارف أي: منقوص الحظ لا ينمو له مال. ينظر: لسان العرب، مادة: (حرف).

(٥) تفسير مجاهد، ٦٤٤.

(٦) السبعة في القراءات، ٦٢٣، معاني القراءات للأزهري، ٥١/٣، حجة القراءات، ٦٩٦.

(٧) القطع والائتناف، ٧١٢.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾

هذه ألف التقرير دخلت على فاء العطف، و(رأيتم) فعل ماضٍ، وضمير فاعلين.

﴿الْمَاءَ﴾ مفعول (رأيتم).

﴿الَّذِي﴾ في موضع نصب نعت للماء.

﴿تَشْرَبُونَ﴾ فعل مستقبل، وضمير فاعلين، في صلة ﴿الَّذِي﴾، أي: أفرايتم الماء المشروب؟!
والعائد على ﴿الَّذِي﴾ من صلته محذوف، والتقدير: الذي تشربونه، حذفت الهاء لطول الاسم، وحسن ذلك؛ لأنه رأس آية^(١).

﴿ءَأَنْتُمْ﴾ رفع بالابتداء، ودخلت ألف التقرير على المبتدأ.

﴿أَنْزَلْتُمُوهُ﴾ فعل، وضمير فاعلين، والهاء: ضمير مفعول، وهو الهاء.

﴿مِنَ الْمُزْنِ﴾ خفض بـ ﴿مِنَ﴾.

﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ ابتداء وخبر، جملة معطوفة على جملة.

﴿لَوْ نَشَاءُ﴾ فعل مستقبل، وضمير فاعلين.

ومعنى الآية -والله أعلم-:

«أفرايتم -أيها الناس- الماء الذي تشربونه، أنتم أنزلتموه من المُنزْن؟! أي: من السحاب إلى قَرَار الأرض، أم نحن منزلوه لكم؟!»

ومَن قال: ﴿الْمُزْنِ﴾ "السحاب"، مجاهد وقتادة^(٢).

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٧/٤.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٥٤/٢٢، في سنيين منفصلين.

وابن زيد قال: "واسمها عند الله: العنان"^(١).

وقال ابن عباس: ﴿الْمُرْنُ﴾ "السماء والسحاب"^(٢).

وهو قول سفيان. قال أبو بكر: وواحد المزن: مزنة، قال الشاعر:

فَلَا مُزْنَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّتْهَا وَلَا أَرْضَ أَبْقَلٍ إِبْقَالَهَا^(٣)

﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ أي: جعلنا ذلك الماء أجاجا، وهو الملح، والأجاج من الماء عند الفراء: الملح المر الشديد المرارة.

وقال غيره^(٤): الملح إذا اشتد ملوحته، أي: لو نشاء جعلناه لكم، فلم تنتفعوا له في شراب ولا غرس ولا زرع.

وقوله: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أي: فهلاً تشكرون ربكم على إعطائه ما أعطاكم من الماء العذب لشربكم ومنافعكم وصلاح معاشكم، وتركه أن يجعله أجاجاً فلا تنتفعون به؟!^(٥)

والوقف في هذه الآية: كالوقف على الآية التي قبلها^(٦).

(١) لم أقف عليه، وقد أخرج الطبري في تفسيره، ٣٥٤/٢٢، عنه: (قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ قال:

"المزن: السحاب اسمها"، ﴿أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ قال: "السحاب".

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٥٤/٢٢.

(٣) البيت لعامر بن جوين الطائي كما جاء في الكامل في اللغة والأدب للمبرد، ٢٠٧/٢.

(٤) الطبري في تفسيره، ٣٥٤/٢٢.

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٥٣/٢٢-٣٥٥.

(٦) القطع والائتناف، ٧١٢.

وقوله -جلّ وعزّ ثناؤه-:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾

قال أبو بكر: إعراب هذه الآية كإعراب التي قبلها^(١).

والمعنى -والله أعلم-:

أفرايتم -أيها الناس- النار التي تستخرجون من [زُنْدِكُمْ]^(٢) وتقذحون؟ أنتم أحدثتم شجرتها واخترعتم أصلها؟!!

﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ أم نحن اخترعنا ذلك وأحدثناه؟!^(٣)

وقال أبو بكر: وهي تكون منها الزنود^(٤).

وزعم بعضهم أن معنى ﴿تُورُونَ﴾: تَرَوْنَهَا بأبصاركم، ولو كان كما قال؛ لكان (تَرَوْنَ)، وهذا غلط، وهو من: أُوريت زنادي أُوريتها، إذا أوقدتها^(٥).

قال أبو عبيدة: وأكثر ما يقولون: وريت زنادي، وأهل نجد يقولون: وريت زنادي^(٦).

قال أبو بكر: والأكثر في كلام العرب، ما اجتمعت القراءة عليه، وهو: (تورون) بضم التاء من أوري يُوري^(٧).

(١) ينظر: الصفحة (٤٤٩) من الرسالة.

(٢) في الأصل: (زيدكم)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

والزند والزندة: خشبتان يُستقذح بهما، فالسفلى زنده والأعلى زند؛ ابن سيده: الزند العود الأعلى الذي يقتدح به النار. لسان العرب، مادة: (زند).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٥٥/٢٢.

(٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ٢٢٧/٤.

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٨/٤.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٢٥٢/٢، وفيه: (... وأكثر ما يقال: وريت، وأهل نجد يقولون ذلك).

(٧) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٨٧/١١.

قال أبو بكر: «والأصل في ﴿ءَأَنْتُمْ﴾: أنتم بهمزتين، فإذا خُفِّفت الثانية جيء بها بين بين، والدليل على أنها متحركة، خلاف ما قال أحمد بن يحيى: أن النون بعدها ساكنة.

والاختيار عند الخليل وسيبويه: أن يُؤتى بهاء بين بين؛ لثقل اجتماع المهمزتين. وكذا (المنشؤون) إن جئت بالهمزة بين بين، أي: بين الهمزة والواو. ولهذا قال محمد بن يزيد: لا يجوز أن تكتب إلا بالواو أو بواوين». / وكذا (المستهزؤون)، ومن كتبها بالياء فقد أخطأ عنده؛ [١٨٠/أ] لأن الضمة أقوى الحركات، فإذا كانت الهمزة مضمومة متوسطة لم يكن لما قبلها حكم، ومن أبدل من الهمزة قال: (المنشؤون) و (المستهزؤون)، وهذه لغة رديئة شاذة، لا توجد إلا في يسير من الشعر.

قال أبو جعفر: وقد سمعت علي بن سليمان يقول: يُحكى أن الصحيح من قول سيبويه: أنه لا يجوز إبدال الهمزة، يعني: في غير الشعر، قال: لأن أبا يزيد قال له: من العرب من يقول: (قَرَأ) بغير همزة، فقال له سيبويه: فكيف يقولون في المستقبل؟ فقال: (يَقْرَأ)، قال: هذا إذن خطأ، كان يجب أن يقولون: (يَقْرِي)، حتى يكون مثل (رَمَى يَرْمِي). قال أبو الحسن: هذا من سيبويه يدل على أنه لا يجيزه»^(١).

وقوله -جلّ وعزّ -: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ أي: نحن جعلنا النار التي توروها تذكرة لكم، تذكرون بها نار جهنم^(٢).

روى ذلك ابن أبي نجیح عن مجاهد: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ قال: "تُذَكِّرُ النار الكبرى"^(٣).

ذُكر لنا أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءٍ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ))، قالوا: يا نبي الله إن كانت لكافية^(٤)، قال: ((قَدْ ضَرَبْتُ بِالْمَاءِ ضَرْبَتَيْنِ أَوْ مَرَّتَيْنِ؛

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٨/٤.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٥٥/٢٢.

(٣) تفسير مجاهد، ٦٤٥، وفيه: (النار الكبرى، يقول: يتذكرون بها جهنم)، وأخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٥٥/٢٢، بلفظ: (تذكرة النار الكبرى).

(٤) في تعذيب أهل النار. تعليق د. مصطفى البغا كما جاء في المصدر (صحيح البخاري).

[لِيَنْتَفِعَ] ^(١) بِهَا بَنُو آدَمَ، وَيَذْنُوا مِنْهَا ^(٢).

«وقوله: ﴿وَمَتَّعَا لِلْمُقْوِينَ﴾ اختلف أهل العلم في معناهم: فروى علي بن أبي طلحة عن عباس رضي الله عنه: ﴿وَمَتَّعَا لِلْمُقْوِينَ﴾ للمسافرين ^(٣).

وكذا روى سعيد ومعمر عن قتادة والضحاك: ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾ للمسافرين ^(٤).

وقال آخرون: عني بالمقوين: [المستمعون] ^(٥) بها.

روى ذلك ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾ [للمستمعين] ^(٦)، الناس أجمعين ^(٧).

وعنه: [للمستمعين] ^(٨)، المسافر والحاضر ^(٩).

وقال خُصَيْف ^(١٠): «للخلق» ^(١١).

(١) في الأصل: (ليستمع)، والمثبت موافق لما أخرجه الطبري في جامع البيان.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم الحديث: ٣٢٦٥، باب: صفة النار وأنها مخلوقة، ٤/١٢١، ومسلم في صحيحه رقم الحديث: ٢٨٢٦، باب: في شدة حار نار جهنم، ٤/٢١٨٤، في كليهما اختلاف في اللفظ. وأخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٥٨/٢٢، بلفظه.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٥٦/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٥٦/٢٢-٣٥٧، بأسانيد منفصلة.

(٥) في الأصل: (المستمعون)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٦) في الأصل: (للمستمعين)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٧) تفسير مجاهد، ٦٤٥.

(٨) في الأصل: (للمستمعين)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٥٧/٢٢.

(١٠) خصيف بن عبد الرحمن الجزري، أبو عون الحراني الخضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، روى عن: سعيد بن جبير، وسفيان الثوري وهو من شيوخه، وعبد العزيز بن جريج والد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وغيرهم، قال حنبل بن إسحاق، عن أحمد بن حنبل: (ليس بجحفة ولا قوي في الحديث)، مات سنة سبع وثلاثين ومائة. تهذيب الكمال، ٢٥٧/٨، تقريب التهذيب، ١٩٣.

(١١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٥٧/٢٢.

وقال آخرون: بل عني بذلك الجائعون.

روى ابن وهب قال: قال ابن زيد: ﴿وَمَتَّعَا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: "المقوي: الجائع"^(١).

وفي كلام العرب: [أقويت]^(٢) منه كذا وكذا، [ما]^(٣) أكلت منذ كذا وكذا [شيئاً]^(٤).

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب: قول من قال: عني بذلك المسافرون، الذين لا زاد معهم ولا شيء. وأصله من قولهم: أَقَوْتُ الدار، إذا خلت من أهلها وساكنها^(٥)، كما قال الشاعر^(٦):

حُيِّتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثِمِ^(٧)
ويقال: أقوى إذا نزل بالقي، وهي الأرض الخالية، وأقوى قوى أصحابه: خَلَوْا مِنْ الضَّعْفِ^(٨).

«وقال أبو عبيدة: وفي موضع آخر: الْمُقْوَى: الكثير المال، يقال: أَكْثَرَ مِنْ فُلَانٍ فَإِنَّهُ مُقْوٍ».

وقال أبو عبيدة -أيضاً- : المقوي: الذي لا زاد معه ولا مال^(٩).

وقد رُذِّ هذا على أبي عبيدة؛ لأن الغني إلى النار أحوج من الفقير.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٥٧/٢٢.

(٢) في الأصل: (اقومت)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) في الأصل: (إذا)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) في الأصل: (سيًا)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٥٦/٢٢-٣٥٨.

(٦) عنتر بن شداد بن قراد بن مخزوم العبسي، الفارس المشهور، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعدوبة توفي سنة ٢٢ قبل الهجرة. الأعلام للزركلي، ٩١/٥.

(٧) ديوان عنتر بن شداد، ١٥٠.

(٨) إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٨/٤.

(٩) مجاز القرآن/٢، ٢٥٢.

وقال أبو جعفر: **المُقوي في اللغة: على ثلاثة أوجه: يقال: أقوى، إذا فني زاده، ومنه: أَقَوْتُ وطال عيها سالف الأيد، أي: ذهب أهلها. ويقال: أقوى إذا سافر، أي: نزل القوي والقوي، ويقال: أقوى أي: قوي وقوي أصحابه. قال أبو بكر: والمتاع المنفعة^(١).**

قال أبو بكر: **وقطع القارئ على ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنِشِقُونَ﴾ قطع صالح، وكذا ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾، والتمام ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾^(٢).**

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٨/٤، الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٨٨-٧٢٨٩.

(٢) القطع والائتناف، ٧١٢.

وقوله - جلّ وعزّ -:

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَسَبِّحْ﴾ فعل الأمر.

﴿يَأْسِرِ رَبِّكَ﴾ خفض بالباء.

﴿رَبِّكَ﴾ خفض بالإضافة.

﴿الْعَظِيمِ﴾ نعت.

﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ فعل مستقبل.

﴿بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ خفض بالباء، والنجوم على التوحيد.

وقرأ الباقون: في الجمع والتوحيد، من مواقع.

فقرأ حمزة والكسائي: ﴿بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ على التوحيد، وقرأ الباقون: على الجمع^(١)، «والحجة / لمن قرأ بالجمع: أنه يعني بذلك: مساقطها، فالجمع أولى به؛ لأنه مضاف إلى الجمع.

[١٨٠/ب]

وكذلك من تأولها بمعنى: معانيها.

وكذلك من قال: ﴿بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ نزول القرآن، ينزل نجومًا، فهذا يدل على معنى الجمع؛ لأن القرآن نزل في زمان طويل.

وعليه الكسائي: أن الموقع في معنى المصدر، فهو يصلح للقليل والكثير؛ لأن معناه لوقوع النجوم، فجرى مجرى قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾، ومجرى قول الرجل: عملت عمل الرجال، يؤدي واحدة عن جمعه^(٢).

(١) ينظر: السبعة في القراءات، ٦٢٢، المبسوط في القراءات العشر، ٤٢٧، حجة القراءات، ٦٩٦.

(٢) ينظر: حجة القراءات، ٦٩٧.

﴿وَإِنَّهُ﴾ الهاء: اسم (إن).

﴿لَقَسْمٌ﴾ خبر (إن).

﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ فعل مستقبل.

﴿عَظِيمٌ﴾ من نعت ﴿قَسْمٌ﴾.

﴿إِنَّهُ﴾ الهاء - أيضاً - اسم (إن).

﴿لَقُرْآنٌ﴾ خبر (إن).

﴿كَرِيمٌ﴾ نعت.

﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ فعل مستقبل، منفي بـ ﴿لَا﴾ في موضع نعت.

﴿إِلَّا الْمَطَّهَّرُونَ﴾ رفع بفعلهم.

ومعنى الآية - والله أعلم -:

«أن الله - جل ثناؤه - يقول لنبية محمد ﷺ: فسبِّح باسم ربك العظيم وتسميته.

وقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْعِدِ الْكُفُورِ﴾ اختلف أهل العلم في معنى قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾: فقال بعضهم: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ أقسم، و(لا) زائدة.

روى ذلك الحسن بن مسلم^(١) عن سعيد بن جبير: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ قال: "أقسم"^(٢). وجواب ثانٍ ذكره بعض أهل العلم العربية قال: هي ردٌّ لكلام، أي: فليس الأمر كما يقولون، ثم استؤنف القَسَم بعد، فقيل: أُقْسِم، وجواب ثالث: أن (لا) بمعنى (إلا) للتنبيه، كما قال^(٣):

(١) الحسن بن مسلم بن يثاق المكي، روى عن طاووس ومجاهد وسعيد ابن جبير، روى عنه الحكم بن عتيبة وعمرو بن مرة وابن جريج وغيرهم، قال عبد الحميد بن رافع: سمعت أبي يقول: (هو صالح الحديث)، وقال أبو حاتم: (صالح الحديث)، مات سنة ثمان وأربعين ومائة. ينظر: الجرح والتعديل لأبي حاتم، ٣/٣٦، تهذيب الكمال، ١٢/٣٦٦.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٣٥٩.

(٣) يزيد بن أبي سعيد النحوي، أبو الحسن القرشي، مولاهم، المروزي. روى عن: سليمان بن بريدة، وأخيه عبد الله بن بريدة، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم، روى عنه: الحسن بن رشيد العبدي، والحسين بن واقد، وعبد الله بن سعد

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ "هي نجوم القرآن" (١).

قال أبو جعفر: هذه حكاية الخليل عن الحسن، والمخفوظ عن الحسن أنه قال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ بمغاريها (٢).

وقال آخرون: بمنازل النجوم. رواه معمر عن قتادة (٣).

وقال آخرون: معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم. روي ذلك عن قتادة (٤).

وعن مجاهد: "مطالعها ومساقطها" (٥).

وقال آخرون: بل معنى ذلك انتشار النجوم يوم القيامة.

وروى ذلك قتادة عن الحسن: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ "انكدارها وانتثارها يوم القيامة" (٦).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم، ومغاريها في السماء؛ وذلك أن (المواقع): جمع (موقع)، و(الموقع): المفعول، من وَقَعَ يَقَعُ مَوْقِعًا، فالأغلب من معانيها ما قلنا في ذلك» (٧).

«وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت لقسمة لو تعلمون ما هو وما قدره؟! عظيم، وهو من المؤخر الذي معناه التقديم، والتقدير فيه: وإنه لقسم عظيم، لو تعلمون عظمه.

(١) ينظر: العين للخليل بن أحمد، ٥٢٣/١.

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٩٠/١١.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦١/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦١/٢٢.

(٥) تفسير مجاهد، ٦٤٥، وفيه: (مطلعها ومساقطها).

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦١/٢٢.

(٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٥٨/٢٢-٣٥٩، الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٢٨٩/١١-٧٢٩٠.

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ هذا جواب القسم، والتقدير فيه: وأقسم بمواقع النجوم بهذا القرآن أنه، أي: أن هذا القرآن لقرآن كريم، فالهاء في قوله: ﴿إِنَّهُ﴾ من ذكر القرآن.

وقوله -جلّ وعزّ-: ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ أي مَصُونٌ عند الله، لا يمسه شيءٌ من أذى ومن غبار ولا غيره»^(١).

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ قال: "الكتاب الذي في السماء"^(٢).

وروى ابن أبي نجیح /عن مجاهد قوله: ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ قال: "القرآن، في كتابه المكنون: [١٨١/أ] المكتوب، الذي لا يمسه شيءٌ من تراب ولا غبار"^(٣).

وقال الضحاك: "في كتاب مكتوب، قال: هو عند رب العالمين"^(٤).

وقال ابن زيد في قول الله -جلّ وعزّ-: في كتاب مكتوب، قال: "هو كتاب، لا يمسه إلا المطهرون، زعموا أن الشياطين تنزلت به على عهد محمد صلى الله عليه وسلم فأخبرهم الله -جلّ ثناؤه-: أنها لا تقدر على ذلك ولا تستطيعه، وما ينبغي لهم أن يقولوا بهذا القرآن، وهو محجوب عنهم".
وقرأ قول الله -جلّ وعزّ-: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٣١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُونَ﴾ [الشعراء: ٢١١-٢١٢]^(٥).

واختلف أهل العلم فيمن سُموا بالمطهرين: فقال بعضهم: الملائكة عليهم السلام^(٦).

روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إذا أراد الله -جلّ ثناؤه- أن ينزل كتاباً نسختُهُ السّفرة عليهم السلام، فلا يمسه إلا المطهرون"، قال: "يعني الملائكة عليهم السلام"^(٧).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٦٢/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦٢/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦٣/٢٢.

(٤) ذكر معناه مكي بن أبي طالب في تفسيره، ٧٢٩١/١١، منسوباً للضحاك.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦٤/٢٢.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٦٤/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦٤/٢٢.

وممن قال: هم الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والضحاك^(١)، وإطباق أهل التفسير على هذا القول؛ لأنه إخبار وليس نهي، ويجوز أن يكون إخباراً على الإلزام، فيكون فيه معنى النهي، كما تقول: يفعل كذا. وقال الله -جلّ ثناؤه-: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرِفٍ تَجْرِفُ مِنْ تَحْتِهَا الْأَرْضُ بِغَيْرِ عُقْبٍ وَلَا مُؤَمِّنٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الصف: ١٠-١١]. قال محمد بن يزيد: أي: آمنوا. قال: ويدل على ذلك ﴿بِعَفْوٍ لَكُمْ ذُنُوبِكُمْ﴾^(٢).

وقال آخرون: هم حملة التوراة والإنجيل^(٣).

روى ذلك سفيان عن أبيه عن عكرمة: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ "حملة التوراة والإنجيل"^(٤).

وقال آخرون: هم الذين طهروا من الذنوب كالملائكة والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ^(٥).

وروى ذلك عاصم الأحول عن أبي العالية الرّياحي، في قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ قال: "ليس أنتم، أنتم أصحاب الذنوب"^(٦).

وقال ابن زيد: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ "الملائكة، والأنبياء، والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -التي تنزل به من عند الله- المطهّرون، والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مطهرة، فجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل به مطهّراً، والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الذي يحييهم مطهّرون؛ فذلك قول الله -جلّ وعزّز-: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، والملائكة والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من الملائكة والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من بني آدم، فهؤلاء ينزلون

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦٤/٢٢، عن سعيد بن جبير ومجاهد. وذكره مكي بن أبي طالب في تفسيره، ٧٢٩١/١١، عنهم جميعاً.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٩١.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٦٤/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦٤/٢٢.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٦٥/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦٥/٢٢.

به مُطَهَّرُونَ، وهؤلاء يَتَلَوْنَهُ عَلَى النَّاسِ مُطَهَّرُونَ"، وقرأ قول الله -جلّ وعزّ-: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَقٍ﴾ [عبس: ١٦] قال: "بأيدي الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّذِينَ يُخْصُونَ عَلَى النَّاسِ أَعْمَالَهُمْ"^(١).

وقال آخرون: عُني بذلك لا يمسه عند الله إلا المُطَهَّرُونَ^(٢).

روى سعيد عن قتادة قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ "ذلكم عند رب العالمين، وما عندكم فيمسه المشرك النَّجِسُ والمنافق الرَّجِسُ"^(٣).

روى عنه معمر قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ "فأما في الدنيا يمسه الجوسي النَّجِسُ والمنافق الرَّجِسُ"^(٤). قال: وهو في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿مَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٥).

وقال مالك بن أنس في قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾: إنها بمنزلة التي في عبس ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ ١١ فَن شَاءَ ذَكَرَهُ ١٢ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ١٣ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ١٤ بِأَيْدِي سَفَرَقٍ ١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ١٦ [عبس: ١١-١٦]^(٦).

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: "لا يمسه إلا طاهر". وسئل رضي الله عنه عن آية، فقال: "سَلُونِي، فَلَسْتُ أَمْسُهُ، وَإِنَّمَا أَقْرُوهُ"، وكان قد أَحَدَثَ ولم يتوضأ^(٧).

قال أبو بكر: وقد جاء في مَسِّ المصحف اختلاف: فقال بعضهم: لا يمسه من الناس إلا طاهرٌ بِطَهْرِ الوضوء والصلاة، وقال بعضهم: يمسه، منهم ابن عباس رضي الله عنهما والشعبي، وأما مَنْ كَرِهَ أَنْ يَمَسَّ المصحفَ إلا طاهر، ففي كتاب عمرو بن حزم^(٨): لا يمَسُّ القرآنَ إلا طاهر، وهو الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم^(٩).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦٦/٢٢.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٦٦/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦٦/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦٦/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦٦/٢٢. (ما يمسه) قراءة شاذة. البحر المحيط، ٩٣/١٠، الدر المنصون، ٢٢٤/١٠.

(٦) موطأ الإمام مالك، ١٩٩/١.

(٧) ذكره مكِّي بن أبي طالب في تفسيره، ٧٢٩٢/١١، عن مسلم، وفي الهامش: (ع: سليمان الفارسي)، ولعله من أخطاء السُّنَاخ.

(٨) عمرو بن حزم بن زيد بن لوزان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي ثم النجاري، أول مشاهده الخندق، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل نجران، مات في خلافة عمر رضي الله عنه. ينظر: أسد الغابة، ٢٠٢/٤، الإصابة في تمييز الصحابة، ٥١١/٤.

(٩) أخرجه الدار قطني في سننه، باب: نهي المحدث مس القرآن، ٢١٨/١، والبغوي في شرح السنة، باب: المحدث لا يمَسُّ المصحف، ٤٧/٢، والبيهقي في سننه الصغرى، باب: لا يحمل المصحف إلا طاهر ولا يقرأ القرآن جنب، ٣٥٢/١.

وروى مالك عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن سعد^(١) عن مصعب بن سعد^(٢) قال: "كنت أمسك المصحف على سعد بن أبي وقاص^(٣)، فاحتككت، فقال: لعلك مَسَسْتَ ذِكْرَكَ؟ فقلت: نعم، فقال: قم فتوضأ، فقامت فتوضأت، ثم رجعت". وقال بعضهم: فيه: قم فاغسل يدك^(٤).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يمسُّ المصحفَ إلا وهو طاهر^(٥).

[١٨١/ب]

وقال مثل ذلك / الحكم وإبراهيم وحماد^(٦).

وقال مالك بن أنس: "لا يحمل المصحف أحد بعلاقته، ولا على وسادة، إلا وهو طاهر". وإنما كره ذلك إكرامًا للقرآن وتعظيمًا له^(٧).

وقد يُحتمل أن يكون الله -جلَّ ثناؤه- أراد الكتاب الذي عنده، ويُعظَّم هذا؛ لأنه نسخته، وهو كلام الله -جلَّ ثناؤه وجلاله- فلا يمسُّه منا إلا طاهر، إذ كان الأصل يمسُّه المطهرون، والله أعلم^(٨).

(١) إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري، أبو محمد المدني، ثقة حجة من الرابعة، مات سنة أربع وثلاثين. ينظر: تهذيب الكمال، ١٨٩/٣، تقريب التهذيب، ١٠٩.

(٢) مصعب بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري، أبو زرارة المدني والد زرارة بن مصعب. ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات)، مات سنة ثلاث ومائة. ينظر: تهذيب الكمال، ٢٤/٢٨، تقريب التهذيب، ٥٣٣.

(٣) هو سعد بن أبي وقاص بن أهيب بن كلاب القرشي الزهري، أبو إسحاق، أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو أحد الستة الذين جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيهم الشورى، روى عنه: بنوه عامر، ومصعب، وإبراهيم، توفي سنة إحدى وخمسين، ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر، ٦٠٦/٢، أسد الغابة لابن الأثير، ٤٥٢/٢، الإصابة لابن حجر، ٧٣/٣.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٢٩٣/١١.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، ١٤٠/٢.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، ٢٢٣/٢٠.

(٧) موطأ الإمام مالك، ١٩٩/١، وذكره البغوي في شرح السنة، ٤٨/٢.

(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/٢٢٠-٢٢٤. وقد ذكر الماوردي في تفسيره كلامًا أحببت نقله هنا: ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾

إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ تأويله يختلف باختلاف الكتاب، فإن قيل: إنه كتاب في السماء ففي تأويله قولان: أحدهما: لا

قال أبو بكر: وأما قطع القارئ: فقال محمد بن عيسى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ هذا التمام. وقال الأخفش: التمام: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾. وخالفهما أبو حاتم، فجعل التمام: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾. قال أبو بكر: وهذا القول الصحيح؛ لأن قوله: ﴿تَنْزِيلٌ﴾ نعت لقرآن^(١).

يمسه في السماء إلا الملائكة المطهرون، قاله ابن عباس رضي الله عنه وسعيد بن جبير. الثاني: لا ينزله إلا الرسل من الملائكة عليهم السلام إلى الرسل من الأنبياء عليهم السلام، قاله زيد بن أسلم. وإن قيل إنه المصحف الذي في أيدينا ففي تأويله ستة أقاويل: أحدها: لا يمسه بيده إلا المطهرون من الشرك، قاله الكلبي. الثاني: إلا المطهرون من الذنوب والخطايا، قاله الربيع بن أنس. الثالث: إلا المطهرون من الأحداث والأنجاس، قاله قتادة. الرابع: لا يجد طعم نفعه إلا المطهرون أي المؤمنون بالقرآن، حكاه الفراء. الخامس: لا يمسه ثوبه إلا المؤمنون، رواه معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم. السادس: لا يلمسه إلا المؤمنون، قاله ابن بحر. النكت والعيون، ٤٦٤/٥.

وفي حكم مسِّ المصحف: اخترت نقل ما ورد في الموسوعة الفقهية الكويتية مختصراً: اتفق الفقهاء على أنه يحرم بالحدِّث مسُّ المصحف بلا حائل. واختلفوا في مسِّه بحائل، كغلافٍ أو كُفٍّ أو نحوهما. فالمالكية والشافعية يقولون بالتحريم مطلقاً ولو كان بحائل. والصحيح عند الحنابلة جواز مسِّ المصحف للمحدِّث بحائل ممَّا لا يتبعه في البيع ككيسٍ وكُفٍّ. ومثله ما عند الحنفية حيث فرَّقوا بين الحائل المنفصل والمُتَّصِل فقَالُوا: يحرم مسُّ المصحف للمُحدِّث إلا بِغِلافٍ مُتَّحَافٍ - أي غير مَخِيْطٍ - أو بِصُرَّةٍ. والمراد بالغلاف ما كان مُنْفَصِلاً؛ لأن المُتَّصِل بالمصحف منه. ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٤٠/١٦.

(١) القطع والائتناف، ٧١٣.

وقوله -جل ثناؤه-:

﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفِيهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصِيرُونَ﴾

﴿تَنْزِيلٌ﴾ نعت لقرآن، أي: ذو تنزُّلٍ، أي: مُنَزَّلٌ من رب العالمين.

﴿أَفِيهِذَا الْحَدِيثِ﴾ ﴿هَذَا﴾ في موضع خفض بالباء، ﴿الْحَدِيثِ﴾ نعت ل ﴿هَذَا﴾.

﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ مبتدأ وخبر.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ مفعول ﴿تَجْعَلُونَ﴾.

﴿أَنْكُمْ﴾ الكاف والميم ضمير اسم (أَنْ).

﴿تُكَذِّبُونَ﴾ فعل مستقبل، وضمير فاعلين، في موضع خبر (أَنْ)، و(أَنْ) مع ما عملت فيه

في معنى المصدر.

﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلاً.

﴿إِذَا﴾ ظرف.

﴿بَلَغَتِ﴾ فعل، وحرف، وهي التاء.

﴿الْحُلُقُومِ﴾ مفعول ﴿بَلَغَتِ﴾.

﴿وَأَنْتُمْ﴾ ابتداء.

﴿حِينِيذٍ﴾ ظرف.

﴿تَنْظُرُونَ﴾ فعل مستقبل، في موضع خبر الابتداء.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ ابتداء -أيضاً- وخبر.

ومعنى الآيات -والله أعلم-:

«هذا القرآن تنزيل من رب العالمين، نزل من الكتاب المكنون.

روى عبيد الله العتكي عن جابر بن زيد وأبي هيك، في قوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: "القرآن، تنزيل من ذلك الكتاب"^(١).

﴿أَفَيْهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن الذي أنبأكم خبره، وقصصت عليكم أمره -أيها الناس- أنتم تُلينون القول للمكذِّبين به، مُمَالَأَةً^(٢) منكم لهم على التكذيب به والكفر.

واختلف أهل العلم في تأويله: فقال بعضهم نحو ما ذكرنا. روى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿أَفَيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ قال: "تريدون أن تمالئوهم فيه وتركنوا إليهم"^(٣).

وقال آخرون: معنى ذلك: أفبهذا الحديث أنتم تكذبون.

رُوي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَفَيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ يقول: "مكذبون غير مصدقين"^(٤). وكذا قال الضحاك: "مُكْذِبُونَ"^(٥). أصل هذا من قولهم: أدهن وداهن، أي: نافق^(٦).

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: وتجعلون شكر الله على رزقه إياكم: التكذيب له، وذلك كقول قائل لآخر: جعلت إحساني إليك إساءة منك. أي بمعنى: جعلت شكر إحساني أو ثواب إحساني إليك: إساءة منك إلي.

وقد ذكر عن الهيثم بن عدي^(٧): أن من لغة أزد شئوءة^(٨): ما رزق فلان، بمعنى: ما شكر.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦٧/٢٢.

(٢) مَالَأُتُهُ على الأمر مُمَالَأَةً: ساعدته عليه وشايعته. ينظر: لسان العرب، مادة: (مأ).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦٨/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦٨/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦٨/٢٢.

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة: (دهن).

(٧) الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن النعالي الطائي البحتري الكوفي، أبو عبد الرحمن، مؤرخ، عالم بالأدب والنسب. وإقامته وشهرته بالكوفة، اختص بمجالسة المنصور والمهدي والهادي والرشيد، وروى عنهم. وكان يتعرض لمعرفة أصول الناس

قال أبو بكر: وقد روي عن النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم والتابعين في ذلك ما أنا ذاكؤه - إن شاء الله - لك»^(٢).

من ذلك: ما رواه أبو عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه رفعه إلى النبي ﷺ قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ﴾ قال: ((شُكْرُكُمْ، تَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، وَبِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا))^(٣).

روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ما مُطِرَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا أَصْبَحَ بَعْضُهُمْ كَافِرًا؛ يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا". وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ شُكْرَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ﴾^(٤)(٥) أي: "وتجعلون شكركم على / ^(٦) ما أنزلت عليكم من الغيث والرحمة، تقولون: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا"، قال: "فكان ذلك منهم كفرًا بما أنعم عليهم"^(٧).

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَزَّ - لَيُصَبِّحُ الْقَوْمَ بِالنَّعْمَةِ، أَوْ يُمَسِّيهِمْ بِهَا، فَيُصَبِّحُ بِهَا قَوْمٌ كَافِرِينَ؛ يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا))^(٨). وقال مجاهد: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ﴾ قال: "قولهم في الأنواء: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا"، يقول: "قولوا: هو من عند الله - عزَّ وجلَّ - وهو رزقه"^(٩).

وقال الضحاك: "جعل الله - جلَّ وعزَّ - رزقكم في السماء، وأنتم تجعلونه في الأنواء"^(١٠).

ونقل أخبارهم. توفي بقم الصلح، في سنة سبع ومائتين، وله ثلاث وتسعون سنة. سير أعلام النبلاء، ١٠٣/١٠، الأعلام للزركلي، ١٠٤/٨.

- (١) الأزد: من أعظم قبائل العرب وأشهرها من القحطانية. ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مادة: (الأزد).
- (٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٦٧/٢٢-٣٦٨.
- (٣) أخرجه الترمذي في سننه، باب: ومن سورة الواقعة، ٢٥٤/٥. أورده الألباني في ضعيف سنن الترمذي، ٤٢٠.
- (٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٦٩/٢٢.
- (٥) قراءة شاذة. الحجة للقراء السبعة، ٢٥٦/٦، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ٣١٠/٢.
- (٦) وقع هنا تكرار للكلمة: (على).
- (٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٧٠/٢٢، بسندٍ منفصل.
- (٨) أخرجه الحميدي في مسنده، ٢٠١/٢، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، باب: بيان مشكل ما يروى عن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ٢١٥/١٣.
- (٩) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٧٣/٢٢.
- (١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٧٣/٢٢.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما - أيضاً-: ﴿وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتَكُمُ تُكْذِبُونَ﴾ "في الاستسقاء بالأنواء"^(١).

ويروى عن علي رضي الله عنه: ﴿وَجَعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْتَكُمُ تُكْذِبُونَ﴾ حقيقة^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما - أيضاً-: ﴿وَجَعَلُونَ [شُكْرَكُمْ]^(٣) أَنْتَكُمُ تُكْذِبُونَ﴾. قال أبو جعفر: هذه القراءة تُتَأَوَّلُ على التفسير؛ لأنها مخالفة للمصحف الذي وقع الإجماع عليه^(٤).

قال قطرب: "الرزق: الشكر"^(٥).

وقال غيره^(٦): المعنى: وتجعلون شكر رزقكم، [ثم حذف]^(٧) كما قال: ﴿وَسَكَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]^(٨).

وقيل: هو مثل: عِتَابُكَ السَّيْفُ^(٩). أي: الذي يقوم مقام الرزق: التكذيب.

كما قال:

تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ^(١٠)

.....

(١) ذكره القرطبي في تفسيره، ٢٠/٢٢٦.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره، ٢٠/٢٢٦، وفيه: (وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ: ﴿وَجَعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْتَكُمُ تُكْذِبُونَ﴾ حقيقة).

(٣) في الأصل: (رزقكم)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢٢٩.

(٥) ذكره مكي بن أبي طالب في تفسيره، ١١/٧٢٩٥.

(٦) النحاس.

(٧) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٨) إعراب القرآن، للنحاس، ٤/٢٢٩.

(٩) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٢/١٢٨.

(١٠) شطر من بيت منسوب لعمر بن معدى كرب، وقال البغدادي: إنه ليس في شعره. وقامه:

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَقْتُ لَهَا بِخَيْلٍ ... تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ

قال أبو جعفر: وقد سَمَّى النبي ﷺ: هذا كَفْرًا^(١).

قال أبو إسحاق: ونظيره: قول المنجم، إذا طلع نجم كذا ثم سافر إنسان كان كذا، فهذا التكذيب بأقدار الله - جلَّ وعزَّ -^(٢).

«وقوله: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ أي: فهلَّا إذا بلغت النفوسُ الحلقومَ^(٣) عند خروجها من أجسادكم - أيها الناس -.

﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ ومن حضرهم منكم من أهاليهم حينئذٍ إليهم تنظرون، وخرج الخطاب هاهنا عامًّا للجميع، والمراد به من حضر الميت من أهله وغيرهم، وذلك معروف من كلام العرب: وهو أن يُخاطَب الجماعةُ بالفعل، كأنهم أهله وأصحابه، والمراد به بعضهم، غائبًا كان أو شاهدًا، فيقولون: أو قتلتم فلانًا؟! والقاتل منهم [واحد، إما غائب]^(٤) وإما شاهد. وقد بيَّنا ذلك فيما تقدم^(٥).

﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ أي: ورُسُلنا، الذين يقبضون روحه أقربُ إليه منكم، ولكن لا تبصروهم.

وكان بعض النحويين البصريين يقول: قيل: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾^(٦) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ كأنه قد سمع منهم - والله أعلم -: إنا نقدر على أن لا نموت ونمتنع. فقال: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ

=
الشاهد فيه: جعلُ الضرب تحيةً على الاتساع، وإنما ذُكر هذا تقويةً؛ لجواز البدل فيما لم يكن من جنس الأول. يقول: إذا تلاقوا في الحرب، جعلوا بدلًا من تحية بعضهم لبعض، الضرب الوجيع. ينظر: شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، ١٠٧/٢.

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٩/٤.

(٢) المرجع السابق، ٢٢٩/٤.

(٣) وحلقوم الرجل: حلقفه في طرفه. ينظر: لسان العرب، مادة: (حلقم).

(٤) في الأصل: (واحدًا غائب)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٥) لم أقف عليه.

أَلْحَقُوا. وقال: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَيْرَ مَدِينِينَ﴾ مجزيين، تُرْجَعُونَ تلك النفوسَ وأنتم تَرَوْنَ كيف تخرج عند ذلك إن كنتم صادقين بأنكم تمنعون من الموت»^(١).

قال أبو بكر: **وقطع القارئ على ﴿أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ﴾ قطع صالح. ﴿وَلَكِنْ لَا بُصْرُونَ﴾ مثله**^(٢).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٧٣/٢٢.

(٢) القطع والائتناف، ٧١٣.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿قَوْلًا إِنْ كُنْتُمْ عَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٣٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

المعنى -والله أعلم-:

«فهلّا إن كنتم -أيّها الناس- غير مدنين.

واختلف أهل العلم في معنى قوله: ﴿عَيْرَ مَدِينِينَ﴾: فقال ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وقتادة والحسن: "غير محاسبين"^(١).

وقال ابن زيد: "كانوا يجحدون أن يدانوا بعد الموت"، قال: "وهو مالك يوم الدين، يوم يدان الناس بأعمالهم"، ثم قال: "يدانون: يحاسبون"^(٢).

وقال الفراء: غير مملوكين^(٣).

وقال آخرون: بل معناه غير مبعوثين.

روى ذلك عوف عن الحسن: ﴿عَيْرَ مَدِينِينَ﴾ "غير مبعوثين يوم القيامة"^(٤)، ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٥).

وقال آخرون: بل معناه غير مجزيين بأعمالكم^(٦).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٧٥/٢٢-٣٧٥.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٧٤/٢٢.

(٣) معاني القرآن للفراء، ١٣١/٣.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٧٥/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٧٥/٢٢.

(٦) وقد ذكر الطبري في تفسيره أولى الأقوال فقال: (أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: غير محاسبين فمجزيين بأعمالكم، من قولهم: كما تدين تدان، ومن قول الله: ﴿مَلَايَ يَوْمَ الدِّينِ﴾. جامع البيان في تأويل القرآن،

وقوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ أي: تردُّون تلك النفوس من بعد مصيرها إلى الحلاقيم^(١)، إلى مُسْتَقَرِّهَا من الأجساد، إن كنتم صادقين، أنكم لتمتعون من الموت والحساب والمجازاة^(٢).

قال الفراء: إن كنتم صادقين أنكم غير مملوكين^(٣).

/ قال أبو بكر: وهذا القول قول الفراء [يرجع]^(٤) إلى قول واحد، قال الله -جلَّ وعزَّ-: [ب/١٨٢] ﴿مَلَايْكَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ أي: يوم الحساب^(٥).

وقال الشاعر^(٦):

وَأَعْلَمُ بِأَنَّ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ^(٧)

ويقال: فلان في دين فلان، أي: مملكته. ومنه قول الشاعر^(٨):

لَعْنُ حَلَلْتِ [بِحَوْ] ^(٩) فِي بَنِي أَسَدٍ فِي دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بَيْنَنَا [فَدَكُ] ^(١٠)

وقال أبو جعفر: المعنى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ عَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: غير مملوكين، مقهورين، هلا ترجعوا روح عزيزكم؟ كما قلت: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦]^(١١).

(١) الحلاقيم: جمع حلقوم.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٣٧٤-٣٧٥.

(٣) معاني القرآن للفراء، ٣/١٣١.

(٤) في الأصل: (يرجعان)، والمثبت موافق لمعنى ما جاء في المصدر، ومناسب للسياق.

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢٣٠.

(٦) المبرد.

(٧) هذا صدر البيت كما جاء في الكامل في اللغة والأدب، ١/٢٥٩، وتماه:

وَأَعْلَمُ وَأَيُّقِنُ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ وَأَعْلَمُ بِأَنَّ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ

وقد أصبح مثلاً بعد ذلك: (كما تدين تدان)، كما قال أبو عبيدة في مجاز القرآن، ٢/٢٥٢.

(٨) زهير بن أبي سلمى.

(٩) في الأصل: (بحق)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(١٠) في الأصل: (فذلك)، والمثبت موافق لما في المصدر. ديوان زهير بن أبي سلمى، ٨١.

(١١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ١١/٧٢٩٦.

قال أبو بكر: فأما جواب ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾، وجواب ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَيْرَ مَدِينِينَ﴾ فزعم الفراء أنما أجيبا بجواب واحدٍ. وقيل: حُذِفَ من أحدهما ودلَّ عليه الآخر^(١).

وقطع القارئ على: ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قطع كاف^(٢).

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء، ٣/١٢٠.

(٢) القطع والائتناف، ٧١٣.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿فَأَمَّا﴾ قد بينها فيما تقدم من كتابنا بما أغنى عن إعادته^(١).

﴿إِنْ كَانَ﴾ هذه إن التي للشرط، و﴿كَانَ﴾ في معنى: يكن.

﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ خفض بـ ﴿مِنْ﴾ في موضع خبر كان، واسمها مضمر، أي: فأما إن كان الميت أو المتوفى من المقربين.

﴿فَرَوْحٌ﴾ جواب أما، وفي الإعراب إشكال: وذلك أن (أَمَّا) تحتاج إلى جواب، و(إِنْ) تحتاج إلى جواب، ويسأل: لِمَ صارت (أَمَّا) لا يليها إلا الاسم، وهي تشبه حروف المجازاة؟ وإنما يلي حروف المجازاة الفعل، وهذا إشكال ما فيها.

فأما جواب (أَمَّا) ففيه اختلاف بين النحويين: فقول الأخفش والفراء: أنهما أجيبا بجوابٍ واحدٍ، وهو الفاء وما بعدها، وأما قول سيبويه: فإن (إِنْ) لا جواب لها هاهنا؛ لأن بعدها فعلاً ماضياً، كما تقول: أنا أكرمك إن جئتني، وقول محمد بن يزيد: إن [جواب]^(٢) (إِنْ) محذوف؛ لأن بعدها ما يدل عليها.

قال أبو جعفر: وسمعت أبا إسحاق يسأل عن معنى (أَمَّا) فقال: هي للخروج من شيءٍ إلى شيءٍ، أي: دَعُ ما كنا فيه وخذُ في شيءٍ آخر.

وأما القول في العلة: (أَمَّا) لِمَ لا يليها إلا الاسم، فذكر فيه أبو الحسن بن كيسان: أن معنى (أَمَّا) مهما يكن من شيءٍ، فجُعِلَتْ (أَمَّا) مُؤَدِّيَةً عن الفعل، ولا يلي فعلٌ فعلاً، فوجب أن

(١) ينظر: الأصل، المجلد الأول/اللوحة ٥٩، سورة البقرة.

(٢) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

يليهما الاسم، وتقديره: أن يكون بعد جوابها، فإذا أردت أن تعرف إعراب الاسم الذي يليها، فاجعل موضعها مهما يكن من شيء فضربت زيِّداً»^(١).

وقوله: ﴿فَرَوْحٌ﴾ رفع بالابتداء، أي: فله رَوْح.

﴿وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ﴾ معطوف على ﴿رَوْحٌ﴾، وكذا ما بعده من قوله: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، وكذا ما بعده إلى قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾.

﴿هَذَا﴾ في موضع نصب بـ ﴿إِنْ﴾.

﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ ابتداء وخبر، في موضع خبر إن.

﴿فَسَبِّحْ﴾ أمر. ﴿بِأَسْمَائِكَ﴾ خفض بالباء. ﴿الْعَظِيمِ﴾ نعت.

ومعنى الآيات - والله أعلم:-

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ فأما إن [كان]^(٢) الميِّت من المقرَّبين الذين قرَّبهم الله - جلَّ وعزَّ - من جواره في جناته، ﴿فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ﴾، أي: فله رَوْح^(٣).

روى عبد الله بن شقيق^(٤) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ ﴿فَرَوْحٌ﴾ بضم الراء^(٥).

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٠/٤.

(٢) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٧٦/٢٢.

(٤) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَقِيقِ الْعُقَيْلِيِّ، أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو محمد البصري، توفي في ولاية الحجاج بن يوسف على العراق. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٩١/٧، تهذيب الكمال، ٨٩/١٥.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٤١٠/٤٠، والترمذي في سننه، باب: ومن سورة الواقعة، ٤٠/٥، من غير

لفظ: (بضم الراء). وقراءة (رُوح) بضم الراء قراءة شاذة، الفوائد المعتبرة، ٤٠، معجم القراء، ٣٢١/٩.

[١٨٣/أ]

قال الحسن: "الرَّوْحُ: / الرحمة"^(١).قال أبو جعفر: وهذا قولٌ حَسَنٌ، أي: بقاء وخلود الجنة، وهذا هو الرحمة^(٢).

ومن قرأ ﴿فَرَّوْحٌ﴾ بفتح الراء، ففي معناه قولان: قال مجاهد: "الرَّوْحُ: الفرح"^(٣)، ثم قال: "وريحان في معناه"^(٤).

قال الحسن: "الريحان: ريحانكم هذا"^(٥).وقال أبو الجوزاء: "إذا قُبِضَ رُوحُ الْمُؤْمِنِ يَلْقَى [بضبائر]"^(٦) الريحان فأدرج فيه"^(٧).وقال مجاهد والضحاك: "الريحان: الرزق"^(٨).

وقال أبو بكر: القولان جميعا معروفان في كلام العرب، إلا أن الأول أشبه؛ لأن الجنة قد استوعبت الرزق^(٩).

وقال الربيع بن خيثم^(١٠): ﴿فَرَّوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ "هذا عند الموت، والجنة مخبوءة له إلى أن يُبعث"^(١١).

(١) ذكره القرطبي في تفسيره، ٢٠/٢٣١.

(٢) لم أقف عليه، ومعناه قد ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه، ٥/١١٧.

(٣) هذا القول الأول، ولم يُذكر هنا القول الثاني، وهو: (الرحمة)، وقد ذكره المصنّف أول بيانه لمعنى الآيات. ينظر: هذه الرسالة، ٤٧٥.

(٤) وقع هنا تكرار للكلمات التالية: (قولان: قال مجاهد: الروح ثم قال: وريحان في معناه).

(٥) ذكره مكّي بن أبي طالب في تفسيره، ١١/٧٢٩٧.

(٦) في الأصل: (نصابر)، والمثبت موافق لما في المصدر.

والإضبارة: الحزمة من الصحف، وهي الإضمامة، و(ضبارة) لغة، وفي الحديث: (أتته الملائكة بحريرة فيها مسك ومن ضبائر الريحان). ينظر: لسان العرب، مادة: (ضبر).

(٧) ذكره القرطبي في تفسيره، ٢٠/٢٣١. باختلاف يسير في لفظه.

(٨) تفسير مجاهد، ٦٤٦.

(٩) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٣٧٩.

(١٠) الربيع بن خيثم الثوري، أبو يزيد الكوفي، مخضرم، روى عن ابن مسعود رضي الله عنه وأبي أيوب وعمرو بن ميمون، روى عنه الشعبي وإبراهيم النخعي وأبو بردة، قال له ابن مسعود رضي الله عنه: "لو رآك النبي لأحبك"، كان لا ينام الليل كله رضي الله عنه، توفي سنة أربع وستين. طبقات لخليفة بن خياط، ٢٣٨، خلاصة تذهيب تذيب الكمال، ١١٥.

(١١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٣٧٨.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَرْوَجٌ وَرَيْحَانٌ﴾ "راحةٌ ومُسْتَرَاخٌ"^(١).

وعنه رضي الله عنهما: "يعني بالريحان: المُسْتَرِيح من الدنيا"^(٢).

وقال سعيد بن جبير: "الرَّوْحُ: الفَرْح، والرَّيْحَانُ: الرِّزْقُ"^(٣).

وروى الربيع عن أبي العالية: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ قال: "لم يكن أحدٌ من المُقَرَّبِينَ فارق الدنيا - والمقربون السابقون - حتى يُؤْتَى [بِعُضْنٍ]^(٤) من رَيْحَانِ الجنة، فيشُمَّه، ثم يُثَبِّضُ"^(٥).

وقال الضحاك: "الرَّوْحُ: المغفرة والرحمة، والرَّيْحَانُ: الاستراحة"^(٦).

وعنه: "الروح والاستراحة"^(٧).

وقال القتيبي: "من قرأ ﴿فَرْوَجٌ وَرَيْحَانٌ﴾ أي: فرّج في القبر، أي: طيب نسيم، ومن قرأ ﴿فَرْوَجٌ﴾ بضم الراء، فحياة وبقاء"^(٨).

وفي الريحان قول آخر: وهو الراحة^(٩).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٧٦/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٧٧/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٨٧٧/٢٢.

(٤) في الأصل: (بعض)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٧٨/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٧٨/٢٢.

(٧) ذكره مكّي بن أبي طالب في تفسيره، ٧٢٩٨/١١.

(٨) ذكره مكّي بن أبي طالب في تفسيره، ٧٢٩٨/١١.

(٩) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٧٧/٢٢.

وقد أخرج الطبري أثرًا عن مجاهد بهذا المعنى: (... عن مجاهد في قوله: ﴿فَرْوَجٌ وَرَيْحَانٌ﴾ قال: "راحة"، وقوله: ﴿وَرَيْحَانٌ﴾

قال: "الرزق". جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٧٧/٢٢.

قال أبو إسحاق: والأصل في ریحان: ریحان، بالياء الأولى منقلبة من واو، أي: ریحان: أدغمت الياء في الواو، ثم حُفِّفَتْ، كما قالوا: مَيِّت، إلا أنه لا يُؤْتَى به على الأصل، إلا على بُعد؛ لأن فيه ألفًا ونونًا زائدتين^(١).

وأما قوله: ﴿وَجَنَّتْ نَعِيرٍ﴾ فمعناه -والله أعلم-: وله مع ذلك بستان يتنعم فيه^(٢).

قال ابن زيد: ﴿وَجَنَّتْ نَعِيرٍ﴾ "قد عُرِضَتْ عليه"^(٣).

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ الذين يؤخذ بهم في الجنة من ذات أيمانهم^(٤).

﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾.

قال قتادة: ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ "سلامٌ من عذاب الله، وسلِّمَتْ عليه ملائكةُ الله"^(٥).

وقال ابن زيد: ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ "سَلِّمَ مما يَكْرَهُ"^(٦).

واختلف -أيضًا- النحويون في معناه: فقال بعض البصريين: ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ فسَلِّمُ لك أنك من أصحاب اليمين^(٧).

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١١٧/٥-١١٨. وليتضح المعنى أوردُ هنا ما قاله: (وأجمع النحويون أن أصل ریحان في اللغة (رِيحَان) من ذوات الواو فالأصل: (رِيحَان) فقلبت الواو ياءً وأدغمت فيها الأولى، فصارت (رِيحَان)، فَحُفِّفَتْ، كما قالوا في (مَيِّت) (مَيِّت)، ولا يجوز في (رِيحَان) التشديد إلا على بُعْدٍ لأنه قد زيد فيه ألف ونون فَحُفِّفَتْ بحذف الياء وألزم التخفيف).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٧٩/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٧٩/٢٢.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٨٠/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٨٠/٢٢، بلفظ: (...سلامٌ من عذاب الله...)، وبيّن في الحاشية أن في بعض النسخ: (عند).

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٨٠/٢٢.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٨٠/٢٢.

وقال أبو جعفر أحمد بن محمد: «قوله: ﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ فيه أقوال: قال قتادة: "فسلام لك من أصحاب اليمين، سلموا من عذاب الله - عز وجل - وسلمت عليهم الملائكة".

وقيل ﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: لك منهم سلام، أي: هم يُسَلِّمون عليك.

قال أبو جعفر: وهذا قول نظري؛ لأن المخاطبة للنبي ﷺ فلا يخرج إلى غيره إلا بدليل قاطع.

وقيل: ﴿فَسَلِّمْ لَكَ﴾ فمُسَلِّمْ لك أنك من أصحاب اليمين، فحذفت (أن) والمعنى: لأنك من أصحاب اليمين، وحذفت (أن) خطأ في العربية؛ لأن ما بعدها داخل في صلتها، وإن كان قائل هذا القول الفراء.

وذهب إليه محمد بن جرير^(١).

«وقوله: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ المعنى - والله أعلم -: وأما إن كان الميت من المكذبين بآيات الله الحائدين عن سبيله، ﴿فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ﴾ فله نُزْلٌ من حَمِيمٍ قد أُغْلِيَ عليه حتي انتهى حرُّه، وهو شرابه.

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ أي: وحريق النار يُحْرَقُ بها، والتَّصْلِيَةُ: التَّفْعِلَةُ مِنْ أَصْلَاهِ اللهُ النَّارَ، فهو يُصَلِّيه تَصْلِيَةً، وذلك إذا أحرقه.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي: إن هذا الذي أخبرتكم -أيها الناس- من الخبر عن المُقَرَّبِينَ وأصحاب اليمين، وعن المكذبين الضالين، وما إليه صائرة أمورهم، فهو حق اليقين من الخبر. ﴿الْيَقِينِ﴾ لا شك فيه^(٢).

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٢٣١/٤. وينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٨٠/٢٢-٣٨١، معاني القرآن للفراء، ١٣١/٣.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٨١/٢٢-٣٨٢.

روى ابن أبي نجیح عن مجاهد: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ قال: "الحق: اليقين" (١).

وروى سعيد عن قتادة: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٤٢﴾ فَزُلْ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَتَصَلِيَةً حَمِيمٍ ﴿٤٤﴾

[ب/١٨٣] إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿ "حتى ختم: أن الله -جل ثناؤه- ليس تاركًا أحدًا، من الناس حتى / يوقفه على اليقين من هذا القرآن، فأما المؤمن فأيقن في الدنيا، فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن في الآخرة حين لا ينفعه ذلك" (٢).

وقال أبو جعفر في معنى قوله: ﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: فلست ترى بينهم إلا ما تحب به السلامة. وقد أعلم ما وعدوه في أول السورة (٣).

قال: وقوله: ﴿فَزُلْ مِنْ حَمِيمٍ﴾ قال: النزل: الطعام، والتصلية: المقام.

«واختلف أهل العربية في إضافة الحق إلى اليقين، والحق يقين»

فقال بعضهم (٤): ﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾ أضاف الحق إلى اليقين، وذلك كقوله: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥] أي: وذلك دين الملة القائمة. وذلك حق الأمر اليقين. وقال بعضهم (٥): اليقين نعت (الحق) كأنه قال: الحق اليقين والدين القيم، وقد جاء مثله في كثير من الكلام والقرآن: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩]، قال فإذا أضيف تُؤهَّم به أنه غير الأول (٦).

قال أبو بكر: الكوفيون يجيزون إضافة الشيء إلى نفسه، ويجعلون هذا منه، وهذا عند البصريين خطأ؛ لأنه إنما يُبيِّن الشيء بغيره، والمضاف إليه يبيِّن به (٧).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٨٢/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٨٣-٣٨٢/٢٢.

(٣) لم أقف عليه، وقد ذكره مكِّي بن أبي طالب في تفسيره، ٧٣٠٠/١١، بلا نسبة. وفي البحر المحيط في التفسير، ٩٥/١٠، (...) والخطاب في ذلك للرسول ﷺ: أي: لا ترى فيهم يا محمد إلا السلامة من العذاب.

(٤) بعض نحوِّي البصرة.

(٥) بعض نحوِّي الكوفة.

(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٨٣/٢٢.

(٧) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٣١/٤.

قال مجاهد: ﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾ "حق الخبر اليقين" (١).

وقال أبو اسحاق: المعنى: أن هذا الذي قصصنا في هذه السورة يقينٌ حقُّ اليقين، كما نقول فلان عالم حق العلم إذا بالغت في التوكيد، ومعنى أن هذا هو حق اليقين، أي: محض اليقين (٢).

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ بتسمية ربك العظيم (٣).

وإنما قطع القارئ: فزعم أبو حاتم: أن القطع الكافي ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ وكذا عنده: ﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، والتمام عنده: ﴿وَصَلِّبَةً جَجِيمٍ﴾ وكذا ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٤).

ثم آخر السورة، قال أبو بكر: وليس في هذه السورة ياء إضافة (٥).

واختلف العادون في عددها: فعدها المدنيان وأهل مكة والشام: تسعًا وتسعين آية. وعدها الكوفي: ستًا وتسعين آية. وعدها البصري: سبعمائة. اختلافها: عشر آيات: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ مدنيان وبصري ومكي وشامي، ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ مدنيان ومكي وبصري وشامي، ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ مدنيان ومكي وكوفي وبصري وشامي، ﴿إِنشَاءً﴾ مدنيان ومكي وكوفي وشامي، ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ مدنيان ومكي وبصري وشامي، ﴿فُلٌ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ مدني أول ومكي وكوفي وبصري، ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ مدني أخير وشامي، ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ شامي، و﴿فِي سَمُورٍ وَحَمِيمٍ﴾ بصري وشامي (٦).



(١) ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه، ١١٨/٥.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١١٨/٥.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٨٣/٢٢.

(٤) القطع والائتناف، ٧١٣.

(٥) ينظر: جامع البيان في القراءات السبع، ١٦٢٨/٤.

(٦) ينظر: البيان في عد آي القرآن، ٢٣٩، حسن المدد في فن العدد، ١٣٣.

سورة الحديد

وهي مدنية^(١)

من ذلك قوله -جلّ وعزّ-:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

﴿سَبَّحَ﴾ فعل ماضي.

﴿لِلَّهِ﴾ لفظ اسم الله خفض باللام.

﴿مَا﴾ في موضع رفع بفعليها.

﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ خفض بـ ﴿فِي﴾، في صلة ﴿مَا﴾.

﴿وَالْأَرْضِ﴾ عطف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ ابتداء وخبر.

﴿الْحَكِيمُ﴾ من نعت ﴿الْعَزِيزِ﴾، ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر.

وحذفت (ما) الثانية على مذهب أبي العباس، وهي نكرة، لا موصولة؛ لأنه لا يحذف الاسم الموصول، وأنشد النحويون:

لَوْ قُلْتَ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ [تَيْتَم] ^(٢) [يَفْضُلُهَا] ^(٣) فِي حَسَبٍ وَمَيْسَمٍ ^(٤)
والتقدير: مَنْ يَفْضُلُهَا ^(٥).

(١) ينظر: الناسخ والمنسوخ وتنزيل القرآن، ٤١، البرهان في علوم القرآن للزركشي، ١/١٩٤.

(٢) في الأصل: (يتم)، والمثبت موافق لما في المصادر.

(٣) في الأصل: (يفضلها)، والمثبت موافق لما في المصادر.

(٤) ينسب هذا البيت إلى الأسود الحماني، ويُنسب إلى حكيم الربيعي -راجز إسلامي كان معاصراً للحجاج- والأسود

الحماني نسبة إلى حمان بن عبد العزى من تميم، شاعر مُقل. الخزانة، ٥/٦٤، والجمهرة، ٢٢٠.

(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢٣٢.

ومعنى الآية - والله أعلم -:

«أن ما دونه من خلقه يسبحه تعظيماً له، وإقراراً بربوبيته، وإذعائاً له بالطاعة، وفي معنى التسبيح هاهنا قولان: أحدهما: أن معنى التسبيح فيما لا ينطق أثر الصنعة فيه، والقول الآخر: أنها تسبح والله - سبحانه وتعالى - عالمٌ بتسبيحها، وقال صاحب هذا القول^(١): يدل على أن الأول خطأ قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا / يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فلو كان إنما هو أثر الصنعة لفَقَهُوه، وقال المحتج للقول الأول: إنما قال الله - جلَّ وعزَّ -: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ﴾ [الإسراء: ٤٤] لمن لا يستدل.

[١٨٤/أ]

ومعنى ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: العزيز في انتقامه ممن عصاه، الذي لا ينتصر منه من عاقبه من أعدائه، الحكيم في تديبه خلقه الذي لا يدخل في تديبه خلل^(٢).

وقطع القارئ على ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ قطع تام، إذا ابتدأت الخبر بعده^(٣).

وقوله - جلَّ وعزَّ -:

﴿لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿مَلَكُ﴾ رفع بالابتداء.

و﴿لَهُ﴾ في موضع الخبر.

﴿السَّمَوَاتِ﴾ خفض بإضافة ﴿مَلَكُ﴾ إليها، متصلة بالمبتدأ.

﴿وَالْأَرْضِ﴾ عطف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾.

﴿يُحْيِي﴾ فعل مستقبل، مرفوع وعلامة رفعه سكون يائه، وهو في المعنى: في موضع الحال.

(١) الزجاج.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٨٤/٢٢، معاني القرآن وإعراجه للزجاج، ١٢١/٥، إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٢/٤.

(٣) القطع والائتناف، ٧١٤.

﴿وَيُمِيتُ﴾ عطف على ﴿يُحْيِي﴾، ويجوز أن يكون مستأنفاً.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ابتداء وخبر.

ومعنى الآية - والله أعلم -:

له سلطان السماوات والأرض وما فيهنّ، فلا شيء فيهنّ يقدر على الامتناع منه، وهو في جميعهنّ نافذ الأمر، ماضي الحكم، ﴿يُحْيِي﴾ و﴿يُمِيتُ﴾ أي: يحيي ما يشاء من الخلق، بأن يوجد له كيف يشاء، وذلك بأن يُحْدِثَ من النطفة الميتة حيواناً، فينفخ الروح فيها، ويميت من يشاء من الأحياء، من بعد الحياة، من بعد بلوغه أجله، فيفنيه^(١).

وفي معناه قول ثان: وهو يحيي الموتى، ويميت الأحياء^(٢).

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: وهو على كل شيء قدير، ذو قدرة، ولا يتعدّد عليه شيء أرادته من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من الأمور^(٣).

وقطع القارئ على قوله ﴿لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كاف، إن ابتدأت ﴿يُحْيِي﴾ و﴿يُمِيتُ﴾، ولم تجعله حالاً. والتمام ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٨٤/٢٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٢١/٥.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٨٤/٢٢.

(٤) القطع والائتناف، ٧١٤.

وقوله -جلّ وعزّ ثناؤه-:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ ابتداء وخبر.

﴿وَالْآخِرُ﴾ عطف على ﴿الْأَوَّلُ﴾، ولم يُنطق من ﴿الْأَوَّلُ﴾ بفعل، وهو على أفعال؛ لأن فاءه وعينه من موضع واحد، فاستثقل ذلك. ﴿وَالْآخِرُ﴾ ليس بجار على الفعل؛ لأنه من تأخّر^(١).

﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ معطوف أيضاً.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ابتداء وخبر -أيضاً- جملة معطوفة على جملة.

ومعنى الآية -والله أعلم-:

هو الأول قبل كل شيء بغير حدّ، والآخِر بعد كل شيء بغير نهاية، وإنما قيل ذلك كذلك؛ لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلّها، كما قال -جلّ وعزّ-: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفص: ٢٨]، أي: وهو الظاهر على كل شيء بكل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه. ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ أي: الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال -جلّ وعزّ-: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وما قلناه مأخوذ من ما روي عن رسول الله ﷺ^(٢).

روى سعيد عن قتادة قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ ذكر لنا أن النبي ﷺ [بينما]^(٣) هو جالس في أصحابه، إذ ثار عليهم سحاب، فقال: ((هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ((هَذَا الْعَنَانُ، هَذَا رَاوِي الْأَرْضِ، يَسُوقُهُ اللَّهُ -جلّ وعزّ- إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْكُرُونَهُ وَلَا يَدْعُونَهُ))، ثم قال: ((هَلْ تَدْرُونَ مَا آتِي فَوْقَكُمْ؟)) فقالوا: الله ورسوله أعلم،

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٢/٤.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٨٥/٢٢.

(٣) في الأصل: (بيننا)، والمثبت موافق لما في المصدر.

قال: ((فَإِنَّهَا [الرَّقِيعُ]^(١) مَوْجٌ مَّكْفُوفٌ، وَسَقْفٌ مَّخْفُوظٌ))، قال: ((فَهَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ))، قال: ((تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((فَوْقَهَا سَمَاءٌ أُخْرَى، / وَبَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟)) قالوا مثل قولهم الأول، قال: ((فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشَ، [وَبَيْنَهُ]^(٢) وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءَيْنِ))، قال: ((هَلْ تَدْرُونَ مَا الَّتِي تَحْتَكُمْ؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((فَإِنَّهَا الْأَرْضُ))، قال: ((فَهَلْ تَدْرُونَ مَا تَحْتَهَا؟)) قالوا مثل قولهم الأول، قال: ((فَإِنَّ تَحْتَهَا أَرْضًا أُخْرَى، وَبَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ))، حَتَّى عَدَّ سَبْعَ أَرْضِينَ، بَيْنَ كُلِّ [أَرْضِينَ]^(٣) مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، ثم قال: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ دُلِّي أَحَدُكُمْ بِجَبَلٍ إِلَى الْأَرْضِ [السُّفْلَى]^(٤) هَبَطَ عَلَى اللَّهِ))، ثم قرأ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾^(٥).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: "ظهر فوق الظاهرين، بَقَهْرِهِ المتكبرين"^(٦).

وقال أبو جعفر: هو الأول قبل كلِّ أحد، والآخر، والظاهر والباطن، يعلم ما ظهر وما بطن^(٧).

قال أبو جعفر: ومنه: نزلت بطن من الأرض، أي: بموضع منخفض، يستتر فيه، وأصل هذا من البطن والظهر؛ لأن البطن ساتر، والظهر ليس بساتر، ومن هذا: أظهر فلان بعداوتي، وبطن، أي: أعلنها وأسرها، ومنه: استظهر فلان القرآن، أي: جعل حفظه ظاهراً، واستظهر، أي: استعان، وفلان ظهير فلان، أي: معينه، كما قال -جلَّ وعزَّ-: ﴿وَالْمَلَكُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [النجم:٤]، ويعير ظهير، أي: قوي، وظاهر فلان من امرأته، أي: باعدها منه، وجعلها

(١) في الأصل: (الرفيع)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٢) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٣) في الأصل: (ارض)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٤) في المصدر: (الأخرى).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، باب: ومن سورة الحديد، ٢٥٦/٦، أورده الألباني في ضعيف سنن الترمذي، ٤٢٢/١.

(٦) ذكره مكِّي بن أبي طالب في تفسيره، ٣٧٠٦/١١.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٢٢/٥.

ظاهرة، أي: جعل ظهرها عليه كظهر من لا تحلُّ له مجال، وفي قولهم: صلاة الظهر قولان: أحدهما: أن الظهر والظهيرة شدة الحر، سُمِّيت الصلاة باسم الوقت، والقول الآخر: أنها أول ما ظهر من الصلوات، وظهرت على فلان، أي: قَهَرَتْهُ^(١).

وقوله: ﴿وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾ لا يخفى عليه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين^(٢).

وقطع القارئ على: ﴿وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾ تمام^(٣).

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٣٠٦/١١، النكت والعيون، ٤٦٩/٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٨٦/٢٢.

(٣) القطع والائتناف، ٧١٤.

وقوله -جلّ وعزّ ثناؤه-:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

﴿هُوَ الَّذِي﴾ ابتداء وخبر.

﴿خَلَقَ﴾ فعل ماضٍ.

﴿السَّمَوَاتِ﴾ مفعول ﴿خَلَقَ﴾.

﴿وَالْأَرْضَ﴾ عطف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾.

﴿فِي سِتَّةِ﴾ خفض بـ ﴿فِي﴾.

﴿أَيَّامٍ﴾ خفض بإضافة ﴿سِتَّةِ﴾ إليها.

و﴿خَلَقَ﴾ وما اتصل به في صلة ﴿الَّذِي﴾.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ معطوف على ﴿خَلَقَ﴾.

﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ خفض بـ ﴿عَلَى﴾.

﴿يَعْلَمُ﴾ فعل مستقبل.

﴿مَا﴾ في موضع نصب.

﴿يَلِجُ﴾ فعل مستقبل، في صلة ﴿مَا﴾، والأصل فيه: يولج، حُذفت الواو؛ لوقوعها بين ياء وكسرة.

و﴿فِي الْأَرْضِ﴾ خفض بـ ﴿فِي﴾، متصل بصلة ﴿مَا﴾.

﴿وَمَا﴾ عطف على ﴿مَا﴾ الأولى.

﴿يَخْرُجُ﴾ فعل مستقبل، في صلة ﴿مَا﴾ أيضاً.

﴿وَمَا﴾ نصب -أيضاً- عطف على ﴿مَا﴾ الأولى.

﴿يَنْزِلُ﴾ فعل مستقبل.

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ خفض بـ ﴿مِنْ﴾ و﴿يَنْزِلُ﴾ مع ما اتصل به في صلة ﴿مَا﴾.

وكذا ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾.

﴿وَهُوَ﴾ ابتداء.

﴿مَعَكُمْ﴾ ظرف، في موضع الخبر، والعامل فيه: المعنى، أي: وهو شاهدٌ معكم حيث كنتم.

﴿أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ﴿أَيَّنَ﴾ ظرف، و﴿مَا﴾ صلة [مؤكدَة] ^(١)، ﴿كُنْتُمْ﴾ التاء والميم: اسم (كان).

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، ويجوز أن يكون مصدرًا، فيكون التقدير: بعملكم.

ومعنى الآية -والله أعلم-:

«هو الذي أنشأ السماوات السبع فدبرهنَّ وما فيهنَّ، ثم استوى على العرش.

قال محمد بن جرير: أي: ارتفع وعلا.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ يقول -جلَّ ثناؤه- مخبرًا عن صفته: أنه لا يخفى عليه خافية من خلقه.

[١/١٨٥]

ويعنى بقوله: ﴿يَلِجُ﴾ يدخل / ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ بينهم.

وما ينزل من السماء إلى الأرض من شيء، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يصعد إليها من الأرض.

﴿أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ﴾ حيث ما كنتم. يعلمكم ويعلم أعمالكم ومثقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سماواته السبع.

(١) الثلاث الأحرف الأخيرة من الكلمة ساقطة من المتن، ومكتوبة في هامش الصفحة.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: أعمالكم التي تعملونها من حسنٍ وسيِّئٍ، وطاعةٍ ومعصيةٍ، ذو بصيرٍ، وهو لها مُحْصٍ؛ ليجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، يوم تُجزى كُلُّ نفسٍ ما كسبت، وهم لا يظلمون»^(١).

وقال أبو جعفر [أحمد]^(٢) بن محمد: يعلم ما يلج في الأرض من مطر وغيره، وما يخرج منها من نبات وغيره، وما ينزل من السماء من رزق ومطر، وما يعرج فيها من الأعمال والملائكة^(٣).

قال أبو جعفر: **وقطع القارئ على قوله -جلّ وعزّ-**: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قطع كاف، إن استأنفت بهذه: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ قطع كاف. والتمام عند أبي حاتم: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾، وعند غيره: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٤).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٨٧/٢٢.

(٢) في الأصل: (حميد)، والمثبت اسم الإمام أبو جعفر النحاس.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٢٣٧/٢٠.

(٤) القطع والائتناف، ٧١٤.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

﴿مُلْكُ﴾ رفع بالابتداء.

و﴿لَهُ﴾ الخبر.

﴿السَّمَوَاتِ﴾ خفض بإضافة ﴿مُلْكُ﴾ إليها، متصلة بالابتداء.

﴿وَالْأَرْضِ﴾ عطف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾.

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ رفع بما لم يُسَمَّ فاعله، وفي موضع: رفع بفعلها، على قراءة من قرأ: ﴿تُرْجَعُ﴾ بفتح التاء وكسر الجيم، وهو حمزة والكسائي وابن عامر^(١).

والمعنى -والله أعلم-:

له سلطان السماوات السبع والأرض نافذٌ فيهنّ، وجميع ما فيهنّ أمره. وإلى الله تصير جميع أمور خلقه، فيقضي بينهم بحكمه^(٢).

وقطع القارئ عند أبي حاتم: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كاف، والتمام ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ إن استأنفت الخبر^(٣).

(١) السبعة في القراءات، ١٨١، معاني القراءات للأزهري، ١/١٩٩، المبسوط في القراءات العشر، ١٤٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٣٨٧.

(٣) القطع والائتناف، ٧١٤.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

﴿يُولِجُ﴾ فعل مستقبل.

﴿اللَّيْلَ﴾ مفعول ﴿يُولِجُ﴾.

﴿فِي النَّهَارِ﴾ خفض بـ ﴿فِي﴾.

﴿وَيُؤَلِّجُ﴾ معطوف.

﴿النَّهَارَ﴾ مفعول أيضاً. ﴿فِي اللَّيْلِ﴾.

﴿وَهُوَ عَلِيمٌ﴾ ابتداء وخبر.

﴿بِذَاتِ﴾ خفض بالباء.

﴿الصُّدُورِ﴾ خفض بإضافة ﴿ذَاتِ﴾ إليها، وهو متصل بخبر الابتداء.

ومعنى ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾: يُدْخِلُ مَا نَقَّصَ مِنْ [ساعات الليل في] ^(١) النهار فيجعله زيادةً في ساعاته، ويُدْخِلُ مَا نَقَّصَ مِنْ [ساعات] ^(٢) النهار [في الليل] ^(٣) فيجعله زيادةً في ساعاته ^(٤).

روى سماك عن عكرمة: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ "قَصَرُ هَذَا فِي طُولِ هَذَا، وَطُولُ هَذَا فِي قَصْرِ هَذَا" ^(٥).

(١) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٣٨٧.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٣٨٨.

وورى الأعمش عن إبراهيم في قوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ قال: "دخول الليل في النهار ودخول النهار في الليل"^(١).

وقال -أيضاً-: "قَصُرَ أيام الشتاء في طُول ليله، وقَصُرَ ليالي الصيف في طُول نهاره"^(٢). ولم يحذف الواو؛ لوقوعها بين ياء وكسرة؛ لأن الفعل رباعي لا يجوز أن يعبر هذا التعبير^(٣).

﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: ذو علم بضمائر صدور عباده، وما عَزَمَتْ عليه نفوسهم من خيرٍ أو شرٍّ، أَوْحَدَّتْ بها نفوسهم، لا يخفى عليه من ذلك خافية^(٤). وفي الحديث: ((إِنَّ الدُّعَاءَ يُسْتَجَابُ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَاتِ السَّتِّ))^(٥).

قال أبو بكر: **وقطع القارئ على قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ تمام^(٦).**

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣٨٨/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٨٨/٢٢.

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٣/٤، وفيه عكس هذه العبارة: (يقال: ولج يلج إذا دخل. والأصل يولج لحذفت الواو لأنها بين ياء وكسرة).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٨٨/٢٢.

(٥) ذكر هذا الحديث النحاس في إعراب القرآن، ٢٣٣/٤، بغير سند ولا الحكم عليه. والحديث ضعيف، وهو من أحاديث الشيعة، ومنسوب لمحمد بن الحنفية. ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل (من كتب الشيعة)، ٤٩٧/٢٦-٤٩٨.

(٦) القطع والائتناف، ٧١٤.

وقوله -جلّ وعزّ ثناؤه-:

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

﴿ءَامِنُوا﴾ فعل الأمر.

﴿بِاللَّهِ﴾ لفظ اسم الله خفض بالباء.

﴿وَرَسُولِهِ﴾ عطف على اسم الله.

﴿وَأَنْفَقُوا﴾ معطوف على ﴿ءَامِنُوا﴾.

﴿مِمَّا﴾ ﴿مَا﴾ خفض بـ ﴿مِنْ﴾ إلا أنها اسم ناقص، لا يتم إلا بصلة. ﴿جَعَلَكُمْ﴾ فعل ماضٍ،

والكاف والميم / ضمير المفعول الأول، يجعل ﴿مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ مفعول ثانٍ، و﴿جَعَلَ﴾ وما عمل [١٨٥/ب] فيه في صلة ﴿مَا﴾.

﴿فَالَّذِينَ﴾ رفع بالابتداء.

﴿ءَامِنُوا﴾ فعل ماضٍ، والواو ضمير فاعلين.

﴿مِنْكُمْ﴾ الكاف والميم: ضمير مخفوض.

و﴿ءَامِنُوا﴾ وما اتصل به في صلة ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿وَأَنْفَقُوا﴾ معطوف على ﴿ءَامِنُوا﴾.

﴿لَهُمْ﴾ الهاء والميم: ضمير مخفوض، واللام وما عملت فيه في موضع خبر الابتداء،

والابتداء بعده، وهو: ﴿أَجْرٌ﴾.

﴿كَبِيرٌ﴾ من نعت ﴿أَجْرٌ﴾.

والمعنى -والله أعلم-:

آمنوا بالله -أيها الناس- وأقروا بوحدانيته ورسوله، أي: وصدقوه فيما جاءكم به من عند

الله -جلّ وعزّ- وأتبعوه. ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ أي: مما حوّلكم من المال الذي أورثكم إياه، عن مَنْ كان قبلكم -فجعلكم خلفاء فيه- في سبيل الله^(١).

فقال: ﴿مُسْتَخْلِفِينَ﴾؛ لأنهم مُخْلِفُونَ من كان قبلهم، فحَضَّهْم على الإنفاق؛ لأنهم ينفون كما في الذين من قبلهم، ويورثون^(٢).

﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ أي: فالذين آمنوا بالله ورسوله منكم -أيها الناس- ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ أي: وأنفقوا -مِمَّا حَوَّلَهُمُ اللهُ -عزّ وجلّ- عن مَنْ كان قبلهم، ورزقهم من المال- في سبيل الله. ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: ثوابٌ عظيم^(٣).

واختلفوا في قطع القارئ: فذهب أبو حاتم أن قوله: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ كافٍ عند أبي حاتم، وتمام عند نافع، والتمام عند غيره: أجر كبير^(٤).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٨٩/٢٢.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٤/٤.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٨٩/٢٢.

(٤) القطع والائتناف، ٧١٥.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ ابتداء، و﴿لَكُمْ﴾ موضع الخبر.

﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ فعل مستقبل.

والكاف والميم ضمير مفعول ﴿يَدْعُوكُمْ﴾. وهذه الجملة، أعني: قوله: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ في موضع الحال -أيضاً- وإن كان مرفوعاً بالابتداء.

﴿لِتُؤْمِنُوا﴾ نصب بلام كي.

﴿بِرَبِّكُمْ﴾ لفظ اسم الله، خفض بالباء.

﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ اختلفت القراءة في قوله: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾: فقرأ أبو عمرو وحده: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ بضم الهمزة من ﴿أَخَذَ﴾، ورفع (الميثاق) على من لم يُسَمِّ فاعله، وقرأت الجماعة: ﴿أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ فتح الهمزة والحاء، ونصب الميثاق^(١).

قال أبو بكر: وحجة أبي عمرو: ﴿وَقَدْ أَخَذَ رَبُّكُمْ مِيثَاقَكُمْ﴾ ثم رُدَّ إلى ما لم يُسَمِّ فاعله، وذلك أن الفعل قبل ذلك مسند إلى الرسول ﷺ في قوله: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾، فخولف بين لفظ الفعلين خوفاً من أن يقع في وهم السامع أن الفعل الثاني مُسندٌ إلى الرسول ﷺ كما يُسند إليه الفعل الأول.

واحتج البيهقي بقوله -جلّ وعزّ-: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، فردَّ ما اختلفوا فيه إلى معنى ما أجمعوا عليه، والحجة لقراءة الجماعة: أنه قرب من ذكر الله -جلّ وعزّ ثناؤه- في قوله: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾، وأجرى الفعل بإسناده إلى الله -جلّ ثناؤه- بمعنى: وقد أخذ ربكم

(١) السبعة في القراءات، ٦٢٥، معاني القراءات، ٥٤/٣، المبسوط في القراءات العشر، ٤٢٩.

ميثاقكم، وليس ها هنا التباس؛ لارتفاع الوهم عن السامعين، أن أخذ الميثاق غير الله، وهذا هو الوجه لهذه القراءة^(١).

وقال الفراء في كتابه: القراء جميعاً على ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾، قال: ولو قرئت ﴿أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ لكان صواباً^(٢)، وهذا من الفراء يدل على أنه لم يعرف قراءة أبي عمرو ولا بلعته.

وقال أبو عبيد: القراءة عندنا في الأولى بمعنى: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ يعني: الجماعة، وهي التي بدأنا بها؛ لأن الأمة عليها؛ ولأن ذكر الله -جلّ ثناؤه- قبل الآية وبعدها^(٣).

قال أبو جعفر: في قوله: لأن الأمة عليها، حجة بينة؛ لأن الأمة الجماعة، وأما قوله: لأن ذكر الله قبل الآية وبعدها، فلا يلزم؛ لأنه قد عُرف المعنى^(٤).

ومعنى الآية -والله أعلم-:

[١٨٦/أ] وأي شيء لكم تاركين الإيمان؟! وما شأنكم لا تُقرؤون بوحداية الله -جلّ / وعزّ- ورسوله محمد ﷺ يدعوكم لوحدانيتيه؟! وقد آتاكم من الحجج على حقيقة ذلك بما قطع عذرکم، وإزالة الشك من قلوبكم. ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ أي: وقد أخذ ميثاقكم، أي: وقد أخذ ربكم ميثاقكم في صلب آدم ﷺ بأن الله ربكم لا إله لكم سواه^(٥).

روى ذلك ابن أبي نجیح عن مجاهد: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ قال: "في ظهر آدم ﷺ"^(٦).

قال أبو بكر: وذلك حين أُخرجوا من ظهر آدم ﷺ بأن الله -جلّ ثناؤه- ربهم لا إله لهم سواه، وهذا مذهب العلماء من أصحاب الحديث^(٧).

(١) ينظر: حجة القراءات، ٦٩٨.

(٢) معاني القرآن للفراء، ١٣٢/٣.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٤/٤.

(٤) المرجع السابق، ٢٣٤/٤.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٨٩.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٩٠/٢٢.

(٧) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٤/٤.

قال أبو بكر: وفي أخذ الميثاق قول ثان، ذكره أبو جعفر أحمد بن محمد: وهو أنه بحجاز، وذلك لما كانت آياتُ الله -جلَّ ثناؤه- بيّنةً، والدلائلُ عليها واضحةً، وحكمته ظاهرةً، يشهد بها من رآها، كان علمه بذلك بمنزلةِ أخذِ الميثاق منه^(١).

وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قال محمد بن جرير: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن كنتم تريدون أن تؤمنوا يومًا من الأيام فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا؛ لستابع الحجج عليكم بالرسول وإعلامه ودعائه إياكم إلى ما قد تقررت صحته عندكم بالإعلام والأدلة والميثاق المأخوذ عليكم^(٢).

وقال أحمد بن محمد: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن كنتم عازمين على الإيمان، فهذا [أوائه]^(٣). بعده: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان^(٤).

قال أبو بكر: واختلف في قطع القارئ من هذه الآية: فقال أحمد بن موسى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ تمام. وغلط في هذا؛ لأن ما بعده وإن كان مرفوعًا بالابتداء، فهو في موضع الحال، والتمام: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٤/٤.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٩٠/٢٢.

(٣) في الأصل: (ان)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٣/٤.

(٥) القطع والائتناف، ٧١٥.

وقوله -جلّ وعزّ ثناؤه-:

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَعَوُفٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿هُوَ الَّذِي﴾ مبتدأ وخبر .

﴿يُنَزِّلُ﴾ فعل مستقبل .

﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ خفض بـ ﴿عَلَىٰ﴾ .

﴿آيَاتٍ﴾ مفعول ﴿يُنَزِّلُ﴾ .

﴿بَيِّنَاتٍ﴾ من نعت ﴿آيَاتٍ﴾ .

﴿لِّيُخْرِجَكُم﴾ نصب بلام كي .

﴿مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ خفض بـ ﴿مِّنَ﴾ .

﴿إِلَى النُّورِ﴾ خفض بـ ﴿إِلَى﴾ .

وقوله: ﴿يُنَزِّلُ﴾ وما اتصل به ﴿إِلَى النُّورِ﴾ من صلة ﴿الَّذِي﴾ .

﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَعَوُفٌ رَّحِيمٌ﴾ إن وخبرها .

ومعنى الآية -والله أعلم-:

«الله الذي يُنَزِّلُ على عبده محمد ﷺ ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: مُفَصَّلَاتٍ؛ ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ

إِلَى النُّورِ﴾ أي: ليخرجكم -أيها الناس- من ظُلْمَةِ الكفر إلى نور الإيمان، ومن الضلالة إلى

الهدى .

﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ بإنزاله على عبده ما أنزل عليه من الآيات البيّنات؛ لهدايتكم و[تبصيركم]^(١) بالرشاد، [لدؤو]^(٢) رأفةٍ ورحمةٍ لكم، فمن رأفته بكم ورحمته فعل ذلك^(٣).

وقال أحمد بن محمد: ﴿لَرَأُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حين بيّن لكم وهداكم^(٤).

واختلف في قطع القارئ من هذه الآية: فقال أبو حاتم: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ تمام. وقال غيره: التمام ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٥).

(١) في الأصل: (ينصركم)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) في الأصل: (له)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٩١/٢٢.

(٤) إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٤/٤.

(٥) القطع والائتناف، ٧١٥.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنَ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَلَ أَوْلِيَاءَكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾
/﴿وَمَا لَكُمْ﴾ ابتداء وخبر -أيضًا- وهو كقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَّا تُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨٦/ب]

﴿أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿تُنْفِقُوا﴾ في موضع نصب، والتقدير: وأي عذر لكم في أن لا تنفقوا في سبيل الله!؟

﴿وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿مِيرَاتُ﴾ رفع بالابتداء.

﴿السَّمَوَاتِ﴾ خفض بإضافة ﴿مِيرَاتُ﴾ إليها.

﴿وَالْأَرْضِ﴾ عطف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾.

﴿وَلِلَّهِ﴾ في موضع خبر الابتداء.

﴿لَا يَسْتَوِي﴾ فعل مستقبل.

﴿مِنْكُمْ﴾ الكاف والميم: ضمير مخفوض.

﴿مَنْ﴾ رفع بفعله.

﴿أَنْفَقَ﴾ فعل ماضٍ في صلة ﴿مِنْ﴾.

﴿مِنْ قَبْلِ﴾ خفض بـ ﴿مِنْ﴾.

﴿الْفَتْحِ﴾ خفض بإضافة ﴿قَبْلِ﴾ الباء.

﴿أَوْلِيَاءَكَ﴾ ابتداء.

﴿أَعْظَمَ دَرَجَةً﴾ خبر الابتداء، و﴿دَرَجَةً﴾ نصب على البيان.

﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ خفض بـ ﴿مِنْ﴾.

﴿أَنْفَقُوا﴾ فعل وضمير فاعلين، في صلة ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿مِنْ بَعْدُ﴾ خفض بـ ﴿مِنْ﴾، إلا أنها [مبينة]^(١) معرفة.

﴿وَقَاتِلُوا﴾ معطوف على ﴿أَنْفَقُوا﴾.

﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ اختلفت القراءة في النصب والرفع، من قوله: ﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾: فقرأت الجماعة: ﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ بالنصب، إلا ابن عامر: فإنه قرأ: ﴿وَكُلُّ وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ برفع ﴿كُلُّ﴾. فمن قرأ ﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ نصب ﴿وَكَلَّا﴾ بـ ﴿وَعَدَّ﴾، ومن قرأ بالرفع فتقدير قراءته: على إضمار مبتدأ^(٢).

«وقد أجاز سيبويه مثل هذا: على إضمار الهاء، وأنشد:

فَثُوبٌ لَبِسْتُ وَثُوبٌ أَجْرٌ^(٣)

.....

وأبو العباس محمد بن يزيد: لا يجوز هذا في منثور ولا منظوم، إلا أن يكون يجيز فيه غير ما قدره سيبويه، وهو أن يكون الفعل نعتاً، فيكون التقدير: فثم ثوبٌ لبستُ، فعلى هذا لا يجوز في (ثوب) إلا الرفع، ولا يجيز: زيد ضربت؛ لأنه ليس فيه من هذا شيء، فيكون كل [بمعنى]^(٤): (أولئك كل وعد الله الحسنى)، فيكون نعتاً^(٥).

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ مبتدأ وخبر، و﴿مَا﴾ خفض بالباء.

﴿تَعْمَلُونَ﴾ في صلة ﴿مَا﴾.

قال أبو جعفر: وحكى أبو حاتم: ﴿وَكُلُّ وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾^(٦).

(١) في الأصل: (مبينة).

(٢) ينظر: السبعة في القراءات، ٦٢٥، معاني القراءات للأزهري، ٥٤/٣، المبسوط في القراءات العشر، ٤٢٩.

(٣) هذا عجز البيت لامرئ القيس كما جاء في ديوانه، ١٠٦، وقامه:

فَلَمَّا دَنُوتُ تَسَدَّيْتُهَا ... فَثُوبًا نَسَيْتُ وَثُوبًا أَجْرُ

(٤) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٥) إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٥/٤.

(٦) المرجع السابق، ٢٣٥/٤.

قال أبو بكر: وهذا يدل على أن أبا جعفر لم يعلم أنها قراءة أهل الشام.

ومعنى الآية - والله أعلم -:

وَأَيُّ عُدْرٍ لَكُمْ فِي أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ! فَحَضَّهْم بِهَذَا عَلَى الْإِنْفَاقِ؛ لِأَنَّهُمْ يَمُوتُونَ وَيَخْلَفُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ وَيُورَثُونَهُ^(١).

وقال محمد بن جرير في معنى الآية: وما لكم -أيها الناس- ألا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِلَى اللَّهِ صَائِرَةٌ أَمْوَالِكُمْ إِنْ لَمْ تُنْفِقُوا فِي حَيَاتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ لَهُ مِيرَاثَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَإِنَّمَا حَثَّهُمْ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَلَى حِظِّهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: أَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ دُخْرًا عِنْدَ اللَّهِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمُوتُوا، فَلَا تَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، وَتَصِيرَ الْأَمْوَالُ مِيرَاثًا لِمَنْ لَهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ^(٢).

﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ اختلف أهل العلم في تأويل ذلك:

فقال بعضهم: معناه: لا يستوي منكم -أيها الناس- من أنفق من قبل الفتح -فتح مكة- وهاجر^(٣).

روى ابن أبي نجیح عن مجاهد: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ قال: "آمن، فأنفق". يقول: ﴿هَاجَرَ﴾ "ليس من هاجر كمن لم يهاجر"^(٤).

وقال آخرون: عني بالفتح: فتح مكة، وبالنفقة: النفقة في جهاد المشركين^(٥).

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٤/٤.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٩١/٢٢-٣٩٢.

(٣) المرجع السابق، ٣٩٢/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣٩٢/٢٢، وفي تفسير مجاهد، ٦٤٨: (ليس من أنفق وهاجر كمن لم ينفق ولم يهاجر).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٩٢/٢٢.

روى ذلك سعيد عن قتادة قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أُوْتَيْكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْلَا﴾ قال: "كان قتالان، أحدهما أفضل من الآخر، وكانت نفقتان إحداهما أفضل من الأخرى، كانت النفقة والقتال من قبل الفتح -فتح مكة- أفضل من النفقة والقتال بعد ذلك"^(١).

وعنه: "الذين أنفقوا من أصحاب رسول الله ﷺ قبل فتح مكة وقاتلوا، أفضل من الذين أنفقوا من بعد فتح مكة وقاتلوا"^(٢).

وكذا قال زيد بن أسلم^(٣).

وقال آخرون: عني بالفتح في هذا الموضع: صلح الحديبية.

[وقال الشعبي: الذين أنفقوا قبل الحديبية]^(٤) وقاتلوا: أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد فتح الحديبية وقاتلوا^(٥).

[١٨٧/أ] قال أبو بكر: وهذا أولى بالصواب عندي -والله أعلم- وذلك أن عطاء بن يسار روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم فتح الحديبية: ((يَأْتُونَ أَقْوَامًا تَحْقِرُونَ أَعْمَالَكُمْ مَعَ أَعْمَالِهِمْ))، قالوا: يا رسول الله: أمِنْ قَرِيْشٍ هُمْ؟ قال: ((لَا، هُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ أَرْقُ أَفْعِدَّةً وَالْيَمَنِ قُلُوبًا))، قلنا: يا رسول الله: أهم خيرٌ منّا؟ قال: ((لَا، لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣٩٣/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٩٣/٢٢، مختصراً.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٩٣/٢٢.

(٤) هذه العبارة ساقطة من المتن، ومكتوبة في هامش الصفحة، وقد وضع الناسخ علامة لموضع اللحق، (خط صغير منحني) وعلامة أخرى لانتهاه اللحق.

(٥) ذكره البغوي في تفسيره، ٣٣/٨، مختصراً.

جَبَلٍ ذَهَبٍ ثُمَّ أَنْفَقَهُ، مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِكُمْ وَلَا نَصِيفَهُ، هَذَا فَضْلٌ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَلَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١)^(٢).

وقوله: ﴿مَنْ بَعُدَ﴾ إِنَّمَا بُنِيَتْ عَلَى الضَّمِّ؛ لِأَنَّ الْمَحذُوفَ بَعْدَهَا مَعْرِفَةٌ، وَالتَّقْدِيرُ: أَوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ.

«وَمَعْنَى: ﴿وَقَاتَلُوا﴾ أَي: وَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ أَوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَقَاتَلُوا.

﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ﴾ أَي: وَكُلَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلُوا، وَالَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ﴾: الْجَنَّةَ، بِإِنْفَاقِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقِتَالِهِمْ أَعْدَاءَهُ»^(٣).

قال مجاهد: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ﴾ قال: "الجنة"^(٤).

وقال قتادة: ﴿الْحُسَيْنَ﴾ "الجنة"^(٥).

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ مِنَ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقِتَالِ أَعْدَائِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي تَعْمَلُونَهَا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهُوَ بِمَجَازِيكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٦).

واختُلفَ في قطع القارئ من هذه الآية: فرُوي عن نافع: ﴿وَاللَّهُ مِيرِثُ السَّمَوَاتِ﴾ تَمَّ، وَالْوَقْفُ بَعْدَهُ، عِنْدَ أَبِي حَاتِمٍ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَلَ﴾. وَخُولِفَ فِي هَذَا؛ لِأَنَّ فِي الْكَلَامِ حَذْفًا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ، وَالْمَعْنَى: لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ،

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار، باب: بيان مشكل ما روي عنه ﷺ من قوله: ((أتاكم أهل اليمن هم ألبين قلوبا...))، ٢/٢٧٦.

(٢) إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢٣٥.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٣٩٥-٣٩٦.

(٤) تفسير مجاهد، ٦٤٨.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٢٢/٣٩٦.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٣٩٦.

ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل. ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ قطع حسن،
والتمام: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنِ﴾، وكذا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١).

(١) القطع والائتناف، ٧١٦.

وقوله -جلّ وعزّ-:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ ۗ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾

قال أبو بكر: ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بالابتداء.

و﴿ذَا﴾ خبره.

«و﴿الَّذِي﴾ نعت ﴿ذَا﴾، وجواب ثان: وهو أن يكون ﴿ذَا﴾ زائداً مع ﴿الَّذِي﴾، وجواب ثالث: وهو أن يكون ﴿ذَا﴾ زائداً مع ﴿مَنْ﴾، وهذا قول الفراء^(١)، وزعم أنه رأى في بعض مصاحف عبد الله: ﴿مَنْذًا﴾ بوصل النون مع الذال، جُعِلَا شيئاً واحداً.

ولا يُجيز البصريون أن يُزَادَ (ذا) مع (مَنْ) ويجيزون ذلك مع (ما)؛ لأن (ما) مبهمة، ف (ذا) تجانسها. وعلى هذا فُرِيء: ﴿وَيَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] بالنصب. وزيادة (ذا) مع (الذي) أقرب، ألا ترى أن (الذي) يصعّر كما يصعّر (ذا)، فيقال: (الذّيّ)، كما يقال: (ذّيّ).

وقد غُورِضَ سيبويه في قوله: (الذي) بمنزلة (العمي)، فقليل: كيف هذا؟ وإنما يقال في تصغير (العمي): (العمي)، ويقال في تصغير (الذي): (الذّيّ)، ويقال (الذّيّان) و(العميَّان)، فيوجد هذا كله مختلفاً، فكيف يكون (الذي) بمنزلة (العمي)؟! وهذا لا يلزم منه شيء، وليس هذا موضع شرحه.

﴿قَرْضًا﴾ منصوب على أنه اسم للمصدر، كما يقال: أجاب إجابةً، ويجوز أن يكون مفعولاً به، كما تقول: أقرضته مالاً.

﴿حَسَنًا﴾ من نعت ﴿قَرْضٍ﴾، وقيل معنى: الحسن ها هنا: الحلال، وأن القرض أن ينفق، كما يقال أقرضته مالاً، وأن القرض أن ينفق محتسباً لله، فيضاعفه له^(٢).

(١) معاني القرآن للفراء، ١٣٢/٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٦/٤.

قال الفراء: جعله عطفاً على ﴿يُقْرِضُ﴾، كما تقول: من يجيء فيكرمني فيحسن إليّ. وقال أبو إسحاق: يجوز أن يكون مقطوعاً من الأول، مستأنفاً. ومن قرأ: ﴿فِيضَعِفَهُ﴾ بالنصب، جعله جواب الاستفهام، فينصبه بإضمار (أن) عند الخليل وسيبويه، والجرمي: ينصبه بالفاء^(١).

[١٨٧/ب]

﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ رفع / بالابتداء. ﴿كَرِيمٌ﴾ من نعمته، ﴿وَلَهُ﴾ خبر الابتداء.

ومعنى الآية - والله أعلم -:

«من ذا الذي ينفق في سبيل الله في الدنيا محتسباً في نفقته، مبتغياً ما عند الله، وذلك هو القرض الحسن.

وقوله: ﴿فِيضَعِفَهُ لَهُ﴾ أي: فيضاعف له ربه قرضه ذلك الذي أقرضه بإنفاقه في سبيله، فيجعله بالواحد سبعمئة.

وكان بعض النحويين يقول: هو كقول العرب: لي عندك قرض صدقٍ وقرض سؤءٍ، إذا فعل به خيراً. ومنه قول الشاعر:

وَإِذَا جُوزِيَتْ قَرْضًا فَاجْزِهِ
إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى غَيْرُ الْجَمَلِ^(٢)

﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ وله ثواب وجزاء كريم، يعني بذلك: الأجر الكريم [الجنة]^(٣).

قال أبو بكر: وليس قطع القارئ على قوله: ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ تاماً؛ لأن ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ منصوبٌ بما قبله، فمن النحويين من قال: ولهم أجر كريم في ذلك اليوم، ومنهم من قال: هو متعلقٌ بوعده. والوقف الكافي عند أبي حاتم: ﴿وَيَأْتِنَهُمْ﴾^(٤).

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٦/٤. وينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٢٣٣/٤.

(٢) البيت للبيد بن ربيعة كما جاء في ديوانه، ١٧٩، وفيه:

وَإِذَا أُقْرِضَتْ قَرْضًا فَاجْزِهِ
إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى غَيْرُ الْجَمَلِ

(٣) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) القطع والائتناف، ٧١٦.

وقوله - جلّ وعزّ -:

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرًا لَكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

قال أبو بكر: ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ظرف زمان، وفي العامل فيه تقديران: من النحويين من قال: التقدير: ولهم أجرٌ كريمٌ يومَ ترى المؤمنين، أي: في ذلك اليوم، ومنهم من قال: هو متعلقٌ بوعُدٍ. ﴿تَرَى﴾ فعل مستقبل في المعنى، في موضع جر بالإضافة، إذا قدرته تقدير الأسماء^(١).

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ مفعول ﴿تَرَى﴾.

﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ معطوف على ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَسْعَى نُورُهُمْ﴾ فعل مستقبل، في موضع الحال.

﴿نُورُهُمْ﴾ رفع بفعله.

﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ظرف.

﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ خفض بالباء.

﴿بُشْرًا لَكُمْ﴾ رفع بالابتداء.

﴿الْيَوْمَ﴾ ظرف.

﴿جَنَّتٌ﴾ خبر الابتداء.

﴿تَجْرِي﴾ فعل مستقبل، في موضع نعت ﴿جَنَّتٌ﴾.

﴿الْأَنْهَارُ﴾ رفع بـ ﴿تَجْرِي﴾.

﴿خَالِدِينَ﴾ نصب على الحال.

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢٣٦.

﴿فِيهَا﴾ الهاء والألف ضمير الجنة، في موضع خفض.

﴿ذَلِكَ﴾ ابتداء.

﴿هُوَ﴾ ابتداء ثان، فاصلة مؤكدة.

﴿الْقَوْمِ﴾ خبر الابتداء.

﴿الْعَظِيمِ﴾ من نعته.

قال الفراء: في قراءة عبد الله: ﴿ذَلِكَ الْقَوْمِ الْعَظِيمِ﴾ ليس فيها هو^(١).

وأجاز الفراء في ﴿جَنَّاتٍ﴾ النصب من جهتين: أحدهما: على القطع، ويكون ﴿الْيَوْمِ﴾ في موضع الخبر وإن كان ظرفاً، رفع ﴿الْيَوْمِ﴾ على أنه خبر ﴿بُشْرِكُمْ﴾، وأجاز أن يكون ﴿بُشْرِكُمْ﴾ في موضع نصب، بمعنى: يبشرهم ربهم، وأن ينصب ﴿جَنَّاتٍ﴾ بالبشرى^(٢).

قال أبو جعفر: ولا نعلم أحداً من النحويين ذكر هذا غيره، وهو متعسف؛ لأن ﴿جَنَّتْ﴾ إذا نصبته على القطع، وليست بمعنى الفعل بعد ذلك، وإذا نصبته بالبشرى فإن كان نصبها بـ ﴿بُشْرِكُمْ﴾ فهو خطأ بيّن؛ لأنها تكون داخلية في الصلة، فيفرق بين الصلة والموصول بـ ﴿الْيَوْمِ﴾، وليس هو في الصلة، وهذا لا يجوز عند أحدٍ من النحويين، وإن نصب ﴿جَنَّتْ﴾ بفعل محذوف، فهو شيء متعسف، ومع هذا فلم يقرأ به أحد^(٣).

ومعنى الآية:

وإن كان قد اختلف العلماء  في معناها: فقال بعضهم: معنى ذلك: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يضيء نورهم بين أيديهم وبأيمانهم^(٤).

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١٣٣/٣.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١٣٢/٣، إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٧/٤.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٧/٤.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٩٧/٢٢.

روى سعيد عن قتادة: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ الآية، ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول: ((مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى عَدَنِ [أَبَيَّنَ فَصْنَعَاءَ] ^(١) فَدُونَ ذَلِكَ، حَتَّى إِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُضِيءُ نُورَهُ إِلَّا مِنْ مَوْضِعِ قَدَمِهِ)) ^(٢).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: يُعْطَى الْمُؤْمِنُونَ نُورًا عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا كَالنَّخْلَةِ السَّحُوقِ ^(٣)، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْتَى نُورَهُمْ كَالرَّجْلِ الْقَائِمِ، وَأَدْنَاهُمْ نُورًا مِنْ يُعْطَى عَلَى إِهْمَامِهِ، يَضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفِئُ مَرَّةً ^(٤).

وقال الضحاك: في قوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ يعني: "بأيماهم كتبهم، / يقول [١٨٨/١] الله -جل ثناؤه-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَبِأَيْمَانِهِ﴾ [الحاقة: ١٩]، وأما نورهم فهداهم" ^(٥).

وقال أبو جعفر أحمد: وقيل: النور ها هنا الكتاب، وإنما يُعْطُونَ كِتَابَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ؛ ولهذا وقع الخضوع ^(٦).

«وكان أبو جعفر محمد بن جرير يختار قول الضحاك، وذلك أنه لو عني بذلك الضوء المعروف لم يخص عنه بالخبر: يسعى بين الأيدي والأيمان دون الشمائل؛ لأن ضياء المؤمنين الذي يُؤْتُونَهُ فِي الْآخِرَةِ يُضِيءُ لَهُمْ جَمِيعَ مَا حَوْلَهُمْ، وَفِي خُصُوصِ اللَّهِ -جل ثناؤه- بالخبر عن سعيه بين أيديهم وبأيماهم دون الشمائل ما يدل أنه معني به الضياء، وإن كانوا لا يُجْلُونَ مِنَ الضِّيَاءِ.

قال: فتأويل الكلام: إذا كان الأمر على ما وصفنا، وكلاً وعد الله الحسنى، يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى ثواب أيماهم وعملهم الصالح بين أيديهم، وفي أيماهم كتب أعمالهم تتطايروا.

(١) في الأصل: (فما بين صنعاء)، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٧٨/٢٣.

(٣) ونخلة سحوق: طويلة. ينظر: لسان العرب، مادة: (سحوق).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٩٨/٢٢، بلفظ (يؤتون) بدل (يعطى).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٣٩٨/٢٢.

(٦) إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٦/٤.

قال: ويعني بقوله: ﴿يَسْعَى﴾ يضىء. قال: و(الباء) في قوله بمعنى (في). قال: كان بعض نحويي البصرة يقول: (الباء) في قوله: ﴿وَيَأْتِمَنِيهِمْ﴾ بمعنى (عن). وقوله: ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ من صلة وعد. وقوله: ﴿بُشْرِكُمْ أَلْيَوْمَ جَنَّتْ﴾ أي: يقال لهم: بشراكم اليوم - أيها المؤمنون - التي تُبَشِّرُونَ بها: جناتٌ تجري من تحتها الأنهار، فأبشروا بها. وقوله: ﴿خَالِدِينَ﴾ أي: ماكتين في الجنات، لا ينتقلون عنها، ولا يتحوّلون. وقوله: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: خلودهم في الجنات التي وصفها هو النجاح العظيم، الذي كانوا يطلبونه بعد النجاة من عقاب الله - عزّ وجلّ - ودخول الجنة^(١).

وقطع القارئ الكافي عند أبي حاتم: ﴿وَيَأْتِمَنِيهِمْ﴾. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ قطع صالح. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ قطع كاف، إن نصبت ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ﴾ بإضمار فعل، وإن جعلته بدلاً من ﴿يَوْمَ﴾ الذي قبله، أو نصبته بـ ﴿الْفَوْزُ﴾ لم يقف على: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٩٨/٢٢-٣٩٩.

(٢) القطع والائتناف، ٧١٦.

وقوله -جلّ وعزّ ثناؤه-:

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾﴾

﴿يَوْمَ﴾ ظرف زمان، وفي العامل فيه: تقديران: أحدهما: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ﴾ أي: في ذلك اليوم، ويجوز أن يكون بدلاً من اليوم الذي قبله^(١).

﴿يَقُولُ﴾ فعل مستقبل.

﴿الْمُنْفِقُونَ﴾ رفع بفعلهم.

﴿وَالْمُنْفِقَاتُ﴾ عطف.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خفض باللام، و﴿ءَامَنُوا﴾ في صلة.

﴿انظُرُونَا﴾ اختلفت القراءة في قوله ذلك: فقرأت الجماعة: ﴿انظُرُونَا﴾ بوصل الألف، [إلا حمزة]^(٢) فإنه قرأ ﴿انظُرُونَا﴾ بقطع الألف^(٣) من (انظرونا)^(٤)، (انظرونا) بوصل الألف، كان من نظر ينظر [إذا انتظر]^(٥).

وأما قراءة حمزة: فأكثر النحويين يذهب إلى أنها لحن، لا يجوز أن يُقرأ بها؛ لأن معناها: أَخْرُونَا، كما قال: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، ولا معنى للتأخير في قوله: ﴿انظُرُونَا﴾.

وزعم أبو حاتم أن هذا خطأ، قال: وإنما يأتينا هذا من شقّ الكوفة.

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٦/٤.

(٢) في الأصل: (الاحيرة)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) السبعة في القراءات، ٦٢٥، معاني القراءات للأزهري، ٥٥/٣، المبسوط في القراءات العشر، ٤٢٩.

(٤) في الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٣١٥/١١: (وقرأ حمزة بقطع الألف، جعله من أنظره: إذا أخره).

(٥) هذه العبارة ساقطة من المتن، ومكتوبة في هامش الصفحة، وقد وضع الناسخ علامة لموضع اللحق، (خط صغير

منحني) وعلامة أخرى لانتهاؤ اللحق.

قاله أبو جعفر: سمعت علي بن سليمان يقول: إنما لحن حمزة في هذا؛ لأن الذي قدّر (أَنْظِرُونَا) بمعنى: أَخْرْنَا وأمهلْنَا، فلم يَجْز ذلك هاهنا.

قال: وهو عندي يحتمل غير هذا؛ لأنه يقال: أَنْظِرْنِي بمعنى: تَهَلِّ عَلَيَّ وترَفِّقْ، فالمعنى على هذا يصح.

وقال أبو جعفر أحمد بن محمد: لا ينبغي أن يقال: لا يجوز؛ لأنه / يحتمل أن يقال: [ب/١٨٨] انظري بمعنى: اصبر علي، كما قالوا في قوله:

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نُحِبُّكَ الْيَقِينَا^(١)
معناه: اصبر علينا.

فعلى هذا يصح معنى: (أَنْظِرُونَا)^(٢).

﴿نَقَتَيْسَ﴾ فعل مستقبل، مجزوم؛ لأنه جواب ﴿أَنْظِرُونَا﴾.

﴿مِنْ نُورِكُمْ﴾ خفض بـ ﴿مِنْ﴾.

﴿قِيلَ﴾ فعل ماض.

﴿أَرْجِعُوا﴾ فعل الأمر.

﴿وَرَاءَ كُمْ﴾ ظرف.

﴿فَأَلْتَمِسُوا﴾ معطوف على ﴿أَرْجِعُوا﴾.

﴿نُورًا﴾ مفعول ﴿الْتَمِسُوا﴾.

﴿فَضْرِبَ﴾ فعل ماض بما لم يُسمَّ فاعله.

﴿بَيْنَهُمْ﴾ ظرف.

(١) هذا البيت لعمر بن كلثوم كما جاء في ديوانه، ٧١.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٧/٤.

﴿سُورٍ﴾ خفض بالباء، في موضع اسم ما لم يُسَمَّ فاعله، والباء زائدة.

«وعلى قول محمد بن يزيد: هي متعلقة بالمصدر الذي دلَّ عليه الفعل، وضُمَّت الضاد في ﴿ضُرِبَ﴾ [الفرق]^(١)، فإن قيل: فَلِمَ لا كُسِرَتْ؟ فالجواب عند بعض النحويين: أنها ضُمَّت كما ضُمَّ أول الاسم للتصغير، وهذا جواب يحتاج إلى جوابين: أحدهما: لِمَ ضُمَّ أول الاسم للتصغير؟ ولِمَ ضُمَّ أول فعلٍ ما لم يُسَمَّ فاعله؟ فالجواب: أن [أول]^(٢) فعلٍ ما لم يُسَمَّ فاعله [ضُمَّ]^(٣)؛ لأنه لما وجب الفرق بينه وبين الفعل الذي سُمِّيَ فاعله لم يُجْزَ أن يُكسر إلا بعلَّةٍ أخرى؛ لأن فعل ما سُمِّيَ فاعله قد يأتي مكسراً في قول بعضهم، قال: أنت تعلم ونحن نستعين، ويأتي مفتوحاً، وهو الباب، فلم يَبْقَ إلا الضم، وليس هذا موضع جواب التصغير»^(٤).

﴿لَهُ بَابٌ﴾ ابتداء، و﴿لَهُ﴾ الخبر، في موضع النعت.

﴿بَاطِنُهُ﴾ رفع بالابتداء.

﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ رفع بالابتداء -أيضاً- وفيه خبر الابتداء الثاني، والثاني وخبره وخبر الابتداء الأول.

﴿وَوَظَاهِرُهُ﴾ معطوف على ﴿بَاطِنُهُ﴾.

﴿مِن قَبْلِهِ﴾ خفض بـ﴿مِن﴾.

﴿الْعَذَابُ﴾ رفع بالابتداء، على تقدير إعراب الذي قبله.

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ ينادون فعل مستقبل، والواو ضمير الفاعلين، والهاء والميم مفعول بهم.

﴿أَلَمْ نَكُنْ﴾ جزم بـ﴿لَمْ﴾، وعلامة الجزم: حذف الضمة من النون، وحذفت الواو؛ لالتقاء الساكنين. والألف التي مع ﴿لَمْ﴾ ألف تقدير.

(١) في الأصل: (الفرق)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) ساقط من الأصل، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٤) إعراب القرآن للنحاس، ٤/٢٣٨.

﴿مَعَكُمْ﴾ ظرف.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماضٍ، وضمير فاعلين.

﴿بِأَنَّ﴾ بمنزلة همزة بعد النفي.

﴿وَلَكِنَّكُمْ﴾ الكاف والميم نصب بـ ﴿لَكِنَّ﴾.

﴿فَتَنَّتُمْ﴾ فعل، وضمير فاعلين.

﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ مفعول ﴿فَتَنَّتُمْ﴾، و(أنفس): جمع لأقل العدد، استُغني به عن كثيره.

﴿وَتَرَىٰ صُفْرًا﴾ معطوف على ﴿فَتَنَّتُمْ﴾.

﴿وَعَرَّتْكُمْ﴾ معطوف، والكاف مفعول ﴿عَرَّتْ﴾.

﴿الْأَمَانِيُّ﴾ رفع بفعلها.

﴿حَتَّىٰ جَاءَ﴾ فعل ماضٍ.

﴿أَمْرًا لِلَّهِ﴾ رفع بفعله.

﴿وَعَرَّتْكُمْ﴾ فعل ماضٍ، والكاف والميم مفعول ﴿عَرَّتْ﴾.

﴿بِاللَّهِ﴾ خفض.

﴿الْعُرُورُ﴾ رفع بفعله.

ومعنى الآية -والله أعلم-:

«ذلك هو الفوز العظيم في يوم يقول المنافقون للذين آمنوا بالله ورسوله: انظروا أو تمهلوا

علينا، ﴿نَقْتَسِمُ مِنْ نُورِكُمْ﴾ أي: نستصبح من نوركم، والقَبَسُ: الشعلة.

وقوله: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ أي: فيجابون بأن يُقال لهم: ارجعوا من حيث

جئتم، فاطلبوا لأنفسكم هنالك نورًا، فإنه لا سبيل إلى الاقتباس من نورنا.

وما قلناه مأخوذ من قول العلماء: رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَسَسَ الْأَمْصِيرُ﴾: "بينما الناس في ظلمةٍ إذ يبعث الله -جلّ وعزّ ثناءؤه- نوراً، فلما رأى المؤمنون النور، توجّهوا نحوه، وكان النور لهم دليلاً من الله -جلّ وعزّ- إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا، اتبعوهم، فأظلم الله -جلّ وعزّ- على المنافقين، فقالوا حينئذ: انظرونا نقتبس من نوركم، فإننا كنا معكم في الدنيا، قال المؤمنون: ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة، فالتمسوا هنالك النور"^(١).

وقوله: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا﴾ أي: فضرب الله -جلّ وعزّ- بين المؤمنين والمنافقين بسُورٍ، وهو حاجزٌ بين أهل الجنة وأهل النار.

قال مجاهد: "بسور كالحجاب في الأعراف"^(٢).

وقال قتادة: "هو حائطٌ بين الجنة والنار"^(٣).

وقال ابن زيد: "هذا السور هو الذي قال الله -جلّ ثناءؤه-: ﴿وَيَبْنِيهِمَا حِجَابًا﴾"^(٤).

قال أبو بكر: وقيل أن ذلك السور بيت المقدس عند وادي جهنم"^(٥).

وقال حماد: أخبرنا أبو سنان قال: كنت مع علي بن عبد الله بن عباس عند وادي جهنم، فحدّث / عن أبيه رضي الله عنه، أنه قال: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا﴾ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿ قال: "هذا موضع السُور عند وادي جهنم"^(٦).

وروي عن أبي العوام^(٧) مؤذن بيت المقدس قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: "إن السُور الذي ذكره الله -جلّ وعزّ- في القرآن: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا﴾ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٤٠١/٢٢.

(٢) تفسير مجاهد، ٦٤٨، مطولاً.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٤٠٢/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٤٠٢/٢٢.

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٤٠٠/٢٢-٤٠٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٤٠٢/٢٢.

(٧) لم أقف على ترجمته.

الرَّحْمَةُ وَظَهْرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿ هو السُّورُ [الشرقي] ^(١): باطنه الشجرة، وما يليه وظاهره وادي جهنم ^(٢) .

وكان كعب يقول: في الباب الذي سُمِّي باب الرحمة الذي في بيت المقدس: "إنه الباب الذي قال الله: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَهْرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ الذي سُمِّي باب الرحمة" ^(٣) .

«وقوله: ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ أي يقول: لذلك السور باب. ﴿بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ يعني: الجنة. ﴿وَظَهْرُهُ مِنْ قِبَلِهِ﴾ أي: من قبل ذلك الظاهر، أي: النار.

قال قتادة: ﴿وَظَهْرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ قال: "النار" ^(٤) .

وقال ابن زيد: ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ قال: "الجنة وما فيها" ^(٥) .

﴿يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: فينادي المنافقون المؤمنين، حين حُجِرَ بينهم بالسُّور، فَبَقُوا فِي الظُّلْمَةِ والعذاب، وصار المؤمنون في الجنة: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا، نصلي ونصوم، ونناحكهم ونوارثكم؟

﴿قَالُوا بَلَى﴾ أي: قال المؤمنون لهم: كنتم كذلك. ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ فنافقتهم، و﴿فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ ها هنا النفاق ^(٦) .

قال مجاهد: في قوله: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ "النفاق مع المؤمنين أحياء: يناكحونهم ويعشونهم، ويعاشرونهم، وكانوا معهم أمواتاً، ويُعْطَوْنَ النورَ جميعاً يوم القيامة فيُطْفَأُ النورُ من

(١) في الأصل: (الرقبي)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٤٠٢/٢٢ .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٤٠٣/٢٢ .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٤٠٤/٢٢ .

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٤٠٤/٢٢ .

(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٤٠٣/٢٢_٤٠٤ .

المنافقين إذا بلغوا السور، ويُمازُ بينهم حينئذ" (١).

«وقوله: ﴿وَتَرَىٰ صَفْوَكَ﴾ يقول: وتلبستم بالإيمان والإقرار بالله ورسوله.

قال ابن زيد في قوله: ﴿وَتَرَىٰ صَفْوَكَ﴾: بالإيمان [برسول] (٢) الله ﷻ وقرأ: ﴿فَتَرَىٰ صَفْوَكَ إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَىٰ صَفْوَكَ﴾ [التوبة: ٥٢] (٣).

وقال قتادة: ﴿وَتَرَىٰ صَفْوَكَ﴾ يقول: "تربصوا بالحق" (٤) وأهله" (٥).

وقوله: ﴿وَأَرْبَبْتُمْ﴾ يقول: وشككتكم في توحيد الله - جلَّ وعزَّ - وفي نبوة محمد ﷺ. [وقرأ: ﴿تربصوا﴾] (٦).

وقال قتادة: ﴿وَأَرْبَبْتُمْ﴾ "ارتابوا، كانوا في شك من الله" (٧).

﴿وَعَزَّزْتُكُمُ الْأَمَانِي﴾ أي: وخذعتكم أمانى أنفسكم، [فصدتكم] (٨) عن سبيل الله، وأضلتكم حتى جاء قضاء الله - جلَّ وعزَّ - بمناياكم، فاجتاحكم (٩).

روى سعيد عن قتادة: ﴿وَعَزَّزْتُكُمُ الْأَمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ "كانوا على خُدعةٍ من الشيطان، والله مازالوا عليها، حتى قذفهم الله - جلَّ وعزَّ - في النار" (١٠).

(١) تفسير مجاهد، ٦٤٨، باختلافٍ يسيرٍ في لفظه.

(٢) في الأصل: (ورسول)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٤٠٥/٢٢.

(٤) في الأصل: (تربصوا الحق)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٤٠٥/٢٢.

(٦) هكذا في الأصل، ولعلها زيادة وتكرار سهواً من الناسخ.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٤٠٥/٢٢.

(٨) في الأصل: (وصدعتكم)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٩) جامع البيان في تأويل القرآن، ٤٠٥/٢٢.

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٤٠٦/٢٢.

وقوله: ﴿وَعَزَّكَ بِاللهِ الْغُرُورُ﴾ أي: وخذعكم بالله الشيطان، فأطمعكم في النجاة من عقوبته، والسلامة من عذابه^(١).

قال مجاهد وقتادة وابن زيد: ﴿الْغُرُورُ﴾ "الشيطان"^(٢).

وقال أحمد بن محمد: ﴿وَلِكِنَّكُمْ فَتَنَةً أَنْفُسِكُمْ﴾ استعملتموها في الفتنة، وتربصتم بالنبي ﷺ وبالمؤمنين الدوائر^(٣).

قال: وقيل: ﴿وَتَرَى صَفْرًا﴾ بالتوبة. ﴿وَأَرْبَبْتُمْ﴾ أي: غلبكم الشك. ﴿وَعَزَّكَ الْأَمَانِيُّ﴾ أي: أمنيتهم أن ينزل بالنبي ﷺ الدوائر. ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللهِ﴾ أي: نصره بإظهار دينه وعَلَبَةَ نبيّه ﷺ. ﴿وَعَزَّكَ بِاللهِ الْغُرُورُ﴾ أي: الشيطان^(٤).

قال: [(فَعُول)]^(٥) من أبنية التكثير، وهو يتعدى عند البصريين، يقول: هو غرور أبدأ، وغفور الذنب. وأنشد سيبويه في تعديه إلى مفعول^(٦):

ثُمَّ زَادُوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ عَفَّرَ ذَنبَهُمْ غَيْرُ [فُحْرٍ]^{(٧)(٨)}

«وقطع القارئ على قوله: ﴿أَنْظُرُونََا نَفْتَبَسَ مِنْ نُورِكُمْ﴾ قطع كاف. ﴿فَأَلْتَمِسُوا نُورًا﴾ قطع حسن. ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾ تمام على ما روي عن نافع.

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٤٠٦/٢٢.

(٢) تفسير مجاهد، ٦٤٨، وأخرجه الطبري في جامع البيان، ٤٠٦/٢٢، عن الثلاثة بأسانيد منفصلة.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٢٤/٥.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٢٥/٥، الجامع لأحكام القرآن، ٢٥٠/٢٠.

(٥) في الأصل: (ويقول)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٦) إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٨/٤.

(٧) في الأصل: (كفر)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٨) البيت لطرفة بن عبد كما جاء في ديوانه، ٤٣.

وقوله: عَفَّرَ: جمع غفور. وفُحْرٌ: جمع فخور، من الفخر. والتقدير: ثم زادوا غفرائهم ذنوب قومهم. ينظر: شرح الشواهد

الشعرية في أمات الكتب النحوية، ٤١١/١.

ورَدَّ ذلك أحمد بن موسى قال: لأنك إذا قلت: عندنا رجلٌ يعبد الله ويطيعه، لم يحسن أن يقول: عندنا رجل، وتسكت. والوقف عنده: ﴿وَأَظْهَرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَدَابُ﴾. قال: وهو رأس الآية. ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ تمام، على ما رُوي عن نافع. والكافي عند أبي حاتم: ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾. وعند غيره ﴿وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾^(١).

(١) القطع والائتناف، ٧١٧.



[ب/١٨٩]

وقوله -جلّ وعزّ ثناؤه-: /

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

﴿فَالْيَوْمَ﴾ ظرف.

﴿لَا يُؤْخَذُ﴾ فعل مستقبل لما لم يُسَمَّ فاعله.

﴿مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ رفع اسم ما لم يُسَمَّ فاعله.

وقرأت الجماعة: ﴿يُؤْخَذُ﴾ بالياء إلا ابن عامر، بخلافٍ عنه، ويزيد بن القعقاع، فأما الخلاف الذي عن ابن عامر: فروى عبد الحميد بن بكار^(١) وهشام عنه: بالياء، بإسنادهما عنه ﴿تُؤْخَذُ﴾ بالتاء، على تأنيث الفدية، وروى ابن ذكران بإسناده عنه: بالياء، على تذكير الفدية، وإنما جاز تذكيرها؛ لأنها والفداء واحد^(٢).

﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ معطوف على الكاف والميم، بإعادة ﴿مِنْ﴾ لئلا يعطف على المضمرة المحفوظ.

﴿مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ﴾ ابتداء وخبر.

﴿هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ابتداء -أيضاً- وخبر.

﴿وَبِئْسَ﴾ فعل ماض.

﴿الْمَصِيرُ﴾ رفع بـ ﴿وَبِئْسَ﴾.

(١) عبد الحميد بن بكار، أبو عبد الله السلمى الدمشقي ثم البيروتي، قرأ بحرف ابن عامر على أيوب بن تميم القاري، وروى عن سعيد بن عبد العزيز ومحمد بن مهاجر وسعيد بن بشر وغيرهم، روى عنه محمد بن هارون بن محمد بن بكار بن بلال وابو زرعة الرازي والعباس بن الوليد بن مزيد، ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات)، توفي ما بين مائتين وإحدى وعشرين ومائتين وثلاثين. ينظر: تاريخ دمشق، ٤٧/٣٤، تهذيب الكمال، ٤٠٨/١٦.

(٢) السبعة في القراءات، ٦٢٥، المبسوط في القراءات العشر، ٤٢٩، معجم القراءات، ٣٢٨/٩.

ومعنى الآية - والله أعلم -:

أنها إخبار من الله -جلَّ وعزَّ- عن قول المؤمنين لأهل النفاق بعد أن مُيِّزَ بينهم يوم القيامة: فالיום -أيها المنافقون- لا يُؤخذ منكم فدية، أي: عَوْضٌ وَبَدَلٌ، أي: لا يُؤخذ ذلك منكم بدلاً من عقابكم وعذابكم، فيخَلِّصَكُم من عذاب الله. ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ولا يُؤخذ الفدية -أيضاً- من الذين كفروا^(١).

روى سعيد عن قتادة: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ "يعني: المنافقين، ولا من الذين كفروا"^(٢).

وقال ابن زيد: "فالיום لا يُؤخذ منكم ولا من الذين كفروا معكم"^(٣).

وقوله: ﴿مَأْوَاكُمْ النَّارُ﴾ يقول: مثواكم ومسكنكم الذي تسكنونه يوم القيامة: النار. ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: النار أولى بكم^(٤). هذا قول أبي عبيدة والفراء^(٥). وأنشد أبو عبيدة:

..... تَحْسِبُ أَنَّهُ مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا^(٦)

وفي قراءة أبي بن كعب: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا جَزِيَّةً﴾.

﴿وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ أي: وبئس مصير مَنْ صار إلى النار^(٧).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٤٠٧/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره، ٤٠٧/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره، ٤٠٧/٢٢.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ٤٠٨/٢٢.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٢٥٤/٢، معاني القرآن للفراء، ١٣٤/٣.

(٦) البيت للبيد بن ربيعة كما جاء في ديوانه، ١١٢.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ٤٠٨/٢٢.

وقوله -جلّ وعزّ ثناؤه-:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

هذه ألف التقرير دخلت على ﴿مَ﴾.

﴿يَأْنِ﴾ جزم بـ ﴿مَ﴾ وعلامة الجزم حذف الياء. وفيه لغات: يقال: أني يأني وإن يعين. وقرأ الحسن: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾^(١) ويقال: حان يحين، ونال ينال وأنال ينيل، بمعنى واحد^(٢).

﴿أَنْ تَخْشَعَ﴾ في موضع رفع بيان، و﴿أَنْ تَخْشَعَ﴾ نصب بـ ﴿أَنْ﴾.

﴿قُلُوبُهُمْ﴾ رفع بـ ﴿تَخْشَعَ﴾.

﴿لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ خفض باللام.

﴿وَمَا﴾ خفض، عطف على ﴿ذِكْرِ اللَّهِ﴾، التقدير لذكر الله ولما نزل من الحق.

واختلفت القراءة في ﴿نَزَلَ﴾ و﴿نَزَلْ﴾: فقرأ نافع وعاصم في رواية حفص: ﴿نَزَلَ﴾ بالتخفيف. وقرأ الباقون: ﴿نَزَلْ﴾ بالتشديد^(٣).

ويروى عن عبد الله بن مسعود، أنه قرأ: ﴿وَمَا أَنْزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(٤). «وأبو عبيد: يختار التشديد؛ لأن قبله ذكر الله.

قال أبو جعفر: والمعنى واحد؛ لأن الحق لا ينزل حتى يُنزلَه الله -جلّ وعزّ- وليس يقع في هذا اختيار، ولو جاز أن يقال في هذا اختيار، لقليل الاختيار: نزل؛ لأن قبله لذكر الله، ولم يقل: لتذكير الله.

(١) قراءة شاذة، معجم القراءات، ٢٣٩/٩

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٩/٤، البحر المحيط في التفسير، ١٠/١٠٨.

(٣) ينظر: السبعة في القراءات، ٦٢٦، حجة القراءات، ٦٩٧.

(٤) قراءة شاذة، معجم القراءات، ٢٣٩/٩

وقوله: ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ ويجوز أن يكون في موضع نصب عطف على ﴿تَخَشَع﴾ أي: أن تخشع قلوبهم وأن لا يكونوا، ويجوز أن يكون في موضع جزم، والأول أولى؛ لأنها واو عطف، ولا يقطع بعدها مما قبلها إلا بدليل^(١). والواو من ﴿يَكُونُوا﴾ ضمير اسمها.

[١/١٩٠]

﴿كَالَّذِينَ﴾ الكاف في موضع / نصب بخبر كان.

﴿الَّذِينَ﴾ في موضع خفض بالكاف.

﴿أُنُوتُوا﴾ فعل ماض، والواو ضمير ما لم يُسَمَّ فاعله.

﴿الْكُتِبَ﴾ مفعول ما لم يُسَمَّ فاعله.

﴿مَنْ قَبْلُ﴾ غاية معرفة.

﴿فَطَالَ﴾ فعل ماض.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ الهاء والميم خفض بـ ﴿عَلَى﴾.

﴿الْأَمْدُ﴾ رفع بفعله.

﴿فَقَسَّتْ﴾ فعل ماض، والتاء حرف لمعنى.

﴿قُلُوبُهُمْ﴾ رفع بفعالها.

﴿وَكَثِيرٌ﴾ ابتداء.

﴿مِنْهُمْ﴾ متصل بالابتداء.

﴿فَسَيُؤْنُونَ﴾ خبر الابتداء.

ومعنى الآية:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ألم يحن للذين صدقوا الله ورسوله أن تلين قلوبهم لذكر الله؟!

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٩/٤.

فتخشع له ولما نزل الله من الحق، وهو هذا القرآن الذي نزل الله - جلَّ وعزَّ - على رسوله^(١).

وقال ابن عباس^(٢) رضي الله عنه: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ» الآية: ذُكِرَ لنا أن شداد بن أوس رضي الله عنه^(٣) كان يروي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ أَوَّلَ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْحُشُوعُ))^(٤).

وقوله: «وَلَا يَكُونُوا» أي: ألم يأن للذين آمنوا، يعني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل: هذا لطائفة من المؤمنين، حُثُوا على الرِّقَّة. «وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» يعني: بني إسرائيل، ويعني: بالكتاب الذي أُوتوه من قبلهم: التوراة والإنجيل^(٥).

روى أبو معشر عن إبراهيم قال: جاء عتريس بن عرقوب^(٦) إلى ابن مسعود رضي الله عنه، فقال: "يا عبد الله، هلك من لم يعرف قلبه معروفاً، ولم ينكر قلبه منكراً، إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم، اخترعوا كتاباً من بين أيديهم وأرجلهم، فاستهوت قلوبهم، واستحلته ألسنتهم، فقالوا: نعرض على بني إسرائيل هذا الكتاب، فمن آمن به تركناه، ومن كفر به قتلناه، قال: فجعل رجل منهم كتاب الله في قرن^(٧)، ثم جعل القرن بين نئدوتيه^(٨)،

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٤٠٨/٢٢.

(٢) في جامع البيان في تأويل القرآن، ٤٠٩/٢٢: عن قتادة وليس ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر، وهو ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا يعلى، وقيل: أبو عبد الرحمن، نزل ببيت المقدس من الشام. قال عبادة بن الصامت: كان شداد ممن أُوتي العلم والحلم. روى عنه أهل الشام. توفي سنة إحدى وأربعين، وقيل: سنة ثمان وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين سنة. ينظر: أسد الغابة، ٦١٣/٢، الإصابة في تمييز الصحابة، ٢٥٨/٣.

(٤) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، ٢٥٩/٧، ذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٥٠٣/١.

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٤٠٩/٢٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٢٥/٥.

(٦) عتريس بن عرقوب الشيباني الكوفي، له إدراك، ولا تصح له صحبة، سمع ابن مسعود رضي الله عنه، ذكره البخاري ولم يذكر فيه جرماً، وذكره ابن حبان في (ثقات التابعين)، وقال: روى عنه أهل الكوفة. ينظر: الإيثار بمعرفة رواة الآثار، ١٣١، المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، ٣٦٤/١.

(٧) القرن: الجعبة. لسان العرب، مادة: (قرن).

(٨) الشدوتان للرجل كالثديين للمرأة. لسان العرب، مادة: (شد).

فقيل له: تؤمن بهذا؟ فقال: آمنت به ويومئ إلى القرن بين تَنَدُّوتَيْهِ، وما لي لا أؤمن بهذا الكتاب؟! فمن [خير مللهم] ^(١) اليوم ملّة صاحب القرن ^(٢).

وقال: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ ما بينهم وبين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وذلك الأمد: الزمان ^(٣).

قال مجاهد: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ قال: "الدهر" ^(٤).

﴿فَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ عن الخيرات واشتدت على السكون إلى معاصي الله -جلّ وعزّ- فلم تلبّن، ولم تقبل الوعظ.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي: وكثير من هؤلاء الذين أوتوا الكتاب من قَبْلِ أمة محمد ﷺ فاسقون. فقال: كثير ولم يعمّوا بالفسق؛ لأن منهم من قد آمن، ومنهم من لم تبلغه الدعوة وهو مقيم على ما جاءه به نبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٥).

قال أبو بكر: **وقطع القارئ على قوله -جلّ وعزّ-: ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾** قطع كاف، إن جعلت ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ نهيًا، وإن جعلته معطوفًا على ما قبله، وهو البين كان الكلام متصلًا. والتمام: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ^(٦).

(١) في الأصل: (خبر ما لهم)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره، ٤١٠/٢٢.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٤١٠/٢٢.

(٤) تفسير مجاهد، ٦٤٨.

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٤١١/٢٢، إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٩/٤.

(٦) القطع والائتناف، ٧١٧.

وقوله -جلّ ثناؤه-:

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

﴿اعْلَمُوا﴾ فعل الأمر.

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ أن في موضع نصب بـ ﴿اعْلَمُوا﴾، ولفظ اسم الله نصب بـ ﴿أَنَّ﴾.

﴿يُحْيِي﴾ فعل مستقبل، في موضع خبر أن.

﴿الْأَرْضَ﴾ نصب مفعول ﴿يُحْيِي﴾.

﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ خفض بإضافة ﴿بَعْدَ﴾ إليه.

﴿قَدْ بَيَّنَّا﴾ فعل ماض، وضمير اسم الله جلّ وعزّ.

﴿الْآيَاتِ﴾ مفعول ﴿بَيَّنَّا﴾.

﴿لَكُمُ﴾ الكاف والميم: اسم لعلّ.

﴿تَعْقِلُونَ﴾ فعل مستقبل، وضمير فاعلين، في موضع خبر لعلّ.

ومعنى الآية -والله أعلم-:

أن الله -جل ثناؤه- دلّم على وحدانيته، وتبّهم على قدرته، فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فالمعنى: اعلّموا -أيها الناس- أن الله -جلّ وعزّ- يحيي الأرض الميتة التي لا تنبت شيئاً. ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: بعد دُثورها ودُروسها، أي: كما يحيي هذه الأرض الميتة بعد، كذلك يهدي الإنسان الضال عن الحق إلى الحق، فيوقّفه ويسدّده للإيمان، حتى يصير مؤمناً من بعد كفره، ومهتدياً بعد ضلالته. ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ﴾ الأدلة والحجج؛ لعلكم تعقلون. وقال بعضهم: المعنى: لتعقلوا^(١).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٤١١/٢٢.

قال أبو بكر: ولو كان كما قال، لكان ﴿تَعَقَّلُونَ﴾ [بغير نون]^(١)؛ لأنه في موضع نصب.
وقول سيبويه: ليكونوا على رجاء من الفعل^(٢).

وقطع القارئ على ﴿تَعَقَّلُونَ﴾ تمام^(٣).

(١) في الأصل: (تعتزلون)، والمثبت موافق لما في المصدر، ومناسب للسياق.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٣٩/٤. وفيه: (...وغيره يقول: (لعلّ) بمعنى (كي) ولو كان كذلك لكان (تعقلوا) بغير نون).

(٣) القطع والائتناف، ٧١٧.

وقوله -جلّ وعزّ-:

[١٩٠/ب]

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ / قَرْضًا حَسَنًا يُضَعْفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾

﴿الْمُصَّدِّقِينَ﴾ في موضع نصب بـ ﴿إِنَّ﴾.

﴿وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾ معطوف.

﴿وَأَقْرَضُوا﴾ معطوف على المعنى.

﴿قَرْضًا﴾ المصدر. ﴿حَسَنًا﴾ من نعته.

﴿يُضَعْفُ﴾ فعل مستقبل، في موضع خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ابتداء.

﴿كَرِيمٌ﴾ من نعته.

﴿وَلَهُمْ﴾ في موضع الخبر، والجملة معطوفة على ﴿يُضَعْفُ لَهُمْ﴾؛ لأنها زيادة في الخبر.

اختلفت القراءة في التشديد والتخفيف من ﴿الْمُصَدِّقِينَ﴾: فقرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر: بتخفيف الصاد في الحرفين، وقرأت الجماعة: بتشديدهما، والأصل في قراءة الجماعة: (إن المتصدقين) ثم أدغمت التاء في الصاد، وعلى قراءة ابن كثير: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ﴾ أي: المؤمنين، اسم الفاعل من صدّق، إذا آمن، وقرأ أبي: ﴿إِنَّ الْمُتَّصِدِّقِينَ﴾^(١).

ومعنى الآية -والله أعلم-:

على قراءة من شدّد: إن المتصدقين من أموالهم والمتصدقات وأقرضوا الله قرضًا حسنًا بالنفقة في سبيله، وفيما أمره بالنفقة فيه، أو فيما ندبه إليه، ﴿يُضَعْفُ لَهُمْ﴾ أي: يضاعف لهم الله -جلّ وعزّ- قروضهم، فيوفيهم ثوابها يوم القيامة. ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: ولهم ثواب من الله

(١) ينظر: السبعة في القراءات، ٦٢٦، معاني القراءات، ٥٦/٣، المبسوط في القراءات، ٤٣٠.



-جلّ ثناءؤه- على صدقتهم. ﴿كَرِيمٌ﴾ وذلك الجنة. ومن قرأ بالتخفيف، فتقدير قراءته: إن المؤمنين. والقراءة الأولى أشبه؛ لأن بعده وأقرضوا الله قرضًا حسنًا^(١).

وقطع القارئ على ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ تمام^(٢).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/٤١١١-٤١٢.

(٢) القطع والائتناف، ٧١٧.



وقوله - جلّ وعزّ -:

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ۗ وَالشُّهَدَاءُ ۗ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۗ﴾

﴿وَالَّذِينَ﴾ رفع بالابتداء.

﴿ءَامَنُوا﴾ في صلة ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿وَاللَّهِ﴾ خفض بالباء، متصل بالصلة.

﴿وَرُسُلِهِ﴾ معطوف على اسم الله - جلّ ثناؤه -.

﴿أُولَٰئِكَ﴾ ابتداء ثان.

﴿هُمُ الصَّٰدِقُونَ﴾ خبر ثان، والثاني وخبره: خبر عن الأول.

وإلى هاهنا تناهى الخبر على قول قوم من أهل العلم: وقد يجوز أن يكون ﴿أُولَٰئِكَ﴾ بدلاً من ﴿الَّذِينَ﴾، ولا يكون نعتاً؛ لأن المبهم لا يكون نعتاً لما فيه الألف واللام. لا يجوز: مررت بالرجل هذا، على النعت عند أحد علمته، ولو قلت: مررت بزيد هذا، على النعت، جاز^(١).

﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ ابتداء.

وفي الخبر تقديران: أحدهما: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، والآخر: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾.

وقد يجوز أن يكون ﴿الشُّهَدَاءُ﴾ معطوفين على (الصديقين)، وبكلّ قد قالت العلماء، واحتجّ لكل قول من هذه الأقوال بحجّة، نذكرها - إن شاء الله^(٢).

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ رفع بالابتداء. و﴿لَهُمْ﴾ في موضع الخبر.

﴿وَنُورُهُمْ﴾ معطوف على قوله ﴿أَجْرُهُمْ﴾.

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٤٠/٤.

(٢) ينظر: الصفحات (٥٣٢-٥٣٥) من هذه الرسالة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ابتداء.

﴿وَكَذَّبُوا﴾ معطوف على ﴿كَفَرُوا﴾.

﴿يَا أَيَّتَا﴾ خفض بالباء.

﴿أُولَئِكَ﴾ ابتداء ان.

﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ خبر الابتداء، والثاني وخبره، خبر عن الأول. وهذه جملة معطوف بعضها على بعض.

ومعنى الآية - والله أعلم -:

«والذين أقرؤوا بوحداية الله وإرساله رسله، فصَدَّقوا الرسل، وآمنوا بما جاؤوهم به من عند ربهم، أولئك هم الصَّديقون والشهداء عند ربهم.

واختلف أهل العلم في المعنى، على نحو اختلاف النحويين في الإعراب: فقال بعضهم: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ منفصل من الذي قبله، والخبر عن الذين آمنوا بالله ورسله منتهاه عند قوله: ﴿الصَّادِقُونَ﴾، ثم ابتداء الخبر عن ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ فقال: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾.

فمن زوي ذلك عنه ابن عباس رضي الله عنه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ قال: "هذه مفصلة"، ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ قال: "هي للشهداء خاصة"^(١).

وقال الضحاك: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ "هذه مفصلة، سمَّاهم الله -جلَّ وعزَّ- صديقين بأنهم آمنوا بالله وصدقوا رسله، ثم قال: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ هذه / مفصلة"^(٢).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره، ٤١٣/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره، ٤١٣/٢٢.

وقال آخرون: بل قوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ من صفة ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ وقالوا: إنما تناهى الخبر عن الذين آمنوا عند قوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ثم ابتداء الخبر عن ما لهم، فقال: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَوُورُهُمْ﴾^(١).

وروى زيد بن أسلم عن البراء بن عازب^(٢) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مُؤْمِنُو أُمَّتِي شُهَدَاءُ))، قال: ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٣).

وقال مجاهد: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَوُورُهُمْ﴾ قيل: "كل مؤمن شهيد"^(٤).

وروى عنه ابن أبي نجيح: قال مجاهد: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال: "بالإيمان على أنفسهم"^(٥).

وقال هُزَيْل^(٦): ذكروا الشهداء، فقال عبد الله: الرجل يقاتل لِيُذَكَّرَ، ويقال: لِيُرَى مَكَانُهُ، والرجل يقاتل للدين، والرجل يقاتل يريد وجه الله -جلَّ ثناؤه-، والرجل يموت على فراشه وهو شهيد. وقرأ عبد الله هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٧).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٤١٣/٢٢-٤١٤.

(٢) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، يُكنى أبا عمرو، وقيل: أبا عمار، وهو أصح، مات في إمارة مصعب بن الزبير سنة اثنتين وسبعين. ينظر: أسد الغابة، ٣٦٢/١، الإصابة في تمييز الصحابة، ٤١١/١.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٤١٤/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٤١٤/٢٢.

(٥) تفسير مجاهد، ٦٤٩.

(٦) هُزَيْلُ بن شَرْحِبِيلِ الأودي الكوفي الأعمى، أخو الأرقم بن شرحبيل. ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات). روى له الجماعة سوى مسلم. قال محمد بن سعد في الطبقة الأولى من أهل الكوفة: الهزيلي بن شرحبيل الأودي، من مذبح، وكان ثقة. تهذيب الكمال، ١٧٣/٣٠، إكمال تهذيب الكمال، ١٣٥/١٢.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٤١٤/٢٢. وعبد الله: هو ابن عمر رضي الله عنه، ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ٧٣٢٥/١١.

وقال آخرون: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في هذا الموضع: النبيون يشهدون على أممهم، من قول الله -جلَّ وعزَّ-: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]^(١).

واختلَف في المختار من هذه الأقوال:

فقال محمد بن جرير: الذي هو أولى هذه الأقوال بالصواب، قول من قال: الخبر والكلام متناهٍ عند قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ وأن قوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ خبر ابتداء عن ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾، قال: وإنما قلت: أن ذلك أولى الأقاويل؛ لأن ذلك هو الأغلب من معانيه في الظاهر، وأن الإيمان غيرٌ مُوجِبٍ -في المتعارف- للمؤمنين اسمَ شهيدٍ، إلا بمعنى غيره، إلا أن يراد به أنه شهيدٌ على ما آمن به وصدَّقه، فيكون ذلك وجهًا، وإن كان فيه بعضُ البُعد؛ لأن ذلك ليس بالمعروف من معانيه، إذا أُطلق بغير وصل، وتأويل قولهم: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ إذا: والشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله أو أهلكوا في سبيله، عند ربهم، لهم ثواب الله إياهم في الآخرة، ونورهم^(٢).

وقال أبو جعفر أحمد بن محمد: بعد ذكر جواب الآية: ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ معطوفون على (الصديقين) يدل على صحة ذلك، واحتج بحديث زيد بن أسلم عن البراء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله^(٣)، قال: فهذا القول أولى، من جهة الحديث والعربية؛ لأن الواو واو عطف، فسبيل ما بعدها: أن يكون داخلًا فيما قبلها، إلا أن يمنع مانعٌ من ذلك، أو يكون حجة قاطعة^(٤).

قال أبو بكر: وإذا كان ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ معطوفين على (الصديقين) فخير الابتداء ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾^(٥).

قال أبو إسحاق: وصديق على التكثر، أي: كثير الصدق^(٦).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٤١٥/٢٢.

(٢) المرجع السابق، ٤١٥/٢٢-٤١٦.

(٣) سبق إيراد الحديث في الصفحة (٥٣٣) من هذه الرسالة.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٤٠/٤.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ٢٤٠/٤.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٢٦/٥.

وقال غيره: فعيل لا يكون إلا من الثلاثي، مثل: سَكَّيتَ من سَكَّتَ، وصَدِّيقٌ للكثير الصدق. ومن هذا قيل لأبي بكر رضي الله عنه الصديق، حتى كان يُعرف بذلك في وقت النبي صلى الله عليه وسلم. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الله سمَّى أبا بكر صديقاً^(١).

وقال أبو جعفر أحمد بن محمد: في قوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ في معناه ثلاثة أقوال^(٢).

روى سفيان عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق: في قوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ قال: "هي للشهداء خاصة"^(٣).

وقال الفراء: الشهداء ها هنا: النبيون^(٤).

وقال مجاهد: الشهداء والصديقون: المؤمنون^(٥).

قال: «وهذه الأقوال صحيحة في اللغة؛ لأن الشهيد إنما قيل له شهيد، لأحد أمرين: أحدهما: أن يكون سُمِّيَ شهيداً؛ لأنه يُشهد له بالجنة، والقول الآخر: أن يكون سُمِّيَ شهيداً؛ لأنه يشهد عند الله -عزَّ وجلَّ-، فهذان أن يكونان للنبيين والمؤمنين. قال الله -جل ثناؤه-: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].»

وقال مجاهد: إنما سُمِّيَ المؤمن شهيداً لأنه يشهد عند الله على نفسه بالإيمان^(٦).

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ أي: والذين كفروا بالله وكذبوا بأدلتهم وبمجاجهه، أولئك أصحاب الجحيم^(٧).

(١) إعراب القرآن للنحاس، ٢٤٠/٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ٢٤٠/٤.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، ٤١٣/٢٢.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١٣٥/٣.

(٥) ينظر: تفسير مجاهد، ٦٤٩.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ٦٤٩.

(٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٤١٥/٢٢-٤١٦.

[١٩١/ب]

قال أبو بكر: «واختلف / في وقف القارئ من هذه الآية على قدر اختلافهم في معناها وإعرابها: فقال أبو حاتم: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ﴾ تمام. وتابع في هذا القول إسناده: الأخصش، وهو قول يعقوب، وكذا قال الفراء، وتكلم على أن ما بعده مقطوع مما قبله، قال: والشهداء: الأنبياء - صلوات الله عليهم - وهو قول عاصم. وقال به جماعة من أهل التأويل. وقال مجاهد: وهو متصل، وكل مؤمن شهيد. والكلام عنده: متصل: أي: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يقف هاهنا على هذا القول، ويكون التمام: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَتُورَهُمْ﴾. واختار محمد بن جرير: القول الأول. وقد ذكرنا اختياره^(١). واحتج من خالفه بالأحاديث المسندة.

روى زهرة بن سعيد^(٢) عن أبيه^(٣): أنه كان يوماً عند أبي هريرة رضي الله عنه فقال: كلُّكم صديق أو شهيد، أو قال: وشهيد. قال: انظر ماذا يقول - يا أبا هريرة -! قال: اقرأوا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾.

وقال عمرو بن مرة الجهني^(٤): جاء رجلٌ من قضاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن شهدتُ شهدتُ أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، ووصلتُ الصلوات الخمس، وصممتُ شهر رمضان،

(١) ينظر: الصفحة (٥٣٤) من هذه الرسالة.

(٢) لم أقف على ترجمته.

(٣) لم أقف على ترجمته.

(٤) عَمَرُو بن مرة بن عيس بن مالك بن الحارث بن مازن بن سعد بن مالك بن رفاعة بن نصر بن مالك بن غطفان بن قيس بن جهينة الجهيني، ثم أحد بني غطفان، ويقال: الأسدي، ويقال: الأزدي، والأول أكثر، يكنى أبا مريم. وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: آمنتُ بكل ما جئت به من حلال وحرام، وإن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام، وكان إسلامه قديماً، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر المشاهد، وسكن الشام. ينظر: أسد الغابة، ٤٦٢/٢، الإصابة في تمييز الصحابة، ٥٦٣/٤.

وقمتُ، وآتيتُ الزكاة، فقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ كَانَ عَلَى هَذَا كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ))^(١) «^(٢)».

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، باب في فضل قيام رمضان، ٣/٣٤٠، والبيهقي في شعب الإيمان، فضائل شهر رمضان، ٥/٢٢٩. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١/٤٦: أرجو إسناده أنه إسناده حسن أو صحيح.

(٢) القطع والائتناف، ٧١٧.

وقوله - جلّ وعزّ -:

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَتُهُمْ وَتَفَاخُرُهُمْ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

﴿اعْلَمُوا﴾ فعل الأمر، والواو ضمير الفاعلين.

«أَنَّمَا» فتحت (أنما) بـ ﴿اعْلَمُوا﴾، و﴿مَا﴾ حرف كاف ل (أَنَّ) عن عملها.

﴿الْحَيَاةُ﴾ رفع بالابتداء.

﴿الدُّنْيَا﴾ من نعت ﴿الْحَيَاةُ﴾، ولو جعلت ﴿مَا﴾ صلة لُنُصِبَ ﴿الْحَيَاةُ﴾»^(١).

﴿لَعِبٌ﴾ خبر الابتداء.

﴿وَلَهُمْ﴾ عطف على ﴿لَعِبٌ﴾.

وكذا ﴿وَزِينَتُهُ﴾.

﴿وَتَفَاخُرُهُمْ بَيْنَكُمْ﴾ ظرف.

وكذا ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ وكذا ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾.

و﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ قال أبو إسحاق: الكاف في موضع رفع نعت، أي: وتفاحر مثل غيث

أعجب الكفار. قال: ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر^(٢).

﴿غَيْثٍ﴾ خفض بالإضافة.

﴿أَعْجَبَ﴾ فعل ماض.

﴿الْكُفَّارَ﴾ مفعول ﴿أَعْجَبَ﴾.

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢٤١/٤.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٢٧/٥.

﴿نَبَاتُهُ﴾ فاعل ﴿أَعْجَبَ﴾.

﴿ثُمَّ يَهَيِّجُ﴾ فعل مستقبل.

﴿فَتَرَدُّهُ﴾ الهاء مفعول ﴿تَرَى﴾.

﴿مُصْفَرًّا﴾ نصب على الحال.

﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ خبر كان، واسمها مُضَمَّر، أي: ثم يكون النبات حطامًا.

﴿وَفِي الْأَخِرَةِ﴾ خفض بـ ﴿وَفِي﴾.

﴿عَذَابٌ﴾ رفع بالابتداء.

﴿شَدِيدٌ﴾ من نعت ﴿عَذَابٌ﴾.

﴿وَفِي الْأَخِرَةِ﴾ الخبر.

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ معطوف.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ﴾ رفع بالابتداء.

﴿الدُّنْيَا﴾ من نعتها.

﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ وخبر الابتداء.

﴿وَالْآلَاءِ﴾ أجباب بعد نفي.

وإذا بطل عمل ﴿مَا﴾ صار إعراب ما بعدها كإعراب المبتدأ وخبره.

ومعنى الآية -والله أعلم-:

اعلموا -أيها الناس- أن متاع الحياة الدنيا المعجل لكم لعب، وهو تلهون به، وزينة تترينون بها، وتفاحر بينكم، يفخر بعضكم على بعض؛ لما أوتي فيها من رئاستها، وتكاثر في الأموال والأولاد، أي: يباهي بعضكم بعضًا بكثرة الأموال والأولاد، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾، وهو المطر

﴿عَجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾، أي: أعجب الزُّرَّاعُ نباتُ الغيث، وإذا أعجب الزُّرَّاعُ كان على نهاية الحُسْنِ^(١).

ويجوز أن يكون للكفار بأعيانهم؛ لأن الدنيا للكفار أشد إعجاباً؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث، ويهيج: يتندى في الصفرة، ثم يكون حطاماً متحطماً، فضرب الله -جلَّ وعزَّ- هذا مثلاً للحياة الدنيا وزوالها، ثم خبر -جلَّ وعزَّ- بما في الآخرة، فقال: ﴿وَفِي الْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾. هذا قول أبي إسحاق^(٢).

وقال محمد بن جرير: ﴿ثُمَّ يَهِيحُ﴾ يَبْسُ ذلك النبات، ﴿فَتَرَهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد أن كان خَضِرًا نَضِرًا، ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطْلَمًا﴾ أي: ثم يكون ذلك النبات حُطْلَمًا، أي: نباتاً يابساً متهشماً، وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ للكفار، ومغفرةٌ من الله، ورضوانٌ لأهل الإيمان بالله ورسوله^(٣).

وكان بعض أهل العربية يقول: في قوله: ﴿وَفِي الْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ ذكر ما في الدنيا وأنه على ما وصف، ثم قال: وأما في الآخرة فإنها إما عذاب وإما جنة. قال: قالوا: وفيه واو بمنزلة واحدة^(٤). وقوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ روى محمد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَقْرَأُوا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾))^(٥). قال أبو بكر: وإنما سُمِّيَ الزُّرَّاعُ كُفَّارًا؛ لأنهم يَكْفُرُونَ الزرع، أي: يغطونه، والكافر بالله سائرٌ للحق^(٦).

قال أبو بكر: «قوله: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطْلَمًا﴾ تمام عند الأخفش، وأبي حاتم.

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٤١٦/٢٢، إعراب القرآن للنحاس، ٢٤١/٤.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١٢٧/٥.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٤١٦/٢٢.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٤١٦/٢٢، إعراب القرآن للنحاس، ٢٤١/٤.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، باب ومن سورة آل عمران، ٨٢/٥. وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦٢٦/٤.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٦١/٢٢. و(كُفَّار) مأخوذٌ من (الكُفْر) بفتح الكاف، وهو التغطية. ينظر: لسان العرب، مادة: (كفر).

وقال يعقوب: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ هذا الوقف التام. ثم قال -
جلّ وعزّ - : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ وهو قول أبي حاتم^(١).

(١) ينظر: القطع والائتناف، ٧٢٠.



الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإني أحمد الله تعالى وأثني عليه أن وفقني لإتمام هذا البحث، وإني لأحتسب الأوقات التي صرفتها لإنجازه في سبيل خدمة كتاب الله العزيز، وخدمة المكتبة الإسلامية، وأسأله سبحانه القبول، والتجاوز عن الخلل.

وقد توصلت فيه للنتائج التالية:

١. يورد الإمام الأدفوي رَحِمَهُ اللهُ أحياناً بعض الأحاديث الضعيفة، دون أن يذكر حكمها، ومنها أحاديث للشيعة.

٢. يورد الإمام الأدفوي رَحِمَهُ اللهُ أحياناً بعض القراءات الشاذة، دون أن يبينها.

٣. اعتماد الإمام الأدفوي رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الطبري وكتب النحاس -رحمة الله عليهما- اعتماداً كبيراً.

٤. سعة علم الإمام الأدفوي رَحِمَهُ اللهُ وتمكنه من علوم شتى تتعلق بالكتاب الكريم.

٥. اهتمامه الواضح باللغة العربية وما يتعلق بها، والإعراب على وجه الخصوص؛ حيث تفرّد رَحِمَهُ اللهُ بإعراب الآيات القرآنية كلمةً كلمةً في كل مقطع مفسّر، بحيث لم يسبقه إلى ذلك أحد، حسب إطلاعي ومعرفتي.

٦. سلامة منهج الإمام الأدفوي رَحِمَهُ اللهُ، وسلامة عقيدته، وموافقته لمذهب أهل السنة والجماعة، بالرغم من انتشار بعض المذاهب في عصره.

وبناءً على هذه النتائج فإنني أوصي بالتالي:

١. خدمة الكتاب بدراسة ما فيه من علوم تتعلق باللغة والقراءات والوقف والابتداء.

٢. نشر هذا الكتاب بجمع الرسائل العلمية التي اعتنت بتحقيقه، وإفادة المكتبة الإسلامية به.

٣. البحث عن مؤلفات أخرى للإمام رَحِمَهُ اللهُ، وخدمتها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفهارس

وتشتمل على:

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الآثار
- فهرس الشواهد الشعرية
- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس القبائل
- فهرس الكلمات الغريبة
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآيات
سورة البقرة		
٥٣٥	١٤٣	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾
٤٣٠	١٤٣	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾
٣٦٥	٢٣٨	﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾
٣١٤	١١٩	﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾
٣٦٥	٩٨	﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾
سورة آل عمران		
٢٣٤	١٥	﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ﴾
١٧٥	٧٥	﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾
١٥٧	٤٧١	﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾
سورة النساء		
١٣٩	٣١	﴿نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾
١٤٦	٣١	﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾
٢٨٧	٣٦	﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾
٥٣٤	٤١	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾
سورة الأنعام		
١٤٨	١١٧	﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾
١٦٥	١٤٥	﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَائِعِمْ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ﴾
سورة الأعراف		
١٩٠	١٨٧	﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْفِهَا إِلَّا هُوَ﴾

الآيات	رقمها	الصفحة
سورة التوبة		
﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾	٣٠	١٧٥
سورة يونس		
﴿فِي ذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾	٥٨	٤٣٠
﴿إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ﴾	٥٩	١٩٠
سورة هود		
﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾	٨	٣٥٩
﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾	٤٦	٢٤٨
﴿فِي ضَيْغِي﴾	٧٨	٢٥٣
﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾	٧٨	٢٥٣
﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾	٧٨	٢٥٥
﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾	١٠١	٣١٤
سورة الرعد		
﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾	١٥	٢٨٣
سورة الحجر		
﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ﴾	٢٧	٢٩٣
﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾	٤٧	٤٣٠
﴿قَالُوا أَوْلَىٰ أَوْلَىٰ نَهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾	٧٠	٢٥٣
سورة النحل		
﴿وَلَسْتَ تَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾	١٤	٣٠٥
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾	٣٨	٤٣٢
سورة الإسراء		
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾	٤٤	٤٨٢
سورة الحج		
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ	١٨	٣٦٥

الآيات	رقمها	الصفحة
﴿الْعَذَابُ﴾		
سورة المؤمنون		
﴿وَلَا صَلَّيْتُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾	٧١	٣٥١
سورة الفرقان		
﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾	٢٣	٣١٨٨
سورة الشعراء		
﴿فَكُكِّبُوا﴾	٩٤	٢٢٥
﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَنْحُوحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾	١١٦	٢١٣
سورة النمل		
﴿أَأَلَّهُ مَعَ اللَّهِ﴾	٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤	٢٣٤
سورة القصص		
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾	٨٨	٤٨٤
سورة الروم		
﴿فَسَبَّحَنَ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾	١٧	١٥٧
﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ﴾	٧	١٧٦
سورة السجدة		
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾	١٧	٣٤٧
سورة الأحزاب		
﴿عَبْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾	٥٣	٣٣٩
ص		
﴿أَأَلْفَىٰ﴾ و﴿أَأَنْزِلَ﴾	٨	٢٣٤
سورة غافر		
﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ﴾	٣٢-٣٣	٣٢٢
الشورى		
﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ عَسَقَ﴾	٢-١	٣٠٩
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾	٣٢	٣٠٩

الآيات	رقمها	الصفحة
سورة ق		
{ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ }	١٦	٤٨٤
سورة الطور		
﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾	٩	٣٣٢
﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ﴾	١٠	٣٨٢
﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾	٢١	١٦٥
سورة الواقعة		
﴿إِذَا﴾	٤٧	٢٣٤
﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾	٩٥	٢٤٥
سورة الصف		
﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرَةِٰ تُسْجِئِكُمْ مِّنْ عَذَابِ ٱلْأَلْبِئْرِ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	١٠-١١	٤٦٠
سورة الحاقة		
﴿كَأَنَّهُمْ أَشْجَارٌ نَّخْلٌ خَاوِيَةٌ﴾	٧	٢٢٧
﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾	٨	١٩٠
﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾	١٩	١٠
سورة نوح		
﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾	١٦	٣٠٨
سورة مزمل		
﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبَابًا مَّهِيلًا﴾		٣٨١
سورة النازعات		
﴿الطَّامَّةُ﴾	٣٤	٣٧٩
سورة عبس		
﴿الصَّاحَّةُ﴾	٣٣	٣٧٩
سورة المطففين		
﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٦	٣٣٤
﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكَةٌ﴾ ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾	١٦-١	٤٦١

الآيات	رقمها	الصفحة
سورة الفجر		
﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ٢٣﴾ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴿	٢٣-٢٢	٣٢٢
سورة العصر		
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿١﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿	٣-٢	٢٧٧
سورة البينة		
﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾	٥	٤٧٩
سورة القارعة		
﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾	١	٣٦٨
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿	٢-١	١٧٥

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
١٥٧	أَتَدْرُونَ مَا وَفَى
١٦٢	أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ دَيْنٌ كُنْتَ تَقْضِيهِ
٢٦٧	اعْمَلُوا، فَكُلُّ مَيْسَرٍ؛ سُنْبِسْرُهُ لِلْيُسْرَى
١٥٧	أَلَا أُخْبِرُكُمْ لِمَ سَمَّى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ
٤٩٢	إن الدعاء يستجاب
١٦٠	إِنَّ اللَّهَ - حَلَّ نَنَاؤُهُ - لَيَرْفَعُ دَرَجَةَ الْمُؤْمِنِ مَعَهُ فِي دَرَجَتِهِ
١٤١	إِنَّ اللَّهَ حَلَّ وَعَزَّ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ
٣٥٥	إِنَّ الْمَرْأَةَ فِي الْحَنَّةِ لَيُرَى بَيَاضُ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً
١٦٦	إِنَّ أُمَّيْ افْتَلَيْتَ نَفْسَهَا، فَمَاتَتْ وَلَمْ تُوصِ، أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا
١٩٦	أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً
٥٢٥	إِنَّ أَوَّلَ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْحُشُوعُ
١٦٢	أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّيْ تُؤْفِيْتِ وَعَلَيْهَا صِيَامٌ
٢٩٣	أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن، أو قرئت عنده
٣٤٢	أن رسول الله ﷺ قرأ يوماً هذه الآية
١٦٣	أَنَّ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ، اسْتَفْتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّيْ مَاتَتْ وَعَلَيْهَا نَذْرٌ
٢٤٢	أَنَّ عَاقِرَ النَّاقَةِ كَانَ عَزِيْرًا مَنِيعًا كَأَبِي زَمْعَةَ
١٤٩	إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ
٤٥٢	إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ الَّتِي تُوقَدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءٍ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ
١٩٦	انشَقَّ الْقَمَرُ وَخُنَّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، حَتَّى دَهَبَتْ مِنْهُ فِرْقَةٌ حَلَفَ الْجَبَلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
٤٧٤	أنه قرأ فروع بضم الراء
٣٩٠	الثَّلَاثَانِ جَمِيعًا مِنْ أُمَّتِي
٣٨٢	جَاءَكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ يَبْسُوتُونَ عِيَالَهُمْ
١٩٥	خطب رسول الله ﷺ وقد كادت الشمس تغيب
٣٦٦	خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ، حِسَانُ الْوُجُوهِ
٣٧٢	دُرٌّ مَجُوفٌ

٤٦٦	شُكْرُكُمْ، تَقُولُونَ: مُطْرِنَا بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا، وَبِنَحْمِ كَذَا وَكَذَا
٤٠٥	صَفَاؤُهُنَّ كَصَفَاءِ الدَّرِّ الَّذِي فِي الْأَصْدَافِ، الَّذِي لَا تَمْسُهُ الْأَيْدِي
٣٤٨	ظَوَاهِرُهَا نُورٌ يَتَلَأَلُ
٤٢٣	عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ اللَّيْلَةَ وَأَتْبَاعَهَا مِنْ أُمَّتِهَا
١٤٧	الْعَيْنَانِ يَزْنِيَانِ، وَالْيَدَانِ يَزْنِيَانِ، وَالرِّجْلَانِ يَزْنِيَانِ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْقَرْحُ أَوْ يُكَذِّبُهُ
٣٧٥	فَلَمْ أَرِ عَبْرِيًّا يَغْرِي فَرِيَّهُ
٤١٤	فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّكْبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ
٤٥٢	قَدْ ضُرِبَتْ بِالْمَاءِ ضَرْبَتَيْنِ أَوْ مَرَّتَيْنِ
٢٦٥	الْقَدْرِيَّةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: الْحَيْرُ وَالشَّرُّ بِأَيْدِينَا
١٦١	كَانَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
١٦٥	لَا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ مُتَّكِمًا عَلَيَّ أَرِيكَتِهِ
٤٤٤	لَا تَقُلْ: زَرَعْتُ، وَلَكِنْ قُلْ: حَرَنْتُ
١٤٧	لَا يُلْسَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ
٤٠٣	مَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَشْتَهِيَ الطَّائِرُ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ يَطِيرُ، فَيَقَعُ بَيْنَ يَدَيْكَ مَشْوِيًّا
٤١٦	مِنَ الثُّيَبِ وَالْأَبْكَارِ
٤٠٨	مَنْ دَاوَمَ قِرَاءَةَ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ كُلَّ يَوْمٍ لَمْ يَفْتَقِرْ أَبَدًا
٣٥٦	مَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَلَهُ فِيهَا زَوْجَتَانِ، سِيرَى مَحْ سَوْقَهَا مِنْ وَرَاءِ ثِيَابِهَا
٥٣٧	مَنْ كَانَ عَلَى هَذَا كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
٤١٧	مِنْهُمْ الْعَجَائِزُ
٥٣٣	مُؤْمِنُو أُمَّتِي شُهَدَاءُ
٤١٦	نَشَأَ عَجَائِزُكَ فِي الدُّنْيَا عُمُشًا رُمَصًا
٤٨٤	هَذَا الْعَنَانُ، هَذَا رَاوِي الْأَرْضِ، يَسْوِقُهُ اللَّهُ
٤١٧	هُنَّ اللَّوَاتِي قُبِضْنَ فِي الدُّنْيَا عَجَائِزٌ رُمَصًا شُطًّا
٤١٧	هُنَّ مِنْ بَنِي آدَمَ، نَسَاءُ كُنَّ فِي الدُّنْيَا، يَنْشَتُهُنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
٣٤٨	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقْطَعُ رَجُلٌ ثَمْرَةً مِنَ الْجَنَّةِ فَتَصِلَ إِلَى فِيهِ،
١٦٤	وَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ أُطْعِمَ عَنْهُ لِكُلِّ يَوْمٍ مَدًّا
١٤٩	وَيُحَكُّ قَطَعَتْ عُنُقَ صَاحِبِكَ
٥٠٣	يَأْتُونَ أَقْوَامًا تَحْمَرُونَ أَعْمَالَكُمْ مَعَ أَعْمَالِهِمْ

٢٦٥	يَحْضُرُ الْمَقْتُولُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ، فَيَقُولُ لَهُ: فِيْمَ قُتِلْتَ
٣١٤	يَغْفِرُ ذَنْبًا، وَيَكْشِفُ كَرْهًا، وَيُجِيبُ دَاعِيًا
١٦٣	يَلْحَقُ الْمُسْلِمَ أَوْ يَبْلُغُ الْمُسْلِمَ ثَلَاثٌ: وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ،

فهرس الآثار

الصفحة	طرف الأثر
١٥٧	إبراهيم الذي استكمل الطاعة فيما فعل بابنه حين رأى الرؤيا
٤٥٩	إذا أراد الله -جلّ ثناؤه- أن ينزل كتابًا نَسَخْتَهُ السَّفْرَةَ
٥١٦	إن السُّورَ الذي ذكره الله -جلّ وعزّ- في القرآن
٤١٤	إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة سنة
٢٢٨	إن كان الرجل من قوم عاد، ليتخذ المصراعين من حجارة
٢٦٦	أن مشركي قريش خاصمت النبي ﷺ في القَدَر
٢٦٦	إني أجد في كتاب الله قومًا يُسحبون في النار على وجوههم
٤٠٤	الحُور: سُودُ الحَدَقِ
٢٩٦	خلق الله آدم من طين لازب
٢٩٧	خُلقت الجن الذين ذُكروا في القرآن
٢٩٧	خلقه من لب النار، من أحسن النار
١٤١	زنا العينان النظر
١٤٣	القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة، فإذا مَسَّ الختان الختان
٣٤٧	قد أُخبرتم بالبطائن، فكيف لو أُخبرتم بالظواهر
١٩٧	قد مضى انشقاق القمر".
٣٥٩	كان عرشه على الماء، ثم اتخذ لنفسه جَنَّة
٢٨٩	كل رجحان في القرآن فهو رزق
٣٥٣	لم يُدْمِهِنَّ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ
٢٦١	لما نزلت ﴿سَيُهْرَمُ الْجَمْعُ﴾ جعلت أقول: أي جمع يُهزم
٢٦٥	لوددت لو أن عندي رجلاً من أهل القدر
١٤٥	ما بين الحدّين: حدّ الدنيا وعذاب الآخرة
١٤١	ما رأيت شيئاً أشبه من اللحم
٣٠٧	المرجان حجر
٣٠٧	المرجانُ خَرَزٌ أحمر
٢٩٧	من أوسطها وأحسنها

الصفحة	طرف الأثر
٤٥٧	نزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملةً واحدةً
٣٨٣	الهباء الذي يطير من النار،
١٩٢	هو الغناء، كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا، وهي لغة أهل اليمن
١٤٣	هو أن يأتي الذنب ثم يتوب
١٤١	هو أن يلتمَّ العبد بالذنب ثم لا يعاود
٣٤١	وعد الله -جلَّ ثناؤه- المؤمنين الذين خافوا مقامه، فأدوا فرائضه: اللجنة
٢٨٥	يا معشر الموالي، إنكم قد بُليتم بأمرين، أُهليكت فيهما أمتان من الأمم
٣١٦	يعز مع كل نظرة من شاء، ويذل من شاء، ويغني من شاء، ويفقر من يشاء

فهرس الشواهد الشعرية

الصفحة	صدر البيت
٥١٣	أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعَجَّلْ عَلَيْنَا
٣١١	إِذَا قَطَعْنَ عَلْمًا بَدَا عَلْمٌ
٣٢٧	إِذَا مَا الْعَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا
١٨٩	أَزَفَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا
٤٥٧	أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أُيُّهَا الطَّلُّ
٣٩١	إِلَيْكَ تَعْدُو فَلَقْنَا وَضِيئُهَا
١٤٣	إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا
٣٢٨	إِنَّ لَهُمْ مِنْ وَقَعْنَا أَفْيَاطًا
٤٤٦	إِنْ يُعَاقِبُ يَكُنْ عَرَامًا وَإِنْ يُعْ
١٨٤	أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي
٤١٩	أَنِسَةَ تُصْبِي الْحَلِيمَ عَرُوبٍ
٣٩٩	أَوْ عَامِرَ بْنِ طُقَيْلٍ فِي مَرْكَبِهِ
٣٩٧	بادت وعيراهن مع البلا
٣٩٥	بَادَتْ وَعَيْرَ آيَهِنَّ مَعَ الْبَلَى
١٨٩	بَانَ الشَّبَابُ وَأَمْسَى الشَّيْبُ قَدْ أَرْفَا
٢٢٨	بِثَابِتِ الْوُطءِ شَدِيدٍ وَطُسُهُ
٣٧٥	بِحَيْلٍ عَلَيْنَهَا حِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ
٤١٢	بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وَقَالَ
٢٣٧	بلال خير الناس وابن الأخير
٥٢٢	تَحْسِبُ أَنَّهُ
٤٦٧	حَيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ
٣٩٧	تسمع للحشى منه لغطا
٣٩٢	تَقُولُ إِذَا دَرَأَتْ لَهَا وَضِيئِي
٥١٩	تَمَّ زَادُوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ
٣٩٩	جَنِّي بِمِثْلِ بَنِي بَدْرِ لِقَوْمِهِمْ

الصفحة	صدر البيت
١٩٩	حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْرِ مَرِيضَتِهِ
٤٥٣	حُيِّتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
٢١٤	رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ثُمَّ انْتَحَى
٢٩١	سَلَامُ الْإِلَهِ وَرِجَانُهُ
٣٧١	شَاقَتَكَ ظَعْنُ الْحَيِّ حِينَ تَحْمَلُوا
٣٢٦	شَرَابُ أَلْبَانٍ وَتَمْرٍ وَأَقِطُ
٤٤٣	ظَلَلْتُ بِهَا أَبْيَكِي وَأَبْيَكِي إِلَى الْعَدِ
٣٢٧	عَلَفْتُهَا تَيْنًا وَمَاءً بَارِدًا
٤١٣	عَلَبَ الْبَقَاءُ وَكُنْتُ غَيْرَ مُعَلَبٍ
٢٠٤	فَأَصْبَحَ مَا يَطْلُبُ الْعَائِيَاتِ
٥٠١	فَثُوبٌ لَيْسَتْ وَثُوبٌ أُحْرُ
٣٢٠	فَرَعْتُ إِلَى الْعَبْدِ الْمُقَيَّدِ فِي الْحِجْلِ
٤٣٥	فَقُلْتُ لِلشَّرْبِ فِي دُرْنَا وَقَدْ تَمَلُّوا
٤٠٧	فَقُلْنَا السَّلَامُ فَاتَّقَتْ مِنْ أَمِيرِهَا
٤٤٩	فَلَا مُزْنَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا وَلَا أَرْضَ أَبْعَلٍ إِنْقَالَهَا
٢٧١	فِي حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا
١٨٢	كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تَرْضِعُ فَتُقَطِّمَ
٤٠٣	لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمْ أَوْ صَحَوْتُمْ
٢٢٧	لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْحَلْجَانُ نَفْسُهُ
٤٨١	لَوْ قُلْتُ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَيْئَمَ
٤٧١	لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوْ فِي بَنِي أَسَدٍ
٣٧٠	مَتَى كَانَ الْحَيَاتُ بِذِي طَلُوحٍ
٣٩١	مُخَالِفًا دِينَ النِّصَارَى دِينَهَا
٢٧١	مَلَكَتْ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَّهَا
٥٠٧	وَإِذَا جُوزِيَتْ قَرْضًا فَاجْرِهِ
٤٧١	وَاعْلَمْ بِأَنَّ كَمَا تَدِينُ تَدَانُ
٣٩٧	وَافَيْتُ زَوْجَكَ فِي الْوَعَا

الصفحة	صدر البيت
٣٢٦	وَبِتُّ أَقْدُ الرَّادَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
١٤٠	وَبَلْدَةٌ لَيْسَ بِهَا أَنْيْسٌ
٣٣٩	وَتُخْضَبُ لِحْيَةُ غَدْرَتْ وَخَانَتْ
٢٤١	وَتَعْطُو بِرِخْصٍ غَيْرِ شَنْ كَأَنَّهُ
٣٩٧	وَعَلَفْتُهَا تَيْبًا وَمَاءً بَارِدًا
٤١٨	وَفِي الْخُدُوجِ عَرُوبٌ غَيْرٌ فَاحِشَةٌ
٣٩٥	وَمُشَحَّحٌ أَمَّا سِوَاءُ قَدَّالِهِ
٣٩١	وَمَنْ نَسَجَ دَاوُدَ مَوْضُونَةً
٤٤٧	وَيَوْمَ النَّسَارِ وَيَوْمَ الْجِفَارِ
٣٢٦	يَا لَيْتَ زَوْجِكَ قَدْ عَدَا
٣٢٨	يُضِيءُ كَصَوِّهِ سِرَاجِ السَّلِي

فهرس الأعلام

الصفحة	العلم
٤٢٥	أبان بن أبي عياش
٧٢	إبراهيم بن سعيد الحبال: ذكر الإشبيلي
١٧٢	إبراهيم بن يزيد بن قيس
٤٢١	أبو بكر بن عياش الأسدي
١٣٥	أبو حاتم سهل بن محمد
١٦٥	أبو رافع مولى النبي ﷺ
١٧١	أبو صالح باذام
١٧٤	أبو عمرو بن العلاء المازني
١٨١	أبو كبشة
٣١٦	أبو نهيك الأزدي
١٤٢	أبو هريرة الدوسي
٤٣٠	أبي بن كعب
٤٠٣	الأبيرد بن المعذر بن عبد قيس
٣٢١	الأجلح بن عبد الله الكندي
٦١	أحمد بن إبراهيم بن جامع السكري
٧٠	أحمد بن سليمان الكناني الأندلسي
٦٤	أحمد بن سهل بن محسن الأنصاري
٤٩	أحمد بن شعيب النسائي
١٧٨	أحمد بن صالح المصر
٤٢١	أحمد بن عثمان بن حكيم
٦٥	أحمد بن علي بن أحمد الباغاني
٤٤	أحمد بن علي بن عبد القادر
٥٠	أحمد بن محمد الطحاوي
٦١	أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس
١٦٣	أحمد بن محمد بن حنبل

الصفحة	العلم
٥٠	أحمد بن محمد بن خالد
٥٠	أحمد بن محمد بن سلامة
٦٨	أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي
٦٥	أحمد بن محمد بن عبيدة الطليطلي
٧١	أحمد بن محمد بن علي الأدفوي
١٧٥	أحمد بن موسى بن العباس
٣٥٠	أحمد بن يحيى ثعلب النحوي
٣٥٤	أرطاة بن المنذر بن الأسود
٦٩	إسحاق بن إبراهيم الهروي القزّاب
٤٢١	إسحاق بن محمد المسيبي
٢٠٢	إسماعيل بن أبي أويس
١٥٨	إسماعيل بن أبي خالد
١٧٨	إسماعيل بن إسحاق القاضي
١٧١	إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة
٢٧٣	إسماعيل بن جعفر الأنصاري
٤٦٢	إسماعيل بن سعد بن أبي وقاص
٢٠٤	الأعشى الكبير ميمون
٣٢	أفتكين التركي
١٦٦	أم المؤمنين عائشة
٣٦٦	أم المؤمنين هند بنت سهيل
٤٩	الإمام البخاري
٤٩	الإمام مسلم
٢١٤	امرؤ القيس
١٤٣	أمية بن أبي الصلت
١٩٦	أنس بن مالك بن النضر
٤١٩	أوس بن حجر بن مالك
٣٣٢	أوس بن عبد الله الربيعي

الصفحة	العلم
٥٣٣	البراء بن عازب
٤٢١	بريد بن عبد الواحد أبو المعافى
٤٤٧	بشر بن أبي حزام الأسدي
٣٦٤	بكر بن حبيب السهمي
٢٦	تكين بن عبد الله،
١٤٤	جابر بن يزيد بن الحارث
١٩٨	جبير بن مطعم
١٤٠	جراد العود النميري
٣٩٩	جرير بن عطية
١٦٢	جعفر بن أبي وحشية إياس
٣٩	جعفر بن الفضل
٥٨	جعفر بن ثعلب
٢٧٦	جعفر بن حيان السعدي
٣٠	جوهر الرومي
١٩٧	حذيفة بن حسل
٥٤	الحسن بن إبراهيم زولاق
١٤٤	الحسن بن أبي الحسن يسار
٥١	الحسن بن أحمد الكاتب
٥١	الحسن بن القاسم
٥٤	الحسن بن رشيق
٦٤	الحسن بن سليمان بن المخير الأنطاكي
٤٥٦	الحسن بن مسلم المكي
٧١	الحسين بن عبد الله بن عبد الرحمن الأجدابي
١٧٩	الحسين بن علي الجعفي
٤٢٠	الحسين بن علي العجلي
١٧٦	حفص بن سليمان الدوري
١٤٥	الحكم بن عتيبة الكندي

الصفحة	العلم
٣٢١	حماد بن أسامة القرشي
١٧٤	حمزة بن حبيب بن عمارة
٤٢١	خلاد بن خالد أبو عيسى
٥٠	خلف الطولوني
٧٠	خلف بن مروان القرطبي الوزاق
٤٢٠	خلف بن هشام بن ثعلب
٦٧	خلف مولى جعفر الفتي
١٥٢	الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي
٢٧	ذكاء
١٥٧	الربيع بن أنس بن زياد
٤٧٥	الربيع بن خيثم
٤٢٥	ربيع بن مالك السعدي
٣٥٣	رفيع بن مهران أبو العالية
٢٣٧	رؤبة بن العجاج
٢٧٢	زهير بن محمد التميمي
١٩١	زياد بن كليب التميمي
١٣٧	زيد بن أسلم العدوي
٤٦٢	سعد بن أبي وقاص
٤١٥	سعد بن مالك أبو سعيد الخدري
٦٨	سعيد بن إدريس الشلمي الإشبيلي
٥٢	سعيد بن البطريق
١٥٦	سعيد بن جبير بن هشام
٦١	سعيد بن عثمان بن سعيد بن السَّكن
٣١٦	سعيد بن مسعدة
١٦٢	سفيان بن عيينة
١٦٢	سلمان الأغر
٧٠	سلمة بن أمية بن وديع التَّجِيبِي

الصفحة	العلم
٣٥٠	سلمة بن عاصم النحوي
٤١٦	سلمة بن يزيد بن مشجعة
٢٣٤	سليمان بن خلاد
١٤١	سليمان بن عمران الأعمش
٢٧٣	سليمان بن مسلم
٦٥	سليمان بن هشام بن كليب القرطبي
١٦١	سليمان بن يسار الهلالي
٥٢٥	شداد بن أوس الأنصاري
١٦٢	شعبة بن الحجاج العتكي
٢٢٨	شهر بن حوشب
١٩٢	صالح بن أبي مريم الضبيعي
٢٣٤	صالح بن زياد
١٥٤	الضحاك بن مزاحم الهلالي
٤٢٠	ضرار بن صرد التيمي
٣٥٤	ضمرة بن حبيب
١٤١	طاووس بن كيسان الهمداني
٤٤٣	طرفة بن العبد
٢٣٣	الطيب بن إسماعيل
٣٦٨	عاصم بن أبي الصباح العجاج
١٧٤	عاصم بن أبي النجود
٣٥٣	عاصم بن سليمان الأحول
١٤٢	عامر بن شراحيل
٦٢	العبّاس بن أحمد بن مطروح الأحمدي
٦٧	عبد الجبار بن أحمد بن عمر الطرشوسي
٤٢١	عبد الجبار بن محمد العطاردي
٥٢١	عبد الحميد بن بكار
١٧٨	عبد الحميد بن عبد الله الأصبحي

الصفحة	العلم
٢٩٩	عبد الرحمن بن أبزي الخزاعي
٥١	عبد الرحمن بن أحمد الصدي
٧٠	عبد الرحمن بن الحسن بن سعيد القرطبي
١٣٤	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
٥٤	عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي
٦٦	عبد الرحمن بن محمد بن أبي يزيد العتكي
٦٨	عبد الرحمن بن محمد بن علي الأدفوي
١٤١	عبد الرحمن بن مسعود بن غافل
١٤٢	عبد الرحمن بن نافع بن لبيبة
٣١٧	عبد الرحمن بن هرمز الاعرج
٦٧	عبد العزيز بن علي الشهرزوري المالكي
٦٣	عبد الكبير بن محمد بن غفير الجزري
٧١	عبد الكريم بن الحسن بن المحسن بن الفضل بن المسلم
١٣٣	عبد الله بن أبي نجيح
١٩٧	عبد الله بن حبيب أبو عبد الرحمن السلمي
٤٧٤	عبد الله بن شقيق العقيلي
٢٢٣	عبد الله بن شوذب
١٣٩	عبد الله بن عباس
٢٩٣	عبد الله بن عمر بن الخطاب
١٧٤	عبد الله بن كثير بن المطلب
٤٩	عبد الله بن محمد المروزي
٢٤٧	عبد الله بن مسلم
٢١٣	عبد الله بن وهب الفهري
١٧٤	عبد بن عامر اليحصبي
٣٨٨	عبيد الله بن عبد الله السنج
١٦٣	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
١٦٥	عبيد بن أبي رافع المدني

الصفحة	العلم
٤٢١	عبيد بن نعيم بن يحيى
٧٠	عُتْبة بن عبد الملك بن عاصم الأندلسي
٥٢٥	عتريس بن عرقوب
٣٩٠	عثمان بن أبي سودة المقدسي
٣٥٤	عثمان بن الأسود الجمحي
٤٢٣	عثمان بن حفص بن عمر
٢٠٣	عثمان بن سعيد
٣٨٨	عثمان بن عبد الله بن سراقه
١٤٥	عروة بن الزبير بن العوام
٣٢	العزیز بالله الفاطمي
١٤٣	عطاء بن أبي رباح
٤٠٤	عطاء بن أبي مسلم الخراساني
١٩٧	عطاء بن السائب
٣٤٢	عطاء بن يسار الهلالي
٤٢٤	عكاشة بن محصن
١٥٤	عكرمة القرشي
١٧٢	علقمة بن قيس الكوفي
٦٧	علي بن إبراهيم بن أحمد بن حمويه
٦٩	علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي
١٣٩	علي بن أبي طلحة
٣٠	علي بن الأخشيد
٣٨	علي بن الحسين المسعودي
١٧٤	علي بن حمزة الكسائي
١٥٢	علي بن سليمان بن الفضل الأحمشي
٦٤	عمر بن مهران القروي
٣٠٢	عمران بن داود أبو العوام
١٧١	عمران بن ملحان

الصفحة	العلم
٤٦١	عمرو بن حزم
١٤٣	عمرو بن دينار
٤١٤	عمرو بن عبد الله بن عبيد
١٥٢	عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه
٥٣٦	عمرو بن مرة بن عيسى
٣١٥	عمرو بن ميمون الأودي
٣٨٩	عوف بن أبي جميلة
٣٧١	عوف بن مالك بن نضلة
٢١١	عيسى بن عمر الثقفي
١٨٤	الفضل بن قدامة
٣٣١	قابوس بن أبي المخارق
٢٨	القادر بالله
٢٣٢	القاسم بن سلام الأنصاري
١٥٧	القاسم بن عبد الرحمن الشامي
١٧٨	قالون أبو موسى عيسى
٢٨	القاهر بالله
١٥٦	قتادة بن دعامة
٢٤١	قدار بن سالف
٢٧١	قيس بن الخطيم
٣٢٨	قيس بن عبد الله بن عدس
٣٠٦	قيس بن وهب الهمداني
٢٩	كافور بن عبد الله الإخشيدي
١٨٩	كعب بن زهير المازني
١٩٥	كعب بن مانع الحميري
٤٥	كلثم بنت القاسم
٣٧٠	لبيد بن ربيعة العامري
١٩٩	لقيط بن معمر

الصفحة	العلم
٤٠٥	ليث بن أبي سليم القرشي
٣٥١	الليث بن خالد أبو حارث
١٦١	مالك بن أنس الأصبحي
١٥٩	مبارك بن فضالة القرشي
٣٩٢	المثقب العبيدي العائد
١٣٣	مجاهد بن جبر
٢٨٨	محمد بن أحمد بن أبي بكر
٥٣	محمد بن أحمد بن الرملي
٢١١	محمد بن أحمد بن كيسان
١٦٤	محمد بن إدريس الشافعي
١٨٢	محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي
٦٤	محمد بن الحسن الطحان
٦٣	محمد بن الحسين بن محمد النعمان،
٣٩٨	محمد بن المستنير النحوي
٣٥٧	محمد بن المنكدر
١٧٦	محمد بن الوليد بن ولاد
٢٨	محمد بن تكين
١٤٦	محمد بن جرير الطبري
٦٦	محمد بن جعفر بن بديل الخزاعي
٣١٤	محمد بن عبد الرحمن بين البيلماني
٦٩	محمد بن عبد الواحد الزبيري
٤١	محمد بن عبيد الله
٣٧٠	محمد بن كعب بن حبان القرطبي
٢٦٧	محمد بن كعب بن سليم
٤٠	محمد بن محمد بن محمد
١٦١	محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب
٦٦	محمد بن يحيى بن أحمد الخذاء

الصفحة	العلم
٦٣	محمد بن يحيى بن وهب القرطبي
١٥٢	محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشمالي
٢٩	محمود وهو أنوجور بن الإخشيد
٣٣١	مخارق بن عبد الله الشيباني
٣٠٦	مرة بن شراحيل
٣٥٣	مروان بن معاوية بن الحارث
١٤٢	مسروق بن الأجدع الهمداني
٣٢٥	مسلم بن جندب الهذلي
١٤١	مسلم بن صبيح الهمداني
٤٦٢	مصعب بن سعد بن أبي وقاص
٢٢٣	مطر بن طهمان
٣٠	المطيع لله
٦٠	المظفر بن أحمد بن حمدان المصري
١٧٢	معتمر بن سليمان بن طرخان
٣٢	المعز العبيدي
١٤٠	معمر بن المثنى
١٨٨	معمر بن راشد الأزدي
٣٥٣	المغيرة بن مسلم القسملبي
٢٧	المقتدر بالله
٦٩	مكي بن أبي طالب القيسي النحوي
٣٣	منصور الحاكم بأمر الله
١٤٣	منصور بن المعتمر بن عبد الله
١٨٣	مهران العدوي
٢٤٦	مهران بن أبي عمر
٣٠٧	موسى بن أبي عائشة
٣٩١	ميمون بن قيس بن جندل
١٦٨	نافع بن عبد الرحمن القارئ

الصفحة	العلم
٦٩	نضر بن شعيب الدميّاطي
٢٩١	النمر بن تولب
٥٣٣	هذيل بن شرحبيل
٤٠٥	هشام بن حسان الأزدي
١٦٦	هشام بن عروة بن الزبير
٣٢٦	همام بن غالب بن صعصعة
٤٦٥	الهيثم بن عدي الطائي
٢٧٢	الوليد بن مسلم القرشي
١٩٥	وهب بن منبه
٤٢٠	يحيى بن آدم بن سليمان
١٧٥	يحيى بن المبارك بن المغيرة
١٤٦	يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي
٤٤٦	يزيد بن أبي سعيد النحوي
١٦٨	يعقوب بن إسحاق الحضرمي
٤٦	يعقوب بن يوسف
٤٨	يوسف بن أيوب
٣٢٧	يونس بن حبيب الضبي
١٤٤	يونس بن عبيد

فهرس الأماكن والبلدان

الصفحة	المكان أو البلد
٥٧	أدفو
٥٨	أسوان
٦٩	الأندلس
٣٠١	بحر الروم
٣٠١	بحر فارس
٢٦	برقة
٦٧	البصرة
٣٩	بئر الوطاويط
٣٧	حلوان
٤٦	دار الحكمة الفاطمية
٢٤	ديار بكر
٣٢	الديلم
١٨٣	سدوم
٦٩	الشام
٥١٠	صنعاء
٤١٣	الطائف
٥١٠	عدن أبين
٦٩	العراق
٢٦	فيوم
٨٣	قراة
٥٨	قوص
٥١٣	الكوفة
١٩٧	المدائن
١٩٥	المدينة
٦٩	مصر

٤١	المقس
٦٣	مكة
٢٤	الموصل
٤١٣	وج

فهرس القبائل

الصفحة	القبيلة
٤٦٦	أزد
٣٦٩	أهل الحجاز
١٨٢	بنو لقيم بن هذال
١٦١	ختعم
١٨٩	قريش

فهرس الكلمات الغريبة

الصفحة	الكلمة
٢٩	الإحشيد
٢٤٢	إسحل
٢٦٩	الأشباع
٢٦٩	الأشباع
٤١٦	الأعمش
٢١٤	الأكناف
٢٢٧	البُحْتِيَّة
٢١٤	تمرية الصبا
٥٢٥	الثدوتان
٤٤٧	الجد
٤١٤	جذعة
٢١٧	جُؤْجُؤ السفينة
٤١٤	حقة
٤٧١	الحلاقيم
٤١٨	الخدوج
٢١٤	راح
٢٨٠	الرحي
٢٤٢	الرخص
٤١٦	رمصا
٣٦٧	رھط الرجل
٤٥٠	الزند
٢٥٤	سدوم
٣٦٦	الشمراخ
٢١٤	الشؤيوب
٣٢٥	صوار

الصفحة	الكلمة
٣٧٩	الصور
٣٧٤	الطنافس
٣٦٥	العجم
٢٤٢	العطو
٣٠٦	العظام
١٩٧	الفرسخ
٤٢	قرمية
٥٢٥	قَرَن
٣٦٦	القلال
٣٦٥	كرنافة
٢١٧	الكَنَكَل
٣٩	ليلة الغطاس
٢٤٢	المسويك
٤٦٥	ممالاة
٢١٤	منهمر
٢٨٣	الموات
٣٣٩	نجيع
٢١٤	الوابل
٢١٤	واه
٢٢٨	وطَسَ
٣٤١	يزع
٢٤٢	اليسروع

فهرس المصادر والمراجع

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: ١١١٧هـ)، حققه أنس مهرة، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ
- (٣) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، تحقيق: الجزء ١: حققه د جمال الدين الشيال، أستاذ التاريخ الإسلامي وعميد كلية الآداب - جامعة الإسكندرية الجزء ٢، ٣: حققه د محمد حلمي محمد أحمد، أستاذ التاريخ الإسلامي - كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي الطبعة: الأولى.
- (٤) الإتيقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) قدم له وعلق عليه: محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.
- (٥) آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت
- (٦) أخبار الراضي بالله والمتقي لله = تاريخ الدولة العباسية، من كتاب الأوراق، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (المتوفى: ٣٣٥هـ)، تحقيق: ج هيورث دن، الناشر: مطبعة الصاوي - مصر ١٩٣٥م.
- (٧) الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، محمد كامل الفقي، المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف.
- (٨) أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، حققه عصام بن عبد المحسن الحميدان.
- (٩) أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- (١٠) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن

- عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، حققه علي محمد الجاوي، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- (١١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، حققه علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة النشر ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- (١٢) إسفار الفصيح، محمد بن علي بن محمد، أبو سهل الهروي (المتوفى: ٤٣٣هـ)، حققه أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- (١٣) الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، حققه عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ.
- (١٤) الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ)، حققه عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت
- (١٥) إعراب القراءات السبع وعللها لأبي جعفر محمد بن أحمد بن نصر ابن خالويه الأصبهاني، (ت ٦٠٣هـ) ضبط نصه وعلق عليه: أبو محمد الأسيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.
- (١٦) إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ) تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العالمية - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.
- (١٧) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م
- (١٨) الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماکولا (المتوفى: ٤٧٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- (١٩) الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماکولا ، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة

الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

- (٢٠) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل (من كتب الشيعة): ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى - بيروت، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- (٢١) أمالي ابن بشران، أبو القاسم عبد الملك بن مُجَدِّد بن عبد الله بن بشران بن مُجَدِّد بن بشران بن مهران البغدادي (المتوفى: ٤٣٠هـ) ضبط نصه: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي الناشر: دار الوطن، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- (٢٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: مُجَدِّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م.
- (٢٣) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة عليهم السلام، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن مُجَدِّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- (٢٤) إيضاح شواهد الإيضاح، أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي (المتوفى: ق ٦هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور مُجَدِّد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- (٢٥) الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الرَّجَّاجي (المتوفى: ٣٣٧هـ)، حققه الدكتور مازن المبارك، دار النفائس - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- (٢٦) البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: د. زكريا عبد المجيد النوتي - د. أحمد الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ.
- (٢٧) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، حققه علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- (٢٨) برنامج الوادي آشي، مُجَّد بن جابر بن مُجَّد بن قاسم القيسي، شمس الدين، أبو عبد الله الوادي آشي الأندلسي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، تحقيق: مُجَّد محفوظ، دار المغرب الاسلامي - أثينا- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠-١٩٨٠.
- (٢٩) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، جمال حمدي الذهبي، إبراهيم عبد الله الكردي، دار المعرفة بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
- (٣٠) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى الضبي، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
- (٣١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا
- (٣٢) البلدان، أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (المتوفى: بعد ٢٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- (٣٣) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغو، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الناشر: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- (٣٤) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذازي محمد بن محمد المراكشي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.
- (٣٥) البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني الأندلسي، (ت ٤٤٤هـ) تحقيق: غانم قدوري الحمد، منشورات: مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .
- (٣٦) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ١٤٠٧هـ ، الطبعة الأولى.
- (٣٧) تاريخ الثقات، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (المتوفى: ٢٦١هـ)، دار الباز، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
- (٣٨) تاريخ الثقات، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (المتوفى: ٢٦١هـ)، دار الباز، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

- (٣٩) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، دار التراث - بيروت، الطبعة الثانية - ١٣٨٧هـ.
- (٤٠) التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، الطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن
- (٤١) تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، حققه الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م
- (٤٢) تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، حققه عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة النشر ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- (٤٣) تاريخ علماء الأندلس: عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي، عنى بنشره؛ وصححه؛ ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- (٤٤) تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن سليمان بن خالد بن عبد الرحمن بن زبر الربيعي (المتوفى: ٣٧٩هـ)، تحقيق: د. عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.
- (٤٥) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي . دار الجيل - بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
- (٤٦) تجارب الأمم وتعاقب الأمم، أحمد بن محمد مسكويه، تحقيق: أبو القاسم إمامي، طهران، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.
- (٤٧) تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنشورة = المعجم المفهرس: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد شكور المياديني، مؤسسة الرسالة - بيروت،

- الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- (٤٨) التحرير والتنوير لابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، توفي سنة ١٣٩٣هـ.
- (٤٩) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين أبو الخير مُجَّد بن عبد الرحمن بن مُجَّد بن أبي بكر بن عثمان بن مُجَّد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- (٥٠) تذكرة الحفاظ لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (٥١) الترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، المحمدية، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م.
- (٥٢) تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، أبو الفضل أحمد بن علي بن مُجَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، د. إكرام الله إمداد الحق، تحقيق: دار البشائر - بيروت، الطبعة: الأولى. ١٩٩٦م.
- (٥٣) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- (٥٤) التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- (٥٥) تفسير البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت،

الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ .

(٥٦) تفسير التستري، أبو مُجَدِّ سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (المتوفى: ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر مُجَدِّ البلدي، تحقيق: مُجَدِّ باسل عيون السود، منشورات مُجَدِّ علي بيضون/ دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.

(٥٧) التفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

(٥٨) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

(٥٩) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، حققه أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة - ١٤١٩ هـ.

(٦٠) تفسير القرآن العظيم: لأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت ٧٧٤ هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ.

(٦١) تفسير القرآن: أبو المظفر منصور بن مُجَدِّ بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن - الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(٦٢) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون القاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت: ٥٣٨هـ) اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيخا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ.

(٦٣) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، مُجَدِّ بن مُجَدِّ بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى:

- (٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- (٦٤) تفسير الماوردي النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، (ت: ٤٥٠ هـ) تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.
- (٦٥) تفسير عبد الرزاق الصنعاني لأبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، (ت: ٢١١ هـ) تحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.
- (٦٦) تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤ هـ)، حققه الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- (٦٧) تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، حققه محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ هـ.
- (٦٨) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (المتوفى: ٦٢٩ هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- (٦٩) التمهيد في علم التجويد، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ)، حققه الدكتور علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- (٧٠) تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦ هـ.
- (٧١) تهذيب الكمال لأبو الحجاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن المزني، (ت: ٧٤٢ هـ) تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ.
- (٧٢) التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى:

- ١٤٤٤هـ)، حققه اوتو تيرزل، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- (٧٣) الثقات لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية
الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ.
- (٧٤) الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة: أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطُوبَعَا السُّوْدُوْنِي الجمالي الحنفي، دراسة وتحقيق: شادي بن مُجَّد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة صنعاء - اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- (٧٥) جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- (٧٦) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- (٧٧) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- (٧٨) جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس: مُجَّد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر، الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة، ١٩٦٦م.
- (٧٩) الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند.
- (٨٠) جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن مُجَّد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو

- الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مروان العطية - د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- (٨١) جمهرة أشعار العرب: أبو زيد القرشي، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم - بيروت.
- (٨٢) حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)
- (٨٣) الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، حققه د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، دار الشروق - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ.
- (٨٤) حدود العالم من المشرق إلى المغرب، مجهول (توفي: بعد ٣٧٢هـ)، تحقيق و مترجم الكتاب (عن الفارسية)، السيد يوسف الهادي، الناشر: الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة: ١٤٢٣هـ.
- (٨٥) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- (٨٦) حسن المدد في فن العدد، إبراهيم بن عمر الجعبري (ت ٧٣٢هـ)، قدم له: أ.د. سامي عبدالفتاح هلال، تحقيق: جمال بن السيد رفاعي الشايب، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.
- (٨٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- (٨٨) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)، عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- (٨٩) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (وعليه إتخاف الخاصة بتصحيح الخلاصة للعلامة الحافظ البارع علي بن صلاح الدين الكوكباني الصنعاني)، أحمد بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العليم الخزرجي الأنصاري الساعدي اليميني، صفى الدين (المتوفى: بعد ٩٢٣هـ)، حققه عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية/دار البشائر - حلب /

- بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ.
- (٩٠) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمن الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، حققه الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- (٩١) الدر المنثور لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.
- (٩٢) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣١٢هـ.
- (٩٣) الدر الخظيرة في معرفة شعراء الجزيرة، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القطاع الصقلي.
- (٩٤) ديوان أبي النجم العجلي، الفضل بن قدامة، جمعه وشرحه وحققه، محمد أديب، ١٤٢٧.
- (٩٥) ديوان الإسلام، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (المتوفى: ١١٦٧هـ)، حققه سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- (٩٦) ديوان الأعشى الكبير: ميمون بن قيس، شرح وتعليق: د/ محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية.
- (٩٧) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، دار المعارف بمصر، حققه وشرحه: صلاح الدين الهادي.
- (٩٨) ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: أ/ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (٩٩) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، حققه خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- (١٠٠) ديوان النابغة الذبياني - شرح وتقديم: عباس عبد الساتر - دار الكتب العلمية - بيروت -

لبنان الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ .

(١٠١) ديوان النمر بن تولب، جمع وتحقيق: عبد الله الصاوي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٨ هـ.

(١٠٢) ديوان امرئ القيس - اعنتى به وشرحه عبدالرحمن المصطاوي - دار المعرفة - بيروت

(١٠٣) ديوان أوس بن حجر، أوس بن حجر، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار بيروت، سنة النشر: ١٤٠٠ هـ.

(١٠٤) ديوان جران النميري، دار الكتب المصرية.

(١٠٥) ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦ م .

(١٠٦) ديوان زهير بن أبي سلمى - شرحه وقدم له الأستاذ: علي حسن - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

(١٠٧) ديوان شعر المثقب العبدى - عُني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه : حسن ثامر الصيرفي - جامعة الدول العربية - معهد المخطوطات العربية - ١٣٩١ هـ.

(١٠٨) ديوان طرفة بن العبد - شرحه وقدم له : مهدي محمد ناصر الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة - ١٤٢٣ هـ.

(١٠٩) ديوان عنتر، تحقيق: محمد سعيد مولوي. ناشر الكتاب: المكتب الإسلامي.

(١١٠) ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.

(١١١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: إحسان عباس، نشر وزارة الإعلام في الكويت، ١٩٨٤ .

- (١١٢) ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، عبد العزيز بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي التميمي، أبو مُحَمَّد الكتاني دمشقي (المتوفى: ٤٦٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله أحمد سليمان الحمد، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩
- (١١٣) رحلة الشتاء والصيف، مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد، من أحفاد شرف الدين بن يحيى الحمزي الحسيني المولوي المعروف بـ كَبْرِيْت (المتوفى: ١٠٧٠هـ)، حققها وقدمها وفهرسها: الأستاذ مُحَمَّد سَعِيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٨٥هـ
- (١١٤) رُوْبَة بن عبد الله العجاج بن رُوْبَة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي (ت ١٤٥هـ)، تحقيق: وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة - الكويت.
- (١١٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية . دار الكتب العلمية- بيروت، ت ٢٠٠٩، الطبعة الثالثة.
- (١١٦) الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: مُحَمَّد شكور محمود الحاج أمير، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥.
- (١١٧) الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري (المتوفى: ٩٠٠هـ)، إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، ١٩٨٠م.
- (١١٨) زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .
- (١١٩) السبعة في القراءات لابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف ، الطبعة الثانية.
- (١٢٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة

المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (مكتبة المعارف).

(١٢١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

(١٢٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م

(١٢٣) سنن ابن ماجه المؤلف أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

(١٢٤) سنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

(١٢٥) سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

(١٢٦) السنن الكبرى أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

(١٢٧) سنن النسائي المحتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ -

(١٢٨) سير أعلام النبلاء، المؤلف لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز

- الذهبي (المتوفى: ٥٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث-القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ.
- (١٢٩) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن مُجَّد الأصبهاني، إسماعيل بن مُجَّد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
- (١٣٠) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، مُجَّد بن علي بن مُجَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن حزم، الطبعة: الطبعة الأولى.
- (١٣١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه محمود الأرناؤوط.
- (١٣٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ)، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- (١٣٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري
- (١٣٤) شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»، مُجَّد بن مُجَّد حسن شُرَّاب، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م
- (١٣٥) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، أبو بكر مُجَّد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: عبد السلام مُجَّد هارون، دار المعارف، الطبعة: الخامسة.
- (١٣٦) شرح الهداية لأبي العباس أحمد بن عمار المهدي (ت ٤٤٠هـ) تحقيق: حازم سعيد حيدر، دار عمار، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.
- (١٣٧) شرح شواهد المغني، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ) صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت جزء، الطبعة (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ).
- (١٣٨) صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي
- (١٣٩) صحيح سنن أبي داود، الشيخ مُجَّد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، مؤسسة غراس

- للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- (١٤٠) صحيح وضعيف سنن الترمذي،: مُجَّد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- (١٤١) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، خلف بن عبد الملك بن يشكوال، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، ١٣٧٤ هـ.
- (١٤٢) ضعيف الترغيب والترهيب (محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض).
- (١٤٣) ضعيف الجامع الصغير وزيادته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- (١٤٤) الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، أبو الفضل الأدفوي، طبعة: الدار المصرية للتأليف والنشر، ١٣٨٢ هـ.
- (١٤٥) طبقات الفقهاء، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦ هـ)، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦ هـ)، هذبة: محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى.
- (١٤٦) الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠ هـ)، حققه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- (١٤٧) طبقات المفسرين للداودي، محمد بن علي الداودي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (١٤٨) طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأذنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ١١١ هـ)، حققه سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- (١٤٩) طبقات النحويين واللغويين (سلسلة ذخائر العرب ٥٠)، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مدحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (المتوفى: ٣٧٩ هـ)، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف.
- (١٥٠) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام (بالتشديد) بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٣٢ هـ)، حققه محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة.
- (١٥١) العالم الإسلامي في العصر العباسي د. حسن احمد محمود، د. احمد ابراهيم الشريف

سنة النشر : ٢٠٠٥ .

- (١٥٢) العبر في خبر من غير: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت.
- (١٥٣) العظمة: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة - الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- (١٥٤) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، حققه إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- (١٥٥) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (المتوفى: ٦٦٨هـ)المحقق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت.
- (١٥٦) غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣ هـ) مكتبة ابن تيمية القاهرة، ١٣٥١هـ.
- (١٥٧) الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلمي الهمداني (المتوفى: ٥٠٩هـ)، حققه السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
- (١٥٨) فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، دار البشائر - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- (١٥٩) فهرسة ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي (المتوفى: ٥٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- (١٦٠) فهرسة ابن خير الإشبيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- (١٦١) القطع والائتناف لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، (ت : ٣٣٨هـ) تحقيق: أحمد خطاب

العمر، مطبعة العاني - بغداد ، الطبعة الأولى.

- (١٦٢) الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بأبن الأثير، تحقيق: عبد الله القاضي، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥.
- (١٦٣) الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (١٦٤) الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، حققه عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض.
- (١٦٥) الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، حققه عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض.
- (١٦٦) الكتاب : ديوان لقيط بن يعمر ، المحقق : الدكتور: عبد المعيد خان. الناشر : دار الأمانة ، دار الرسالة ، سنة الطباعة : ١٣٩١هـ.
- (١٦٧) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، حققه د مهدي المنزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال
- (١٦٨) الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، حققه عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- (١٦٩) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.
- (١٧٠) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة ، مكتبة المثنى - بغداد ، ١٩٤١م.
- (١٧١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله ، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.
- (١٧٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ)، الناشر: مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار

- العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، ١٩٤١م.
- (١٧٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي . (ت: ٤٣٧هـ) تحقيق : محي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الخامسة ١٤١٨ هـ .
- (١٧٤) الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بـ تفسير الثعلبي لأبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، (ت: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
- (١٧٥) كنز الدرر وجامع الغرر، أبو بكر بن عبد الله بن أيك الدواداري، الناشر: عيسى البابي الحلبي.
- (١٧٦) لباب التأويل في معاني التنزيل لأبي الحسن علاء الدين علي بن محمد ابن إبراهيم بن عمر الشيعي، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق وتصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (١٧٧) لسان العرب لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- (١٧٨) المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، أبو بكر (المتوفى: ٣٨١هـ)، حققه سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية - دمشق، سنة النشر ١٩٨١م.
- (١٧٩) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت: ٢١٠هـ) تحقيق: محمد فؤاد ، دار النشر: مكتبة الخانجي بمصر.
- (١٨٠) مجمع الزوائد (أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م).

- (١٨١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- (١٨٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي الحاربي، (ت ٥٤٢ هـ)، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى.
- (١٨٣) محيي السنة، أبو مُجَدِّد الحسين بن مسعود بن مُجَدِّد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-مُجَدِّد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (١٨٤) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، مُجَدِّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، مُجَدِّد مطيع، دار النشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.
- (١٨٥) مختصر تفسير البغوي، عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- (١٨٦) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار: موفق الدين أبو مُجَدِّد بن عبد الرحمن، ابن الشيخ أبي الحرم مكِّي بن عثمان الشارعي الشافعي (المتوفى: ٦١٥هـ)، الناشر: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
- (١٨٧) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، تحقيق: طيار آلي قولاج، دار صادر - بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- (١٨٨) مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي، تحقيق: اسعد داغر، دار الهجرة، قم، ١٤٠٩هـ.
- (١٨٩) المستدرک علی الصحیحین لأبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق:

- مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.
- (١٩٠) مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (المتوفى: ٢٠٤هـ)، حققه الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- (١٩١) مسند الإمام أحمد لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- (١٩٢) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، حققه محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (بدأت ١٩٨٨ م، وانتهت ٢٠٠٩ م).
- (١٩٣) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (١٩٤) مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار: مُجَدِّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- (١٩٥) المعالم الأثرية في السنة والسير، محمد بن محمد شُرَاب، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
- (١٩٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي لحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- (١٩٧) معاني القراءات للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود.
- (١٩٨) معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخصف الأوسط، (ت: ٢١٥هـ) تحقيق: هدى

- محمود قراة، مطبعة المدني - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- (١٩٩) معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، (ت: ٢٠٧هـ) تحقيق: د. عماد الدين بن سيد آل الدرويش، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.
- (٢٠٠) معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
- (٢٠١) المعجم الأوسط لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
- (٢٠٢) معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
- (٢٠٣) معجم الشعراء: للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- (٢٠٤) المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري: أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، تقديم: علي حسن عبد الحميد الأثري، الدار الأثرية، الأردن - دار ابن عفان، القاهرة.
- (٢٠٥) معجم القراءات، الدكتور عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع.
- (٢٠٦) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، حققه حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية.
- (٢٠٧) معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- (٢٠٨) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ.
- (٢٠٩) معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم: أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي،

- مكتبة الدار - المدينة المنورة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (٢١٠) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: بشار عواد، شعيب الأرنؤوط، صالح عباس، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .
- (٢١١) المغنى في توجيه القراءات العشر المتواترة : لمحمد سالم محيسن، دار النشر: دار الجليل، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ .
- (٢١٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، دار الساقى، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- (٢١٣) المكتفى في الوقف والابتداء لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني، (ت: ٤٤٤هـ) دراسة وتحقيق: جايد زيد مخلف، مطبعة وزارة الأوقاف الشؤون الدينية - الجمهورية العراقية - ١٤٠٣هـ .
- (٢١٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، مُجَّد عبد العظيم الزُّرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.
- (٢١٥) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، مُجَّد بن مُجَّد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- (٢١٦) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ)، حققه ووضع حواشيه: دكتور مُجَّد مُجَّد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- (٢١٧) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (المتوفى: ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ .
- (٢١٨) موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧هـ / ٩٦ - ٩٧م، أحمد معمور العسيري، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ -

- ١٩٩٦ م.
- (٢١٩) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ)، تحقيق: نبيل مُجَّد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية - القاهرة.
- (٢٢٠) موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر مُجَّد ناصر الدين الألباني «موسوعة تحتوي على أكثر من (٥٠) عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه الخالد»، أبو عبد الرحمن مُجَّد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، صَنَعَهُ: شادي بن مُجَّد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء - اليمن، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- (٢٢١) الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، عدد الأجزاء: ٤٥ جزءاً، الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ).
- (٢٢٢) الموطأ: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، تحقيق: مُجَّد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- (٢٢٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين أبو عبد الله مُجَّد بن أحمد بن عثمان بن قَإِمَاز الذهبي، تحقيق: علي مُجَّد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
- (٢٢٤) الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت: ٣٣٨هـ) تحقيق: سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم . مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ .
- (٢٢٥) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ)، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

- (٢٢٦) النحوي المفسر الإمام الشيخ أبو بكر الأدفوي: مُجَدِّد فتحى مُجَدِّد فوزي، دار الكتب المصرية، ١٤١٦هـ.
- (٢٢٧) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، حققه إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- (٢٢٨) نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، صارم الدين إبراهيم بن مُجَدِّد بن أيدير العلائي القاهري الملقب بابن دُقَمَاق (المتوفى: ٨٠٩ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور سمير طبارة، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- (٢٢٩) نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الأملعي في تخريج الزيلعي، جمال الدين أبو مُجَدِّد عبد الله بن يوسف بن مُجَدِّد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، تحقيق: مُجَدِّد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت - لبنان / دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م.
- (٢٣٠) نيل الأمل في ذيل الدول، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطّي ثم القاهري الحنفّي (المتوفى: ٩٢٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- (٢٣١) هادية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- (٢٣٢) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، حققه مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- (٢٣٣) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن مُجَدِّد أمين بن مير سليم الباباني

- البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية
استانبول ١٩٥١، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
- (٢٣٤) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) تحقيق
أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ -
٢٠٠٠م.
- (٢٣٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن
خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار النشر: دار صادر، بيروت.
- (٢٣٦) الولاة وكتاب القضاة: أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري، تحقيق: رفن كست، مطبعة
الآباء اليسوعيين - بيروت، ١٩٠٨م.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١	صفحة الغلاف
٢	البسمة
٣	الإهداء
٤	شكر وتقدير
٦	ملخص البحث
٨	المقدمة
٢٠	قسم الدراسة
٢١	الفصل الأول: عصر المؤلف
٢٢	تمهيد
٢٥	المبحث الأول: الحالة السياسية
٣٥	المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية
٤٤	المبحث الثالث: الحالة الدينية
٤٩	المبحث الرابع: الحالة العلمية
٥٥	المبحث الخامس: أثر العصر الذي عاش فيه وتأثره به
٥٦	الفصل الثاني: التعريف بالمؤلف: الإمام محمد بن علي الأديوي
٥٧	المبحث الأول: اسمه ومولده
٥٩	المبحث الثاني: أسرته ونشأته
٦٠	المبحث الثالث: شيوخه
٦٣	المبحث الرابع: تلاميذه
٧٣	المبحث الخامس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه
٧٦	المبحث السادس: عقيدته ومذهبه
٧٨	المبحث السابع: مصنفاه
٨٣	المبحث الثامن: وفاته
٨٤	الفصل الثالث: التعريف بالكتاب: الاستغناء في علوم القرآن
٨٥	المبحث الأول: تحقيق عنوان الكتاب.

الصفحة	الموضوع
٨٧	المبحث الثاني: توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف
٩٠	المبحث الثالث: منهج المؤلف في كتابه من خلال الجزء المحقق
١١٣	المبحث الرابع: المصادر التي اعتمدها المؤلف في كتابه
١١٩	المبحث الخامس: القيمة العلمية للكتاب مميزاته
١٢١	المبحث السادس: المآخذ على الكتاب
١٢٢	المبحث السابع: وصف النسخة الخطية للكتاب، ونماذج منها
١٣٠	قسم التحقيق
١٣١	سورة النجم
١٩٤	سورة القمر
٢٧٦	سورة الرحمن
٣٧٧	سورة الواقعة
٤٨١	سورة الحديد
٥٤٢	الخاتمة
٥٤٤	الفهارس
٥٤٥	فهرسة الآيات القرآنية
٥٥٠	فهرس الأحاديث النبوية
٥٥٣	فهرس الآثار
٥٥٥	فهرس الشواهد الشعرية
٥٥٨	فهرس الأعلام
٥٦٩	فهرس الأماكن والبلدان
٥٧١	فهرس القبائل
٥٧٢	فهرس الكلمات الغريبة
٥٧٤	فهرس المصادر والمراجع
٦٠٠	فهرس الموضوعات